

عبد الناصر جبارين

بين التقليد والتجديد: وجهات نظر تجديدية حول المنادى

في اللغة العربية الفصيحة- تحليل نحوي

Abdelnaser Jabarin

***Innovative Aspects on the Position
of the Vocative in Classical Arabic-
Grammatical Analysis***

1st Edition, 2014

Al-Qasemi Arabic Language Academy

Al-Qasemi College of Education

Baqā Al-Gharbiyya

All rights reserved

Publisher:

Maktabat Kul-Shee - Haifa

عبد الناصر جبارين

بين التقليد والتّجديد: وجهات نظر تجديدية حول المنادى

في اللّغة العربيّة الفصحى- تحليل نحويّ

التصميم والإخراج الفنّي:

سائدة أبو الصغير

الطبعة الأولى، 2014

إصدار: مجمع القاسمي للغة العربية

أكاديمية القاسمي (ج.م) – كلية أكاديمية للتربية- باقة الغربية

جميع الحقوق محفوظة للنّاشر:

مكتبة كل شيء - حيفا



info@kul-shee.com

www.kul-shee.com

عبد الناصر جبارين

بين التقليد والتّجديد: وجهات نظر تجديدية حول المنادى
في اللغة العربيّة الفصحى- تحليل نحويّ

إصدار:

مجمع القاسمي للغة العربية

أكاديمية القاسمي (ج.م)

كلية أكاديمية للتربية

الناشر: مكتبة كل شيء- حيفا



info@kul-shee.com

www.kul-shee.com

2014

إِهْدَاء

إِلَى وَالِدَيَّْ،

﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾؛

عَرَفَانَا وَامْتِنَانَا..

إِلَى كُلِّ مَنْ لَهُ فِي قُلُوبِي مَلَأَنٌ؛

وُدًّا، وَتَقْدِيرًا..

نَبْضًا، وَرُوحًا..

كلمة شكر

في جُعبتي مخزونٌ وافِرٌ ممَّنْ يستحقُّونَ الشُّكرَ والعرفانَ، ولكنَّ لا بدَّ منَ تبيانِ ثلَّةٍ مِنْهُمْ؛
مَعَ عُذْرِي لِمَنْ لَمْ أَدَوْنُ وَسَمَهُ وَسَمَتَهُ في هذه الصَّفحةِ.

أَفْتَتَحُ أَشْرَعَةَ الشُّكْرِ والعرفانِ بِشِراخِ المحاضرِ "الإنسان" ذي الأفقِ الرَّحِبِ أ.د. أهارون
جبيع كلاينبرجر، الَّذي لَطالما شَجَّعَنِي، وَأَمَّنَ بِقدراتي.. ثُمَّ بِالقلبِ النَّابِضِ، والرَّجْلِ الوقورِ
أ.د. إبراهيم طه، الَّذي مَنَحَنِي ثِقَّتَهُ، وَشَدَّ أَرْزِي.. ثُمَّ بِالطَّاقِمِ الدِّرَاسِيِّ في قِسمِ اللُّغَةِ
العربيَّةِ بِجامعةِ حيفا مِنْ محاضرينَ وأساتذةٍ وزملاءَ وعاملينَ.

وَأَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ العميمِ إِلَى د. ياسين كَتَّانِي- رئيسِ مجمعِ القاسميِّ- حَيْثُ الأَدَبُ الجَمُّ
والعِلْمُ الغَزيرُ، الَّذي أَتَاحَ لِي المِجالَ في نَشْرِ هذا الكِتابِ.. وَإِلَى د. فهد أبو خِضرة حَيْثُ
التَّواضُعُ النَّبيلُ والرَّأيُ اللَّافِتُ... وَإِلَى سائِدَةِ أبو الصَّغِيرِ الَّتِي لَمْ تَدَخِرْ جَهْدًا في تَجَشُّمِ
المِشاقِ؛ إِسْهامًا مِنْها في الإِشرافِ التَّقْنِيَّ عَلَى هذا الكِتابِ.

بِكُلِّ هَؤُلاءِ انْطَلَقْتُ وَمَخَرْتُ وَرَسَوْتُ عَلَى مِرائِي هذا العَمَلِ المُتَواضِعِ في حِضرةِ الكِيانِ
اللُّغَوِيِّ النَّبِيِّ.

إِلَى كُلِّ هَؤُلاءِ، وَإِلَى مَنْ لَمْ أَذْكُرْهُمْ؛ شُكْرًا وَأَكْثَرًا!

محتويات البحث

I	مقدمة
1	1. الفصل الأول: النداء عند النُّحاة التقليديين
3	1.1. النداء لُغَةً
7	1.2. النداء اصطلاحًا
8	1.3. حروف النداء
8	1.3.1. عدد الحروف بين النُّحاة
10	1.3.2. حروف النداء بين الصُّوت والدلالة
10	1.3.2.1. الهمزة
12	1.3.2.2. "آ"
13	1.3.2.3. "يا"
15	1.3.2.4. "أيّا"
16	1.3.2.5. "هَيّا"
17	1.3.2.6. "أيّ"
19	1.3.2.7. "آي"
20	1.4. ظاهرة الحذف في التّركيب النّدائيّ
21	1.4.1. حذف حروف النداء
23	1.4.2. أغراض حذف حرف النداء
24	1.4.3. حذف المنادى
27	1.5. التّرخيم
29	1.5.1. شروط التّرخيم
29	1.5.2. لُغَتَا التّرخيم
30	1.6. عامل المنادى
35	1.7. هل المنادى مفعولٌ به حقًّا؟
38	1.8. أنواع المنادى مِنْ حيث الإعراب والبناء

39	1.8.1. المنادى المُعَرَّب
42	1.8.2. المنادى المبني
44	1.8.3. المنادى المبني بَيْنَ البناءِ والرفع
50	1.8.4. تنوين المنادى المبني!
53	1.9. اللّهُمَّ في ميزان النُّحاة
58	1.9.1. معاني اللّهُمَّ
61	1.10. المنادى المُحَلَّى بـ"ال" التعريف
65	1.11. توابع المنادى
66	1.11.1. النَّعْت
68	1.11.2. تابع "أَيَّ"
73	1.11.3. تابعُ "اللّهُمَّ" بَيْنَ النَّعْتِ والنِّداءِ المُسْتَأَنَف
74	1.11.4. التَّوكِيد
76	1.11.5. البَدَل
77	1.11.6. عطف البيان
80	1.11.7. عطف النَّسَق
84	1.12. الاستغاثة
86	1.12.1. استغاثةٌ أَمْ تَعْجُبُ؟
88	1.12.2. أركان الاستغاثة
88	1.12.3. النَّصَبُ في الاستغاثة
89	1.12.4. لام الاستغاثة
90	1.13. التُّدْبَة
93	1.13.1. أركان التُّدْبَة
96	1.13.2. الأسماءُ الَّتِي لا يَصِحُّ نَدُّها
98	1.13.3. أَلْف التُّدْبَة
99	1.13.4. هاء السَّكْت

100 1.13.5. حُكْمُ المندوب
101 1.14. جدلية الخبر والإنشاء
104 1.15. دلالة التنبيه
109 2. الفصل الثاني: النداء في كتب التفسير
111 2.1. التفسير وعلاقته بالنحو
116 2.2. التصويُّتُ الندائي وأثره الخطابي
120 2.3. معيار التنغيم والتبر في التركيب الندائي
128 2.4. الاقتضاء الندائي في أسلوب القرآن
133 2.5. التعدُّد الإعرابي ودلالاته
142 2.6. البنى المحتملة للنداء
164 2.7. النداء التعجُّبي
171 2.8. مواضع الندبة ومدلولاتها القرآنية
178 2.9. بين جفْظ المرتبة وتأخير المنادى عن جوابه
186 2.10. جواب النداء
187 2.10.1. دلالة الطلب والأمر
191 2.10.2. المحلَّ الإعرابي لجواب النداء
194 2.11. ترخيم المنادى في القرآن
199 3. الفصل الثالث: النداء في عيون النُّحاة المُحدِّثين- مآخذُ ، ورؤى، وإضافات
201 3.1. مدخل
201 3.2. ثورة ابن مضاء القرطبي
202 3.3. محاولات الإصلاح النَّحوي في العصر الحديث
204 3.4. إبراهيم مصطفى و"إحياء النَّحو"
208 3.5. الظَّاهرة النَّدائيَّة عند المحدثين- نقد وملاحظات
208 3.5.1. إبراهيم السَّامرائي
212 3.5.2. أحمد بدوي

213	3.5.3. أحمد عبد السّتّار الجوّاري
215	3.5.4. أوجست فيشر
216	3.5.5. جرجس الخوري المقدسي
217	3.5.6. جميل علّوش، ومحمد حسن عوّاد
225	3.5.7. زكريّا أوزون
228	3.5.8. شوقي ضيف
231	3.5.9. عفيف دمشقيّة
234	3.5.10. غالب المطلبي- مقارباتٌ فيلولوجيّةٌ
239	3.5.11. محمّد خير الحلواني
240	3.5.12. مصطفى الغلاييني
242	3.5.13. مهدي المخزومي
246	3.5.14. هلال ناجي
247	3.5.15. يوسف الحمادي
249	3.5.16. يوسف الصّيداوي
252	3.6. بنية النّداء مِن السّطح إلى العمق
256	3.7. خروج النّداء عن معناه الأصليّ
264	3.8. الجملة النّدائيّة- فعليّة أم اسميّة؟
264	3.8.1. مفهوم الجملة
267	3.8.2. موقع الجملة النّدائيّة
271	3.9. دلالة الخطاب النّدائيّ
275	3.10. النّداء كما تراه المراجع الأجنبيّة
288	الخاتمة والاستنتاجات
299	قائمة المصادر والمراجع
357	ملاحق

مقدمة

1

تُعَدُّ اللُّغَةُ رُكْنًا ثقافيًّا، وشاهدًا حضاريًّا، باديّ الفاعليّة والنّشاط، ولعلّها -اللُّغَةُ- مِنْ أَهَمِّ الأركانِ الّتي يُعوَّلُ عليها الإنسانُ في عمليّة التّخاطبِ اليوميِّ مَعَ أفرادِ جنسِهِ، فهي، كما يشيّر اللّغويّون القدماءُ منهم والمحدثون، نظامٌ إشاريٌّ يخدمنا في إيصالِ الأفكارِ عبْرَ استدعاءِ صورٍ لمفاهيمِ الأشياءِ الّتي تكوّنتُ في أذهاننا إلى ذهنِ الآخرين¹.

إنّ هذه الحقيقةَ تعيدُنا إلى ما بيّنه عبدُ القاهر الجرجانيُّ بأنّ اللُّغَةَ هي عبارةٌ عن نَظْمِ الكلامِ المتأتّي مِنَ العقلِ، إذ لَيْسَ الغرضُ بِنَظْمِ الكلامِ أنْ توالَتْ ألفاظُها في النّطقِ، بل أنْ تناسَقَتْ دلالاتُها، وتلاقَتْ معانيها على الوجهِ الّذي اقتضاهُ العقل².

ويتبيّنُ خلالَ ذلكَ أنّ ثَمَّةَ ارتباطاً واقعاً بينَ المعاني النّحويّةِ المختلفةِ نتيجةَ ارتكازها على تناسقِ هذه المعاني، والتقاءها وفقاً للآليّةِ الّتي يقتضيه العقلُ.

والنداءُ، الّذي هو أحدُ أركانِ الواقعِ النّحويِّ، يُعَدُّ ظاهرةً غريزيّةً بالتعبيرِ عن رغباتِ ومطالبِ جمّةٍ تحياها النّفسُ البشريّةُ، ويحتويها العقلُ الإنسانيُّ، فيأتي الصّوتُ النّدائيُّ بأسلوبِهِ وتراكيبِهِ متأزّراً مَعَ السّياقِ البلاغيِّ اللّغويِّ؛ لِيُقَدِّمَ وظيفَةً ما. لذلك فإنّ ظاهرةَ النّداءِ عند الإنسانِ عامّةٌ، وفي اللُّغَةِ العربيّةِ خاصّةً، لَيْسَتْ وسيلةً اتّصالٍ فحسب، بل هي أداةٌ تعبيريّةٌ عن المشاعرِ والأفكارِ منذُ فجرِ التّكوينِ البشريِّ.

ويرى كثيرٌ من علماء اللُّغَةِ- القدماءِ والمحدثين- أنّه إذا كانَ كثيرٌ من لغاتِ العالمِ قد تخلّى عن الأصلِ الدّلاليِّ الّذي وُضِعَ له أساليبُ النّداءِ إلّا أنّ اللُّغَةَ العربيّةَ ظلّت متمسّكةً بهذا الأصلِ الدّلاليِّ الّذي وُضِعَ له النّداءُ، فكانت ترتقي، في الوقتِ نفسِهِ، مَعَ الدّلالةِ المجازيّةِ؛ لتكتسبَ على الدّوامِ رُقِيًّا فكريًّا، ونفسيًّا، واجتماعيًّا، وحضاريًّا³.

¹ بدير جبرو، علم الدّلالة (دمشق: مكتبة الأسد، 1992)، 51.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (القاهرة: مطبعة المدني، 1992)، 49-50.

³ حسين جمعة، جماليّة الخبر والإنشاء- دراسة جماليّة بلاغيّة نقدية (دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب

العربي، 2005)، 177.

وأما بشأن هذه البحث، ففي حقيقة الأمر، لم يكن اختياري لموضوع النداء عن قلة المواضيع البحثية في الدرس النحوي، أو نوعاً من ركوب السهل نأياً عن الوعورة! لا، بل إن الذي شدني إلى ذلك ودفعني هي تلكم الروايات الكامنة في ملامح جملة النداء، فكنت أشعر أن تركيب الجملة الندائية ليس تركيباً عادياً، بل اعتقدت- منذ الانطلاقة البحثية الأولى- أن له ميزة فريدة، فما هي ذي كتب النحو القديمة كانت تُفرد للنداء مساحة بارزة من بين المباحث النحوية الأخرى، فمثلاً- لا للحصر- حينما ننظر إلى خزانة الأدب للبغدادى⁴ نجد أنه يعرض للمنادى بمائتين وثلاث وخمسين صفحة. وليس هذا على صعيد القدماء فقط، وإنما امتدت تلك الرقعة إلى العصر الحديث، فرى- وأيضاً لا للحصر- أن كتاب النحو الوافي لعباس حسن قد حوى في طياته مائة وست عشرة صفحة لدرس النداء، فضلاً عن المواضيع الأخرى التي تُعالج مسألة النداء وتلتقي مع إحدائياتها. وحققاً، إن ذلك على شيء فإنما يدل على أهمية واضحة المعالم في حيثية المنادى وما يحوط به.

ظننت- بداءة- أنني أبالغ في طرحي هذا، ولكن ثمة باحثين آخرين أكدوا ما أذكره منذ أن تلمست الخطوات الأولى لهذا البحث، فقد وضّح طارق الجنابي أن النداء من الأساليب التي وقعت في إسهار من التمثيل والافتراض، وجردت من روحها اللغوي، وشوه بعض صورته الحقيقية؛ وذلك نتيجة إلى أن جمهرة واسعة من الباحثين لا تزال تنظر إلى النحو العربي على أنه مجرد من الروح، لا يعدو أن يكون تراكيب وحركات فحسب تنضوي تحت قيم نحوية ذبح عليها الدارسون، وعرض لها من التحكم والتعسف ما جعل سبيلها إلى الدارسين والمتعلمين غاية في الالتواء والعُسُر⁵.

بل أكثر من هذا، فقد ذهب محمود شرف الدين إلى أن أسلوب النداء أسلوب متميز مقارنة مع الأساليب النحوية الأخرى، وهذا ما استقرأه من كتاب سيوبه، مؤكداً أنه من

⁴ انظر: عبد القادر بن عمر البغدادى، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب (بيروت: دار الكتب

العلمية، 1998)، 2: 365-114.

⁵ طارق الجنابي، "أسلوب النداء- دراسة لغوية صوتية"، أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق

الألماني فولفديريش فيشر (دم.م. [د.ن.، 1994)، 88.

قَرَأَ مَا كَتَبَهُ سَيَبُوهُ أَذْرَكَ أَنَّهُ كَانَ يَعُدُّ النَّدَاءَ أَسْلُوبًا خَاصًّا يَخْتَلِفُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَسَالِيبِ؛
لَمَّا فِيهِ مِنْ مَزَايَا مُتَفَرِّدَةٍ⁶.

لَمْ نَسْأَلْ فِي هَذَا الْبَحْثِ أَنْ يَكُونَ الْمَنْهَجُ جَمْعًا لِكُلِّ مَا يَرْتَبِطُ بِالنَّدَاءِ؛ نَسَرُدُ فِيهِ كُلَّ مَا
حَوَّنُهُ مَصْنَفَاتُ النُّحَاةِ، فَيَعْدُو كِتَابًا تَدْرِيسِيًّا خَالِصًا، فَمَا أَكْثَرَ الْكُتُبَ التَّدْرِيسِيَّةَ الَّتِي
تَزِدُّجُمُ بِهَا الرِّفُوفُ، وَتَعُجُّ بِهَا الْمَكْتَبَاتُ!

2

تَتَمَحَوَّرُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ حَوْلَ النَّدَاءِ، وَهُوَ - كَمَا أَكَّدْنَا - أَحَدُ الْمَوْضُوعَاتِ النَّحْوِيَّةِ الْهَامَّةِ فِي
النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ؛ إِذْ تَأْتِي أَهْمِيَّتُهُ - أَوَّلًا - لِلْمَسَاحَةِ الْهَائِلَةِ الَّتِي يَحْتُلُّهَا النَّدَاءُ فِي الْمَصْنَفَاتِ
النَّحْوِيَّةِ، بِدَايَةٍ مِنْ سَيَبُوهِ فِي "الْكِتَابِ" فَصَاعِدًا، وَثَانِيًا؛ بِسَبَبِ التَّسْأُلَاتِ الْعَدِيدَةِ،
وَالْخِلَافَاتِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي أُثِيرَتْ مِنْذُ بَدَايَاتِ تَدْوِينِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ وَحَتَّى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ
الْمُتَمَثِّلِ بِالنُّحَاةِ الْمُحَدَّثِينَ.

إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ النَّدَاءَ - وَقَبْلَ أَنْ يَكُونَ دَرْسًا نَحْوِيًّا - فَهُوَ ظَاهِرَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ مُتَدَاوِلَةٌ
بَيْنَ النَّاسِ بِطَرَائِقَ شَتَّى، وَبِسِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا، فَكَمْ مِنْ شَوَاهِدٍ قَرَأْنِيَّةٍ، أَوْ
شَعْرِيَّةٍ، أَوْ نَثَرِيَّةٍ نَقَرُوهَا تَدُلُّ عَلَى حُضُورِ كَثِيفٍ لِلنَّدَاءِ! وَكَمْ مَرَّةً نَرَدِّدُهَا فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ،
فَيُنَادِي بَعْضُنَا بَعْضًا بِاسْتِخْدَامِ أَدَاةِ النَّدَاءِ "يَا أَوْ دُونَهَا فِي لُغَتِنَا الْمَحْكِيَّةِ!

لَقَدْ بَدَتْ قَضَايَا النَّدَاءِ، مِنْذُ الْإِنْطِلَاقِ الْأَوَّلِيِّ لِتَأْلِيفِ النَّحْوِ وَتَدْرِيسِهِ، مَعْقَدَةً، يَكْتَنِفُهَا
الْغُمُوضُ أحيانًا، فَأُتْبِعَتْ بِالشَّرُوحَاتِ الطَّوِيلَةِ الْمَمْزُوجَةِ بِقَوَاعِدِ أَصُولِ النَّحْوِ كَالْعَامِلِ
وَالْعَلَّةِ وَالْقِيَاسِ وَالسَّمَاعِ، وَبِتَأْثِيرَاتِ الْفَلَسَفَةِ وَعِلْمِ الْمَنْطِقِ، وَجَرَاءَ ذَلِكَ وَجَدَ الدَّارِسُونَ
صُعُوبَةً فِي احْتَوَاءِ مَسَائِلِ النَّدَاءِ الْمَتَشَعِّبَةِ؛ الْأَمْرُ الَّذِي أَدَّى إِلَى ظُهُورِ خِلَافَاتٍ وَاسِعَةٍ الْمَدَى
بَيْنَ النُّحَاةِ الْقَدَمَاءِ، وَلَعَلَّ كِتَابَ "الْإِنْصَافِ" لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ أَكْبَرُ شَاهِدٍ عَلَى هَذَا، فَقَدْ أَخَذَ
النَّدَاءَ الْمَسَاحَةَ الْأَكْبَرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ عَدَدُ الصِّفَحَاتِ، فَاسْتَعْرَضَ - ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ -

⁶ محمود عبد السلام شرف الدين، الإعراب والتركيب بين الشكل والتسمية - دراسة تفسيرية (القاهرة:

دار مرجان للطباعة، 1984)، 499.

الخلاف الطويل والمحتمل حول النداء بين النحاة البصريين والنحاة الكوفيين. ثم استمر هذا النقاش إلى العصر الحديث، حاملاً معه - أولاً - ابتعاد أبناء اللغة عن لفهمهم، ثم الصعوبة الكبيرة في تدريس موضوع النداء وفهمه، وبالتالي تحوّل درس النداء إلى جدليّة كبرى، تُخفي وراءها تساؤلاتٍ وتساؤلاتٍ.

لقد جاء هذا البحث على ثلاثة فصول:

أما الفصل الأول - "النداء عند النحاة التقليديين" - فقد عرّضنا فيه لأهمّ المسائل الندائية التي طرحتها النحاة القدماء، وسعينا من خلالها إلى توضيح الأبواب الرئيسية فيه كمفهوم النداء؛ لغةً واصطلاحاً؛ وحروفه، وظاهرة الحذف فيه، وعامله، ومفعوليّته، وأنواعه من حيث الإعراب والبناء وما يتعلّق بهما، وطبيعة التركيب من حيث الإخبار والإنشاء، ودلالة التنبيه، وتوابع المنادى. ثمّ عرّضنا لمكملات النداء، وهي الاستغاثّة، والتعجب، والندبة، والترخيم.

وكانت المنهجية التي اتبناها هي أن نصّف الظاهرة عبر التعريف اللغويّ أولاً، ثمّ نبيّن الجوانب النحويّة التي اختلف حولها النحاة، مستعرضين الآراء اللافتة والمثيرة، وبعد ذلك نحاول أن نستخلص هذه النتائج، وكلّ ذلك تمهيداً وتأصيلاً للفصل الثاني المتعلّق بتفسير القرآن، والفصل الثالث المتعلّق بالرؤية التجديدية للنحو عند النحاة المحدثين.

وأما الفصل الثاني - "النداء في كتب التفسير" - فقد رصّدنا بعض الملامح المرتبطة بالظاهرة الندائية في القرآن، كالتصويت وأثره الخطابي، ومعيّار التنغيم في التركيب الندائي، والنداء التعجّبي، ومواضع الندبة ومدلولاتها، وجواب النداء ومحلّه الإعرابي، والترخيم، وغيرها من الموضوعات.

وقد هدّفتنا من ذلك أن نستقرئ ظاهرة النداء من خلال كتب التفسير؛ لأنّ لغة القرآن هي المصدر الأول الذي يُحتجّ به عند النحاة؛ فلا يمكن أن نبحت موضوعاً نحويّاً ضخماً كالنداء دون العودة إلى كتب التفسير، التي هي بمثابة كتابٍ نحويّ تطبيقيّ يتضمّن سياقاتٍ وقرائنٍ ودلائلٍ مرافقةٍ لهذه الظواهر اللغويّة. لذا سعينا أن يكون البحث مُغيّراً ومختلفاً عمّا درجَ عليه كثيرٌ من الباحثين حتّى الآن، وذلك من خلال الموضوعات الجديدة،

والطَّرِجِ المتميِّز، وأيضًا من خلال قراءة النصوص التفسيرية قراءةً متفحّصةً ثاقبةً للكتب الأساسية في التفسير، دامجًا القديم منها، كتفسير الطبري، والحديث كتفسير الشعراوي. وأما الفصل الثالث- "النّداء في عيون النّحاة المُحدثين العرب والمستشرقين: مأخذ، ورؤى، وإضافات"-، فقد عَرَضْنَا لأهمّ الآراء التي دعا إليها النّحاة في العصر الحديث، مستعرضًا- بدايةً- أسباب تولّد فكرة التّجديد النّحويّ، وأثر ابن مضاء القرطبيّ (من القرن الثّاني عشر للميلاد) في النّحاة المحدثين، ومبيّنًا أهمّ الأطارح التي دعا إليها النّحاة المحدثون ضمن محاولاتٍهم للإصلاح النّحويّ؛ مع الخلفيات والمنطلقات التي يتّكئون عليها، ويستندون إليها، محاولين اكتناة الأبعاد المحيطة بهذه الأطارح؛ فرتبنا أسماء النّحاة وفقًا للترتيب الألفبائيّ، ثمّ عَرَضْنَا مأخذهم، وإضافاتهم، واقتراحاتهم التّيسيرية، ثمّ مناقشاتهم للنّحاة القدماء من جهة، ومناقشاتهم فيما بينهم من جهةٍ أخرى.

وتماشياً مع الدّرس اللّسانيّ الحديث فإنّي أتممّت الفصل الثّالث ببعض القضايا الهامة التي تُعَبِّر عن مميّزات النّداء تحت إطار المفاهيم اللّسانية التي من شأنها أن تتداخل فيها مستويات لغويّة عدّة، كالمستوى الصّوتيّ-الدّلاليّ، أو المستوى النّحويّ-الدّلاليّ، أو المستوى الصّوتيّ-النّحويّ، فتمثّل ذلك ببنية النّداء بين السّطح والعمق، وخروج النّداء عن معناه الأصليّ، وموقع الجملة النّدائيّة، ودلالة الخطاب النّدائيّ، ثمّ بالنّداء كما تراه الدّراسات الغربيّة والمراجع الأجنبية، في حين ولّد تركيب النّداء في أذهانهم أبعادًا لسانية مُستحدثةً، لها تداخلاتها النّظميّة والدّلاليّة والاجتماعيّة والنّفسيّة؛ فتجلّت موضوعاته المختلفة في نظرهم "ظاهرةً لغويّةً" جديرةً بالتأمّل والعناية.

3

وأما قبلُ؛ فإنّا نوّكدُ بأنّ ثَمّة مسائل كثيرة في النّداء لم نطرق أبوابها بعدُ؛ لأنّها تحتاج إلى مئات الصّفحات، إلّا أنّنا هدَفْنَا إلى أن يكون المنهج انتقائيًا لبعض المسائل النّدائيّة وما يحوطُ بها، مُظهِرًا خصائصها ودلالاتها- إيمانًا منا بأنّ الإعراب (النّحو) فرع المعنى، وهَدَفْنَا كذلك أن يكون البحثُ ذا رؤية علميّة جديدة، تُوصِلُ-هذه الرؤية- لمفاهيم نحويّة قديمة

قد غابت عنا، وتنفضُ الغبارَ عنها، وتربطُ- في الوقتِ نفسه- بينَ القديم والحديث، وبينَ الأصالة والمعاصرة.

وفي الختام، فإنِّي لَمْ آلْ جَهْدًا فِي تَحْرِي الدَّقَّةِ مِنْ بَيْنِ مَنَاتِ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى إِنْعَامِ نَظَرٍ، وَرُؤْيَا ثاقِبَةٍ، وَمَتَابَعَةٍ دَائِبَةٍ، مَعَ العِلْمِ أَنِّي لَا أُنْزِعُهُ نَفْسِي عَنِ التَّقْصِيرِ، فَلَكُمُ جَالَتْ فِي خَوَاطِرِي أَفْكَارٌ، وَمَوْضُوعَاتٌ لَمْ يُسَعِفْنِي حَجْمُ الأطْرُوحَةِ اسْتِيفَاءَهَا، وَتَدْوِينَهَا. وَلَعَلَّنَا نَكُونُ بِهَذَا الْعَمَلِ قَدْ أَضْفَعْنَا شَيْئًا، وَلَوْ سِرًّا، إِلَى الْمَكْتَبَةِ، لَا سِيَّمَا الْمَكْتَبَةُ النَّحْوِيَّةُ الَّتِي تَحْتَاجُ مِنَّا إِلَى جَهْدٍ لَيْسَ بِالْيَسِيرِ، وَتَحْتَاجُ إِلَى رُؤْيَا تَجْدِيدِيَّةٍ تَوَاكِبُ حَرَكَةَ الدَّرْسِ اللَّسَانِيِّ المعاصرِ، وَتَكْشِفُ عَنْ خَفَايَا الظَّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ "الغزيرة" الَّتِي تَكُونُ أَحْيَانًا أَقْرَبَ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَنَحْنُ لَا نَأْبَهُ لَهَا، وَلَا نَعِيزُ لَهَا اهْتِمَامًا، وَبَيْنَ هَذَا وَذَاكَ، لَا أَزَالُ أَذْكُرُ وَأُرَدِّدُ وَأُؤَمِّنُ أَنَّ اللُّغَةَ لَيْسَتْ مُلْكًا لِلْإِحْيَاءِ وَحْدَهُمْ، لَكِنَّهَا مُلْكٌ لِلْأُمُوتِ أَيْضًا، وَمُلْكٌ لِلَّذِينَ لَمْ يُؤَلِّدُوا بَعْدُ. فَهِيَ- إِذَنْ- مُلْكٌ لِلْجَمِيعِ عَلَى مَدَى الْعَصُورِ. وَحَسْبِي مِنْ كُلِّ ذَلِكَ شَرَفُ الْمَحَاوَلَةِ...

الفصل الأول

النّداء عند النُّحاة التّقليديّين

النِّداء عند النُّحاة التَّقْلِيدِيِّين¹

1.1. النِّداء لُغَةً:

تدورُ المادَّةُ اللُّغَوِيَّةُ للجذرِ الثَّلَاثِيِّ² (ن، د، و)، و(ن، د، ي) حَوْلَ رَفْعِ الصَّوْتِ وَمَدِّهِ وَظُهُورِهِ³، فيُقَالُ- كما أشارَ الخليلُ [100-170هـ، 718-786م] في مُعْجَمِهِ- فلانٌ أَنْدَى صَوْتًا مِنْ فلانٍ أَيْ أَبْعَدُ مَذْهَبًا⁴، وأَرْفَعُ صَوْتًا⁵، وأضافَ ابنُ منظورٍ [630-711هـ، 1233-1311م]،

¹ مصطلحا التَّقْلِيدِ والتَّجْدِيدِ غَيْرُ مُقْتَرَنَيْنِ بِعَصْرِ مِنَ العصور، وَغَيْرُ مُقْتَصِرَيْنِ عَلَى حَقْبَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُحدَّدةٍ؛ إذْ إِنَّ ثَمَّةَ نَحَاةٍ قَدَمَاءَ هُمُ أَصْحَابُ رُؤْيَا تَجْدِيدِيَّةٍ (مُجَدِّدُونَ)، نَحْوَ ابْنِ مَضَاءٍ الْقُرْطُبِيِّ، وَابْنِ عَصْفُورٍ، وَابْنِ هِشَامٍ، وَفِي الْمَقَابِلِ، فَإِنَّ ثَمَّةَ نَحَاةٍ مُخَدِّثِينَ هُمُ أَصْحَابُ رُؤْيَا تَقْلِيدِيَّةٍ (مُقَلِّدُونَ)، نَحْوَ عَبَّاسِ حَسَنِ، وَمُحَمَّدِ عَرَفَةَ، مُحَمَّدِ حَسَنِ عَوَّادٍ. وَلَكِنَّ، تَجْدِرُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ حَدِيثَنَا سَيَرُكِّزُ فِي هَذَا الْفَصْلِ حَوْلَ النُّحَاةِ الْقَدَمَاءِ بِشَكْلِ خَاصٍّ؛ لِأَنَّهُمُ الْانْطِلَاقُ الَّذِي اتَّكَأَ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ النُّحَاةِ الْمَعَاصِرِينَ "التَّقْلِيدِيِّينَ".

² لَمْ يَسِرْ أَصْحَابُ الْمَعَاجِمِ وَالنُّحَاةُ سِرًّا مُنْتَظِمًا وَوَاحِدًا فِي تَحْدِيدِ الْمَادَّةِ اللُّغَوِيَّةِ لِأَصْلِ النِّدَاءِ، فَمِنْهُمْ مَنْ حَدَّدَ التَّوْنَ، وَالدَّالَّ، وَالْوَاوَ (ن، د، و) كَجَذْرِ ثَلَاثِيٍّ نَحْوَ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ، وَالْأَشْمُونِيِّ، وَالصَّبَّانِ، وَأَبُو حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَالطَّاهِرِ الزَّائِي، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى التَّوْنِ، وَالدَّالِّ، وَالْيَاءِ (ن، د، ي)، نَحْوَ ابْنِ سِيدَةَ، وَالزَّمْخَشَرِيِّ، وَابْنِ مَنْظُورٍ، وَالسَّمِينِ الْحَلِيِّ، وَالْفَيْرُوزَابَادِيِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا نَحْوَ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ. وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْأَلْفِ الْمَمْدُودَةِ فِي لَامِ الْفِعْلِ دُونَ التَّحْدِيدِ أَهْيَا مُنْقَلِبَةً عَنْ وَائٍ أَوْ عَنْ يَاءٍ، نَحْوَ الْجَوْهَرِيِّ، بَلْ حَوَى الْأَزْهَرِيُّ اشْتِقَاقَ النِّدَاءِ ضَمْنَ الْجَذْرِ الثَّلَاثِيِّ (ن، د، و).

³ الرَّائِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ، مَعْجَمُ مُفْرَدَاتِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ (بِירוْت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 1997)، 541؛ مُحَمَّدُ عَبْدِ الرَّؤُوفِ الْمُتَاوَيْ، التَّوْقِيفُ عَلَى مَهْمَّاتِ التَّعَارِيفِ (بِירוْت: دَارُ الْفِكْرِ الْمَعَاصِرِ، 1990)، 694.

⁴ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ طُولُونَ، شَرْحُ ابْنِ طُولُونَ عَلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ (بِירוْت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 2002)، 104:2.

⁵ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ، كِتَابُ الْعَيْنِ (بِירוْت: مُؤَسَّسَةُ الْأَعْلِيَّ لِلْمَطْبُوعَاتِ، 1988)، 8:78؛ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيِّ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ (بِירוْت: دَارُ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، 2001)، 13:135؛ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ الْجَوْهَرِيِّ، الصَّحَاحُ- تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ (بِירוْت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 1999)، 6:530؛ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الزَّمْخَشَرِيِّ، أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ (بِירוْت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 1998)، 2:260؛ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّبَّانِ، حَاشِيَةُ الصَّبَّانِ عَلَى شَرْحِ الْأَشْمُونِيِّ (بِירוْت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 1997)، 3:197؛ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزَّائِي، مَخْتَارُ الصَّحَاحِ (د.م: دَارُ الْمَنَارِ، 1983)، 296.

هو أحسن وأعذب صوتاً¹.

وذكر الأزهري [282-370هـ، 895-981م] أن لفظة "الندي" على وجود، منها: ندى الصوت، إذا بعد مذهبه، فالنداء ممدود، والنداء أرفع الصوت². ويشير صاحب بن عبّاد [326-385هـ، 938-995م]، إلى أن النداء هو النداء عن طريق رفع الصوت، حيث تقول العرب: ناديك ولا أناجيك³، دلالة على أن ثمة بوناً بينهما يعظم الصوت.

وقد عرّف الجوهري [393-...هـ، 1003م] النداء بأنه الصوت، وقد يضم مثل النداء والرّغاء، فناداه ومناداه ونداء تعني صاح به، وتنادوا، أي نادى بعضهم بعضاً، وكذلك: تجالسوا في النادي⁴، ومنه قوله تعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}⁵، أي: عشيرته، وإنما هم أهل النادي، والنادي مكانه ومجلسه، فسمّاه به، ومنه قول الشاعر بشر بن أبي خازم:

وما يندوهم النادي ولكن بكلّ محلة منهم فئام

أي: ما يسعهم المجلس من كثرتهم⁶. وقال الفيروزآبادي [817-...هـ، 1415م] إن النادي والندوة والمنتدى كلّها مجلس القوم نهراً، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه⁷.

ويقول ابن سيده [458-...هـ، 1066م] إن الندي هو بُعْدُ الصوت، فالنداء (بالكسر)، وهو أكثرها¹، والنداء (بالضم) هو الصوت²، وبه قال ابن الخبّاز، وأضاف: يُقال في اللغة:

¹ ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988)، 14: 97.

² محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، 13: 134.

³ صاحب بن عبّاد، المحيط في اللغة (بيروت: عالم الكتب، 1994)، 9: 364؛ الرّمخسري، أساس البلاغة، 2: 260.

⁴ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية، 6: 528؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 1274: الرازي، مختار الصحاح، 296.

⁵ القرآن الكريم، العلق: 17.

⁶ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، 6: 529؛ ابن سيده، المُحْكَم والمُحِيط الأعظم، 9: 437.

⁷ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 1274؛ الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس (طرابلس: الدار العربية، 1983)، 599.

نداء ونداء، أما النداء (بالكسر) فهو مصدر فاعل، وأما النداء (بالضم) فهو صوت³. وبهذا الخصوص ذكر الأشموني أن في ضبطها ثلاث لغات: كسر النون مع المد، وكسر النون مع القص، ثم ضمها مع المد⁴.

وذهب الراغب الأصفهاني [...] 503هـ، ... 1110م] إلى أن النداء قد يُقال للصوت المجرد، وإياه قصد بقوله تعالى: {وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً⁵، أي لا يعرف إلا الصوت المجرد دون المعنى الذي يقتضيه تركيب الكلام. كما أنه- النداء- قد يُقال للمركب الذي يفهم منه المعنى، نحو قوله تعالى: {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى⁶، وقوله: {وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ⁷، أي دعوتهم⁸.

ولم يكتفِ الراغب بسرد معاني النداء في اللغة عامة، وفي القرآن خاصة، إنما راح يتحدث حول أصل النداء تأثيلاً واشتقاقاً، فبين أن أصل النداء مأخوذ من الندى أي الرطوبة، فيقال صوت ندي رقيق. واستعارة النداء للصوت من حيث إن من تكثر رطوبته فمه حسن كلامه؛ ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق⁹.

¹ محمد الخضري، حاشية الخضري علي ابن عقيل (القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية، [د.ت.])، 1: 71.

² ابن سيده، المخكم والمحيط الأعظم، 9: 402.

³ أحمد بن الحسين بن الخباز، توجيه اللمع- شرح كتاب اللمع لأبي الفتح ابن جني (القاهرة: دار السلام، 2002)، 318.

⁴ الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيبي (القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية، [د.ت.])، 2: 135؛ أبو حيان الاندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب (القاهرة: مكتب الخانجي، 1998)، 4: 2179.

⁵ سورة البقرة: الآية 171.

⁶ سورة الشعراء: الآية 10.

⁷ سورة المائدة، الآية 58.

⁸ الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، 541.

⁹ الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، 541؛ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ- معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم (بيروت: عالم الكتب، 1993)،

وفي السِّياق ذاته ذَكَرَ الخليلُ وغيرُهُ أَنَّ النَّادي سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّهم يَنْدُون إليه نَدْوًا ونَدْوَةً، فهو مجلسٌ يَنْدُو إليه مَنْ حَوَالِيهِ، وبِهِ سُمِّيَتْ دارُ النَّدْوَةِ بِمَكَّةَ، الَّتِي كانت لبني هاشمٍ، فإذا حَزَبَهُمْ أو أَفْرَعَهُمْ أمرٌ معيَّنٌ نَدَّوْا إِلَيْهَا فاجتمعوا مِنْ أَجْلِ مُشاورَةٍ؛ لهذا فَنَادَيْكَ تعني أَشاورَكَ وأُجَالِسُكَ في النَّادي¹، وقد عَزَا الأزهريُّ هذا القولَ إلى اللَّيْثِ². وأضافَ الصَّاحِبُ بَنُ عَبادٍ أَنَّ دارَ النَّدْوَةِ تعني دارَ الدَّعْوَةِ إلى الطَّعامِ³. وإلى ذلك المعنى أشارَ الرَّمْخسريُّ [467-583هـ، 1075-1144م] إلى قولِ كُثَيِّرٍ عَزَّة:

لهم أندياتٌ بالعشيِّ وبالضُّحَى بهاليلٍ يَرْجُو الرَّاغِبُونَ نهالها

وَأَرْدَفَ قائلًا إِنَّ: انتدوا وتنادوا تعني: تجالسوا، وناديتهم: جالستهم⁴.

والنَّدَاءُ عِنْدَ الكفويِّ هو رَفْعُ الصَّوْتِ وظهورُهُ، وقد يُقالُ لِلصَّوْتِ المجرَّدِ⁵ دونَ المعنى الَّذي يقتضيه تركيبُ الكلامِ، أي هو للاستحضارِ دونَ تحقيقِ المعنى. بَلْ أشارَ الكفويُّ إلى أَنَّ كُلَّ ما يَخْرُجُ مِنَ اللِّسانِ مِنْ كلامٍ فهو نداءٌ، ذلك أَنَّ الكلامَ متى خَرَجَ فهو بمثابة نداءٍ⁶.

4: 182؛ الرَّايزي، مختار الصَّحاح، 296؛ الشَّريف عمر بن إبراهيم الكوفي، كتاب البيان في شرح اللَّمع لابن جَنِّي (عَمَّان: دار عَمَّار، 2002)، 363.

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 8: 76؛ الصَّاحِب بن عَباد، المحيط في اللُّغة، 9: 363؛ الجوهري، الصَّحاح، 6: 529؛ ابن منظور، لسان العرب، 14: 98.

² الأزهري، تهذيب اللُّغة، 13: 134؛ ابن سيده، المُحْكَم والمحيط الأعظم، 9: 437.

³ الصَّاحِب بن عَباد، المحيط في اللُّغة، 9: 363.

⁴ الرَّمْخسري، أساس البلاغة، 2: 260؛ الرَّايزي، مختار الصَّحاح، 296؛ الطَّاهر الرَّاوي، مختار القاموس، 599.

⁵ المُنَاوِي، التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، 694.

⁶ أبو البقاء الكفوي، الكَلِّيَّات (القاهرة: بولاق- دار الطَّباعة العامرة، 1864)، 362.

1.2. النداء اصطلاحاً:

ذَهَبَ الرُّضِيُّ [...]686هـ، ...1287م]، والصَّبَّانُ [...]1206هـ، ...1791م] وغيرُهما إلى أنَّ النداء هو طلبُ الإقبالِ بحرفٍ نائبٍ منابِ الفعلِ "أدعو" ملفوظٍ به، أو مُقَدَّرٍ، والمرادُ بالإقبالِ هنا هو ما يشملُ الإقبالَ الحقيقيَّ والمجازيَّ، كما أنَّ المقصودَ به الإجابة¹.

وعرَّفَ السَّمِينُ الحلبيُّ [...]756هـ، ...1355م] النداءَ بأنَّه رفعُ الصَّوتِ بطلبٍ من ينادي، وذلك بواسطة حروفٍ مخصوصةٍ مذكورةٍ في كتبِ العربيَّةِ، أي حروفِ النداء².

وبيَّنَ التَّهَانَوِيُّ [...]1158هـ، ...1745م] أنَّ النداءَ عندَ أهلِ العربيَّةِ يسيرُ على طريقتين، إمَّا إنَّه يُطلَقُ على طلبِ الإقبالِ بحرفٍ ينوبُ منابَ "أدعو" لفظاً، أو تقديراً، والمطلوبُ بالإقبالِ يُسمَّى منادى، وإمَّا إنَّه قد يُطلَقُ على الكلامِ المستعملِ في طلبِ الإقبالِ، وهو في هذا المعنى من أنواعِ الطَّلَبِ الَّذِي هو من أنواعِ الإنشاء³.

وكان الكفويُّ من الذين استطردوا فيه تعريفِ النداء، فقالَ إنَّ "النداءَ هو إحصارُ الغائبِ، وتنبيهُ الحاضرِ، وتوجيهُ المُعْرِضِ، وتفريعُ المشغولِ، وتهييجُ الفارغِ، وهو تصويتُك بِمَنْ تُريدُ إقبالَهُ عليك؛ لِتُخاطِبَهُ"⁴، والمأمور بالنداء يُنادى؛ لِتُخاطِبَهُ الأمرُ، فصارَ كأنَّه هو المنادى⁵.

¹ رضيَّ الدِّينِ الأُسْتَرَابَادِيّ، شرح كافية ابن الحاجب (بيروت، دار الكتب العلميَّة، 1998)، 1: 310؛ محمَّد بن علي الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني (بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1997)، 3: 197.

² السَّمِين الحلبي، عُمدة الحقاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 4: 181؛ أحمد بن علي السُّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (بيروت: دار الكتب العلميَّة، 2001)، 1: 562.

³ محمَّد بن علي التَّهَانَوِيّ، كشاف اصطلاحات الفنون (بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1998)، 4: 267.

⁴ أحمد بن الحسين بن الخبَّاز، الغرَّة المخفَّيَّة في شرح الدُّرَّة الألفيَّة (بغداد: مطبعة العاني، 1991)، 2: 512.

⁵ الكفوي، الكلِّيَّات، 362.

1.3. حروف النداء¹:

شَكَّلَتْ حُرُوفُ النَّدَاءِ حِزًّا ملحوظًا في كتبِ التَّحْوِيلِ القدماءِ، فلم يكتَفُوا في تعدادِها وذكرِها، بل راحوا يتحدثون حولَ استخداماتها الوظيفية ودلالاتها التَّحْوِيلِ المختلفةِ، وذلك وفقَ المعاني المترتبة عليها ضمنَ سياقِ جملةِ النداءِ.

1.3.1. عدد الحروف بين النّحاة:

لم يتَّفِقِ النّحاةُ فيما بينهم على عددِ هذه الحروفِ²، فمنهم مَنْ قالَ هي ثمانية حروفٍ، وهي: يا، وأيا، وهيا، وأي، وآي، والهمزة، و "وا"، و"آ"، وهذا الرّأيُ- على الأغلب- رأيُ الكوفيّين، فقد ذَكَرَ ذلك ابنُ مالِكٍ [600-672هـ، 1203-1274م] أنَّ حرفَ النّداءِ "آ" (الهمزة الممدودة) لم يذكُرْهُ البصريُّون، لكنْ ذَكَرْهُ الكوفيُّون⁴، وقد وافَقَ ابنُ مالِكٍ هذا الرّأيَ بتعليقه أنَّ زيادةَ الثَّقةِ مقبولةٌ، أي إنَّ زيادةَ هذا الحرفِ "آ" عِنْدَ الكوفيّين موثوقٌ بها ومقبولةٌ كذلك⁵. وهذا ما أكَّده أبو حيان الأندلسي [654-754هـ، 1256-1353م] قائلاً إنَّ

¹ وَضَحَ ابنُ فلاح اليميني معنى الحرفِ، فإشار إلى أنَّ الحرفَ سُيِّ بِذلك لثلاثة أوجه: أولاً: أنَّ الحرفَ في اللّغة طَرَفُ الشَّيْءِ، ومنه الجبلُ، وحرف السَّيْفِ، فَسُيِّ حَرْفًا؛ لأنَّ يقع طرفًا ممَّا يدخل عليه. ثانيًا: لانحرافه عن علامات الأسماء والأفعال. وثالثًا، لكثرة معانيه، مِنْ قولهم: رجلٌ محترفٌ، إذا كان مُتَفَتِّيًا في الصَّنائع. انظر: منصور بن فلاح اليميني، المُعْني في النّحو (بغداد: آفاق عربيّة- دار الشؤون الثقافية العامة، 1999)، 1: 178.

² عَبَّرَ الشَّيْخُ خالد الأزهرى عن عدم اتّفاق النّحويّين على عدد حروف النّداء بقوله: "وهذه الأحرف وفاقًا وخلافًا ثمانية"، بمعنى أنّه أخذَ بالعدد الأكبر حتّى تكونَ رؤيته شاملةً. انظر: الشَّيْخُ خالد الأزهرى، شرح التّصريح على التّوضيح (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000)، 2: 205.

³ على بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي، شرح جمل الرّجائي (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998)، 2: 177؛ نور الدّين السّنهوريّ، شرح الأجروميّة في علم العربيّة، 2: 645.

⁴ جمال الدّين محمّد بن مالِك، شرح عمدة الحافظ وعدة اللاّفظ (بغداد: وزارة الاوقاف، 1977)، 1: 277؛ بدر الدّين بن جماعة، شرح كافية ابن الحاجب (القاهرة: دار المنار، 2000)، 356.

⁵ جمال الدّين محمّد بن مالِك، شرح التّسهيل لابن مالِك (القاهرة: هجر، 1990)، 3: 386؛ الحسن بن قاسم المراديّ، الجنى الدّاني في حروف المعاني (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1983)، 35.

الأخفش¹ والكوفيّين رأوا بالهمزة الممدودة حرفاً من حروف النّداء الثمانية². بل ذهب ابن النّاطم [...] 686هـ، ... 1287م] وجلال الدّين السيوطي [849-911هـ، 1445-1505م] إلى أنّ الكوفيّين زادوا حرفين هما "أ" و"آي"، قد حكوا ذلك عن العرب الذين يثقون بعربيّتهم³.
 أمّا حروف النّداء عند البصريّين فهي أقلّ ممّا ذهب إليه الكوفيّون، إذ رأوا أنّها خمسة، وهي، يا، وأيا، وهيا، وأي، والهمزة⁴. ومن اللافت أنّهم يُفردون "وا" على حدة، لكونه حرفاً يستعمل في النّدية، وكأنّهم أرادوا أن يفصلوا بين الوظائف الدلالية لهذه الحروف على الرّغم من أنّها كلّها تندرج تحت إطار حروف المناداة.

ومن الملاحظ أنّ النّحاة المتأخّرين عن المدرستين البصريّة والكوفيّة انتخبا مناهج مختلفة في عدد حروف النّداء، بمعنى أنّهم لم يسلكوا مسلك التّقليد، فمثلاً، يرى ابن إسماعيل الهرمّي [...] 702هـ، ... 3134م]- الذي كان يميل إلى المذهب البصريّ- إلى أنّ حروف النّداء سبعة، مُستثنيًا الحرف "آي" التي عند الكوفيّين، بل أكّد أنّه لا يُنادى بغير هذه الحروف السبعة⁵. وذهب ابن عصفور الإشبيلي [...] 669هـ، ... 1271م]- إلى أنّ هذه الحروف السبعة- وابن هشام الأنصاري [708-761هـ، 1309-1360م]- أخذ نحا المدرسة المصريّة- إلى أنّ أنّها ثمانية حروف⁶، في المقابل ذهب ابن الحاجب [570-646هـ، 1175-1248م]-

¹ قال "الأخفش" لأنّه من البصريّين. وقد خالف جهمور البصريّين في ذلك.

² أبو حيّان الأندلسي، ارتشاف الضّرْب من لسان العرب (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998)، 4: 2179؛ ابن عصفور، شرح جمل الزّجّاجي، 2: 177.

³ ابن النّاطم، شرح ألفيّة ابن مالك (طهران: انتشارات ناصر خسرو، 1894)، 219؛ جلال الدّين السيوطي، مُعجم الهوامع في شرح جمع الجوامع، (بيروت: مؤسسة الرّسالة، 1989)، 3: 36.

⁴ المبرّد، المُقتَضَب (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1999)، 4: 485؛ عبد الرّحمن بن إسحاق الزّجّاجي، الجمل (باريس: مطبعة كلنسكسيك، 1957)، 168؛ ابن عصفور، شرح جمل الزّجّاجي، 2: 177.

⁵ عمر بن إسماعيل الهرمّي، المحرّر في النّحو (القاهرة: دار السّلام، 2005)، 2: 741.

⁶ عليّ بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي، المُقرَّب (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998)، 241، عبد الله جمال الدّين بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك (القاهرة: دار الطّلائع، 2004)، 4: 4.

مصريُّ المذهب- إلى أنَّها خمسة حروف¹.

1.3.2. حروف النداء بين الصَّوت والدَّلالة:

لعلَّ من أهمِّ ما بحثه النُّحاةُ بصددِ حروفِ النداءِ كانَ حَيْثِيَّةَ المسافةِ بينَ المُنادي والمُنَادَى بما يتعلَّقُ بِالْقُرْبِ والبُعْدِ، لئسَ هذا فحسب، بلَ حاولوا أنَ يربطوا ذلكَ ويُعلِّلوه بِمَيِّزَةِ الحرفِ الصَّوتِيَّةِ وطبيعتهِ.

فمثلاً، فَسَّرَ بعضُ النُّحاةِ الفرقَ بينَ "يا"، و"أيا"، و"هيا"، فقالوا إنَّه إذا قيلَ: "يا زَيْدُ"، و"أيا زَيْدُ"، و"هيا زَيْدُ" فقد بالغوا في التَّنبيهِ، بلَ إنَّ ثَمَّةَ فَرْقًا بَيْنَها مِنْ نَاحِيَةِ صَوْتِيَّةِ تَنْبِيهِيَّةٍ، فـ"أيا" و"هيا" أَشَدُّ تَنْبِيهاً مِنْ "يا"، وَلَكِنَّ ثَلَاثَها تُسْتَعْمَلُ لِلْبَعِيدِ، وَلَمَنْ غَابَ؛ لِأَنَّ الصَّوْتَ يمتدُّ معها، فيسمعُ مِنْ بُعْدٍ، كذلكَ النَّائِمُ والغافلُ يكونُ النِّداءُ بهذا الحروفِ الثَّلاثَةِ مُؤدِّيًّا إلى انتباهه، أو إلفاته².

1.3.2.1. "الهمزة":³

اختارَ سيبويه⁴ [148-180هـ، 765-796م] أنَّ الهمزةَ تُسْتَعْمَلُ للمنادي القريبِ

¹ بدر الدِّين بن جَماعة، شرح كافية ابن الحاجب (القاهرة: دار المنار، 2000)، 356.

² السَّخاوي، المفضَّل في شرح المفضَّل، 257-258؛ الشَّريف الكوفي، البيان، 369.

³ على الرَّغم من أنَّ "يا" هي أشهرُ الحروفِ وأكثرُها استعمالاً في درسِ النِّداءِ إلَّا أنَّني بدأتُ بحرفِ النِّداءِ "الهمزة"؛ وذلكَ لأنَّ همزةَ النِّداءِ أقصرُ الحروفِ من حيثِ الصَّوتِ، على خلافِ الحروفِ الأخرى الَّتِي تتكوَّنُ من حرفين، نحو "يا"، و"أي"، أو من ثلاثة حروفٍ، نحو: "هيا"، و"أيا". وبعد ذلكَ جاءت "آ" الهمزةُ الممدودة؛ لتقاربها مَعَ "أ" همزةَ النِّداءِ القصيرة. وإنَّما لم أرَتَبِ الحروفَ المكوَّنة من حرفين أو ثلاثة ترتيماً منظماً؛ لأنَّني هدفتُ إلى أنَ يكونَ حرفُ الهجاءِ الياء "ي" - وبالتالي "يا" وما زِيدَ عليها - متعاقباً وحاضراً في الوقتِ نفسِهِ؛ للتَّقاربِ الصَّوتِيِّ أولاً، ثُمَّ لوجودِ علاقاتٍ صوتِيَّةٍ دلاليةٍ فيما بينها، فجاءتِ الـ"يا"، ثُمَّ "أيا"، ثُمَّ "هيا"... إلخ.

⁴ تُشير بعضُ المصادرِ إلى أنَّ سيبويه وُلِدَ في عام 132هـ، بل تذكره هذه المصادرُ أنَّ تأريخَ ولادته في عام 148 للهجرة هو خطأٌ يجب تصحيحُهُ. انظر: هيثم الشَّيخ عبدو، سيبويه النَّحوي- حياته، كتابه، مصادر ترجمته ومراجعتها (دمشق: الاوائل، 2000)، 26-27.

فحسب¹، وعلى هذا مذهب جمهور النحاة²، وهذا ما قَطَعَ بِهِ الرُّمَانِيُّ [296-384هـ، 909-995م] بأنَّ الهمزة إذا اسْتُعْمِلَتْ في النداء فلا يُنادى بها إلاَّ القريبُ دونَ البعيدِ؛ مُعْلَلًا ذلك بأنَّ مناداةَ البعيدِ تحتاجُ إلى مَدِّ الصَّوْتِ، وليسَ في الهمزة مَدٌّ للصَّوْتِ³. وأضافَ المُرادِيُّ [...749هـ، ...1348م] أنَّها يُنادى بها القريبُ مسافةً وحُكْمًا، نحو قول امرئ القيس:

"أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلِّي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْمِلِي"⁴

والمقصودُ بالقريبِ مسافةً هو المنادى القريبُ الحقيقيُّ مِنْ حَيْثُ البعدُ المكانيُّ، أمَّا القريبُ حُكْمًا فالمقصودُ به القريبُ مجازًا، فقد يكونُ المنادى بعيدًا من حيثُ المسافة، لكنَّهُ قريبٌ إلى الرُّوحِ والنَّفْسِ، أو إلى العقلِ والذِّهْنِ. بكلماتٍ أُخَر، إِنَّ "مسافةً" تعني الجانبَ الماديَّ الحسيَّ، و"حُكْمًا" تعني الجانبَ المعنويَّ غيرَ الحسيِّ⁵.

ونقل ابن الخباز عن شيخه أَنَّ الهمزة تستعمل للمسافة المتوسطة⁶، وأنَّ الحرفَ الذي للقريب هو "يا"، وهذا- كما يقول ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ- خَرَقَ لِإِجْمَاعِ النُّحَاةِ⁷.

¹ سيبويه، الكتاب، 2: 229-230؛ ابن جماعة، شرح كافية ابن الحاجب، 356؛ أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، 4: 2179؛ محمد بن عبد الباري الأهدل، الكواكب الدُّرَّة- شرح متممة الأجرُمِيَّة (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 2002)، 2: 332؛ الجوهرِي، الصَّحاح، 6: 580؛ ابن طولون، شرح ابن طولون، 2: 104.

² ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (بيروت: المكتبة العصرية، 1996)، 1: 19؛ أحمد بن الأمين الشنقيطي، الدَّر اللّوامع على همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع (الكويت: دار البحوث العلمية، 1983)، 3: 16.

³ علي بن عيسى الرُّمَانِي، كتاب معاني الحروف (مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، 1986)، 32.

⁴ المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، 35.

⁵ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 3: 198.

⁶ أحمد بن الحسين بن الخباز، الغرة المخففة في شرح الدُّرَّة الألفية (بغداد: مطبعة العاني، 1991)، 2: 512.

⁷ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، 1: 19؛ السيوطي، همع الهوامع، 3: 33.

كما عَبَّرَ جلالُ الدِّينِ السَّيوطيُّ عن رَفْضِهِ لما جاء به ابن مالكِ وابنُ الصَّائغِ، حينما ذَهَبَا إلى أَنَّ النَّداءَ بالهمزة قليلٌ في كلامِ العربِ، فيقول السَّيوطيُّ: "وما قالاه مردودٌ، فقد وَقَفْتُ لذلك على أَكْثَرِ مِنْ ثلاثمائةِ شاهدٍ¹.

ومن جهةٍ أخرى، يُوَكِّدُ جمهورُ النُّحاةِ أَنَّهُ ممَّا لا شكَّ فيه أَنَّ همزةَ النَّداءِ أَقلُّ استعمالاً من "يا"، لأنَّها، على الأرجح، وُضِعَتْ للقريبِ المُصْغِي إِلَيْكَ، و"يا" وُضِعَتْ للقريبِ والبعيد؛ لأنَّها أَكثرُ منها حروفاً مِنْ حَيْثُ العددُ. وأَكْثَرُ مَدًّا؛ ولذلك لا تُحَذَفُ الهمزةُ كما تُحَذَفُ "يا"؛ لأنَّها لا دلالةَ لحذفها على قربٍ، بخلافِ "يا" فإنَّها مستعملةٌ لما حُذِفَتْ أو ظهرت².

جدير بالذكر أَنَّ بعضَ النُّحاةِ يَرَوْنَ أَنَّ همزةَ النَّداءِ قد تَدُلُّ على همزةِ الاستفهامِ مِنْ خِلالِ السَّيَاقِ، ، وكأنَّ لها وظيفتين نَحْوِيَّتَيْنِ، نحو قولِ امرئِ القيسِ:

"أصاح ترى بَرَقًا أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل"³.

1.3.2.2. "أ":

أشار المألفيُّ [630-702هـ، 1233-1303م] إلى أَنَّ حرفَ النَّداءِ "آ" وُضِعَ للبعيد، فإنَّ همزةَ النَّداءِ، الَّتِي تُستعمل للمنادى القريبِ المُصْغِي إِلَيْكَ، تُمدُّ إذا بَعُدَ المنادى، فتكون لنداءِ البعيد⁴، نحو قولك: "آزيد"⁵، وكأنَّه يُلَمَّحُ إلى أَنَّ أصلَ حرفِ النَّداءِ "آ" هو الهمزة، ولكنَّ ود سببٍ طَرَأَ عليها طارئٌ جعلها تُمدُّ؛ لِتَتَنَاسَبَ صوتيًا مَعَ مسافةِ المنادى. وبالإضافة إلى ذلك، أشار ابنُ طولون [880-953هـ، 1475-1546م] إلى أَنَّ أصلَ "آ" هو "أي"، إذ قُلِبَتْ ياؤها

¹ السَّيوطيُّ، الهَمْع ، 3: 34-35.

² أحمد بن عبدالنور المألفيُّ، رصف المباني في شرح حروف المعاني (دمشق: دار القلم، 1985)، 142.

³ محمَّد بن عليِّ بن الخطيب الموزعيُّ المعروف بـ"ابن نور الدِّين"، مصابيح المغاني في حروف المعاني (القاهرة: دار المنار، 1993)، 73.

⁴ ابن هشام الأنصاريُّ، مغني اللَّيِّيب عن كتب الأعراب (بيروت: المكتبة العصرية، 1996)، 1: 27.

⁵ المألفيُّ، رصف المباني في شرح حروف المعاني، 141؛ محمَّد بن عليِّ بن الخطيب الموزعيُّ المعروف بـ"ابن نور الدِّين"، مصابيح المغاني في حروف المعاني (القاهرة: دار المنار، 1993)، 71.

أَلْفًا¹. وبهذه الرؤية ، نستطيع أن نفهم أن "آ" إنما هي قُرْعٌ عن أصلٍ، ألا وهو همزة النداء القصيرة. وقد ذهب ابنُ عصفورٍ - خلافاً للنُّحاة - إلى أنه حرفٌ وُضِعَ للقريبِ كالهَمْزَةِ².

1.3.2.3. يا؛

كما ذكرنا، فقد ذهب سيبويه أن الهمزة تُسْتَعْمَلُ للمنادى القريبِ فحسب، بمعنى أنه، بهذا الكلام، يؤكدُ أن حرفَ النداءِ "يا" لا تُسْتَعْمَلُ للقريبِ، إنما للبعيدِ، في حين خالفَ المبرِّدُ³ [210-285هـ، 826-899م] سيبويه في ذلك، حيثُ ذهبَ إلى أن "يا" يُنادى به مَنْ كان قريباً منك، أو بعيداً، فتقول: "يا زيدٌ" للقريب، و"يا أبا فلانٍ" للبعيد⁴.

والأمرُ اللَّافِتُ أَنَّ المبرِّدَ لا يشترطُ مدَّ الصَّوْتِ في تحديد مسافةِ المنادى، بدليل أنه افتتحَ بابَ النداءِ بقوله: "هذا باب الحروف الَّتِي تنبِّهُ بها المدعو، وهي: "يا"، و"أيا"، و"هيا"، و"أي"، وألف الاستفهام⁵". ثُمَّ يتابعُ مباشرةً: "فهذه الحروف سوى الألفِ تكون لمدِّ الصَّوْتِ"⁶. إذن، مدُّ الصَّوْتِ -عنده- ليس مؤشِّراً أو دليلاً عن المسافةِ الَّتِي يُنادى به المنادى، وهذا الأمرُ لم يَسِرْ وفقَه جمهورُ النُّحاةِ.

¹ ابن طولون، شرح ابن طولون، 2: 105.

² ابن عصفور، المقرب، 242: السَّيْوِيّ، همع الهوامع، 36:

³ الصَّحِيحُ أَنَّ المبرِّدَ بكسر الرَّاءِ وليس بفتحها، على الرَّغم من أن ثمة مصادِرَ تدوّن هذا الاسمَ بالفتح "المبرِّد".

⁴ المبرِّد، الْمُقْتَضَب، 4: 487؛ جمال الدّين محمّد بن مالك، شرح الكافية الشّافية (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000)، 2: 3؛ الجوهري، الصَّحاح، 6: 606؛ الشّريف الكوفي، البيان، 369.

⁵ أطلق المبرِّدُ على همزةِ النداءِ، نحو: "أزيدُ" بألف الاستفهام. وبهذا نستطيع أن نفهم طبيعة ما ذهبَ إليه بعضُ النُّحاةِ مِنْ أَنَّ همزةَ النداءِ قد تدلُّ على همزةِ الاستفهام، كما أشار إلى ذلك الموزعي وغيرُهُ. انظر حديثنا - فيما سبق - حولَ همزةِ النداءِ.

⁶ المبرِّد، 4: 485.

وفَصَّلَ ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ أنَّ "يا" حرفٌ نداءٍ موضوعٌ لنداءِ البعيدِ حقيقةً وحُكْمًا، ولكن، قد يُنادَى بها القريبُ توكيدًا¹، وتنبيهًا على أنَّ الباعِثَ على ندائه أمرٌ هامٌّ²، وكأنَّه يقولُ إنَّ "يا" الأصلُ فيها لنداءِ البعيدِ، ولكنَّك إذا أردتَ أنْ تؤكِّدَ معنى القُربِ بينك وبين المندادِ فإنَّكَ تُنادي القريبَ بـ"يا"³، وهذا ما عَرَضَ له سيبويه في الكتاب⁴.

وتُعَدُّ "يا" أهمَّ حروفِ النداءِ عند النُّحاةِ، وذلك لأسبابٍ عِدَّةٍ؛ فقد ذَهَبَ ابنُ عَصْفُورٍ إلى أنَّ حرفَ النداءِ "يا" هي أُمُّ بابِ النداءِ⁵؛ لِشُهْرَتِها وكثرةِ استعمالِها، بل عَدَّها الكفويُّ أصلَ حروفِ النداءِ⁶، والدَّلِيلُ على ذلك أنَّها تُستعملُ في جميعِ أنواعِ النداءِ، وما عداها لا يُستعملُ إلا في النداءِ الخالصِ الَّذي لا يدخلُه معنى التَّعَجُّبِ، ولا التَّنْذِيرِ، ولا الاستغاثَةِ، إلَّا "وا" فإنَّها تُستعملُ في التَّنْذِيرِ⁷، فهي بذلك أكثرُ الأحرفِ استعمالاً في تركيبِ النداءِ⁸، فقد ذَكَرَ السَّيوطيُّ قولاً لابنِ إِيَّازٍ وَضَّحَ فيه أنَّ لحرفِ النداءِ "يا" خمسةٌ أوجُهٍ، أوَّلُها: نداءٌ

¹ ابن هشام، مغني اللبيب، 2: 429؛ الأهدل، الكواكب الدررية، 2: 333؛ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 3: 199؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 361.

² ابن مالك، شرح عمدة الحافظ، 1: 276.

³ أشار ابنُ مالِكٍ إلى أنَّ النُّحاةَ أجمعوا على جوازِ نداءِ القريبِ بما للبعيدِ على سبيلِ التَّوكيدِ، ومنعوا العكسَ. أي يمكنُ أنْ ننادي قريبًا بحرفِ نداءٍ وُضِعَ للبعيدِ، نحو "أيا"؛ توكيدًا، ولكن لا يمكنُ أنْ ننادي بعيدًا بحرفِ نداءٍ وُضِعَ للقريبِ، نحو الهمزة. انظر: ابن مالك، شرح الكافية، 2: 3؛ سيبويه، الكتاب، 2: 230؛ الأشموني، شرح الأشموني، 2: 136؛ حاشية الصَّبَّان، 3: 199.

⁴ سيبويه، الكتاب، 2: 230.

⁵ ابن طولون، شرح ابن طولون، 2: 104.

⁶ الكفوي، الكليات، 52.

⁷ ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، 2: 177؛ المُرادي، الجنى الداني، 354-355؛ ابن عصفور، المُقَرَّب، 242.

⁸ جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو (بيروت: المكتبة العصرية، 1999)، 2: 118-119؛ الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني (القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، [د.ت.]، 2: 135؛ ابن هشام، مغني اللبيب، 2: 429.

القريب والبعيد بها، وثانيها: وقوعها في باب الاستغاثة دون غيرها، وثالثها: وقوعها في باب النَّدْبَةِ، ورابعها دخولها على "أَيَّ"، وخامسها: أنَّ القرآنَ المجيدَ مَعَ كثرةِ النَّداءِ فيه لم يأت فيه غَيْرُها¹.

مِنْ هنا، تجدرُ الإشارةُ إلى أَنَّهُ لم يَرِدْ من حروفِ النَّداءِ في القرآنِ الكريمِ غَيْرُ "يا"²، لهذا فَإِنَّهَا تُقَدَّرُ عندَ الحذفِ³، بل ذَهَبَ جمهورُ النُّحاةِ إلى أَنَّهُ لا يُقَدَّرُ عندَ الحذفِ سِوَاهَا⁴، نحو قوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}⁵، فيكونُ التَّقديرُ: يا يوسُفُ أَعْرِضْ عن هذا.

4.2.3.1. أَيْأ

ذَهَبَ جمهورُ النُّحاةِ إلى أَنَّ "أَيْأ" لنداءِ البعيدِ مسافةً وحُكْمًا⁶، فقد يَبَيِّنُ المَبْرِدُ أَنَّهَا لا تكونُ إِلَّا للثَّائِمِ، أو المُسْتَغْفِلِ، أو المتراخي عنكَ، أو الإنسانِ المُغْرِضِ؛ لِأَنَّهَا وَضِعَتْ لِمَدِّ الصَّوْتِ⁷، نحو قول ذي الرِّمَّة:

"أَيْأ ظَبِيَّةَ الوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ وَبَيْنَ النَّقَا أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ"⁸.

وَقَصَلَ المَالِقِيُّ طَبِيعَةَ البُعْدِ الكَامِنِ فِي "أَيْأ"، فقال إِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ على ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ آخِرُهَا أَلْفٌ تَحْتَمِلُ مَا شِئْتَ؛ لِأَنَّ مَدَّ الصَّوْتِ بِهَا يَتِمَّكُنُ⁹.

¹ السَّيُوطِيُّ، الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ فِي النَّحْوِ، 2: 119.

² فاضل صالح السَّامِرَانِيُّ، معاني النَّحْوِ (عَمَّان: دار الفكر، 2000)، 4: 321.

³ بن عيسى باطاهر، البلاغة العربيَّة- مقدِّمات وتطبيقات (بيروت: دار الكتاب الجديد المتَّحدة، 2008)، 89.

⁴ ابن هشام، مغني اللَّيْبِ، 2: 429؛ السَّيُوطِيُّ، الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ، 2: 118.

⁵ القرآن الكريم، يوسف: 29.

⁶ الزَّمَانِيُّ، معاني الحروف، 117؛ المَالِقِيُّ، رصفِ المَبَانِي، 215.

⁷ المَبْرِدُ، المُقْتَضِبُ، 4: 487؛ ابن مالك، شرح الكافية، 2: 3؛ الأهدل، الكواكب الدُّرِّيَّة، 2: 332.

⁸ المَالِقِيُّ، 215؛ المُرَادِيُّ، الجنى الدَّانِي، 419؛ السَّيُوطِيُّ، همع الهوامع، 3: 35.

⁹ المَالِقِيُّ، 215.

وقد أنكر ابن هشام والسيوطي ما ذهب إليه الجوهري في "الصّحاح" حينما ذكر أنّ "أيا" لنداء القريب والبعيد، فقالا إنه ليس صحيحاً¹، بل إنّ "أيا" وُضِعَتْ لنداء القريب فقط.

1.3.2.5. "هَيَا":

أكّد الرُّماني أنّ "هَيَا" مجراها مجرى "أيا"²، وهي حرف نداء يُنادى بها البعيد مسافةً أو حُكماً³، نحو قول الشاعر:

هَيَا أَمْ عَمْرٍو هل لي اليومَ عندكم بغيبة أبصارِ الوشاةِ سبيل؟⁴

ولفّت نحاة كثيرون الأنظارَ إلى أصلِ الهاء في "هَيَا"، ويَنبَوا أنّ فيها اختلافاً، حيثُ يرى بعضهم أنّ الهاء في "هيا" هي بدلٌ من همزة "أيا"⁵، مستدلّين بشواهد كثيرةٍ في اللُّغة، نحو قولهم: "أَرَحْتُ وَهَرَحْتُ الدَّابَّةَ"، و"أَرَقْتُ وَهَرَقْتُ الماءَ"، "أَبْرْتُ هَبْرْتُ الثَّوبَ"⁶.

¹ ابن هشام، المغني، 1: 27؛ السيوطي، الهمع، 3: 35.

² الرُّماني، معاني الحروف، 117؛ المالقي، 562.

³ ابن الخباز، الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية، 2: 512؛ يحيى بن عبدالمعطي المغربي، الفصول الخمسة (القاهرة: مكتبة الإيمان- دار عيسى البابي الحلبي، 1977)، 210؛ علي بن محمد السخاوي، المفضل في شرح المفضل (عمّان: وزارة الأوقاف، 2002)، 257؛ الخوارزمي، ترشيح العلل في شرح الجمل، 169.

⁴ المرادي، الجنى الداني، 507.

⁵ ذكرت الباحثة حليلة عميرة أنّ المنهج التاريخي المقارن يرى أنّه ربّما كان "هيا" أقدم من "أيا"؛ وذلك لأنّ العربيّة تميل إلى إبدال الهاء همزةً فيما اشترك من كلماتٍ بينها وبين اللغات السامية فصيغة "أفعل" تقابلها في العبريّة والآرامية وزن هفعل הפעיל ؛ وكذلك فإنّ العربيّة لا تزال تحتوي على آثارٍ من هذه الهاء "أنار" و"هنار". انظر: حليلة أحمد عميرة، الاتجاهات النحويّة لدى القدماء- دراسة تحليليّة في ضوء المناهج المعاصرة (عمّان: داروائل، 2006)، 258.

⁶ الموزعي، مصابيح المغاني في حروف المعاني، 511-512؛ المالقي، رصف المباني، 472؛ الرُّماني، كتاب معاني الحروف، 117؛ الجوهري، الصّحاح، 6: 606؛ ابن طولون، شرح ابن طولون، 2: 106.

وقد عَزَا المُرَادِيُّ، وأبو حَيَّان الأندلسيُّ هذا القولُ إلى ابنِ السَّكَيْتِ، وابنِ الخَشَّابِ¹. بَلَّ
أَصَافَ المَالِقِيُّ أَنَّ هذا الرَّأْيَ إِنَّمَا هو قولُ أَكْثَرِ النُّحَاةِ². أَمَّا المَذْهَبُ الثَّانِي فيرى أَنَّ الهَاءَ
حَرْفٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَأَصْلُ فِي "هِيَ" وَلَيْسَتْ بَدَلًا³؛ لِأَنَّ الإِبْدَالَ نَوْعٌ مِنَ التَّصْرِيفِ،
والتَّصْرِيفُ لَا يَدْخُلُ فِي الحُرُوفِ⁴. وَهذا الرَّأْيُ لَيْسَ بِمَذْهَبِ الجُمْهُورِ، إِلَّا أَنَّ الصَّبَّانَ رَأَى
فِيهِ أَنَّهُ أَكْثَرُ قَبُولًا عَلَيْهِ⁵.

وَكَانَ لِلإِسْفَرَايِينِ⁶ [...] 684هـ، ...1278م] رَأْيٌ لَافَتْ فِي هذا الخَصِيصَةِ، حَيْثُ خَالَفَ بِهِ
جُمْهُورُ النُّحَاةِ، فَقَدْ عَدَّ "هِيَ" لِنَدَاءِ القَرِيبِ⁷، فَإِذَا قُلْتُ: "هِيَ تَالِبُ العِلْمِ" فَأَنْتَ تُنَادِي
وَتُخَاطَبُ قَرِيبًا.

1.3.2.6. "أَيُّ":

حَظِي حَرْفُ النَّدَاءِ "أَيُّ" بِخِلَافٍ وَاضِحٍ بَيِّنِ النُّحَاةِ مِنْ حَيْثُ دَلَالَةُ القُرْبِ والبُعْدِ⁸، فَقَدْ ذَكَرَ

¹ المرادي، الجني الداني، 507: أبو حَيَّان الأندلسي، ارتشاف الضَّرْبِ من لسان العرب (القاهرة: مكتبة
الخانجي، 1998)، 4: 2179.

² المالقي، رصف المباني، 472.

³ المالقي، 472: المرادي، 507: الأهدل، الكواكب الدرية، 2: 333.

⁴ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عدّة السالك إلى تحقيق أوضح
المسالك لـ محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار الطلائع، 2004)، 4: 7: محمد بن أحمد
المكناسي، شرح ألفية ابن مالك في النحو والصرف (الرياض: مكتبة الرشيد، 1999)، 2: 209.

⁵ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 3: 198.

⁶ يُعَدُّ الإسفرايينيُّ مِنَ المدرسةِ البصريّةِ المتأخّرة. ومهمٌ مِنْ يُعَدُّهُ في المدرسةِ البغداديةِ.

⁷ تاج الدين الإسفراييني، فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة (إربد: جامعة اليرموك، 1981)، 119.

⁸ لَعَلَّ هذا الخِلافَ مُرَدُّهُ، عِنْدَ النُّحَاةِ، إِلَى أَنَّ "أَيُّ" مَكُونَةٌ مِنْ "أ" الهمزة الَّتِي تَفِيدُ نَدَاءَ القَرِيبِ كَمَا يَرَى
جَهْمُورُ النُّحَاةِ، وَمِنْ "ي" حَرْفِ الهِجَاءِ السَّاكِنِ الَّذِي نَجَدُهُ حَاضِرًا فِي أَغْلَبِ حُرُوفِ النَّدَاءِ، وَالَّذِي يَدُلُّ
عَلَى إِطَالَةِ الصَّوْتِ. بِمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الازدواجيّةُ بَيْنَ دَلَالَتِ صَوْتِيَّةٍ "مُتَنَاقِضَةٍ" جَعَلَتْ النُّحَاةَ يَخْتَلِفُونَ فِي
حُكْمِهِمْ عَلَى حَرْفِ النَّدَاءِ "أَيُّ".

ابن مالك أنّ الرّاجح عند النّحاة أنّ تكون "أي" حرفَ نداءٍ للقريب¹، نحو قول كُثَيِّرٍ عَزَّةَ:

"أَلَمْ تَسْمَعِي أَيَّ عَبْدُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى بُكَاءَ حماماتٍ لهنَّ هَدِيرُ"²

ولكنّه أشار بعد ذلك، نقلاً عن ابن برهان، أنّ "أي" وُضِعَتْ للمتوسّط³، وهذا ما نقله ابن الخباز [....-639هـ، ...-1242م] أيضاً عن شيخه ابن معط بأنّ "أي" للمتوسّط⁴.

وذهب ابن كمال باشا [....-940هـ، ...-1534م] إلى أنّ "الهمزة للقريب، وأي للقريب، وأيا وهيا للبعيد، ويا تعمُّ الجميع"⁵، بمعنى أنّ "أي" هي للقريب، ولكنها في الوقت نفسه بين الأقرب، ألا وهي "الهمزة"، وبين البعيد، نحو "أيا". ولعلّ ابن كمال باشا قصّد بذلك أنّها وُضِعَتْ للمنادى ذي المسافة المتوسطة. ونجد ذلك عند الشّريف الكوفي [442-539هـ، 1051-1145م] الذي يقول إنّ "الهمزة" تكون لأقرب التّاس إلئك، و"أي" لمن تراخى عنك قليلاً⁶.

وقد رَفَضَ ابنُ عصفورٍ ما ذهب إليه أبو موسى الجزوليّ إلى أنّ "أي" تكون للقريب خاصة، بل وصفَ هذا الرّأي بأنّه باطل؛ مُعلِّلاً ذلك بأنّ سيبويه حكى خلاف ذلك⁷.

بيّد أنّ أبا عليّ الشّلوبيّ [562-645هـ، 1167-1247م] - من نحاة الأندلس - رأى في "أي" أنّها تُستعملُ للبعيد مسافةً وحكماً، ولكنها تستطيع أن تكون في مرتبة الهمزة للقريب⁸. إذن،

¹ الخضريّ، حاشية الخضريّ علي ابن عقيل، 2: 71؛ ابن كمال باشا، أسرار النّحو (عمّان: دار الفكر، 1983)، 121؛ ابن مالك، شرح الكافية، 2: 3؛ الأهدل، الكواكب الدّريّة، 2: 332.

² الرّماني، معاني الحروف، 80؛ المالقيّ، رصف المباني، 213؛ ابن هشام، مغني اللّبيب، 1: 90.

³ ابن مالك، شرح الكافية، 2: 3؛ الخضريّ، حاشية الخضريّ، 2: 71.

⁴ ابن الخباز، الغرّة المخفّية، 2: 512.

⁵ ابن كمال باشا، أسرار النّحو، 121.

⁶ الشّريف الكوفيّ، البيان، 369.

⁷ ابن عصفور، شرح جمل الرّجحيّ، 2: 177.

⁸ أبو عليّ الشّلوبيّ، التّوطنة، (د.م. [د.ن.])، (1983)، 288.

فَقَمَّةَ آراءٍ متقلبةً حول "أي" مِنْ حَيْثُ المسافةُ، وهذا ما عَبَّرَ عنه الموزعيّ [...]825هـ، ...-
1422م] بقوله إنَّ "أي" "تكونُ يُنادى بها البعيدُ، أو القريبُ، أو المتوسِّطُ على خلافٍ في ذلك"¹.

وَقَدْ حَسَمَ السَّامِرَائِي مَوْقِفَهُ، بَعْدَ أَنْ اسْتَعْرَضَ الْآراءَ جَمِيعًا، قَائِلًا إِنَّ الْحَقَّ أَنَّ "أي" لَا تكونُ للبعيدِ؛ لِأَنَّ البعيدَ يَحْتَاجُ إِلَى مَدِّ الصَّوْتِ لِنِدَائِهِ، وَ"أي" لَيْسَ فِيهَا مَدٌّ بِخِلَافِ "يا وَأَخَوَاتِهَا"².

وَأَشَارَ الْمَالِقِيُّ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَذْفُهَا وَإِبْقَاءُ الْمِنَادَى، فَإِنْ وُجِدَ مَنَادَى دُونَهَا قُرِّرَ أَنَّ الْمَحذُوفَ هُوَ الـ"يا" وَحَذَهَا؛ لِأَنَّهَا أُمُّ الْبَابِ فِي النَّدَاءِ، وَالتَّصَرُّفُ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهَا خَاصَّةٌ³. بَيَّنَّ أَنَّ سَبِيوِيَّهِ أَجَازَ حَذْفَ حُرُوفِ النَّدَاءِ وَإِبْقَاءَ الْمِنَادَى دُونَ أَنْ يُشِيرَ بِأَنَّ الْمَقْدَرَّ هُوَ الـ"يا"، خِلَافًا لِلْمَالِقِيِّ، فَقَدْ أَكَّدَ قَالَ إِنَّهُ بِالْإِمْكَانِ أَنْ تَخْدِفَ حُرُوفَ النَّدَاءِ كُلَّهَا، كَقَوْلِكَ: "حَارِبَنَ كَعْبٍ"، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَجْعَلُهَا بِمَنْزِلَةِ مَنْ هُمْ مُقْبِلٌ عَلَيْكَ بِحَضْرَتِهِ يَخَاطِبُهُ⁴.

1.3.2.7. "أي":

لَا نَجِدُ حَرْفَ النَّدَاءِ "أي" عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ، لِأَنَّهَا مِنْ إِضَافَةِ الْكُوفِيِّينَ⁵؛ لِهَذَا فَقَدْ نَسَبَ الْمُرَادِيُّ إِلَى الْكَسَائِيِّ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ "أي" عِنْدَ النَّحَاةِ عِبَارَةٌ عَنْ "أي" ثُمَّ مَدَّتْ بِهِمْزَةً أُخْرَى دَلِيلًا عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ⁶، وَأَنَّ السَّامِعَ لَا يَسْمَعُ إِلَّا مَعَ هَذَا الْمَدِّ⁷، نَحْوُ: "أَيَّ رَبِّ"، وَ"أَيَّ زَيْدًا".

¹ الموزعيّ، مصابيح المغاني، 187؛ المراديّ، الجنى الداني، 233؛ ابن هشام، مغني اللبيب، 1: 90.

² فاضل صالح السَّامِرَائِي، معاني النَّحو (عَمَّان: دار الفكر، 2000)، 4: 321؛ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 198: 3.

³ المَالِقِيُّ، 214.

⁴ سَبِيوِيَّهِ، الكتاب، 2: 230.

⁵ المراديّ، 418؛ جمال الدِّين مُحَمَّد بن مَالِك، شرح الكافية الشَّافِيَّة (بيروت: دار الكتب العلميَّة، 2000)، 2: 3.

⁶ المراديّ، 233؛ السَّيُوطِي، مع الهوامع، 36؛ الأشمونيّ، شرح الأشمونيّ، 2: 136.

⁷ المَالِقِيُّ، 213-214.

1.4. ظاهرة الحذف في التركيب الندائي¹:

شَغَلَتْ ظاهرة الحذف مساحَةً ملموسةً في مُصَنَّفَاتِ النُّحَاةِ، وأكَّدوا أنَّه، في طبيعته، يعكسُ استثناءً على نظامِ العلاقةِ النُّحَوِيَّةِ في مكوّناتِ الجملة².

ويعتقدُ بعضُ الباحثينَ أنَّ ابنَ جني [330-392هـ، 941-1002م] كانَ أوَّلَ مَنْ خَصَّ ظاهرةَ الحذفِ بالدِّراسةِ³ حينَ أفردَ لها بابًا خاصًّا. ليسَ هذا فقط، بل عَدَّ ابنُ جني هذه الظَّاهِرَةَ مِنْ "بابِ شجاعةِ العربِ"⁴، وكأنَّه يُلَمِّحُ إلى أنَّ الحذفَ هو أحدُ ملامحِ قوَّةِ اللُّغةِ العربيَّةِ، وإنَّما هذه الشَّجاعةُ مِنْ قَبِيلِ خروجِ المتكلِّمِ عن حَقِّ الكلامِ وأصولِهِ؛ لذا، لا يخفى ما في هذا الكلامِ مِنْ تصويرٍ ومجازٍ⁵.

عَدَّ سيبويه الحذفَ عارضًا طارئًا على أصلِ الكلامِ⁶، فقد رأى النُّحَاةُ القدماءُ أنَّ الأصلَ في الكلامِ الذِّكْرُ، وإذا تَمَّ حذفُ شيءٍ مِنْهُ فإنَّه لا يُحذفُ إلَّا بدليلٍ أو قرينة⁷، سواءً كانَ هذا الدِّليلُ معنويًّا يقتضيه المعنى، أم لفظيًّا تدلُّ عليه قرينةُ المقامِ (السِّياق)⁸، بل إنَّ النُّحَاةَ يشترطون لصحَّةِ الحذفِ وجودَ دليلٍ مقاليٍّ أو مقاميٍّ، وألَّا يكونَ في الحذفِ ضررٌ

¹ ثَمَّةُ مصطلحاتٍ أُخرى استعملَهَا النُّحَاةُ تُقابلُ مصطلحَ الحذفِ، نحو: الإضمار، والتقدير، بل إنَّنا نجدُ سيبويه كان يُراوِخُ في كتابه بين مصطلحي الإضمار والحذف.

² محمَّد عبد العزيز عبدالدايم، النُّظريَّة اللُّغويَّة في التِّراثِ العربيِّ (القاهرة: دار السَّلام، 2006)، 220.

³ رفيق بن حمّودة، الوصفية- مفهومها ونظامها في النُّظريَّاتِ اللِّسانيَّة (دار محمَّد علي: صفاقس- تونس، 2004)، 647.

⁴ ابن جني، الخصائص، 360.

⁵ محمَّد الشَّاوش، أصول تحليل الخطاب في النُّظريَّة النُّحَوِيَّة العربيَّة (مَنوبَة- تونس، كَلِيَّة الآداب، 2001)، 2: 1138.

⁶ سيبويه، 1: 24-25.

⁷ ابن جني، الخصائص، 2: 360.

⁸ فاضل السَّامرائي، الجملة العربيَّة- تأليفها وأقسامها (عمَّان: دار الفكر، 2002)، 75.

معنويٌّ أو صناعيٌّ يقتضي عدمَ صحّةِ التّعبيرِ في المعيارِ النّحويّ¹. فقد أكّد ابنُ جنيّ أنّ العربَ حدّقتِ الجملةَ، والمفردَ، والحرفَ، والحركةَ، وليسَ شيءٌ من ذلك إلاّ عن دليلٍ عليه، وإنّ لم يَكُنْ ثَمّةٌ دليلٌ على هذا الحذفِ كان فيه ضَرْبٌ مِنْ تكليفِ عِلْمِ الغيبِ في معرفته².

وأكّد قدامةُ بنُ جعفر البغداديّ أنّ العربَ تستعملُ الحذفَ بهدفِ الإيجازِ، والاختصارِ، والاكتفاءِ بِيسيرِ القولِ وقليلِهِ إذا كانَ المُخاطَبُ عالمًا بِمُرَادِهَا فيه، بَلْ إنّ الحذفَ في كلامِ العربِ كثيرٌ³. ومن ثَمَّ يُوَضّحُ الهادي الجطلاوي أنّ المحذوفَ في الكلامِ يأتي على أحجامٍ مختلفةٍ، فقد يكونُ صوتًا، أو حرفًا من حروفِ المعاني، أو لفظًا، أو تركيبًا، أو جملةً⁴.

1.4.1. حذف حروف النّداء:

وبهذا الكلامِ يتعيّن أنّ جملةَ النّداءِ الأصلُ فيها أنّ تستوفي جميعَ أركانها مِنْ حرفِ نداءٍ ومنادى⁵، وإذا تمَّ حذفُ حرفِ النّداءِ فالأصلُ أنّ تكونَ ثَمّةٌ قرينةٌ تدلُّ على هذا الحذفِ.

وقد ذكّر أبو البقاء الكفويّ أنّ أصلَ حذفِ حرفِ النّداءِ في نداءِ الأعلامِ، ثُمَّ يتبعُهُ كلُّ ما أشبه العَلَمَ⁶، بمعنى أنّ حرفَ النّداءِ إذا حُذِفَ مَعَ المنادى غيرِ العَلَمِ فإنّ ذلك قرعًا وليسَ أصلًا في الحذفِ؛ لأنَّ الأصلَ في حذفِ حرفِ النّداءِ أنّ يليه منادى عِلْمٌ مفردٌ، مَعَ الإشارةِ إلى أنّ الأصلَ هو عدمُ حذفِ حرفِ النّداءِ. وإنّ جازلنا، نستطيعُ القولَ إنّ حذفَ

¹ السّامرائي، الجملة العربيّ، 76.

² ابن جنيّ، 2: 360؛ محمّد عبد العزيز عبد الدّائم، النّظرية اللّغويّة في التّراث العربيّ (القاهرة: دار السّلام، 2006)، 220.

³ أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغداديّ، كتاب نقد النّثر (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1980)، 69.

⁴ الهادي الجطلاوي، قضايا اللّغة في كتب التّفسير- المنهج- التّأويل- الإعجاز (صفاقس: دار محمّد علي الحامي للنشر والتّوزيع، 1998)، 328.

⁵ انظر: "أركان جملة النّداء"، و"جواب النّداء" لاحقًا.

⁶ أبو البقاء الكفويّ، الكلّيّات، 52.

حرفِ النَّداءِ هو فرعٌ لأصلِ الإثباتِ؛ لأنَّ الأصلَ هو إثباتُ حرفِ النَّداءِ وذكرُهُ¹، كما أنَّ حذفَ حرفِ النَّداءِ معَ غيرِ العَلَمِ هو فرعٌ لفرعٍ.

لهذا، يُشيرُ بعضُ النحاةِ إلى أنَّ حذفَ حروفِ النَّداءِ أمرٌ يُبَاهُ القياسُ؛ لأنَّ حروفَ النَّداءِ إنما جيءَ بها- أصلاً- للاختصارِ والنِّيابةِ عن الفعلِ، فـ"ما" التَّافِيَةُ نائبةٌ عن الفعلِ

¹ ذَكَرَ النحاةُ في مصتَفاهم أنَّ هناك ثمانيةَ مواضعٍ لا يجوزُ فيها حذفُ حرفِ النَّداءِ. وهذه المواضعُ هي: أ- المندوب، نحو: "يا عُمَرَا". ب- المستغاث، نحو: "يا لله"، أو المتعجَّب منه، نحو: "يا لَمَاءَ وللعشبِ" إذا تعجَّبوا من كثرتها. ج- المنادى البعيد، نحو: "يا زيدُ" إذا كانَ بعيداً عنكَ. د- النكرة غير المقصودة (اسم الجنس غير المعين)، نحو: "يا رجلاً خَذَ بيدي". هـ- المُضَمَّر المخاطَب، نحو: "يا إِيَّاكَ". و- اسم الله (لفظ الجلالة)، نحو: "يا الله". ز- اسم الإشارة، نحو: "يا هذا". ح- النكرة المقصودة (اسم الجنس المعين)، نحو: "يا رجلُ تقدِّمَ". وقد تحدَّث النحاةُ طويلاً حولَ علَّةِ عدم جوازِ الحذفِ في هذه المواضعِ، ولعلَّ أهمَّها هو أنَّ حذفَ حرفِ النَّداءِ نفسه ينافي مدَّ الصَّوتِ المطلوبِ في المندوبِ، أو المستغاثِ، أو المتعجَّب منه. فبينوا- مثلاً- أنَّ النَّادِبَ يجتهدُ في مدِّ الصَّوتِ، ويبالغُ في إظهارِ الحزنِ، ويدعو ما قد فاتهُ وبَعُدَ عنه؛ لهذا فإنَّ حذفَ حرفِ النَّداءِ قبلَ المندوبِ يُفقدُ النَّدْبَةَ وظيفتها. وحقيقةُ الأمرِ أنَّ البصريَّين يتشدَّدون في هذه القواعدِ، بينما نلاحظُ أنَّ الكوفيَّين أكثرُ تساهلاً في جوازِ الحذفِ، فعلى سبيلِ المثالِ يمكنُ أنْ نقولَ: "هذا" ونحن نقصدُ بذلك: "يا هذا" مستدلِّين بشواهدٍ كثيرةٍ منها قولُ المتنبي: هذي بَرَزْتُ لنا فحُبَّتْ رَسيساً ثمَّ انْتَلَيْتِ وما شَقِيَّتْ نَسيساً" على تقديرِ "يا هذي"، ولكنَّ البصريَّين يقولون إنَّ هذا لحنٌ لا يجوز، علماً أنَّ ابنَ يعيش أشارَ إلى المتنبي كان يميلُ كثيراً إلى مذهبِ الكوفيَّين؛ لهذا عَمِلَ بما ذهبوا إليه في جوازِ حذفِ حذفِ النَّداءِ معَ اسمِ الإشارة. ونلاحظُ أيضاً أنَّ ابنَ مالك يميلُ إلى رأيِ الكوفيَّين في شواهدِ المنادى النكرة المقصودة التي حُذِفَ منها حرفُ النَّداءِ، نحو: "اشتدِّي أزمَةُ تنفِرجي"، و"ثوبي حجرٌ"، فيصحُّ بأنَّ قولَ الكوفيَّين في هذا أصحُّ من قولِ البصريَّين. انظر: سيبويه، 2: 220؛ ابنُ مالك، شرح الكافية، 2: 4؛ ابنُ عصفور، المقرَّب، 244؛ ابنُ يعيش، شرح المِفْصَل، 1: 363-366؛ ابنُ هشام، مغني اللَّيْب، 2: 738؛ الشَّاطِبي، المفاصد، 5: 240-255؛ ابنُ الوردي، شرح النَّحْفَةِ الوردية، 307-308؛ الأزهري، شرح التَّصْرِيح، 2: 207-208؛ السَّهْوَري، شرح الأَجْزُومِيَّة، 2: 646؛ السَّيَّوطي، البهجة، 426-427؛ النكت، 2: 175-178؛ الهمع، 46-48؛ ابنُ النَّحَّاس، التَّعليقة، 275-276؛ ابنُ الخَبَّاز، التَّوجِيه، 322؛ الصَّيْمِري، التَّبَصُّرة، 1: 357-358؛ الخصري، حاشية الخصري، 2: 72؛ الهواري، القاموس، 222؛ الغلاييني، الجامع، 3: 110-112.

"أَنْفِي"، وهمزة الاستفهام نائبة عن الفعل "أَسْتَفْهِمُ"، وحروف العطف عن "أَعْطَفُ"، وحروف النداء عن "أُنَادِي"، فَإِنَّ حَذْفَهَا- في الواقع- هو اختصارٌ للمختصر؛ لهذا عَدَّ بعضُ النُّحَاةِ الحَذْفَ إجحافًا واجترأ¹، إِلَّا أَنَّهُ- على الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ- سُمِعَ عن العربِ؛ وأُخِذَ به؛ لِقُوَّةِ الدَّلَالَةِ على المحذوفِ، فصارت القرائنُ الدَّالَّةُ كالتَّلَقُّظِ به².

إِذْنِ، فحذف حرفِ النداءِ أمرٌ غَيْرُ مستحبٍّ في الأصلِ، إِلَّا في مواضعٍ مَعِينَةٍ يقتضيها السِّياقُ، بل عَدَّهَا ابنُ مالِكٍ اختيارًا، فيجوزُ أَنْ تصحبَ المنادى بـ"يا"، أو غَيْرِهَا مِنْ حروفِ النداءِ، ويجوزُ أَنْ تأتي بالمنادى مجرَّدًا من حرفِ النداءِ³؛ نحو حذفِهِ مَعَ العلمِ المبني على الضَّمِّ كقوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}⁴، أي: يا يوسُفُ وحذفِهِ مَعَ "أَيَّ"، كقوله تعالى: {سَفَرُكُمْ لَكُمْ أَثِمًا الثَّقَلَانِ}⁵، أي: يا أَيُّهَا الثَّقَلَانِ، وَمَعَ المضافِ المعرفةِ كقوله تعالى: {أَنْ أَدَّوَا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ}⁶، أي: يا عبادَ اللَّهِ⁷.

1.4.2. أغراض حذف حرف النداء:

أشارَ السَّخَاوِيُّ إلى أَنَّ حرفَ النداءِ عند العربِ يعني تقويَةً للصَّوْتِ، وتنبيهًا، فَإِنْ حذفوه؛ فَلِدِلَالَةٍ في ذلك، نحو قُرْبِ المُنَادَى مِنَ المُنَادِي⁸.

¹ ابن الخباز، الغرّة، 2: 516؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 362.

² ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 362؛ ياسين طربوش، مسالك التراث في النحو والصرف (دمشق: دار قتيبة)، 2: 780.

³ ابن مالِك، شرح الكافية، 2: 5.

⁴ القرآن الكريم، يوسف: 29.

⁵ القرآن الكريم، الرحمن: 31.

⁶ القرآن الكريم، الدخان: 29.

⁷ أبو عليّ الفارسيّ، شرح الأبيات، 69؛ ابن الخباز، الغرّة، 2: 516-517؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1:

362؛ ابن مالِك، شرح الكافية، 2: 5؛ ابن هشام، مغني اللبيب، 2: 737-738؛ خالد الأزهرّي، شرح

التصريح، 2: 206؛ السيوطي، الهمع، 3: 43.

⁸ السَّخَاوِيُّ، المفضل في شرح المفصل، 257.

وفي هذا السياق، فقد بيّن السامرائي أنّ لهذا الحذف أغراضاً عدّة، أهمّها:

1- الحذف من أجل العجلة، والإسراع بقصد الفراغ من الكلام بسرعة، نحو: "خالدُ

احذر"، و"أحمد أحمد أنْتبه".

2- الإيجاز، وذلك: لأنّ المقام قد يكون مقام إيجاز واختصار لا مقام تبسّط وإطالة، نحو

قوله تعالى: {قال ابنُ أمّ إنّ القومَ استضعفوني وكادوا يقتُلُونِي...}¹، فحذف حرفَ

النّداء "يا" من المنادى "ابنُ أمّ" في حين أنّ قال موضع آخر: {قال يا ابنُ أمّ لا تأخذ

بِلِحْيَتِي ولا برأسي...}² بذكر حرف النّداء "يا" قبل "ابنُ أمّ"، والسبب يكمن في أنّ السياق

في سورة الأعراف سياق إيجاز واختصار، بخلاف السياق في سورة طه، إذ كان يحتاج

إلى تبسّط في الكلام ممّا اقتضى حذف حرف النّداء من موضع وإثباته في آخر³.

3- الحذف لقُرْب المنادي من المتأدّي، سواء كان القرب حقيقياً، أم مادياً، فكأنّ المنادى

لقُرْبِهِ لا يحتاج إلى واسطة لندائه، ولو كان حرف نداء كأن تقول لمن تناديه وهو قريب

منك: "خالدُ أتدري ماذا حلّ بفلانٍ، ونحو قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾⁴، فهذا

للقُرْب المعنوي⁵.

1.4.3. حذف المتأدّي:

ينطلق ابنُ مالك من أصل لغوي يخص حذف المنادى، فيقول إنّه كان حقّ المنادى أن يُمنع

حذفه؛ لأنّ عامله قد حذف لزوماً، وهو الفعل المقدّر "أدعو"، أو "أنادي"، فأشبه الأشياء

التي حذف عاملها وصارت هي بدلاً من اللفظ به، كإيّاك في أسلوب التحذير، وكسقياً له

في أسلوب الدّعاء، إلّا أنّ العرب أجازت حذف المنادى والتزمت في حذفه بقاء "يا" دليلاً

¹ القرآن الكريم، الأعراف: 150.

² القرآن الكريم، طه: 94.

³ فاضل السامرائي، معاني النّحو، 4: 322-324.

⁴ القرآن الكريم، سبأ: 13.

⁵ السامرائي، معاني النّحو، 4: 325.

عليه، وَكَوْنَ ما بعدهُ أمرًا، أو دعاءً؛ والسَّبَبُ في ذلك أَنَّ الأمرَ والدَّاعي محتاجان إلى توكيدِ اسمِ المأمورِ والمدعوِّ بتقديمِهِ على الأمرِ والدَّعاء، فاستُعْمِلَ النداءُ قبلهما كثيرًا، حتَّى صارَ المَوْضِعُ منيَّها على المَنادَى إذا حُذِفَ، وبقيت "يا" فَحَسُنَ حَذْفُهُ لذلك¹، بمعنى أَنَّ ابنَ مالِكٍ-كما يُوَكِّدُ ابنُ هشامٍ والسَّيوطيُّ- جَزَمَ بجوازِ حذفِ المَنادَى قبلَ الأمرِ والدَّعاء، وإلَّا فهِيَ لِلتَّنْبِيهِ².

وعَلَّلَ الرِّضِيُّ [...] 686هـ، ...-1287م] جوازَ حذفِ المَنادَى بأنَّ المَنادَى أصلُهُ مفعولٌ به؛ لهذا يجوزُ حذفُهُ إذا قامَتْ قَربَنُهُ دالَّةٌ عليه³ بخلافِ سائرِ أنواعِ المفعولِ به، لأنَّها قد تُحذفُ نسيًّا منسيًّا- على حدِّ قولِهِ⁴.

وقد عَدَّ ابنُ فارسٍ حذفَ المَنادَى مِنْ بابِ الإضممارِ الأسماءِ، ضاربًا أمثلةً قائلَها العربُ، نحو قولِهِم: "ألا يَسْلَمِي" يريدون "ألا يا هذه اسلمي"، فأضْمَرَ اسمُ الإشارةِ "هذه" وهو المَنادَى، ومنه- كما يُشِيرُ ابنُ فارسٍ- قولُهُ تعالى: {أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ⁵} بمعنى: ألا يا هؤلاءِ اسجدوا، فلمَّا لم يذكُرْ "هؤلاءِ" بل أضْمَرَهُم اتَّصَلَتْ "يا" بقوله "اسجدوا" فصارَ كَأَنَّهُ فعلٌ مضارعٌ⁶.

ورَوَى ابنُ فارسٍ خبرًا عن الفراءِ الكوفيِّ أَنَّهُ سَمِعَ بعضَ العربِ تقولُ: "ألا يَرَحْمَنًا" يعني: ألا يا رَبَّنَا ارْحَمْنَا، ويقولون أيضًا: "يقولون لي يَخْلِفُ ولستُ بحالفٍ"، بمعنى: يا هذا اخْلِفْ⁷.

¹ ابن مالِك، شرح التَّسْهِيل، 3: 388؛ السَّيوطي، النُّكْت، 2: 177-178.

² ابن هشام، مغني اللَّيْب، 2: 430؛ السَّيوطي، الهمع، 3: 44.

³ السَّيوطي، النُّكْت، 2: 177-178.

⁴ رضي الدِّين الاستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، 1: 389.

⁵ القرآن الكريم، التَّمَل: 26.

⁶ ابن فارس، الصَّاحِي، 386.

⁷ ابن فارس، 386-387.

وقد أوردَ الثَّعالبيُّ [...]429هـ، ...1038م] شاهداً آخرَ على حذفِ المنادى، وذلك خلال ما قاله القاضي أبو الحسن:

يا افخرُ، فإنَّ النَّاسَ فيكَ ثلاثةٌ مستعظمٌ، أو حاسِدٌ، أو جاهلٌ

فقال الثَّعالبيُّ: أيُّ يا هذا افخرُ¹، بمعنى أنَّ المنادى حُذِفَ قَبْلَ فعلِ الأمرِ "افخرُ".

ولكنَّ ثَمَّةَ نَحَاةٍ رأوا بعدمِ جوازِ حذفِ المنادى مَعَ إِبْقَاءِ حرفِ التَّداءِ يَدُلُّ عليه، فقد ذَهَبَ أبو حَيَّانِ الأندلسيُّ إلى عَدَمِ جوازه²؛ لأنَّ الجَمْعَ بَيْنَ حذفِ فعلِ التَّداءِ وحذفِ المنادى إجحافٌ، كما أنَّه لم يَرِدْ بذلك سماعٌ من العربِ؛ لذا فإنَّ "يا" في الأمثلةِ المذكورةِ مِنْ آياتِ قرآنيَّةٍ، وشعريَّةٍ، وأقوالٍ هي للتَّنبيهِ فحسب³.

ومن ناحيةٍ أخرى، أشار ابنُ هشامٍ وَغَيْرُهُ مِنَ النُّحَاةِ إلى أنَّه قد يلي "يا" ما لَيْسَ بمنادى حقيقيٍّ (اسم)، وذلك إمَّا بِفِعْلٍ، نحو قولِ الشَّاعرِ:

"ألا يا اسقياني بعدَ غَارَةِ سِنْجَالٍ وقبَلِ مَنَايا عَادِيَاتٍ وَأَوْجَالٍ"

وإمَّا بِحَرْفٍ، نحو قوله تعالى: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا}⁴، وإمَّا بِجُمْلَةٍ اسميَّةٍ، نحو قولِ الشَّاعرِ:

"يا لعنةُ اللهِ والأقوامِ كُلِّهِمْ والصَّالحينَ على سَمْعَانَ مِنْ جَارٍ"

ففي هذه الحالةِ يُمكنُ أن يكونَ المنادى محذوفاً، وقد صُرِّحَ عنه بالفعل، أو الاسم، أو الحرف، ويمكنُ أن تكونَ "يا" لمجرَّد التَّنبيهِ؛ لئلاَّ يلزم الإجحاف بحذفِ الجملةِ كُلِّها⁵.

¹ محمَّد بن إسماعيل الثَّعالبي، يتيمة الدَّهر في محاسن أهل العصر (القاهرة: مكتبة مصر، [د.ت.ا])، 1: 147-146.

² أبو حَيَّان، الارتشاف، 4: 2181.

³ السيوطي، الهمع، 3: 45.

⁴ القرآن الكريم، النِّساء: 73.

⁵ ابن هشام، مغني اللبيب، 2: 429-430؛ المُرادِي، الجنى الدَّاني، 355-357.

بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ ثمةَ عددًا كبيرًا مِنَ النَّحَاةِ يُلْفِثُ الْأَنْظَارَ إِلَى مَكَامِنِ الْجَمَالِ، وموَاطِنِ الرُّوْعَةِ والْبِرَاعَةِ فِي الْعِبَارَةِ الْبَلِيغَةِ خِلَالَ حَذْفِ الْمَفْعُولِ¹، فقد بيَّنَ عبدُ القاهرِ الْجُرْجَانِيُّ [400-471هـ، 1010-1078م] ما لهذا البابِ مِنْ خِصَائِصٍ، فهو- بابٌ حَذَفِ الْمَفْعُولِ- بابٌ دَقِيقُ الْمَسَلِّكِ، لَطِيفُ الْمَأْخِذِ، عَجِيبُ الْأَمْرِ، شَبِهُهُ بِالسَّحْرِ، وَإِنَّ الْمُتَأَمِّلَ يَرَى بِهِ تَرْكَ الدِّكْرِ أَفْصَحَ مِنَ الدِّكْرِ، وَالصَّمَتَ عَنِ الْإِفَادَةِ أَزِيدَ لِلْإِفَادَةِ، وَيَجْدُ نَفْسَهُ أَنْطَقَ مَا يَكُونُ إِذَا لَمْ يَنْطَقْ، وَأَتَمَّ مَا يَكُونُ بَيَانًا إِذَا لَمْ يُبَيِّنْ². وبما أَنَّ بَعْضَ النَّحَاةِ يَعْدُّونَ الْمُنَادَى مَفْعُولًا بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ يَسِيرُ مَجْرَاهُ وَيَنْدَسِجُ عَلَيْهِ.

1.5. التَّرخيم³:

يُقَصَّدُ بِالتَّرخِيمِ لُغَةُ التَّلْيِينِ وَالتَّرْقِيقِ وَالتَّسْهِيلِ⁴، يُقَالُ صَوْتُ رَخِيمٍ، أَيُّ سَهْلٍ لَيِّنٍ⁵، نَحْوُ قَوْلِ الْهَمْدَانِيِّ:

يَا حَبَّذَا قَرِينَتِي رَعُومُ وَحَبَّذَا مَنْطِقُهَا الرَّخِيمُ

¹ أحمد عبد السَّاتَر الجوّاري، نحو المعاني (بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات، 2006)، 71.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (القاهرة: مطبعة المدني، 1992)، 146.

³ من الملاحظ أَنَّ معظم النَّحَاةِ يَصْنِفُونَ مَوْضُوعَ التَّرخِيمِ فِي نِهَايَةِ دَرَسِ النَّدَاءِ، أَيُّ بَعْدِ النَّدَاءِ، وَالْمُنَادَى، وَالْإِسْتِغَاثَةِ، وَالتَّنْدِبَةِ، وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَنَّ أُلْحِقَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْبَحْثِ؛ لِأَنَّهُ يَدْخُلُ فِي مَسَائِلِ الْحَذْفِ. أَضِفُ إِلَى ذَلِكَ- مُؤَكِّدًا- أَنِّي لَسْتُ هَا هُنَا بِصَدَدِ الْإِطَالَةِ فِي بَابِ التَّرخِيمِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصِدَ- أَوَّلًا- اسْتِيعَابُ الْمَفَاهِيمِ الْأَسَاسِيَّةِ، وَالْمِصْطَلَحَاتِ الرَّئِيسَةِ فِي مَوْضُوعِ التَّرخِيمِ، وَثَانِيًا- أَنَّ التَّرخِيمَ بَابٌ مُتَشَعِّبٌ، يَحْتَاجُ مَنَّا إِلَى عَشْرَاتِ الصَّفَحَاتِ، بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَطْرُوحَةً أَكَادِمِيَّةً قَائِمَةً بِذَاتِهَا؛ لِهَذَا فَإِنَّ سَعَةَ هَذَا الْبَحْثِ لَا تَحْتَمِلُ كُلَّ ذَلِكَ.

⁴ الزَّيْدِيُّ، تاج العروس، 32: 238؛ أَبُو حَيَّانٍ، اِرْتِشَافُ الضَّرْبِ، 4: 2227؛ الْأُزْهَرِيُّ، الشَّرْحُ، 2: 251؛

الرَّازِيُّ، مَخْتَارُ الصَّحَاحِ، 125؛ اللَّبْدِيُّ، مَعْجَمُ الْمِصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ، 92.

⁵ ابْنُ الْخَبَّازِ، تَوْجِيهِ اللَّفْظِ، 330؛ الْفَاكِهِيُّ، شَرْحُ الْحُدُودِ النَّحْوِيَّةِ، 156.

ومنه كذلك التَّرخيمُ في الأسماء؛ لأنَّه تسهيلٌ للنُّطقِ¹ بها عن طريق حذفِ أواخرها². وقال ابنُ يعيش إنَّ "الصَّوتَ الرَّخيمَ" يُسَمَّى ذلك إذا كان لِينًا ضعیفًا، فالترخيمُ ضعفٌ في الاسمِ، ونقصٌ عن تمام الصَّوتِ³. أمَّا اصطلاحًا⁴، فيُقصدُ به حذفِ أواخر الأسماءِ المناداةِ تخفيفًا⁵، نحو: "يا حارٍ" الَّتِي أصلُها "يا حارِثٌ"، و"يا سَعًا"، الَّتِي أصلُها "يا سَعَادُ". والترخيمُ خاصٌّ بالنِّداءِ دون غيره؛ لأنَّ مطرِدَّ فيه⁶، أمَّا في غيرِ النِّداءِ فإنَّما يكونُ على سبيلِ النُّدرةِ، الَّتِي تأتي اضطرارًا⁷، وضرورةً⁸.

ويُشيرُ الرُّضِّيُّ إلى أنَّ التَّرخيمَ كَثُرَ في المنادى دون غيره مِنَ الأسماءِ الَّتِي يجوز لها أنْ تُرَخِّمَ؛ لِكَثْرَتِهِ⁹ في النِّداءِ؛ وكذلك لكونِ المقصودِ في النِّداءِ هو المنادى¹⁰.

¹ المقصود بتسهيل النطق هو التقصير من شكل الاسم عن طريق حذف بعض حروفه، لا سيَّما حذف الحروف الأخيرة منه. وقد يكون ذلك بحذف حرفٍ أو أكثر. والهدف من الحذف (الترخيم)؛ أن يكون النطق أسهل؛ لتمييزه عن أصله قبل الحذف؛ وذلك لأغراضٍ عدَّةٍ، منها الدلالةُ عن القربِ الحسيِّ والمعنويِّ بَيْنَ المخاطَبِ (المنادي) وبَيْنَ المخاطَبِ (المنادى).

² الرِّئدي، تاج العروس، 32: 238.

³ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 358.

⁴ يُشار إلى أنَّ التَّرخيم عند النِّحاة يُقسَمُ إلى ثلاثة أنواع: ترخيم النِّداء، وترخيم الضَّرورة، وترخيم التَّصغير. انظر: خالد الأزهري، شرح التَّصريح، 2: 251؛ الفاكهي، كشف النقاب، 1: 482.

⁵ سيبويه، 1: 239؛ ابن الأثير، البديع، 2: 413؛ النِّيلي، الصَّفوة، 2: 221؛ الإسفرائيني، اللُّباب، 94: الرازي، مختار الصَّحاح، 125: ابن الخبَّاز، توجيه اللُّمع، 331؛ ابن الأنباري، أسرار العربيَّة، 178: الجرجاني، المقتصد، 2: 791.

⁶ السيوطي، الهمع، 3: 76.

⁷ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 358.

⁸ الشَّاطبي، المقاصد الشَّافية، 5: 406.

⁹ ابن الأثير، البديع في علم العربيَّة، 2: 413.

¹⁰ سيبويه، 1: 239؛ الرُّضِّي، شرح الكافية، 1: 360.

1.5.1. شروط الترخيم:

اشترطَ جمهورُ النُّحاةِ في الاسمِ الذي يُرادُ ترخيُّمُهُ أنْ يستوفي شروطًا معيَّنة¹؛ وأهمُّ هذه الشروطِ هي:

- أ- أنْ يكونَ المنادى معرفةً بالعلميةِ أو بالقصْدِ.
- ب- ألاَّ يكونَ مضاعفًا، ولا شبيهًا بالمضافِ؛ خلافًا للكوفيَّين²، أو للضرورةِ الشعريةِ كما صرَّحَ بذلك سيبويه³.
- ج- ألاَّ يكونَ مندوبًا، فلا يصحُّ أنْ نُرَخِّمَ "واعمره".
- د- ألاَّ يكونَ مستغاثًا مجرورًا، فإنْ حذفتِ اللَّامُ الجارةُ منه جازَ ترخيُّمُهُ.
- هـ- ألاَّ يكونَ مركَّبًا تركيبًا إسناديًّا على أرجحِ الأقوالِ، أمَّا إذا كانَ مركَّبًا تركيبًا مزجيًّا فيجوزُ ترخيُّمُهُ.
- و- ألاَّ يكونَ من الأسماءِ المهمةِ، كأسماءِ الإشارةِ.
- ز- ألاَّ يكونَ مِنَ المضمَّراتِ.

1.5.2. لُغَتًا⁴ الترخيم:

رصدَ النُّحاةُ مِنْ كلامِ العربِ لُغَتَيْنِ للتَّرخيمِ، وهما:

أ- لغةٌ مَنْ يَنْتَظِرُ المحذوفَ (لغة المنتظر): ويُقصَدُ بها أنْ ينويَ المتكلِّمُ انتظارَ المحذوفِ للتَّرخيمِ؛ فيعدهُ في حكمِ الثَّابتِ، ويُثَقِّي الحرفَ الذي صارَ آخرَ الكلمةِ بعدَ التَّرخيمِ على

¹ حسن، النحو الوافي، 4: 102.

² للاستزادة ارجع إلى كتاب "الإنصاف": حيثُ إنَّ ابنَ الأنباريَّ يفضِّلُ حَجَّةَ الكوفيَّين في ذلك. انظر: ابن الأنباري، الإنصاف: 1.

³ سيبويه، 2: 240.

⁴ نعني بلغتي التَّرخيمِ أنَّهما أسلوبانِ يختلفانِ في الاستعمالِ، وبالتالي يختلفانِ في مقصدِ هذا الاستعمالِ وهدفِهِ، كما سنعرِّضُ لاحقًا. ويمكنُ أنْ نُعرِّزَ عنهما- أيضًا- بـ"لهجتي التَّرخيمِ": لأنَّهما يكشفان- بشكلٍ واضحٍ- عن الاستعمالاتِ الدَّارجةِ عند العربِ بشأنِ مسألةِ التَّرخيمِ.

كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حَرَكَةٍ، أَوْ سَكُونٍ، فَيَقُولُ فِي "يَا جَعْفَرُ": "يَا جَعْفَرُ" بفتح الفاء، وفي "يَا حَارِثُ": "يَا حَارِثُ"، وفي "يَا هِرْقُلُ": "يَا هِرْقُلُ"، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ إِنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى ضِمِّ الْحَرْفِ الْمَحذُوفِ لِلتَّرْخِيمِ¹.

وقد أشار كثيرٌ مِنَ النُّحَاةِ أَنَّ هَذِهِ اللَّغَةُ الْأَجُودُ². يَقُولُ ابْنُ السَّرَاجِ: "والتَّرخيمُ يجري في كلامِ العربِ على ضريئَين: فأجودُ ذلك أن تُرْخِمَ الاسمَ فتدعَ ما قبلَ آخرِهِ على ما كانَ عليه، وتقول في حارِثٍ يا حارِثُ أقبلُ"³.

ب- لُغَةٌ مَنْ لَا يَنْتَظِرُ الْمَحذُوفَ: وَتُسَمَّى هَذِهِ اللَّغَةُ أَيْضًا بِ"لُغَةِ التَّمَامِ"، إِذْ يُقْصَدُ بِهَا أَنَّ لَا يَنْوِي الْمَتَكَلِّمُ الْمَحذُوفَ؛ فَيَجْعَلُ آخِرَ الْبَاقِي مِنَ الْاسْمِ الْمَرْخَمِ كَأَنَّهُ آخِرُ الْاسْمِ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ مِنْ غَيْرِ حَذْفٍ؛ فَلَا يَبْقَى عَلَى حَالِهِ، بَلْ يُضَمُّ⁴، فنقول في "يَا جَعْفَرُ": "يَا جَعْفُ" بضمِّ الفاء، وفي "يَا حَارِثُ": "يَا حَارُ"، وفي "يَا هِرْقُلُ": "يَا هِرْقُ"⁵.

1.6. عامل المنادى:

اِخْتَلَفَ النُّحَاةُ أَيْمًا اخْتِلَافَ حَوْلَ عَامِلِ الْمَنَادَى⁶، كُلٌّ يَطْرُقُ تَفْسِيرَاتِهِ وَتَعْلِيلَاتِهِ، وَيَحَاوُلُ تَفْسِيرَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ النَّحْوِيَّةِ، لَا سِيَّمَا أَنَّ مَسْأَلَةَ "نَاصِبِ" الْمَنَادَى تَرْتَكِزُ عَلَى نَظَرِيَّةِ الْعَامِلِ⁷، بِمَعْنَى مَا الَّذِي أَثَّرَ فِي الْمَنَادَى وَجَعَلَهُ مَنْصُوبًا لَفْظًا أَوْ مَحَلًّا؟

¹ الغلاييني، جامع الدروس العربية، 3: 117.

² السيوطي، الهمع، 3: 88.

³ ابن السراج، الأصول، 1: 359.

⁴ الغلاييني، 3: 117.

⁵ السيد، في علم النحو، 2: 140.

⁶ ابن الأنباري، أسرار العربية، 173.

⁷ عَرَفَ هَبَةُ اللَّهِ الدَّيْنُورِيُّ الْعَامِلَ بِأَنَّهُ "مَا أَثَّرَ فِي غَيْرِهِ مِنْ رَفْعٍ، أَوْ نَصْبٍ، أَوْ جَرٍّ، أَوْ جَزْمٍ. وَهُوَ نَوْعَانِ مَعْنَوِيٌّ وَلَفْظِيٌّ". كَمَا عَرَفَهُ الْجَرَجَانِيُّ بِقَوْلِهِ إِنَّ "الْعَامِلَ هُوَ مَا أَوْجَبَ كَوْنَ آخِرِ الْكَلِمَةِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ مِنَ الْإِعْرَابِ". انظر: الحسين بن موسى بن هبة الله الدينوري الشهير بـ"الجليس النحوي"، ثمار

وللنُّحَاةِ في عاملِ المندى خمسةُ آراءٍ:

أولاً، فقد أشارَ بعضُ النُّحَاةِ إلى أنَّ عاملَ المندى هو فعلٌ مضمَرٌ وجوباً¹ بعدَ حرفِ النِّدَاءِ تقديرُهُ: "أنادي"، أو "أدعو"²، فهو مفعولٌ به. وعلى رأسِ هؤلاءِ كانَ سيبويه لافِتاً أنَّ المندى نُصِبَ على إضمارِ الفعلِ المتروكِ إظهارُهُ³، وإنَّما وَجَبَ إضمارُ هذا الفعلِ لأربعةِ أسباب، أولها الاستغناء بظهور معناه⁴، وثانيها أنَّهم قصدوا بعبارةِ النِّدَاءِ الإنشاءَ (جملةٌ إنشائيَّةٌ) ووجدوا إظهارَ الفعلِ يوهِمُ الإخبارَ (جملةٌ خبريَّةٌ) فتحاشَوْا إظهارَهُ، وثالثها كثرةُ استعمالهم النِّدَاءِ في كلامهم⁵، ورابعها أنَّهم عوَّضُوا من هذا الفعلِ حرفَ النِّدَاءِ، وقد عُرِفَ أنَّهم لا يجمعون في الكلام بينَ العَوَظِ والمُعَوَّضِ منه⁶، وهذا الرَّأيُ- كما يقول ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ [708-761هـ، 1309-1360م]، وأبو حَيَّانٍ الأندلسيُّ- رأيُ الجمهورِ من النُّحَاةِ⁷.

ثانياً، ذهبَ بعضُ النُّحَاةِ إلى أنَّ العاملَ في النِّدَاءِ هو القصدُ⁸، وعلى هذا يكونُ العاملُ معنوياً لا لفظياً. وأخذَ بهذا الرَّأيِ بعضُ النُّحَاةِ، منهم السَّهيليُّ [508-581هـ، 1115-1185م]- وهو أحدُ نُحَاةِ الأندلسِ المعروفين- إذ قال: "والَّذي يظهرُ لي الآنَ أنَّ "يا" تصويْتُ

الصَّنَاعَةُ في علمِ العربيَّةِ (عمَّان: وزارةُ الثَّقافة، 1994)، 76؛ عليّ بن محمَّد الجرجاني، التَّعْرِيفَاتُ (الإسكندريَّة، دار النَّدَى، 2004)، 161.

¹ الإِسْفرائيئي، اللَّبَابُ في علمِ الإعراب، 87: الجَنْدِي، الإقْلِيد، 1: 400.

² أبو حَيَّانِ الأندلسي، ارتشَافُ الضَّرْبِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ، 4: 2179؛ جمال الدِّينِ مُحَمَّد بن عبد الغني الأُرْدِيبي، شَرَحُ الْأَنْمُودَجِ فِي النُّحُو (القاهرة: مكتبة الآداب، 1990)، 42؛ ابنُ الأَثيري، أَسْرَارُ الْعَرَبِيَّةِ، 178.

³ سيبويه، الكتاب، 2: 182؛ المِرْدَد، الْمُفْتَضَّب، 4: 461.

⁴ أبو البقاء العُكْبَرِي، اللَّبَابُ في عللِ البناءِ والإعراب (بيروت: دار الفكر، 1995)، 1: 329.

⁵ التَّهَانُوي، كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفَنُون، 4: 268.

⁶ الأهدل، الكواكبُ الدُّرِّيَّة، 2: 333.

⁷ ابنُ الأَثيري، الإِنْصَاف، 1: 304؛ الجَنْدِي، الإقْلِيد، 1: 400.

⁸ السَّيُوطِي، هَمْعُ الْهَوَامِع، 3: 33.

بالمنادى، نحو "جوت، و"ها"، ونحو ذلك، والمنادى منصوبٌ بالقَصْدِ إِلَيْهِ وإلى ذِكْرِهِ... ويدلُّك على أنَّ حرفَ النَّداءِ لَيْسَ بعاملٍ وجودُ العَمَلِ في الاسمِ دُونَهُ، نحو: "صاحب زَيْدٍ أَقْبَل"، و"يوسفُ أَعْرِضْ عن هذا"؛ وإنَّ كان مَبْنِيًّا عندهم فَإِنَّه بناءٌ كَالْعَمَلِ؛ ألا تراه يُنْعَتُ على اللَّفْظِ كما يُنْعَتُ الْمُعَرَّبُ؛ ولو كان حرفُ النَّداءِ عاملاً لَمَا جازَ حَذْفُهُ وبقَاءُ العَمَلِ"¹. فَيَرُدُّ ابْنُ هِشَامٍ بَأَنَّ هذا الرَّأْيَ مردودٌ وَغَيْرُ مقبولٍ، إذْ لم يعمدْ في عواملِ النَّصْبِ عاملاً معنويًّا، وإنَّما عَمِدَ العواملَ المعنويَّةَ في عواملِ الرَّفْعِ كالابتداءِ الرَّافعِ للمبتدأ، والتَّجَرَّدِ الرَّافعِ للفعل المضارع².

ثالثًا، قالوا إِنَّ العاملَ في المنادى هو حرفُ النَّداءِ على سبيل النَّيابة عن الفعل³ والعوض به منه، وهذا رأيُّ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ⁴، إذْ جعل المنادى مشبَّهًا بالمفعول به لا مفعولاً به⁵ كما هو عند الجمهور. وأجازَ الْمُبَرِّدُ من البصريين نَصْبَ المنادى بحرفِ النَّداءِ لِسَدِّهِ مسدَّ الفعل⁶، والفاعل مقدَّرٌ، والمفعول هاهنا واجبُ الذِّكْرِ لفظًا أو تقديرًا، إذْ لا نداءً دون المنادى⁷. وهذا ما جَعَلَ عَبْدَ الْقَاهِرِ الْجَرَجَانِيَّ، عندَ حديثه عن الجُمْلِ، أَنَّ يَذْكُرُ

¹ عبد الرحمن بن عبد الله السَّهْلِيُّ، نتائج الفكر في النَّحو (القاهرة: دارالاعتصام، 1984)، 77-78.

² بركات هَبُود، مصباح السَّالِكِ إلى أَوْضاحِ المسالك (بيروت: دار الفكر، 1994)، 4: 3.

³ مُحَمَّدُ بن عيسى السَّلسِلِيُّ، شفاء العليل في إيضاح التَّسْهِيلِ (مَكَّة المَكْرَمَة: المكتبة الفيصلية، 1986).

2: 801؛ ابن برهان الغُكَّارِيُّ، شرح اللَّمَعِ، 1: 271؛ ابن الأنباري، أسرار العربية، 173.

⁴ أبو حَيَّان الاندلسي، ارتشافُ الضَّرْبِ، 4: 2179-2180؛ الخوارزمي، ترشيح العلل في شرح الجمل، 169.

⁵ السَّيُوطِيُّ، الهمع، 3: 33.

⁶ ابن يعيش، شرح المِفْصَلِ، 1: 317؛ الأشموني، شرح الأشموني، 2: 142؛ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 3: 208.

⁷ الأشموني، شرح الأشموني على أَلْفِيَّةِ ابن مالك (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية)، 2: 142؛ ابن كمال باشا، أسرار النَّحو، 121: الأهل، الكواكب الدُّرِّيَّة، 2: 333.

أَنَّ حَرْفَ النَّدَاءِ هُوَ الَّذِي يَنْصَبُ الْأَسْمَ الَّذِي يَلِيهِ، بَلْ عَدَّ حُرُوفَ النَّدَاءِ مِنْ بَيْنِ سَبْعَةِ حُرُوفٍ¹ الَّتِي تَنْصَبُ فَحَسَبُ².

وَرَدَّ ابْنُ هِشَامٍ الْأَنْصَارِيُّ وَابْنُ مَالِكٍ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ أَنَّ حَرْفَ النَّدَاءِ قَدْ يُحذفُ مِنَ الْكَلَامِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْعَوْضُ وَالْمَعْوَضُ مِنْهُ مَحذُوفَيْنِ، وَالْعَرَبُ لَا تَجْمَعُ بَيْنَ حَذْفِ الْعَوْضِ وَالْمَعْوَضِ مِنْهُ كَمَا لَا تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ³.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْمُرْتَضَى [...] 840هـ، [...] 1437م]، وَهُوَ بَصْرِيُّ الْمَذْهَبِ، أَنَّ حُرُوفَ النَّدَاءِ وَالنُّدْبَةِ⁴ هِيَ مِنَ الْحُرُوفِ الْعَامِلَةِ⁵، فَالْمُنَادَى عِنْدَهُ هُوَ الْمَطْلُوبُ أَقْبَالُهُ بِحَرْفِ نَابٍ مُنَابٍ "أَدْعُو" لَفْظًا" نَحْو: "يَا زَيْدٌ"، أَوْ تَقْدِيرًا نَحْو: {يُوسُفُ أَعْرِضْ}، كَمَا أَنَّ الْمُنَادَى الْمُضَافَ، وَالشَّبِيهَ بِالْمُضَافِ وَالنَّكَرَةَ غَيْرَ الْمَقْصُودَةِ مَنْصُوبَةٌ بِذَلِكَ الْفِعْلِ الْمَقْدَّرِ بَعْدَ الْحَرْفِ؛ لِإِمْكَانِهِ. وَقِيلَ بَلْ بِالْحَرْفِ، نَحْو: "يَا عَبْدَ اللَّهِ"، وَ"يَا طَالِعًا جَبَلًا"⁶...

رَابِعًا، ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْعَامِلَ فِي الْمُنَادَى هُوَ حَرْفُ النَّدَاءِ، لَيْسَ لِأَنَّهُ عَوْضٌ عَنِ الْفِعْلِ الْمَحذُوفِ، بَلْ لِأَنَّ هَذَا الْحَرْفَ هُوَ اسْمُ فِعْلٍ⁷ مُضَارِعٍ بِمَعْنَى أَدْعُو كَمَا أَنَّ "أُفٍّ" اسْمُ

¹ هذه الحروف: واو المعية، والآ في الاستثناء، وحرف النداء، و"أن"، و"لن"، و"إذن"، و"كي".

² عبد القاهر الجرجاني، الجمل في النحو (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990)، 79-82؛ القاسم بن الحسين الخوارزمي، كتاب ترشيح العلل في شرح الجمل (مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1998)، 169.

³ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك، 4: 3؛ ابن مالك، شرح التسهيل، 3: 385.

⁴ انظر: "حرف الندبة" تحت عنوان "أركان الندبة" لاحقًا. (في الفصل الأول).

⁵ أحمد بن يحيى بن المرتضى، تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب (صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، 2004)، 1: 611.

⁶ ابن المرتضى، تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب، 1: 613-614.

⁷ السلسلي، شفاء العليل في إيضاح التسهيل، 2: 801؛ الصبان، حاشية الصبان 3: 198؛ ابن الأثير،

البديع في علم العربية، 2: 393؛ الخضري، حاشية الخضري، 2: 71.

فعلٍ مضارعٍ بمعنى أَتَضَجَّرُ، وليس ثَمَّةَ فعلٌ مُقَدَّرٌ¹، وبهذا فإنَّ حروفَ التَّداءِ أسماءُ أفعالٍ تَتَضَمَّنُ ضميرَ المنادى². وقد ذَكَرَ ابنُ يعيش أنَّ هذا الرَّأيَ إنّما كانَ بعضَ كلامِ أبي عليٍّ الفارسيّ³.

في حين أنَّ هذا الرَّأيَ لاقى رفضًا شديدًا مِنْ كثيرٍ من النَّحاةِ، فقد أشارَ ابنُ هشامٍ إلى أنَّ هذا الرَّأيَ واهٍ؛ لأنَّ هذه الحروفَ لو كانت أسماءُ أفعالٍ لَكَانَ فيها ضميرٌ مستترٌ كما في سائرِ أسماءِ الأفعالِ، ولو كانت متحملةً للضميرِ لَجَازَ إتباعه.

كما رَفَضَ السَّيوطيُّ هذا الرَّأيَ قائلاً إنَّه لو كانت حروفُ التَّداءِ أسماءُ أفعالٍ لتحملتُ الضميرَ، وكان يجوزُ إتباعُهُ، كما سُمِعَ في سائرِ أسماءِ الأفعالِ، ولا تُكْتَفَى بها دونَ المنصوبِ؛ لأنَّ المنصوبَ في الحقيقةِ فضلةٌ زائدةٌ، ثُمَّ إنَّه ليسَ ثَمَّةَ قائلٍ بأنَّ حروفَ التَّداءِ تستقلُّ كلامًا على أنَّها أسماءُ أفعالٍ⁴.

وقد قَدَّدَ تاجُ الدِّينِ الجَنديُّ [...] (700-...هـ، 1301م) هذا الرَّأيَ أيضًا؛ لأنَّ اسمَ الفعلِ لا بُدَّ له من مرفوعٍ، وفي الواقعِ لا يوجدُ هنا مرفوعٌ، لا ظاهرٌ، ولا مضمَّرٌ⁵. والأمرُ ذاته مِنْ الرِّفْضِ كانَ عندَ الأشْمونيِّ، إذْ قالَ إنَّ تقديرَ الفعلِ يُنافي الذِّكْرَ⁶.

خامسًا، أشاروا إلى أنَّ العاملَ في المنادى هو حرفُ التَّداءِ⁷، على أنَّ هذه الحروفَ هي أفعالٌ، لا أسماءُ أفعالٍ، ولا حروفٌ عَوَّضَ بها عن أفعالٍ. وعلى هذا الرَّأيِ رَدَّ ابنُ هشامٍ مُقَدِّدًا إيَّاهُ بأنَّه لو كانت هذه الحروفُ أفعالاً لكانَ الضميرُ يتَّصلُ بها كما يتَّصلُ بسائرِ

¹ السَّيوطيُّ، الهَمْعُ، 3: 32.

² محمَّد الخضريُّ، حاشية الخضريِّ علي ابن عقيل، 2: 71؛ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان 3: 198.

³ ابن يعيش، شرح المفصَّل، 1: 317؛ الجَنديُّ، الإقليد، 1: 400.

⁴ السَّيوطيُّ، هَمْعُ الهوامع، 3: 32.

⁵ الجَنديُّ، الإقليد، 1: 400.

⁶ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 3: 209.

⁷ أبو البقاء العُكْبَرِيُّ، اللَّباب في علل البناء والإعراب، 1: 329.

الأفعال، وقد قال العرب "يا أنت"، و"يا إياك" فلم يأتوا بالضمير المتصل، بل جاءوا بالضمير المنفصل، فدلّ ذلك على أنها ليست أفعالاً¹.

ولعلّ الأنباريّ لمَّحْ ألى رأيٍ سادسٍ، وإن كان يقترب إلى الرأي الثالث، فقد ذكر أنّ بعض البصريّين يذهبون إلى أنّ "يا" لم تَقُمْ مقام الفعل "أدعو"، وأنّ العامل في الاسم المنادى هو "أدعو" المقدّر دون حرف النداء "يا"، بمعنى أنّ حرف النداء لم يَنْبُ عن الفعل المقدّر، بل إنّ المنادى نفسه معمولٌ بسبب فعل مُقدّر بعد "يا" إذ لا علاقة له بحرف النداء مِنْ حَيْثُ الْعَمَلُ²، وهذا ما يُؤكِّدُه الخوارزميُّ بأنّ حرف النداء لا يعملُ مضمراً فلولا أنّه كان منصوباً بالفعل لما بقي منصوباً عند حذف الحرف³.

وكان السيوطيُّ [849-911هـ، 1145-1505م] قد أجملَ عواملَ نصبِ المنادى حين قال: "ويُقدّر "أدعو"، و"أنادي" إنشاءً. وقيل ناصبه القصْدُ. وقيل: الحرف نيابة. وقيل: اسم فعل، وقيل: فعل⁴.

1.7. هل المنادى مفعولٌ به حقاً؟

ذَهَبَ سيبويه وسائر النحاة البصريّين إلى أنّ المنادى مفعولٌ به⁵ لفعلٍ محذوفٍ ومقدّرٍ وموضعه النصب⁶، فإذا قلّت: "يا عبد الله" فقد وَقَعَ نداؤك بعبد الله، فانتصب على أنّه

¹ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك، 4: 3-4؛ السيوطي، همع الهوامع، 3: 32-34؛ العكبري، التبيين، 442-443.

² ابن الأنباري، الإنصاف، 1: 304.

³ الخوارزمي، ترشيح العلل في شرح الجمل، 169.

⁴ السيوطي، همع، 3: 33-34.

⁵ الأعلام الشنتمري، النكت (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999)، 2: 143.

⁶ ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998)، 1: 301؛ أبو البقاء العكبري، التبيين عن مذاهب النحويّين البصريّين والكوفيّين (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986)، 443؛ القاسم بن الحسين الخوازمي، شرح المفصل في صناعة الإعراب الموسوم بالتخمير (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990)، 1: 325.

مفعولٌ به تعدى إليه فعلُك¹، فَقَدَّرَ الخليلُ بِنُ أَحْمَدَ "يا إِيَّاكَ" بـ "إِيَّاكَ أَعْنِي"، وَقَدَّرَ سيبويه "يا عبدَ اللَّهِ" بـ "يا أريد عبدَ اللَّهِ"، بهذا فإنَّ حَقَّ كُلِّ منادى النَّصْبُ²، أو في محلِّ نصبٍ على إضمارِ الفعلِ المتروكِ إظهارُهُ³، أي المحذوف، ومنهم مَنْ يُعْرِفُهُ بالمنصوب بالفعل اللازم إضمارُهُ، حُذِفَ لكثرة الاستعمال⁴، ولدلالة حرفِ النداءِ عليه، وإفادته فائدته⁵.

فما كان مِنَ المجاشعي [...] 479هـ، ... 1086م] إِلَّا أَنْ يَقْطَعَ بِأَنَّ المنادى "هو مفعولٌ في الحقيقة"⁶. بل ها هو العلامةُ ابنُ زُنَيْدٍ [789-870هـ، 1384-1466م] يُغْلِنُ بدَاءَةً أَنَّ المنادى مفعولٌ به لَا لَبْسَ في ذلك من خلالِ قوله: "وَمِنْ المفعولِ به المنادى"⁷.

وقد افْتَتَحَ الزَّمَخْشَرِيُّ باب المفعولات بالمفعول به، ثُمَّ أَرَدَفَهُ مباشرةً بالمنادى⁸، مُعَرِّفًا إيَّاه "بالمنصوبِ اللازمِ إضمارُهُ"⁹ قبل المفعول فيه، والمفعول معه، وغيرها من المفاعيل. بل نجدهُ بعد ذلك يتحدَّثُ حولَ حذفِ المفعول به، ثُمَّ يتحدَّثُ مباشرةً عن حذفِ المنادى، وإنَّ دَلَّ ذلك على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على مفعوليَّةِ المنادى مِنْ جهةٍ، وعلى أَوْلَوِيَّةِ بالغَةِ يُقَدِّرُها الزَّمَخْشَرِيُّ لدرسِ المنادى.

¹ المبرِّد، الْمُقْتَضَب (بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1999)، 4: 461؛ الجامي، الفوائد الضَّيائية- شرح كافية ابن الحاجب، 1: 164.

² مُحَمَّد بن سهل بن السَّرَّاج، الأُصول في النُّحو (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، 1985)، 1: 333.

³ سيبويه، الكتاب (القاهرة: مكتبة الخانجي، 2006)، 2: 182؛ الجرجاني، المقتصد، 2: 753.

⁴ تاج الدِّين أحمد بن محمود الجَنْدي، الإقليد: شرح المفصَّل (الرياض: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلاميَّة، 2002)، 1: 399.

⁵ الأشموني، شرح الأشموني، 2: 142؛ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان 3: 208-209.

⁶ عليُّ بن فَضَّال المجاشعي، شرح عيون الإعراب (الزَّرقاء: مكتبة المنار، 1985)، 262.

⁷ أحمد بن زُنَيْد، الفضَّة المضيئة، 120.

⁸ لم يكن الزَّمَخْشَرِيُّ الوحيدَ الَّذي فعل ذلك، بل ثَمَّةُ نَحَاةٍ كثيرون نهجوا هذا النَّهْجَ قبل الزَّمَخْشَرِيِّ وبعدهُ.

⁹ الزَّمَخْشَرِيُّ، المفصَّل في صنعة الإعراب، 67.

والَّذِي يُؤَكِّدُ مَفْعُولِيَّةَ الْمُنَادَى عِنْدَ الزَّمْخَشَرِيِّ -صَاحِبِ الْمَذْهَبِ الْبَغْدَادِيِّ¹- هُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ ابْنُ يَعِيشَ [553-643هـ، 1158-1245م]- أَحَدُ أَهَمِّ شُرَاحِ كِتَابِ الْمُفَصَّلِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ- قَائِلًا: "اعْلَمْ أَنَّ الْمُنَادَى عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ أَحَدُ الْمَفْعُولَاتِ، وَالْأَصْلُ فِي كُلِّ مُنَادَى أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا... وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي كُلِّ مُنَادَى النَّصْبُ قَوْلُ الْعَرَبِ: "يَا إِيَّاكَ" لَمَّا كَانَ الْمُنَادَى مَنْصُوبًا، وَكُنُوا عَنْهُ، أَتَوْا بِضَمِيرِ الْمَنْصُوبِ"² وَهُوَ الضَّمِيرُ "إِيَّاكَ".

كَمَا رَجَّحَ الْأَنْبَارِيُّ مَفْعُولِيَّةَ الْمُنَادَى، مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ حَتَّى لَوْ وُجِدَ فِي النَّدَاءِ مُنَادَى مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ، فَالْمُنَادَى عِنْدَهُ مَفْعُولٌ؛ لِأَنَّهُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ وَلِأَنَّ التَّقْدِيرَ فِي قَوْلِكَ: "يَا زَيْدٌ" أَدْعُو زَيْدًا، أَوْ أَنْادِي زَيْدًا، فَلَمَّا قَامَتْ "يَا" مَقَامَ أَدْعُو عَمِلَتْ عَمَلَهُ³.

ثُمَّ يُبَيِّنُ الْأَنْبَارِيُّ بِأَنَّ هُنَاكَ دَلِيلَيْنِ يُشِيرَانِ إِلَى أَنَّ "يَا" عَمِلَتْ عَمَلَ الْفِعْلِ "أَدْعُو"، أَوْ "أَنَادِي"، أَوَّلَهُمَا أَنَّ "يَا" تَدْخُلُهَا الْإِمَالَةُ، نَحْوُ: "يَا زَيْدٌ"، وَ"يَا عَمْرُو"، وَالْإِمَالَةُ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْأَسْمِ وَالْفِعْلِ دُونَ الْحَرْفِ، فَلَمَّا جَاازَتْ الْإِمَالَةُ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا قَدْ قَامَتْ مَقَامَ الْفِعْلِ. وَثَانِيَهُمَا، هُوَ أَنَّ لَامَ الْجَرِّ تَتَعَلَّقُ بِهَا، نَحْوُ: "يَا لَزَيْدٍ"، وَ"يَا لِعَمْرُو"، فَإِنَّ هَذِهِ اللَّامَ هِيَ لَامُ الْاسْتِغَاثَةِ، وَهِيَ حَرْفُ جَرٍّ؛ فَلَوْلَمْ تَكُنْ "يَا" قَدْ قَامَتْ مَقَامَ الْفِعْلِ وَاللَّامُ جَاازًا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهَا حَرْفُ جَرٍّ؛ لِأَنَّ الْحَرْفَ لَا يَتَعَلَّقُ بِحَرْفٍ، فَذَلِكَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا قَدْ قَامَتْ مَقَامَ الْفِعْلِ؛ وَلِهَذَا زَعَمَ بَعْضُ النَّحَاةِ أَنَّ فِيهَا ضَمِيرًا كَالْفِعْلِ⁴.

¹ ثَمَّة مَنْ يَرَى أَنَّ الزَّمْخَشَرِيَّ بَصْرِيَّ النَّزْعَةِ.

² أَبُو الْبَقَاءِ عَلِيِّ بْنِ يَعِيشَ الْمَوْصِلِيَّ، شَرْحُ الْمُفَصَّلِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ (بَيْرُوت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 2001)، 1: 316.

³ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، الْإِنْصَافُ، 1: 304.

⁴ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، 1: 304.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، ذَهَبَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ [228-377هـ، 900-987م]- وهو نحويٌّ بارزٌ من النُّحَاةِ البَصْرِيِّينَ- إِلَى أَنَّ الْمُنَادَى مُشَبَّهٌ بِالْمَفْعُولِ بِهِ، وَلَيْسَ مَفْعُولًا بِهِ كَمَا هُوَ عِنْدَ جُمْهُورِ الْبَصْرِيِّينَ¹.

أَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَكَانَ لَهُمْ رَأْيٌ آخَرٌ، يَشْتَرِكُ مَعَ الْبَصْرِيِّينَ فِي جَانِبٍ، وَيُخَالِفُهُمْ فِي جَانِبٍ آخَرَ، فَقَدْ نُسِبَ إِلَى الْكَسَائِيِّ [189-...هـ، 805م]- وَهُوَ شَيْخُ الْمَدْرَسَةِ الْكُوفِيَّةِ- أَنَّهُ يَعُدُّ الْمُنَادَى مَفْعُولًا بِهِ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَفْعُولَ لَا يُقَدَّرُ لَهُ فِعْلٌ نَاصِبٌ وَلَا أَدَاءٌ، وَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَهُ مَنْصُوبٌ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْكَلَامِ مَنْصُوبٌ، أَوْ مَرْفُوعٌ بِغَيْرِ عَامِلٍ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَ السَّيْرَافِيَّ [284-368هـ، 897-979م]- وَهُوَ مِنَ النُّحَاةِ الْبَصْرِيِّينَ- يَرُدُّ عَلَيْهِ وَعَلَى الْكُوفِيِّينَ- بِقَوْلِهِ: "وَهَذَا كَلَامٌ فَاسِدٌ النَّظَامِ بَعِيدُ الْإِتْنَامِ"، لَا سَيِّمًا أَنَّهُمْ رَفَضُوا نَصَبَ الْمُنَادَى مُطْلَقًا وَأَنْكَرُوا عَلَى الْبَصْرِيِّينَ ذَلِكَ، خَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُنَادَى الْمَفْرَدِ الْعَلَمِ وَالتَّكْرَرِ الْمَقْصُودَةِ.

إِذْنِ، قَمِنَ الْوَاضِحُ أَنَّ جُمْهُورَ النُّحَاةِ يَرَوْنَ فِي الْمُنَادَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ حَقِيقِيٌّ لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ، أَوْ هُوَ مَفْعُولٌ فِي الْمَعْنَى كَمَا أَشَارَ ابْنُ أَبِي الرَّبِيعِ قَائِلًا: "الْمُنَادَى مَفْعُولٌ فِي الْمَعْنَى... أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَا لْمَعْنَى: أُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ، وَأُنَادِي"².

1.8. أنواع المنادى من حيث الإعراب والبناء:

يَأْتِي الْمُنَادَى فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ إمَّا مَنْصُوبًا- وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِيهِ- وَيُسَمِّيهِ النُّحَاةُ الْمُنَادَى الْمُعْرَبَ، وَإِمَّا مَبْنِيًّا³؛ لَعَلَّةٌ مَا؛ فَيُصْبِحُ بِنَاؤُهُ بِنَاءً عَارِضًا⁴؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ النَّصَبُ (الإعراب).

¹ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (بيروت: دار الجيل، 1979)، 4: 3.

² ابن أبي الربيع الإشبيلي، البسيط في شرح جمل الزجاجي (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986)، 1: 181.

³ يرى جمهور الكوفيين أَنَّ الْمُنَادَى الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ بـ"الْمُنَادَى الْمَبْنِي" إِنَّمَا هُوَ مَرْفُوعٌ. انظر: "الْمُنَادَى الْمَبْنِي بين البناء والرفع".

⁴ البناء العارض هو أَنْ يَكُونَ مُعْرَبًا فِي الْأَصْلِ، ثُمَّ يَقْتَضِي تَرْكِيبُ الْكَلَامِ فِي حَالَةٍ خَاصَّةٍ أَنْ يُبْنَى، كَالْمُنَادَى الْمَفْرَدِ، وَاسْمُ "لَا" النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ، وَالْأَعْدَادُ الْمُرَكَّبَةُ، وَغَيْرُهَا مِنَ الْكَلِمَاتِ. وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْبِنَاءَ الْعَارِضَ هُوَ أَحَدُ نَوْعِي الْبِنَاءِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، إِذْ يُقَسَّمُ الْبِنَاءُ إِلَى نَوْعَيْنِ: بِنَاءٍ لَازِمٍ، وَبِنَاءٍ عَارِضٍ. وَأَمَّا الْبِنَاءُ اللَّازِمُ

وفي هذا يقول ابن مالك: "المنادى مفعولٌ به في المعنى؛ لأنَّه مدعوٌّ؛ فيستحقُّ النَّصبَ لفظاً إنَّ كانَ مُعْرَباً قابلاً لحركة الإعرابِ كـ"يا عبدَ الله"، وتقديرًا إنَّ كانَ مبنياً أو مُعْرَباً غيرَ قابلٍ لحركة الإعرابِ، كـ"يا زيدٌ"¹، و"يا رقاشٍ"²، و"يا فتى"³، و"يا أخي"⁴.
وبناءً على هذا، فإنَّ المنادى ينقسمُ إلى قسمين، مُعْرَبٍ ومبنيٍّ⁶؛ وذلك حَسَبَ حركاتِ الأواخرِ الَّتِي يُحْدِثُهَا، في طبيعة الحال، نوعُ المنادى.

1.8.1. المنادى المُعْرَبُ:

يُقَصَّدُ بالمنادى المُعْرَبِ المنادى المنصوب بإحدى علاماتِ النَّصبِ الأصليَّة، أو الفرعيَّة، وهو على ثلاثة أنواعٍ⁷:

(الَّذِي يُسَمِّيهِ بعضُ النحاة بـ"الثابت"، أو "الأصلي") فهو الَّذِي لا ينفكُّ عن الكلمة في حالٍ مِنْ أحوالها على الرَّغم من تغيُّر موقعها في الجملة، نحو: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأسماء الشرط، وأسماء الاستفهام، وغيرها من الكلمات. انظر: الصَّبَّان، الحاشية، 1: 82؛ السيوطي، الأشباه والنظائر، 1: 178؛ ركن الدين، الوافية، 89؛ علّوش، الإعراب والبناء، 174.

¹ "زيدٌ" منادى مبني على الضمِّ في محلِّ نصب. وقد يُبْنَى على الضمِّ؛ لأنَّه عَلَمٌ مفردٌ.
² "رقاشٌ" منادى مبني على الضمِّ المقدَّر على آخره؛ منع من ظهوره حركة البناء الأخير، في محلِّ نصب. هذا يعني أنَّ "رقاشٍ" عَلَمٌ يُبْنَى على الكسر، كما هو شأنُ الأعلامِ الَّتِي وَرَدَتْ في اللُّغة العربيَّة مبنيةً على الكسر، نحو: "سببويه". ونستطيع القول إنَّ اشتغالَ المحلِّ بحركة البناء (الكسر) مَنَعَ من ظهورِ الضمِّ-صوتًا- في آخرِ الاسمِ المنادى، فكانَ الضمُّ في هذه الحالة مقدَّرًا.

³ "فتى": هو اسم مقصور، أي انتهى بالفتحة مقصورة، لهذا فإنَّ الحركة لا يمكنها أن تظهرَ على الألف، سواء أكان "فتى" نكرةً مقصودةً (مبنياً)، أم نكرةً غيرَ مقصودةٍ (مُعْرَباً).

⁴ "أخي" هو منادى مضاف (مُعْرَب)، ولكنَّ الفتحة (علامة النَّصبِ) لا يمكنها أن تظهرَ؛ لأنَّ "أخ" أُضيفَ إلى ياء المتكلم؛ فتعذَّرَ بذلك ظهورُها؛ لاشتغالِ المحلِّ بحركة المناسبة.

⁵ ابن مالك، شرح التَّسهيل، 3: 385.

⁶ الجرجاني، المقتصد، 2: 754.

⁷ السيوطي، الهمع، 3: 37.

أ-المنادى المضاف: وهو الذي أُضيفَ إلى غيره، إضافةً محضةً، نحو: "يا ربَّه المنزل"، ونحو قول قيس بن الملوّح (مجنون ليلى):

"فيا هَجَرَ ليلى قد بلغت بي المدى وزدت على ما ليس يبلغه هجرُ
فيا حُبَّها زِدْني جَوَى كلِّ ليلةٍ ويا سَلَوَةَ الأيامِ موعِدُك الحشرُ"

أو إضافةً غيرَ محضةٍ، نحو: "يا مربِّي الأجيال"¹، ونحو قول الشاعر:

"يا ناشِرَ العلمِ بهذي البلاد وُقِفْتُ؛ نَشَرُ العلمِ مثلَ الجهادِ"

ولكنَّ النُحاةَ اشتَرطوا في المنادى المضافِ أنْ تكونَ إضافتهُ إلى غيرِ ضميرِ المخاطبِ²، فلا نقول: "لا صاحبك"، بل يُقال: "يا صاحبي"، أو "يا صاحبه".

أما حُكْمُ المنادى المُضافِ فهو النَّصْبُ وجوباً³، وعلامةُ نصبِه الأصليَّةُ هي الفتحةُ، نحو: "يا طالبَ العلمِ". وقد تنوَّبَ عنها حركاتُ فرعيَّةٌ، كالياء في المثني، نحو: "يا صديقِي"، أو في جمعِ المذكرِ السَّالمِ، نحو: "يا لاعبي كرة القدم"، وكالألف في الأسماءِ السَّتَّةِ، نحو: "يا أبا العربِ"، وكالكسرة في جمعِ المؤنَّثِ السَّالمِ، نحو: "يا طالباتِ الجامعة"⁴.

ب-المنادى الشَّبيه بالـمضاف: وهو المنادى الذي يأتي بعدهُ معمولٌ يَتِمُّ معناه، سواءً أكانَ المَعمولُ مرفوعاً، نحو: "يا كريماً خلَّقه"⁵، أم منصوباً، نحو: "يا مؤدِّياً واجبه"⁶، أم مجروراً

¹ النَّادري، نحو اللُّغة العربيَّة، 729.

² عَبَّاس حسن، النُّحو الوافي، 4: 31.

³ ابن الخبَّاز، التَّوجيه، 319.

⁴ النَّادري، نحو اللُّغة، 729.

⁵ إعراب "كريمًا": منادى (شبيه بالمضاف) منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظَّاهرة على آخره، وإعراب "خلَّقه": فاعل للصفة المشبهة "كريمًا"، الَّتِي تعملُ عملَ الفعلِ، مرفوع، وعلامة رفعه الضَّمة الظَّاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متَّصل مبني على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ مضافٍ إليه.

⁶ "واجبه": مفعول به لاسم الفاعل "مؤدِّياً"، الَّذِي يعملُ عملَ الفعلِ، منصوب.

مِنْ غَيْرِ الإِضَافَةِ¹ الحَقِيقِيَّةِ، بل بحرف جرٍّ، نحو: "يا مسافرًا إلى الحجاز"، أم صفةً له قبل النداء، نحو: "يا رجلاً كريماً".

وقد سعى النحاة المنادى "الشبيهة بالمضاف" بهذه التسمية²؛ لأنَّه يشبه المضاف من حيثُ المعنى؛ فَيُعَرَّفُ-المضاف- بواسطة المضاف إليه، أو يُكْسِبُهُ المضافُ إليه معنىً جديداً، وهكذا يكونُ الاسمُ الَّذي يلي المنادى الشَّبيهة بالمضاف مُتَمِّمًا لمعناه، كَعَمَلِ المضافِ إليه، ولكنْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تكونَ الإِضَافَةُ حَقِيقِيَّةً.

وحُكْمُ المنادى الشَّبيهة بالمضاف كحُكْمِ المنادى المضاف، وهو النَّصْبُ وجوبًا، وعلامةُ نصبه الأَصْلِيَّةُ هي الفتحة، أو ما ينوبُ عنها³.

وأشارَ بعضُ النُّحَاةِ إلى أَنَّ المنادى الشَّبيهة بالمضاف لم يُبْنَ؛ لأنَّه عاملٌ فيما بعده، فجَرى مجرى المضاف⁴ الَّذي يعملُ فيما بعده فيجرُّه.

ج-المنادى النكرة غير المقصودة: وهو المنادى غيرُ المعَيَّن، فيبقى على إبهامه وشيوعه كما كان الاسمُ قبلَ النداء، فلا يُقْصَدُ به تعيينُ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ جِنْسِهِ، ولا يُفَادُ منها تعريفٌ؛ لهذا يُسَمَّى باسم الجنس غيرِ المعرَّف⁵، نحو: "يا عاقلاً تذكِّرُ الآخرةَ ولا تنسَ نصيبَكَ من الدُّنْيَا"، و: "يا طالبًا اجتهد في دروسِكَ"، أو كقول الأعشى: "يا رجلاً خُذْ بيدي"⁶.

وحُكْمُ المنادى النكرة غير المقصودة كحُكْمِ المنادى المضاف، والشَّبيهة بالمضاف، إذ يُنْصَبُ وجوبًا، وعلامةُ نصبه الأَصْلِيَّةُ هي الفتحة، أو ما ينوبُ عنها.

¹ حسن، النحو الوافي، 4: 32.

² ذَكَرَ ابْنُ الْخَبَّازِ أَنَّهُ سَمَّى بِذَلِكَ؛ لأنَّه عاملٌ فيما بعده كما أَنَّ المضافَ عاملٌ في المضافِ إِلَيْهِ. انظر: ابن الخبَّاز، التَّوْجِيه، 319.

³ حسن، النحو الوافي، 4: 32.

⁴ ابن الخبَّاز، التَّوْجِيه، 319.

⁵ النَّادِرِي، 729.

⁶ السَّيُّوطِي، الهمع، 3: 37؛ الجرجاني، المقتصد، 2: 754.

1.8.2. المنادى المبني:

المقصود بالمنادى المبني هو المنادى الذي لا يكون منصوباً لفظاً؛ ذلك أن سبباً ما جعله مبنيّاً، فلزمته علامة البناء. وهو على نوعين:

أ- المنادى المفرد: المراد بالمنادى المفرد ما لم يكن مضافاً، ولا شبيهاً بالمضاف¹، ولا جملة²، وهو كلمة واحدة (مفردة) سواء دلّ على واحدٍ، أم اثنين، أم أكثر³، نحو: "يا عليّ"، و"يا عليّان"، و"يا عليّون".

وحُكِّمُ المنادى المفرد أنه يُبنى⁴ على ما يُرفعُ به⁵ لفظاً⁶، وأنّ علامة بنائه الأصليّة هي الضّمّ، ظاهرة، نحو: يا محمّد"، أو مقدّرة، نحو: "يا موسى"⁷، وهو في محلّ نصبٍ؛ لأنّ الأصل في المنادى أن يكون منصوباً بتقديرِ فعلٍ.

وقد بيّن الأنباري أنّ الذي يدلّ على أنّ المنادى المبنيّ في موضع نصبٍ أنّك تقول في وصفه: "يا زيد الظّريف" بالنّصب حملاً على الموضع، كما تقول: "يا زيد الظّريف" حملاً على اللفظ، كما تقول: "مررتُ بزيد الظّريف والظّريف"، فالجرُّ على اللفظ، والنّصب على الموضع؛ فكَذلك الأمرُ هنا، حيثُ نُصبَ؛ لأنّ المنادى المفرد في موضعِ نصبٍ؛ لأنّه مفعولٌ، وهذا هو الأصلُ في كلّ منادى⁸.

¹ السيوطي، الهمع، 3: 38.

² ركن الدين، الوافية، 89.

³ حسن، النحو الوافي، 4: 9؛ النّادري، 725؛ الشّرتوني، 163.

⁴ هناك خلافٌ بين النّحاة حول بناء المنادى المفرد أو رفعه. انظر: "المنادى المبني بين البناء والرفع".

⁵ ابن الخباز، التّوجيه، 318؛ ركن الدين، الوافية، 89؛ النّادري، 725؛ السيوطي، النّكت، 2: 178.

⁶ السيوطي، الهمع، 3: 38.

⁷ إعراب "موسى": منادى (علم مفرد) مبني على الضّمة المقدّرة على آخره؛ منع من ظهورها التعذّر، في محلّ نصب.

⁸ الأنباري، الإنصاف، 1: 304.

ب-المنادى النكرة المقصودة¹: وهو الاسم النكرة التي زال إبهامه بسبب ندائه، ويقصد تعيينه²، والاتجاه إليه وحده بالخطاب؛ فيصير معرفة دالة على واحد معين بعد أن كان دالاً على واحد غير معين³، نحو: "يا رجل" منادياً بذلك رجلاً بعينه⁴.
وحكم المنادى النكرة المقصودة كحكم المنادى المفرد العلم، إذ يُبنى على ما يُرفع به⁵، فنقول في: "يا رجل"، منادى مبني على الضم في محل نصب، وفي: "يا رجلان" منادى مبني على الألف؛ لأنه مثنى، في محل نصب، وفي: "يا مسافرون" منادى مبني على الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، في محل نصب⁶.

وأما بالنسبة للعلم الذي بُني أصلاً، نحو: "يا سيبويه"، و"يا خمسة عشر"، فإنه يُبنى تقديرًا عند جمهور النحاة، وهذا ما عبّر به ابن مالك بقوله: "المبني على ضربين: مبني بناءً متجددًا لسبب النداء⁷، ومبني بناءً غير متجدد بسبب النداء⁸. فالأول يُبنى على ضمة ملفوظ بها، نحو: "يا زيد"، و"يا رجل". ومقدرة نحو: "يا مولى"، و"يا هادي"، و"يا فتى". وعلى ألف، نحو: "يا زيدان". وعلى واو، نحو: "يا زيدون". والثاني مبني في التقدير على ضمة، وفي

¹ إن مصطلحي النكرة المقصودة- ضمن أقسام المنادى المبني- والنكرة غير المقصودة- ضمن أقسام المنادى المُعَرَّب- قد يلتبس على كثير من الدارسين، لا سيما أن الفرق الرئيس بينهما يكمن في نية المنادي (المخاطب) للمنادى (المخاطب) على جهة القصد أو غير القصد، بكلمات أخرى على نية تخصيص المنادى أو تعميمه. وهذا الفرق هو فرق دقيق يحتاج إلى معرفة- ليست باليسيرة- بحدسٍ وأفقي لغويين، مما قد يُصعب الأمر ويجعله معقدًا ذا إشكالٍ على الدارس- من جهة- في فهم المادة اللغوية، وعلى المدرس- من جهة أخرى- في نقل المادة اللغوية إلى أذهان طلابه.

² ابن الخباز، التوجيه، 319.

³ حسن، النحو الوافي، 4: 25؛ النادري، 729.

⁴ الجرجاني، المقتصد، 2: 755.

⁵ ابن الخباز، التوجيه، 319؛ الشرتوني، 163.

⁶ نديم دكور، القواعد التطبيقية، 304.

⁷ يقصد بذلك البناء العارض.

⁸ يقصد بذلك البناء اللازم (الأصلي).

اللفظ على ما كان مبنياً عليه قبل النداء، نحو: "يا هؤلاء"، و"يا سيبويه"¹، و"يا رقاش"، و"يا خمسة عشر". وهذه الأنواع كلها داخله في قولي: يُبْنَى المنادى لفظاً أو تقديرًا على ما كان يُرْفَعُ به"².

والأمرُ اللافتُ ها هنا أنَّ السَّيْوَطِيَّ ذَكَرَ أَنَّ الرِّيشِيَّ كَانَ قَدْ زَعَمَ أَنَّ المَنادى العَلمَ المَفرَدَ والنَّكَرَةَ المَقْصُودَةَ مُعَرَّبَانِ، وَأَنَّ الضَّمَّةَ فِيهِمَا هِيَ ضَمَّةُ إِعْرَابٍ لَا بِنَاءٍ. ثُمَّ أَضَافَ- السَّيْوَطِيَّ- أَنَّ بَعْضَ الكُوفِيِّينَ جَعَلَ المَثْنَى والْجَمْعَ مَنْصُوبَيْنِ بِالْيَاءِ؛ حَمَلًا عَلَى المَنادى المَضافِ³.

1.8.3. المَنادى المَبْنَى بَيْنَ البِنَاءِ وَالرَّفْعِ:

رَأَيْنَا أَنفَاءً، مِنْ خِلَالِ عَرْضِنَا لِأَقْسَامِ المَنادى المَعْرَبِ والمَبْنِيِّ، أَنَّ ثَمَّةَ خِلَافًا بَيْنَ النُّحَاةِ فِيهَا إِذَا كَانَ المَنادى المَفرَدُ العَلمُ مَبْنِيًّا، أَمْ مَرْفُوعًا؟

فَقَدْ ذَهَبَ جَمَهُورُ الكُوفِيِّينَ إِلَى أَنَّ المَنادى المَفرَدَ العَلمَ مُعَرَّبٌ مَرْفُوعٌ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ⁴، خِلَافًا لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَهُورُ البَصْرِيِّينَ عَلَى أَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ وَلَا يَلَحَقُهُ تَنْوِينٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ⁵. فَمَا كَانَ مِنَ الزَّيْنِدِيِّ [....-802هـ، ...-1399م] إِلَّا أَنْ يَطْعَنَ فِيهَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الكُوفِيُّونَ، فيَقُولُ: "ذَهَبَ الكُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّ الاسْمَ المَنادى المَفرَدَ المَعْرِفَةَ مَعَرَّبٌ مَرْفُوعٌ وَاحْتَجَّوا بِحُجَّةٍ وَاهِيَةٍ"⁶. إِذْنِ هِيَ- عِنْدَهُ- حُجَّةٌ وَاهِيَةٌ ضَعِيفَةٌ لَا تَسْتَنْدُ إِلَى أُسَاسٍ مَعْقُولٍ وَمَتِينٍ. بَلْ إِنَّ الأَمْرَ فِي الرِّفْضِ وَالطَّعْنِ كَانَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ، فَهِيَ هُوَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ [513-577هـ، 1119-

¹ تُعَرَّبُ "سَيبُوئِهِ": مَنادى مَبْنَى عَلَى الضَّمَّةِ المَقْدَرَةِ عَلَى آخِرِهِ: مَنَعَ مِنْ ظُهُورِهَا حَرَكَةُ البِنَاءِ الآخِرِ، فِي مَحَلِّ نَصْبٍ.

² ابن مالك، شرح التَّسْهِيلِ، 3: 392.

³ السَّيْوَطِيَّ، الِهْمْع، 3: 38.

⁴ ابن الأنباري، الإِنْصَافُ فِي مَسَائِلِ الخِلَافِ، 1: 301؛ الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الجَلَّالِ، الإِعْرَابُ فِي تَيْسِيرِ الإِعْرَابِ (الإِسْكَندَرِيَّةُ: دَارُ الإِيْمَانِ، 2005)، 157.

⁵ ابن أبي بَكْرٍ الشَّرْجِيّ الزَّيْنِدِيُّ، ائْتِلَافُ النُّصَرَةِ فِي اخْتِلَافِ نُحَاةِ الكُوفَةِ والبَصْرَةِ (بِירוْت: عَالَمُ الكُتُبِ- مَكْتَبَةُ التَّهْضَةِ العَرَبِيَّةِ، 1987)، 45؛ ابن هِشَامِ الأَنْصَارِيُّ، شَرْحُ جَمَلِ الزَّجَاجِيِّ (بِירוْت: عَالَمُ الكُتُبِ، 1986)، 228؛ سَيْبُوئِهِ، الكِتَابُ، 2: 186؛ المَبْرِدُ، المُقْتَضَبُ، 3-4: 463.

⁶ الزَّيْنِدِيُّ، ائْتِلَافُ النُّصَرَةِ فِي اخْتِلَافِ نُحَاةِ الكُوفَةِ والبَصْرَةِ، 45.

[1181م] يُحاورُ الكوفيّين، فيُجري جَدَلًا مطوَّلًا في كتابه "الإنصاف" حَوْلَ مسألةِ الرفعِ قائلاً: "وأما الجواب عن كلمات الكوفيّين، أمّا قولهم: إنّ المنادى لا مُعَرَّبَ له يصحُّبه، قلنا" لا نسلّم، وقولهم: إنّنا رفعناه، قلنا: وكيف رَفَعْتُمُوهُ ولا رافعَ له؟ وهل لذلك قَطُّ نظيرٌ في العربيّة؟ وأين يوجدُ فيها مرفوعٌ بلا رافعٍ، أو منصوبٌ بلا ناصِبٍ، أو مخفوضٌ بلا خافِضٍ؟ وهل ذلك إلّا تحكّمٌ مَحْضٌ لا يستندُ إلى دليلٍ؟! ثمّ نقول: ولم رَفَعْتُمُوهُ بلا تنوينٍ؟ قولهم: ليكونَ بَيْنَهُ وبَيْنَ ما هو مرفوعٌ برافِعٍ فرقٌ، قلنا: هذا باطلٌ؛ فإنّ فيما يرفع بغير تنوين ما هو صحيحُ الإعرابِ، وذلك الاسمُ الَّذي لا ينصرف¹.

ولكنّ ها هو ابنُ شقيرٍ البغداديُّ [...] 317هـ، ...-929م]- مِنَ النُّحَاةِ البصريّين يُشيرُ إلى المنادى المفرد بالرفع، بل إنّهُ يُعَنُونُ عنوانًا فرعياً بقوله: "الرفع بالنداء المفرد"².

وكانَ للفرّاءِ [140-207هـ، 757-822م] مِنَ الكوفيّين رأيٌ آخَرُ في هذا الصّدَدِ، فَذَهَبَ إلى أنّ المنادى المفردُ العَلَمَ مَبْنِيٌّ على الضّمِّ- كما ذهب إليه البصريّون- ولكنّه عنده ليس بفاعلٍ ولا مفعولٍ³.

كما احتجَّ جمهورُ النُّحَاةِ البصريّين في بناءِ المنادى على الضّمِّ بأنّ مَوْضِعَ كُلِّ منادى منصوبٌ؛ ولأنّ حرفَ النّداءِ نابٍ عن الفعل، فإذا قُلْتَ: "يا زَيْدٌ"، فالمعنى: "أدعو زَيْدًا"، فقام (يا) مقام (أدعو)، وإنّما بُنيَ؛ لأنّه يُشَبِّهُ كافَ الخطاب، ووقع موقع اسم الخطاب، فكان مَبْنِيًّا مِثْلَهُ في قولنا: أدعوك، مِنْ حَيْثُ الإفراد والتّعريف والخطاب ووقوعه مَوْقِعُهُ. وإنّما بُنيَ على حركة الضّمِّ فَرَقًا بَيْنَ ما كان بناؤُهُ لازماً وبَيْنَ ما كان بناؤُهُ عارضاً، وكذلك لِأنّه لو بُنيَ بالكسر لالتبسَ بالمضاف إلى ياء المتكلّم المحذوفة اكتفاءً بالكسر عن الياء، نحو: يا

¹ الأتباري، الإنصاف، 1: 304-305.

² أحمد بن الحسن بن شقيرٍ البغداديّ، المُحَلَّى- وجوه النّصب (إريد: مؤسّسة الرّسالة- دار الأمل، 1987)، 112.

³ محمّد بنُ عليّ الصّبّان، حاشية الصّبّان على شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1997)، 3: 205؛ أبو البقاء العُكْبَرِيّ، التّبَيّن، 438-439.

غلام، ولو بُنيَ على الفتح لالتبسَ بالمنادى المضاف المحذوف ألفه اكتفاءً بالفتحة في بعض اللغات، نحو: يا غلام¹.

وقد بينَ سيبويه ما قال به الخليل بن أحمد في علّة بناء المفرد أنّه عندما اختصر الكلام عمّا عليه أصلاً في المنادى المضاف، والنكرة غير المقصودة، اللذين نصبا حين طال الكلام في قولهم: "يا عبد الله" و"يا أخانا"، وفي قولهم: "يا رجلاً صالحاً" كما نصبوا: "هو قبلك"، و"هو بعدك"، وكذلك؛ لأنّ المنادى المفرد يُشابهُ بناءً "قبل"، و"بعد"، فموضعهما واحد، وذلك قولك: "يا زيد"، و"يا عمرو"، فقد تركوا التنوين في المفرد كما تركوه في "قبل"².

وفصل المبرّد هذا الاحتجاج تفصيلاً إضافياً، حين شبّه المنادى في التّصّب والضّمّ بالغايات³، كما فعل الخليل وسيبويه، حيث قال: "فإن كان المنادى واحداً مفرداً معرفةً بُنيَ على الضّمّ، ولم يُلحَقْهُ تنوينٌ. وإنّما فُعلَ ذلك به: لإخروجه عن الباب، ومشابهته ما لا يكون مُعَرَّباً، وذلك إنك إذا قلت: "يا زيد" و"يا عمرو" فقد أخرجته من بابه؛ لأنّ حدّ الأسماء الظّاهرة أن تُخبر بها واحد عن واحد غائب، والمخبر عنه غيرها، فتقول: قال زيد، فزيدٌ غيرك وغير المخاطب، ولا تقول "قال زيد" وأنتَ تَعْنِيهِ، أعني المخاطب. فلما قلت: "يا زيد" خاطبته بهذا الاسم، فأدخلته في باب ما لا يكون إلا مبنياً، نحو: "أنت"، و"إياك"، و"التاء" في "قُمْتُ"، و"الكاف" في "ضربتُك"، و"مررتُ بك". فلما أخرج من باب المعرفة، وأدخل في باب المبنية، لزمه مثل حُكْمِها، وبنيتها على الضّمّ؛ لِتُخَالِفَ به جهة ما كان عليه مُعَرَّباً؛ لِأنّه دخل في باب الغايات⁴. ألا ترى أنّك تقول: "جئتُ قبلك"، و"من قبلك"، فلما صار غايةً- لما أذكره في موضعه- قلت: "جئتُ قبلَ يا فتى"، و"جئتُ من قبلُ"، قال الله- عزّ

¹ أبي البركات الأنباري، الإنصاف، 1: 301؛ الشرجي، انتلاف النُصرة، 45-46.

² سيبويه، الكتاب، 2: 182-183؛ الصّبّان، حاشية الصّبّان 3: 203.

³ سُمِّيَتْ بالغايات- كما يقول المطرزي- على معنى غاية المضاف إلى المضاف إليه، فلما انقطع عنهنّ صِرْنَ حدوداً ينتهي الكلام عندها، نحو قولك: "جئتكَ من قبل زيد"، ثُمَّ تتركُ الإضافة وتنوِينُها، فتقول: "جئتكَ من قبل". انظر: المطرزي، المصباح في علم النحو، 53.

⁴ ابن السّراج، الأصول، 1: 333.

وجل: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ}¹. وكذلك تقول: "جئْتُ في أوَّل النَّاسِ"، وتقول: "ابْدَأْ بهذا أوَّلُ يا فتى"، لَمَّا خَرَجَ من باب الإعرابِ، فصار غايةً، خُولِفَ به عن جهته².

أما الكوفيّون فاحتجّوا بأنهم وجدوا المنادى المفردَ العَلَمَ لا مُعَرِّبَ له يصحبه مِنْ رافعٍ ولا ناصبٍ ولا خافضٍ (مجرور)، ووجدوه مفعولَ المعنى، فلم يخفِضوه كي لا يشبه المضاف، ولم ينصبوه كي لا يشبه الممنوع من الصّرف، فهو بهذا يحتمل وجهين، لهذا رفعوه بلا تنوين؛ لِيَكُونَ بَيِّنُهُ وَيُنَّ ما هو مرفوعٌ برافِعٍ صحيحٍ فرُقُ³. وَيُنَسَّبُ إلى الكسائي قولُ بَأَنَّ المنادى المفردَ المَعْرِفَةَ مرفوعٌ؛ لِتَجَرُّدِهِ من العواملِ اللَّفْظِيَّةِ⁴.

كما احتجَّ الكوفيّون كذلك بأنَّ المنادى المفردَ هو اسمٌ معرَّبٌ قبلَ النِّداءِ، ولم يحدثْ بالنِّداءِ ما يُوجِبُ البناءَ، ألا ترى أنَّ المضافَ والمُشَابِهَ له (الشَّبِيهَ بالمضاف) مُعَرِّبانِ مَعَ وجودِ حرفِ النِّداءِ، فكذلك غيّرُ المضافِ، وإنَّما رُفِعَ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ هو الرُّفْعُ، ولم يحدثْ ما يغيِّرُهُ عَنِ الْأَصْلِ، فَسَقَطَ التَّنْوِينُ⁵.

وأصلُّ أسلوبِ الضَّمِّ للعلم المفرد عندَ الفراءِ الكوفيِّ هو أَنَّ "يا زَيْدُ" أصلُها "يا زَيْداه" كالنُّدْبَةِ، حيثُ وُضِعَ الاسمُ المنادى بين "يا" و"الألف"؛ لِيَكُونَ بَيْنَ صَوْتَيْنِ مديدَيْنِ، ثُمَّ اكتفى بـ"يا" ونوى الألف فصار كالغايات، بمعنى أَنَّ الْأَلْفَ حُذِفَتْ وهي في نِيَّتِهِمْ، فَبَيَّنِيَ على الضَّمِّ، تمامًا كما يحدثُ تمامًا مَعَ "قَبْلُ" و"بَعْدُ"⁶ اللَّتَيْنِ انْقَطَعَتَا عَنِ الْإِضَافَةِ، فهي تُبْنَى

¹ القرآن الكريم، الروم: 4.

² يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل للزمخشري (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001)، 312-322؛ المبرد، الْمُفْتَتَضَب، 4: 463-464؛ سيبويه، الكتاب، 2: 182-183.

³ ابن الأنباري، الإنباف، 1: 301.

⁴ رضي الدين محمد بن الحسن الأسترباذي، شرح كافية ابن الحاجب (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998)، 1: 314.

⁵ أبو البقاء العكبري، التبيين، 439.

⁶ أبو البقاء العكبري، التبيين عن مذاهب التّحويين البصريين والكوفيّين، 440؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 322.

على الضمّ إذا حُذِفَ المضافُ إليه وكان في النِّية¹. ثُمَّ يَرُدُّ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ على أقوالِ الفراءِ حَوْلَ أصلِ الضمِّ للعلمِ المفردِ، فيقولُ إنّ ما يذهبُ إليه الفراءُ في أنّ الأصلَ في النداءِ أن يُقالَ: "يا زَيْداه" كالندبةِ فهو عبارةٌ عن مجردِ دعوى تفتقرُ إلى دليلٍ. وقولُ الفراءِ إنّ الألفَ المزيدةَ في آخرِهِ بِمَنْزِلَةِ المضافِ إليه "مِنْ قَبْلُ" و"مِنْ بَعْدُ"، إنّما يُبْطِلُ المنادى المضافَ، نحو: "يا عبدَ عمرو"؛ فإنّه يفتقرُ في بابِ الصَّوتِ إلى ما يفتقرُ إليه المفردُ، فكان يجبُ أن يُقالَ: "يا عبدَ عمرو" بالضمِّ؛ لأنَّ أصلَهُ: يا عبدُ عمراه².

وأشار ابنُ قُتَيْبَةَ الدِّينُورِيُّ إلى أنّ المنادى المفردَ لَمْ يَنْوُنْ؛ لأنَّ العربَ شَهَّتُهُ بالاسمِ غيرِ الْمُتَمَكِّنِ، فصارَ كالاسمِ المُبْهِمِ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ إِذَا قُلْتَ: هذا، أو كالصَّوتِ، نحو: جَوْتُ³ حينَ نَزَجُرُ الْجَمَلَ⁴.

وكان لأبي الحسنِ الوَرَّاقِ [...] (381هـ، ...991م) تفسيرٌ فلسفيٌّ حَوْلَ عِلَّةِ بناءِ الاسمِ المنادى المفردِ، ونَصَبِ الاسمِ المنادى المُضَافِ مَعَ أنّ التَّقْدِيرَ في كلا الحالتَيْنِ واحدٌ، فـ "يا زيدُ" تقدِيرُها: "أدعو زَيْدًا"، و"يا عبدَ اللَّهِ" تقدِيرُها: "أدعو عبدَ اللَّهِ"، فلماذا- إذن- اِخْتَلَفَ الوَضْعُ إِذَا جِيءَ بِحَرْفِ النِّداءِ "يا"؟

¹ رضي الدين الأستراباذي، شرح الرضوي، 1: 314-315؛ أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، 171-172، ابن السراج، الأصول، 1: 333.

² ابن الأنباري، الإنصاف، 1: 305.

³ جاء في لسان العرب أنّ "جَوْتُ" تعني دعاء الإبل إلى الماء، فإذا أدخلوا عليه الألف واللام تركوه على حاله قبل دخولهما، فقد أُنْشِدَ الكسائيُّ:

"دَعَاهُنَّ رِدْفِي فَارْعَوَيْنَ لَصَوْتِهِ كَمَا رُعْتَ بِالْجَوْتِ الظَّمَاءَ الصَّوَادِيَا"

وَوَرَدَ أَنَّ أَبَا عمرو- أحد النُّحَاةِ المشهورين- كان يَكْسِرُ النَّاءَ "جَوْتِ". وضبطها الفيروزآبادي بالضمِّ "جَوْتُ"، وقال إنّ معناها دعاءٌ للإبل إلى الماء، أو زَجْرُهَا. (انظر: ابن منظور، لسان العرب (القاهرة: دار الحديث، 2003)، 2: 252-253؛ محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت)، 1: 178.

⁴ عبد الله بن مُسْلِم بن قُتَيْبَةَ الدِّينُورِيُّ، كتاب تلقين المتعلّم من النّحو (إد. م.: [د. ن.]، 1989)، 191.

فُجِيبَ الْوَرَّاقُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ فِي قَوْلِهِ "يَا زَيْدٌ" لَيْسَ مُقْبِلًا عَلَى مُخَاطَبِ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ زَيْدٍ، إِنَّمَا الْخِطَابُ مُوجَّهٌ فِيهِ لَزَيْدٍ، وَأَمَّا إِذَا قُلْتَ: "دَعَوْتُ أَوْ أَدَعُو زَيْدًا" فَإِنَّ الْمُتَكَلِّمَ مُخَاطَبٌ غَيْرُ زَيْدٍ هَذَا، وَلَوْ خَاطَبْتَ هَذَا زَيْدًا لَقُلْتَ: "دَعَوْتُكَ"، وَلَمْ تَقُلْ: "دَعَوْتُ زَيْدًا"؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ هُنَا هُوَ تَأْوِيلُ فِعْلٍ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى خِطَابٍ، فَجَاءَ زَيْدٌ بَيْنَ حَالَتَيْنِ: بَيْنَ الْمُخْبَرِ عَنْهُ - وَهُوَ غَائِبٌ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؛ لِأَنَّهُ مُعْرِضٌ عَنْكَ، وَبَيْنَ الْمُخَاطَبِ؛ لِأَنَّكَ تَرِيدُ غَيْرَهُ؛ لِهَذَا شَابَهُ الْمُكْنِي؛ لِأَنَّكَ إِذَا خَاطَبْتَ فَإِنَّمَا تَقُولُ: أَنْتَ فَعَلْتَ، وَإِيَّاكَ أَرَدْتُ، وَهُمَا اسْمَانِ مَبْنِيَّانِ، وَعِنْدَمَا خَوَّطَبَ الْمُنَادِي بِاسْمِهِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْحَدِيثُ عَنْهُ عِنْدَ مَنْ يُخَاطَبُ، صَارَ غَيْرُ مُتَمَكِّنٍ¹ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، فَعَدَلَ عَنِ الْإِعْرَابِ (التَّنْصِبِ) إِلَى الْبِنَاءِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ مَوْقِعَ اسْمٍ مَبْنِيٍّ².

وَفِي الْمَقَابِلِ، حَاوَلَ النَّحَاةُ الْقَدَمَاءُ تَفْسِيرَ عِلَّةِ كَوْنِ حَرَكَةِ الْمُنَادِي الْمَفْرَدِ ضَمًّا، بِمَعْنَى: لِمَ كَانَتْ حَرَكَةُ بِنَاءِ الْمُنَادِي الْمَفْرَدِ الضَّمَّ وَلَيْسَ الْفَتْحُ أَوْ الْكَسْرُ، وَلَمْ صَارَ الضَّمُّ أَوَّلَى مِنْ سَائِرِ الْحَرَكَاتِ؟

فَقَدْ ذَهَبَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ إِلَى أَنَّهُ لَوْ بُنِيَ عَلَى الْفَتْحِ؛ لَأَلْتَبَسَ بِالْأَسْمِ الْمَمْنُوعِ مِنَ الصَّرْفِ، وَلَوْ بُنِيَ عَلَى الْكَسْرِ؛ لَأَلْتَبَسَ بِالْمُنَادِي الْمُضَافِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ حِينَ تُحْدَفُ الْيَاءُ اخْتِيَارًا، وَيُجْتَزَأُ بِالْكَسْرِ عَوَضًا عَنْهَا نَحْوُ: "يَا غُلَامٌ" الَّتِي أَصْلُهَا "يَا غُلَامِي"، فَلَوْ كَسَرْتَ الْمُنَادِي لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ مُفْرَدٌ أَوْ مُضَافٌ، وَإِذَا بَطُلَ بِنَاؤُهُ عَلَى الْكَسْرِ وَالْفَتْحِ؛ تَعَيَّنَ بِنَاؤُهُ عَلَى الضَّمِّ³. وَذَهَبَ الْوَرَّاقُ إِلَى أَنَّ الْفَتْحَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلٍ لَوْ بُنِيَ عَلَيْهِ الْمُنَادِي الْمَفْرَدُ لَمْ يُعْلَمْ أَمْعَرَبٌ هَذَا أَمْ مَبْنِيٌّ، وَلَوْ نَادَيْتَهُ وَفَتْحْتَهُ لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى أَصْلٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ الْمُنَادِي أَوْ

¹ الاسم المتمكن هو ما تغير آخره بتغير العوامل في أوله، ولم يشابه الحرف، نحو قولك: هذا زيد. ورأيت زيدا، ومررت بزيدا. والاسم غير المتمكن خلاف ذلك. وقيل إن الاسم المتمكن هو ما يجري عليه الإعراب، وغير المتمكن هو ما لا يجري عليه الإعراب. انظر: الجرجاني، التعريفات، 31.

² محمد بن عبد الله الوراق، علل النحو (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002)، 462.

³ الأنباري، أسرار العربية، 171؛ الوراق، علل النحو، 463؛ ابن الخباز، توجيه اللمع، 318-319؛ الأنباري، الإنصاف، 1: 303-304؛ الشرجي الزبيدي، انتلاف النضرة، 45-46.

مبنيٍّ، فَسَقَطَ الْفَتْحُ فَرَقًا بَيْنَ مَا كَانَ بِنَاؤُهُ لِزِمًا، وَبَيْنَ مَا كَانَ بِنَاؤُهُ عَارِضًا¹.

وَبَرَزَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ ذَلِكَ بَوَجهٍ آخَرَ ذَاكِرًا أَنَّ الْمُنَادَى الْمَفْرَدَ بُنِيَ عَلَى الضَّمِّ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ غَايَةً يَتَمُّ بِهَا الْكَلَامُ، وَيَنْقَطِعُ عِنْدَهَا، أَشْبَهَ "قَبْلَ" وَ"بَعْدَ" فَبَنَوَهُ عَلَى الضَّمِّ كَمَا بَنَوَهُمَا عَلَى الضَّمِّ².

وِيرَى ابْنُ عَصْفُورٍ أَنَّ حَالَةَ الْبِنَاءِ فِي الْمُنَادَى الْمَفْرَدِ إِنَّمَا هِيَ حَالَةُ طَارِئَةٍ عَلَى أَصْلِ الْأَسْمَاءِ، حَيْثُ إِنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَسْمَاءِ هُوَ أَنْ تَكُونَ مُعَرَّبَةً، وَلَيْسَتْ مَبْنِيَّةً، فَإِنَّ حَدَثَ أَنْ بُنِيَ اسْمٌ، نَحْوَ الْمُنَادَى الْوَاحِدِ الْمَفْرَدِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ فَرْعًا³، أَوْ كَمَا وَصَفَهُ الْمُبَرِّدُ؛ إِنَّمَا بُنِيَ عَلَى الضَّمِّ؛ لِخُرُوجِهِ عَنِ الْبَابِ، وَمِشَابَهَتِهِ مَا لَا يَكُونُ مُعَرَّبًا⁴.

وَإِنَّ مِنَ اللَّاقِتِ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ مَا تَوَجَّهَ بِهِ ابْنُ بَرَهَانَ الْعُكْبَرِيُّ، فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي عِلَّةِ الْمُنَادَى الْمَبْنِيِّ أَنَّهُ لَا وَجْهَ لِتَعْلِيلِهِ، وَإِنَّمَا يُعْلَلُ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِحْسَانِ؛ لِهَذَا فَإِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ فِي بِنَاءِ الْمُنَادَى الْمَفْرَدِ، نَحْوُ: "يَا زَيْدٌ"، وَ"يَا رَجُلٌ" بِأَنَّهُ يُشَابَهُ الْكَافَ فِي "أَدْعُوكَ"⁵، وَ"أُنَادِيكَ" فِي أَرْبَعَةِ أَوَاجِهٍ: أَتَاهُمَا مَفْرَدَانِ، وَمَخَاطَبَانِ، وَمَعْرِفَتَانِ بَغَيْرِ إِضَافَةٍ، وَغَيْرُ عَامِلَيْنِ فِيمَا بَعْدَهُمَا⁶.

1.8.4. تنوين المنادى المبني!

نَوَّهَ النَّحَاةُ إِلَى أَنَّ الْمُنَادَى الْعَلَمَ الْمَفْرَدَ قَدْ يُنَوَّنُ؛ لِلضَّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ، بَلْ يَذْكُرُ السَّيَوِطِيُّ أَنَّ

¹ الشَّرْجِي، 46.

² الْأَنْبَارِيُّ، أَسْرَارُ الْعَرَبِيَّةِ، 171؛ ابْنُ الْخَبَّازِ، تَوْجِيهِ اللَّمَعِ، 319؛ ابْنُ يَعِيشَ، شَرْحُ الْمَفْصَلِ، 1: 322.

³ ابْنُ عَصْفُورٍ، شَرْحُ جَمَلِ الرَّجَاحِيِّ، 2: 475-478.

⁴ الْمُبَرِّدُ، الْمُفْتَضِّلُ، 4: 463.

⁵ الْخَضِرِيُّ، 2: 72.

⁶ ابْنُ بَرَهَانَ الْعُكْبَرِيُّ، شَرْحُ اللَّمَعِ، 1: 273.

⁷ يَبِينُ ابْنُ عَصْفُورٍ الْإِشْبِيلِيَّ أَنَّ الْمُنَادَى إِذَا نُونٌ؛ لِلضَّرُورَةِ هُوَ كَالِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ عِنْدَمَا يُنَوَّنُ. انْظُرْ:

ابْنُ عَصْفُورٍ، شَرْحُ جَمَلِ الرَّجَاحِيِّ، 2: 192-193.

هذا الأمر فيه إجماعٌ بين النُّحاة¹. فإنَّ لِحِقَّتَهُ تنوينٌ ففيه مذهبان، الرُّفْعُ النَّصْبُ². أمَّا وجهُ الرُّفْعِ- وهو الأكثرُ على حدِّ قولِ ابنِ مالك³- فهو مذهبُ الخليل، وسيبويه، والمازني، مستشهدين بقولِ الأُحوص:

"سلامُ اللهِ يا مَطَرٌ عَلَيْهَا وليسَ عَلَيْكَ يا مَطَرُ السَّلامُ"

وعَلَّلُوا الرُّفْعَ بعلامةِ تنوينِ الضَّمِّ بأنَّ لفظَهُ السَّابِقَ كان الضَّمُّ؛ لهذا فإنَّه يُحْمَلُ على لَفْظِهِ⁴. وأضافَ ابنُ الأثير [544-606هـ، 1150-1210م] أنَّ المنادي العَلَمَ المفردَ يُشَابِهُ الاسمَ الممنوعَ مِنَ الصَّرْفِ، وحينَ حُمِلَتْ صَفَتُهُ على لَفْظِهِ جُعِلَ مَعَ التَّنوينِ على ما كان عليه⁵، كما إذا اضْطُرَّتْ إلى تنوينٍ "أحمد"⁶.

ونَقَلَ البغداديُّ [1030-1093هـ، 1621-1682م] روايةً لِلنَّحَّاسِ تحكي أنَّ سيبويه سَمِعَ عن عيسى بنِ عمرٍ يقولُ: "يا مَطَرًا" بالنَّصْبِ، ثم أضافَ البغداديُّ أنَّ الأُخفش روى ذلكَ أيضًا؛ معللاً نَصْبَهُ بأنَّه نَكْرَةٌ⁷.

وأما وَجْهُ النَّصْبِ فهو مَذْهَبُ أبي عمرو بنِ العلاء، ويونس، والجرمي، والمبرد، وينشدون مستشهدين ببيتِ المهلهل بنِ ربيعة:

"ضَرَبْتُ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتَكَ الْأَوَاقِي"

¹ السيوطي، الهَمْع ، 3: 41.

² المبرد، المقتضب، 4: 469؛ البهرمي، المحرر، 2: 749-750.

³ ابن مالك، شرح التسهيل، 3: 396.

⁴ سيبويه، الكتاب، 2: 202؛ الزَّجَاجِي، الجمل، 166؛ السيوطي، الهَمْع، 3: 41، الأشموني، شرح الأشموني، 2: 145-146.

⁵ البغدادي، خزانة الأدب، 2: 132.

⁶ ابن الأثير، البديع في علم العربية، 2: 396؛ ابن عصفور، شرح جمل الزَّجَاجِي، 2: 192.

⁷ البغدادي، الخزانة، 2: 133.

وهم بذلك يعيدون المنادى إلى أصله¹؛ لأنَّ أصلَ المنادى أن يكون منصوبًا، أو- كما يُبيِّن ابن الأثير- أنَّه يُشابه الاسم الممنوع من الصرفِ المجرور فيرُدُّ إلى حالته الأصلية².

وقد رجَّح ابن مالك أنَّ تنوين الضَّمِّ يكون في العَلَم، وتنوين النَّصْب في النِّكْرَة المقصودة³؛ لأنَّ شبيهها بالمضمَّر أضعفُ، فيقول: إنَّ بقاء الضَّمِّ في العلم أولى من النَّصْب، وبقاء النَّصْب في غيرِ العَلَم أولى من الضَّمِّ؛ لأنَّ سبب البناء في العلم أقوى منه في اسم الجنس المعين المقصود، ولأنَّ نصْب العربِ العَلَم المضطرَّ إلى تنوينه قليلٌ، ونصْبهم اسم الجنس المضطرَّ إلى تنوينه كثيرٌ⁴.

ولكنَّ السيوطي لم يقبل هذا الرأي، بل أكَّد أنَّه رأيٌ انفرد به ابن مالك وحده حينما عبَّر عن ذلك بقوله: "... ولم أقف على هذا الرأي لأحدٍ"⁵. وقد ذهب السيوطي إلى خلاف ذلك، قائلاً: "وعندي عكسه، وهو اختيار النَّصْب في العَلَم؛ لعدم الإلباس فيه، والضَّم في النكرة المعينة؛ لئلا يلتبس بالنكرة غير المقصودة، إذ لا فارق حينئذ إلا الحركة؛ لاستوائهما في التنوين"⁶.

وفي السياق نفسه، يوضِّح أبو حيَّان الأندلسي أنَّه إذا نُعت المنادى المضمومُ المنونُ اضطرارًا بالمفرد جاز في هذا النعت أن يكون مرفوعًا أو منصوبًا، نحو: "يا زيدُ العاقلُ أو العاقل"، أما إذا نُعت به المنصوبُ لم يجز في النعت إلا النَّصْب، نحو: "يا زيدًا العاقل" ولم يجز: "يا زيدًا العاقل"، ولو كان المنادى المنونُ مقصورًا نحو: "يا فتى"، فإن اعتقدت أنه

¹ المبرِّد، المقتضب، 4: 470؛ الرَّجَاجِي، الجمل، 166-167؛ السيوطي، الهَمْع ، 3: 41.

² ابن الأثير، البديع، 2: 397؛ الصَّيْمَرِي، التَّبصرة والتَّذكرة، 354-355.

³ ابن مالك، شرح التَّسهيل، 3: 396؛ أبو حيَّان، ارتشاف الضَّرَب، 4: 2191.

⁴ ابن مالك، شرح الكافية، 2: 9.

⁵ السيوطي، الهَمْع ، 3: 43.

⁶ السيوطي، 3: 44-43.

⁷ هذا المثال وما يليه نُؤنَّ على افتراض تنوين المنادى اضطرارًا.

منصوبٌ لم يَجُزْ في نَعْتِهِ إِلَّا التَّصْبُ، وَإِنْ اِعْتَقَدْتَ أَنَّهُ مَضمومٌ جازَ في نَعْتِهِ الرَفْعُ والنَّصْبُ¹.

1.9. اللّهُمَّ في ميزان النُّحاة:

لَاقَتْ مسألة الميمِ في "اللّهُمَّ" خلافاً واضحاً بين مدرستي البصرة والكوفة على مستوى نحويّ، وآخر صرفيّ- اشتقاقيّ، ممّا جعلَ الأنباريّ يُعَنُونُ هذه المسألة بسؤاله: "القولُ في الميمِ في "اللّهُمَّ": أهي عَوْضٌ من حرفٍ نداء أم لا؟"².

فقد ذَهَبَ النُّحاةُ البصريُّون- وهو مذهبُ الخليل³- إلى أَنَّ أصلَ "اللّهُمَّ" هو "يا الله"⁴، بدليل أنكَ لو أسَقَطْتَ الميمَ لوجبَ ذكر "يا" فتقول "يا الله"، والميمُ المُشَدَّدةُ⁵ زائدةٌ عندهم⁶، وهي عَوْضٌ عن حرفِ النِّداءِ "يا"⁷ الَّذي هو للتَّنْبِيهِ في النِّداءِ، والهَاءُ مَبْنِيَّةٌ على الضِّمِّ؛ لأنَّه منادى⁸ قد وَقَعَ عليها الإعرابُ⁹، ويُحتملُ أن يَكُونَ مَبْنِيًّا على ضَمِّ مُقَدَّرٍ على الميمِ لصيرورتها كالجزءِ منه، أي فيكونَ جَعْلُ حركَةِ البناءِ على الميمِ كَجَعْلِ حركَةِ الإعرابِ على الهاءِ، نحو: عدة، وزنة، وإنَّما أُخْرِتِ الميمُ تَبَرُّكًا بالابتداءِ باسمِ الله تعالى¹⁰. لهذا فلا

¹ أبو حيان، ارتشاف الضَّرَب، 4: 2191.

² ابن الأنباريّ، الإنصاف، 1: 317؛ العُكْبَرِيّ، التَّبْيِين، 449.

³ سيبويه، الكتاب، 2: 196؛ ابن عصفور، شرح جمل الزَّجَاجِيّ، 2: 207.

⁴ الأعلام الشَّنْتَمَرِيّ، النُّكْت، 2: 153؛ مُحَمَّد بن السَّيِّد حسن، الرِّامُوز على الصِّحاح (الجزائر: جامعة باتنة، 1984)، 26.

⁵ شَتَّه سيبويه الميم المُشَدَّدة في "اللّهُمَّ" بنون جمع المذكر السَّالم من حيثُ البناء. انظر: سيبويه، الكتاب، 2: 196.

⁶ ابن عقيل، المساعد، 2: 509.

⁷ جلال الدِّين السيَّوطي، الأشباه والنظائر في النُّحو (صُيدا- بيروت، المكتبة العصريّة، 1999)، 2: 189.

⁸ الأشموني، شرح الأشموني، 2: 147.

⁹ سيبويه، الكتاب، 2: 196.

¹⁰ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني، 3: 216؛ رضي الدِّين، شرح الكافية، 1: 349.

يجوز الجمعُ بَيْنَ العوضِ والمعْوَضِ عنه- أي بَيْنَ حرفِ النَّداءِ "يا" وبَيْنَ اللَّهْمِ"- كدليلٍ على أنَّها عَوْضٌ عنها¹، ويشيرون إلى أنَّ ما ورد في الشَّعر من قول أبي خراش الهذلي:

إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثَ أَلَمًا أَقُولُ يَا لَلَّهِمَّ يَا لَلَّهِمَّا

إنَّما هو شاذٌّ، جاء في ضرورةِ الشَّعر²، لا يُعْتَدُّ ولا يُؤْخَذُ به.

أما مذهبُ النَّحاةِ الكوفيِّين فهو أنَّ الميم في "اللَّهْمَّ" هي بقيَّةٌ من جملةٍ مُقْتَطَعَةٍ ومحدوفةٍ هي "أُمْنَا بخير"³، والتَّقدير: "يا الله أُمْنَا بخير"⁴، فالميم- عند الكوفيِّين ليست عَوْضًا عن حرفِ النَّداءِ، ولذلك أجازوا الجمعُ بَيْنَ حرفِ النَّداءِ "يا" وبين "اللَّهْمَّ"، الأمر الذي يرفضه البصريُّون، فما عدَّه النَّحاةُ البصريُّون من الضَّرورةِ الشَّعريةِ في "يا للهِمَّ يا للهِمَّا" إنَّما هو جائزٌ عند الكوفيِّين وليس بضرورةٍ شعريَّةٍ، بل يجوز أن يدخل حرف النَّداءِ "يا" على "اللَّهْمَّ" لأنَّ الميم ليست عوضًا من "يا"⁵، بل كان هذا البيْتُ وغيره⁶ ضمن احتجاجهم بصحَّة قولهم وسوء حجةِ البصريِّين.

وقد أضاف الكوفيُّون قولهم: "إنَّما قلنا ذلك؛ لأنَّ الأصلَ فيه "يا الله أُمْنَا بخير" إلَّا أنَّه لما كَثُرَ في كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا بعض الكلام طلبًا للخفَّة، والحذفُ في كلام

¹ ابن عصفور، شرح جمل الرَّجَاجِي، 2: 207؛ ابن الخَبَّاز، توجيه اللَّمَع، 327.

² عبد الرَّحمن بن إسحاق الرَّجَاجِي، الجُمَل (باريس: وزارة المعارف الوطنيَّة، 1957)، 176-177: الأشموني، شرح الأشموني، 2: 147-148؛ العُكْبَرِيُّ، التَّبَيِّن، 450-451؛ ابن مالك، شرح الكافية، 2: 10-11؛ رضي الدِّين، شرح الكافية، 1: 350؛ الأهدل، الكواكب الدَّرِّيَّة، 2: 335.

³ نَمَّةٌ خلافُ بَيْنَ النَّحاةِ الكوفيِّين في هذه الجملة، فمنهم من يقول إنَّها: "أُمْنَا بخير"، ومنهم من يقول: "أُمْنَا بخير"، ومنهم من يقول غير ذلك.

⁴ ابن عقيل، المساعد، 2: 510؛ الأشموني، شرح الأشموني، 2: 148؛ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 3: 217؛ خالد الأزهرِي، شرح التَّصريح، 2: 224.

⁵ السَّيُوطِي، الأشباه والنظائر، 2: 189؛ الأشموني، 2: 148؛ الصَّبَّان، 3: 216-217.

⁶ ليس هذا البيْتُ الوحيد الَّذي استشهد به النَّحاةُ، بل إنَّ هناك أبياتًا أخرى، نحو:

وما عليك أن تقولي كلِّمًا صليت أو سبحت يا للهِمَّا ما.

العرب لطلب الخفة كثير¹، ألا ترى أنهم قالوا: "هَلُمَّ"، و"وَيْلُمَّ"² والأصل فيه "هل أم"، و"ويل أمه".... وهذا كثير في كلامهم³.

وفند أبو البركات الأنباري ما ذهب إليه الكوفيتون في أصل "هَلُمَّ"⁴، حينما قاسوا "اللهم" عليها، فقال إنه لا يُسَلَّم بهذا الرأي، وإنما أصلها عنده "ها المم" فاجتمع ساكنان: الألف

¹ يُشَارُ إلى أَنَّ الْأَشْمُونِيَّ يَبَيِّنُ أَنَّ "ال" يُمَكِّنُ أَنْ تُحذفَ مِنْ "اللَّهُمَّ" كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

"لَاهُمَّ إِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتْ فلا يزال شاحجٌ يأتيك بع"

ثم يقول إن هذا كثير في الشعر. وذكر السيوطي شاهداً آخر للأعشى، يقول فيه: كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ يَسْمَعُهَا لَهُمُ الْكَبَارُ. وَعَلَّقَ أَنَّهُ هَاهُنَا شِدَّةُ اسْتِعْمَالِهِ عَنِ الْأَصْلِ انْظُرْ: الْأَشْمُونِي، شرح الأشموني، 2:

142: الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 3: 217-218، السيوطي، همع الهوامع، 3: 64.

² لَعَلَّ ذَلِكَ يَذْكُرُنَا بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي: "وَيْلُمَّهَا خُطَّةً وَيَلُمَّ قَابِلَهَا لِثُلْثِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقَوْدُ". يَقُولُ التَّبْرِيزِيُّ إِنَّ "وَيْلُمَّ" مِنْ شَوَادِّ الْكَلَامِ. وَهِيَ عَنْدهُمْ: "وَيَّ" الَّتِي تُسْتَعْمَلُ لِلتَّعَجُّبِ، ثُمَّ جَاءُوا بِاللَّامِ الْخَافِضَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَضْمُهَا؛ لِإِسْقَاطِ الْهَمْزَةِ فِي "أَمْ" كَأَنَّهُ نَقَلَ الضَّمَّةَ إِلَى اللَّامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا مَكْسُورَةً عَلَى أَصْلِ مَا يَجِبُ مِنْ لَامِ الْخَفْضِ. ثُمَّ يَضِيفُ التَّبْرِيزِيُّ قَائِلًا إِنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَكْسِرُ هَمْزَةَ "أَمْ" إِذَا كَانَ قَبْلَهَا حَرْفٌ مَكْسُورٌ أَوْ يَاءٌ. وَقَدْ قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ: "فَلَاإِمَّهَ السُّدُسُ". وَحذفوا الهمزة من "الأم"; لكثرة الاستعمال في هذا الموضع. ويذكر العكبري أَنَّ "وَيْلُمَّهَا" تعني "ويل لأُمِّها"، فحُذِفَ؛ لكثرة في الكلام. انظر: يحيى بن علي التبريزي، الموضح في شعر أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2000)، 2: 313-314؛ أبو البقاء العكبري، ديوان أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبَيان في شرح الديوان (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، 1956)، 2: 45؛ علي بن أحمد الواحدي، شرح الواحدي لديوان المتنبي (بيروت: دار الرائد العربي، 1999)، 4: 1857-1858.

³ ابن الأنباري، الإنصاف، 1: 317؛ الأنباري، أسرار العربية، 176.

⁴ عَدَّ الْخَلِيلُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْبَصَرِيِّينَ أَنَّ أَصْلَ "هَلُمَّ": "ها" الَّتِي لِلتَّنْبِيهِ، وَ"لُمَّ" مِنَ الْفَعْلِ لَمْ اللَّهُ شَعْنُهُ، كَأَنَّهُ أَرَادَ لَمْ نَفْسَكَ إِنِّنَا، وَإِنَّمَا حُذِفَتْ أَلْفُهَا لِكثرة الاستعمال، وَجُعِلَا كَلِمَةً وَاحِدَةً. وَقَالَ الْأَنْبَارِيُّ: معنى "هَلُمَّ": أَقْبِلْ، وَأَصْلُهُ: "أَمْ". أَيْ: اقْصُدْ؛ فَضَمُّوا "هل" إِلَى "أَمْ"، وَجَعَلُوهُمَا حَرْفًا وَاحِدًا، وَأَزَالُوا "أَمْ" عَنْ التَّصْرِيفِ، وَحَوَّلُوا ضَمَّةَ هَمْزَةِ "أَمْ" إِلَى اللَّامِ، وَاسْقَطُوا الْهَمْزَةَ؛ فَاتَّصَلَتِ الْمِيمُ بِاللَّامِ. وَأَشَارَ ابْنُ الْخَطِيبِ الْمُوزَعِيُّ إِلَى أَنَّ "هَلُمَّ" هِيَ اسْمٌ فَعْلٍ يَأْتِي عَلَى وَجْهَيْنِ، يَأْتِي مُتَعَدِّيًا كَهَاتِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءُكُمْ} (القرآن الكريم، الأنعام: 15)، وَيَأْتِي غَيْرَ مُتَعَدٍِّ بِمعنى: تَعَال، وَأَقْبِلْ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {هَلُمَّ إِنِّنَا}

من "ها" واللام من "الم"، فحُذِفَت الألف؛ لالتقاء الساكنين، ونُقِلَت ضمة الميم الأولى إلى اللام، وأُدْغِمَت إحدى الميمين في الأخرى، فصار "هَلُمَّ"¹.

إذن، إنَّ الذي يسترعي الانتباه- في هذا التعليل- هو عبارة "هَلُمَّ"²، ولعلَّ ثَمَّةً اتِّصَالاً بَيْنَها وَبَيْنَ "اللَّهُمَّ"- وإنَّ كان كثيرٌ من النُّحَاة يُنْكِرُونَهُ- فقد وَضَّحَ ابنُ فارسٍ أنَّ معنى "هَلُمَّ" تَعَالَى، مشيراً إلى قول الفراءِ بأنَّ أصلَها مَكُونٌ مِنْ مَقْطَعَيْنِ: "هل"، و"أُمَّ"، حيثُ ضُمَّتْ "أُمَّ" إلى

(القرآن الكريم، الأحزاب: 18). كما أنَّ في "هَلُمَّ" لغتين: الأولى، لغة أهل الحجاز حيثُ يستوي فيها الواحد والجمع والتأنيث، نحو قوله تعالى: {وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} (القرآن الكريم، الأحزاب: 18)، ونحو قولهم: هَلُمَّ يا رجلُ، وهَلُمَّ يا رجلان، وهَلُمَّ يا رجالُ، وهَلُمَّ يا نساء...، إذن فقد وُجِدَ؛ لِأَنَّهُ مُزَالٌّ عَنْ تَصَرُّفِ الْفِعْلِ، فَشُبِّهَ بِالْأَدَوَاتِ كَقَوْلِهِمْ: صَهْ، وَمَهْ، وَإِيهَ، وَإِيهَآ. والثَّانِيَّة، لغة أهل نجد حيثُ يصرفونها فيجرونها مَجْرَى سائر الأفعال، فيقولون للرجل: هَلُمَّ، وللمرأة: هَلَّيْ، وللانثى: هَلُمَّآ، وللجمع: هَلُمَّوَا، وللنساء: هَلُمَّنَّ. وَذَكَرَ الْمُوزَعِيُّ أَنَّ لُغَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ هِيَ الْأَفْصَحُ. وَأَضَافَ أَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيُّ أَنَّ "هَلُمَّ" إِذَا عُدَّتْ اسْمَ فِعْلٍ فَلَا يَظْهَرُ فِيهِ عِلْمُ التَّنْثِيَةِ وَالْجَمْعِ وَالتَّأْنِيثِ، أَمَّا إِذَا عُدَّتْ فِعْلاً فَتَظْهَرُ فِيهِ عِلَامَةُ التَّنْثِيَةِ وَالْجَمْعِ وَالتَّأْنِيثِ. وَيُضَيَّفُ أَنَّ "هَلُمَّ" فِي حَالِ كَوْنِهَا اسْمَ فِعْلٍ إِنَّمَا يُنْبِتُ؛ لَوُقُوعِهَا مَوْقِعَ الْمَبْنِيِّ، كَمَا أَنَّهَا فُتِحَتْ لِطَوْلِ الْكَلِمَةِ، فِي حِينِ أَنَّهَا لَمْ تُبْنَ عَلَى الضَّمِّ؛ لِثِقَلِهِ بِسَبَبِ الْإِدْغَامِ. وَذَكَرَ بَعْضُ النُّحَاةِ أَنَّ "هَلُمَّ" قَدْ تَحْمَلُ مَعْنَى الطَّلَبِ وَالشَّرْطِ؛ فَيُجَزَّمُ الْجَوَابُ، نَحْوُ: "هَلُمَّ نَبْكَ" وَكَأَنَّ "هَلُمَّ" فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ تَحْمَلُ مَعْنَى فِعْلِ الْأَمْرِ "تَعَالَى"، وَالتَّقْدِيرُ: "تَعَالَى نَبْكَ"، وَ"نَبْكَ"- هَا هُنَا- فِعْلٌ مُضَارِعٌ مُجَزَّوْمٌ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي جَوَابِ الطَّلَبِ، كَمَا هُوَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ- فِي حَالِ مُشَاهَدَةِ- "فَإِنَّا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ...". انْظُرْ: ابن الخطيب الموزعي، مصابيح المعاني، 510-511؛ الصُّحَارِيُّ، كتاب الإبانة، 4: 570-572؛ أَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيُّ، اللُّبَابُ فِي عِلَلِ الْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ، 2: 89-90؛ ابن السَّكَيْتِ، إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ، 290-291.

¹ ابن الأنباري، الإنصاف، 1: 320؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 367.

² يُشَارُ إِلَى أَنَّ ثَمَّةَ تَقَارُّبًا فِي الْمَعْنَى بَيْنَ "هَلُمَّ" وَبَيْنَ "هَلَسَ" فِي اللُّغَةِ الْعَبْرِيَّةِ؛ الَّتِي تَحْمَلُ عِدَّةَ دَلَالَاتٍ نَحْوُ: هَيَّا، أَوْ تَعَالَى هُنَا، أَوْ هَا هُنَا، أَوْ إِلَى هُنَا، أَوْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ. انْظُرْ: أברהام ابن-شوشن، ملون ابن-شوشن (ح"م: رפי מוזס, רם- הוצאה לאור בע"מ: 2003), 2: 388؛ أيتن ابنيانور، ملون سفير (אור יהודה: חד ארצי, 1998), 2: 601؛ ابنيانور، מילה במילה- אוצר המילים הנרדפות ניגודים ושדות סמנטיים (תל-אביב: איתאב בית הוצאה לאור בע"מ, 2000), 135.

"هل"، وتأويل ذلك أن يُقال: "هل لك في كذا، أم؟" أي: اقصِدْ وتعال¹. ثُمَّ أَضَافَ ابْنُ فَارِسٍ مَبَاشَرَةً رَأَى الْفَرَاءَ فِي مَعْنَى اللَّهْمَ: يَا اللَّهُ أَمَّنَا بِخَيْرٍ، فَكَثُرَتْ فِي الْكَلَامِ وَاخْتَلَطَتْ وَتُرِكَتِ الْهَمْزَةُ².

وَمِنَ اللَّافِتِ أَنَّ هَذَا الرَّفْضَ لَمْ يَصْدُرْ عَنِ الْبَصْرِيِّينَ وَحَدَهُمُ، فَقَدْ هَاجَمَ أَبُو حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيَّ [654-745 هـ، 1256-1344 م]، وَالسِّيَوطِيُّ ذَلِكَ الرَّأْيَ، فَقَالَا إِنَّ الْكُوفِيِّينَ زَعَمُوا أَنَّ الْمِيمَ الْمَشْدَدَةَ فِي آخِرِهِ عَوْضٌ مِنْ حَرْفِ النَّدَاءِ، فَلَا يَجْتَمِعَانِ، وَأَجَازُوا أَنَّ ثَبَاسِرَهُ (يَا)، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ الْمِيمَ الْمَشْدَدَةَ بَقِيَّةٌ مِنْ جُمْلَةٍ مَحْذُوفَةٍ قَدَّرُوهَا (أَمَّنَا بِخَيْرٍ) وَهَذَا الرَّأْيُ هُوَ قَوْلٌ سَخِيفٌ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَقُولَهُ مِنْ عِنْدِهِ عِلْمٌ³.

كَمَا وَقَفَ الْوَرَّاقُ⁴ مَوْقِفَ الْمَعَارِضِ لِرَأْيِ الْكُوفِيِّينَ، وَلِرَأْيِ الْفَرَاءِ خَاصَّةً، فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ رَأْيٌ غَيْرُ دَقِيقٍ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا، أَنَّهُ يُسْتَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ: يَا اللَّهُ أَمَّنَا مِنْكَ بِخَيْرٍ، فَتَأْتِي "يَا" فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، وَ"أَمَّنَا" فِي آخِرِهِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى مَا قَالَ لَحَسَنٌ: يَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَلَمَّا قُبِحَ الْجُمُعُ بَيْنَ الْمِيمِ وَ"يَا" عَلِمْنَا أَنَّ الْأَمْرَ فِيهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ الْوَرَّاقُ دُونَ مَا ذَكَرَهُ الْفَرَاءُ. وَأَمَّا الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ مُسْتَحْسَنٌ: يَا اللَّهُ أَمَّنَا مِنْكَ بِخَيْرٍ، فَلَوْ كَانَتْ الْمِيمُ الْمُرَادُ بِهَا مَا ذَكَرَ لَحَصَلَ فِي الْكَلَامِ تَكَرُّرٌ، وَالتَّكَرُّرُ أَمْرٌ مُسْتَقْبَحٌ، وَحُسْنُ اسْتِعْمَالِهِ دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِ رَأْيِ الْفَرَاءِ⁵.

¹ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ السَّيِّدَ أَحْمَدَ صَقَرَ - مُحَقِّقُ كِتَابِ "الصَّاحِي لِابْنِ فَارِسٍ" - قَدْ ضَعَّفَ هَذَا الرَّأْيَ، وَعَزَا ذَلِكَ إِلَى ابْنِ سَيِّدِهِ فِي مَعْجَمِهِ "الْمَخْصَصُ".

² ابْنُ فَارِسٍ، الصَّاحِي، 279.

³ أَبُو حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيُّ، ارْتِشَافُ الضَّرْبِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ (الْقَاهِرَةُ: مَكْتَبَةُ الْخَانِجِي، 1998)، 4: 2191؛ السِّيَوطِيُّ، الْأَشْبَاهُ وَالنِّظَائِرُ فِي النَّحْوِ، 190.

⁴ تَعَدَّدَتْ الْأَرَاءُ حَوْلَ مَذْهَبِ الْوَرَّاقِ، وَلَكِنَّ ثُلَّةً مِنَ الْمَصَادِرِ تَرَى أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ مَذْهَبٍ خَاصٍّ بِهِ؛ لَوْجُودِ آرَاءٍ نَخَوِيَّةٍ قَدْ انْفَرَدَ بِهَا، مَعَ تَأْكِيدِ أَنَّهُ كَانَ يَمِيلُ إِلَى الْبَصْرِيِّينَ بِشَكْلِ وَاضِحٍ جَلِيٍّ.

⁵ الْوَرَّاقُ، عِلَلُ النَّحْوِ، 473؛ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، الْإِنْصَافُ، 1: 320.

واعْتَمَدَ ابْنُ عُصْفُورِ الإِسْبِيلِيّ دَلِيلَ الْقِيَاسِ فِي دَخْضِ رَأْيِ الْفِرَاءِ مُعَلِّلاً بِأَنَّ الشَّرْطَ إِذَا تَقَدَّمَ الْأَمْرُ اسْتُغْنِيَ بِالْأَمْرِ عَنْ جَوَابِ الشَّرْطِ، فَتَقُولُ: "اضْرِبْ زَيْدًا إِنْ قَامَ"، وَلَا تَقُولُ: "اضْرِبْ زَيْدًا إِنْ قَامَ فَاضْرِبْهُ"، وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ...}¹، فَلَوْ كَانَ عَلَى مَا ذُكِرَ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ ذَلِكَ بِ"أَمْطِرْ عَلَيْنَا"؛ لِتَقْدِيمِ الْأَمْرِ. كَمَا أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُقَدَّرَ هُنَا: يَا اللَّهُ أَمْنَا بِخَيْرٍ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ تَنَاقُضًا، حَيْثُ لَا يَكُونُ أَمَّهُمْ بِالْخَيْرِ أَنْ يُمَطَّرَ عَلَيْهِمْ حَجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى بُطْلَانِ زَعْمِ الْفِرَاءِ وَفَسَادِهِ².

وَأَضَافَ الْأَنْبَارِيُّ وَجْهًا آخَرَ فِي تَضْعِيفِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْكُوفِيُّونَ، وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْأَصْلُ فِي "يَا اللَّهُ أَمْنَا بِخَيْرٍ" لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: "اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا"، فَلَمَّا لَمْ يَجَزْ أَنْ يُقَالَ إِلَّا: "اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا" وَلَمْ يَجَزْ "وَارْحَمْنَا" دَلَّ عَلَى فُسَادِ مَا ادَّعَاهُ³.

1.9.1. معاني اللّهم:

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَصَّلَ الْأَشْمُونِيُّ وَأَبُو حَيَّانٍ أَنَّ "اللَّهُمَّ" تُسْتَعْمَلُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْحَاءٍ، بِمَعْنَى أَنْ لَهَا ثَلَاثَةَ مَعَانٍ:

الأوّل: فهو في النِّدَاءِ الْمُحَضِّ، نَحْوُ: "اللَّهُمَّ أَثْنَيْنَا".

الثّاني: أَنْ يَذْكُرَهَا الْمَجِيبُ تَمْكِينًا لِلْجَوَابِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ، أَوِ السَّائِلِ كَأَنْ يَقُولَ لَكَ الْقَائِلُ: "أَزِيدُ قَائِمٌ؟" فَتَقُولَ لَهُ: "اللَّهُمَّ نَعَمْ"، أَوْ "اللَّهُمَّ لَا".

¹ القرآن الكريم، الأنفال: 32.

² ابن عصفور، شرح جمل الزّجاجي، 2: 209، الأنباري، الإنصاف، 1: 320، ابن الخباز، توجيه اللّمع، 329-330؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 367.

³ ابن الأنباري، الإنصاف، 1: 320؛ ابن الأنباري، أسرار العربيّة، 177.

الثالث: أن تُستعمل دليلاً على النُدرة وقلة وقوع المذكور¹، نحو قولك: "أنا أزورك اللهم إلا إذا لم تدعني"، حيث إن وقوع الزيارة في هذه الحالة إذا قرّن بعدم الدعاء فهو قليل².

وقد رخص بعض النحاة هذا القول بقولهم أن الاستخدامين الأخيرين خارجان عن النداء، كما أن الظاهر أن "اللهم" فيهما لا معربة، ولا مبنية؛ لعدم التركيب، إلا أن الصّبّان كان له رأي آخر، فقد علّق بأن الرأي الرافض لما ذهب إليه الأشموني فيه نظراً؛ لأنه الصّبّان لا يُسلم بخروج الاستخدامين الأخيرين عن النداء بالكليّة، ويتساءل: لم لا يجوز أن تكون فيهما للنداء مع التمكن أو النُدرة؟ كما أنه لا يُسلم أنها لا معربة ولا مبنية لعدم التركيب، معيّلاً ذلك بأن خروج الكلمة عن معناها الأصلي لا يستلزم خروجها عما لها من إعراب، أو بناء، أو تركيب؛ لهذا فإنّ الراجع عنده أن "اللهم" باقية على تركيبها، وأنه يقال "اللهم" منادى ولو صورة مبنية على الضم³.

ويعلّق السامرائي على هذا الحديث مُشيراً إلى أن هذه المعاني المختلفة لـ"اللهم" أصلها نداء، ثم انمَحى معنى النداء، وذلك أن قولك لمن قال لك: "أزيد قائم؟": "اللهم نعم" هو إشهاد لله على جوابك فكأنك قلت: يا الله اشهد على ما أقول. وهذا الإشهاد تمكين للجواب في نفس السامع، وكذلك ما بعده وهو كونها دليلاً على النُدرة، نحو قولك: "أنا لا أزورك اللهم إلا أن تزورني"، فهذا إشهاد لله على قولك كالأولى، وأمّا النُدرة فهي مفهومة من العبارة، ولو لم تذكر "اللهم"، والمعنى على النداء، ويدلّك على ذلك أننا في اللغة الدارجة نستعمل "يا رب" في نحو هذا، فنقول مثلاً: "أنا لا أذهب إليه يا رب إلا إذا جاء واعتذر إلي"، وهذا نداء كما ترى غير أنه انمَحى منه الإحساس بالنداء في التعبير⁴.

¹ السيوطي، الهمع، 3: 65؛ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، 3: 110.

² الأشموني، شرح الأشموني، 2: 148؛ أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب، 4: 2193؛ خالد الأزهري، شرح التصريح، 2: 224؛ حسن، النحو الوافي، 4: 37.

³ الصّبّان، حاشية الصّبّان، 3: 217-218.

⁴ فاضل صالح السامرائي، معاني النحو (عمّان: دار الفكر، 2000)، 4: 326.

وبخصوص ارتباط "اللَّهَمَّ" بلغات أخرى¹، فقد ذكر فاضل السامرائي (1933-م...) أن الدّراسات الحديثة تدلُّ على أنّ "اللَّهَمَّ" أصلها عبريٌّ، وهو מלהים ومعناه الآلهة، وهم يريدون به الواحد، وإنّما جمعه للتّعظيم².

وتبيّن الباحثة حليلة عمايرة- كذلك- أنّ لفظ "ألوهيم" מלהים العبريّ جاء من أصلٍ "إل" מל التي تعني "الله" في اللّغات السّاميّة، والياء والميم في العبريّة علامة للجمع، ويُجمَع لفظُ الجلالة من باب التّعظيم، وهذا يُفسّر لنا أنّ الميم في "اللَّهَمَّ" العبريّة جاءت من باب التّعظيم، وليس من باب العوّض كما أشار إلى ذلك النُّحاة القدماء³. ويبدو -برأيّنا- أنّ الباحثة عمايرة تريد بهذا الكلام أن تُلَفِّتَ الأنظارَ إلى أنّ الخلافَ الطّويلَ الذي دارَ وطالَ بينَ النُّحاةِ حولَ نظريّة "العوّض والحذف"- إن كان ذلك رأيًا بصريًّا أو كوفيًّا- صَبُّوا جُلَّ اهتمامهم على "العوّض" ولم يلتفتوا إلى نظريّة الأصل اللُّغويّ السّاميّ، وكأنّها تهتدي، بما عَرَضَتْ له آنفًا، إلى أنّ الميم في "ألوهيم" خَيْرُ دليلٍ على أنّ "اللَّهَمَّ" هي لفظةٌ تستخدمُ للتّعظيم؛ لأنّه متعلّقٌ باسمِ الجلالة، وهذا ما أكّدته فيما بعدُ بقولها إنّ البلاغيّين كانوا قد أشاروا إلى هذا المعنى إشارةً دالّةً حينما فسّروا قوله تعالى "قُلِ اللَّهَمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ"⁴ فقالوا

¹ في الفارسيّة يستخدمون في حالة النّداء حروفًا تعرفها العبريّة نحو: أيا، يا، أي، ألا، هي، فيقولون "أي دانيشجو درس اول رابخون" وهذا يعني في العبريّة: "أيتها الطالب اقرأ الدّرس الأوّل. ويقولون: ايا دوشيزه برو" أي: "اذهي يا أنسة"، ويقولون: "يا خُذا مرانجات بده" يعني في العبريّة: "اللّهم نجّي". كما أنّهم يضيفون في آخر المنادى ألقًا، نحو: يا محمدًا قلم توکجاست؟ أي: "يا محمّد، أين قلمك؟ راجع أحمد كمال الدّين حلي، مقارنة بين النّحو العربيّ والنّحو الفارسيّ (الكويت: جامعة الكويت، 1993)، 200-203. (يجدر الإشارة إلى أنّ هذا الموضوع واسعٌ، وحرّيٌّ أن تُفَرّدَ له دراسةٌ خاصّةً).

² فاضل السّامرائي، معاني النّحو، 4: 326.

³ عمايرة، الاتّجاهات النّحويّة لدى القدماء، 256.

⁴ القرآن الكريم، آل عمران: 26.

إنَّه مَنْ قَالَ "اللَّهُمَّ" فَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ كُلِّهَا، فَ"اللَّهُمَّ" مَجْمَعُ الدَّعَاءِ، وَمَعْنَى "اللَّهُمَّ" هُوَ "اللَّهُ" زِيدَتْ فِيهِ الْمِيمُ فَهُوَ الْأَسْمُ الْعَلَمُ الْمُتَضَمِّنُ لْجَمِيعِ أَوْصَافِ الدَّاتِ¹.

1.10. المُنَادَى الْمُخَلَّى بِ"ال" التَّعْرِيفُ:

انْطَلَقَ جَمْهُورُ النُّحَاةِ الْبَصَرِيِّينَ مِنْ قَاعِدَةٍ مَفَادُهَا أَنَّ حُرُوفَ النَّدَاءِ لَا تُجَامَعُ مَا فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ²، وَهُوَ مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ إِذْ قَالَ: "اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تُنَادِيَ اسْمًا فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ الْيَتَّةَ"³. وَإِذَا أُريدَ ذَلِكَ تُوصَّلَ إِلَيْهِ بِ"أَيَّ"، وَاسْمُ الْإِشَارَةِ⁴.

لِهَذَا فَقَدْ ذَهَبَ الْبَصَرِيُّونَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ نَدَاءُ الْمُنَادَى الْمُخَلَّى بِ"ال" التَّعْرِيفِ، نَحْوُ: "يَا الرَّجُلَ"⁵، إِلَّا فِي أَمْرَيْنِ، وَهُمَا نَدَاءُ اسْمِ اللَّهِ، نَحْوُ: "يَا اللَّهُ"⁶، وَالْجُمْلَةُ الْمُحْكِيَّةُ، نَحْوُ: (يَا "الرَّجُلُ الْقَائِمُ" أَقْبِلْ)، فَقَدْ سَمَّيْتُ "الرَّجُلَ الْقَائِمَ" عَلَى طَرِيقِ الْحِكَايَةِ⁷؛ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ تَأْبِطَ شَرًّا؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ، إِذْ قَدْ عَمِلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ. وَاسْتَنْثَى الْمَبْرُودُ مِنَ الْبَصَرِيِّينَ أَمْرًا ثَالِثًا، وَهُوَ الْأَسْمُ الْمَوْصُولُ إِذَا سُمِّيَ بِهِ، نَحْوُ: "يَا الَّذِي قَامَ" لِمُسَمًّى بِهِ⁸، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ سِيبَوَيْهِ مَنَعَ ذَلِكَ، وَوَصَفَهُ ابْنُ مَالِكٍ بِأَنَّهُ قِيَاسٌ صَحِيحٌ⁹.

¹ عَمَايِرُ، الْأَتَجَاهَاتُ النَّحْوِيَّةُ، 257-258.

² ابْنُ عَقِيلٍ، الْمُسَاعَدُ، 2: 502؛ ابْنُ الْخَبَّازِ، الْغُرَّةُ، 2: 519.

³ سِيبَوَيْهِ، الْكِتَابُ، 2: 195؛ الشَّاطِطِيُّ، الْمَقَاصِدُ، 5: 287.

⁴ ابْنُ يَعِيشَ، شَرْحُ الْمَفْصَلِ، 1: 343.

⁵ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، الْإِنْصَافُ، 1: 312؛ أَبُو الْبَقَاءِ الْعَكْبَرِيُّ، التَّبْيِينُ، 444؛ الْمُؤَلَّفُ نَفْسَهُ، اللَّبَابُ، 1: 334؛

خَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ، شَرْحُ التَّصْرِيحِ، 2: 223؛ الْجَنْدِيُّ، الْإِقْلِيدُ، 1: 427؛ الشَّاطِطِيُّ، الْمَقَاصِدُ، 5: 287.

⁶ ابْنُ هِشَامٍ، شَرْحُ شَذُورِ الذَّهَبِ، 186؛ الْمُؤَلَّفُ نَفْسَهُ، مَغْنِي اللَّيِّيبِ، 2: 741؛ ابْنُ الْمُرْتَضَى، تَاجُ عُلُومِ

الْأَدَبِ، 1: 620؛ ابْنُ طُولُونٍ، شَرْحُ ابْنِ طُولُونٍ، 2: 119.

⁷ ابْنُ مَالِكٍ، شَرْحُ الْكَافِيَةِ، 2: 11؛ ابْنُ هِشَامٍ، شَرْحُ شَذُورِ الذَّهَبِ، 186؛ خَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ، شَرْحُ التَّصْرِيحِ،

2: 224؛ السَّيُوطِيُّ، الْهَمْعُ، 3: 48-47.

⁸ ابْنُ طُولُونٍ، شَرْحُ ابْنِ طُولُونٍ، 2: 118.

⁹ ابْنُ مَالِكٍ، شَرْحُ النَّسْهِيلِ، 3: 398.

وقد استدللَّ البصريُّون بما رأوه بعدم جواز دخول "ال" على المنادى بأنَّ الألفَ واللامَ تفيدُ التعرِيفَ، و"يا تُفيدُ التعرِيفَ بالقصدِ والخطابِ، لهذا فإنَّه لا يجتمعُ تعريفانِ في كلمةٍ واحدةٍ¹؛ لأنَّ الغرضَ من التعرِيفِ هو التَّخصيصُ، وإزالةُ الاشتراكِ، وهذا يحصلُ بواحدٍ، إذ لا يجوزُ أن ينضمَّ إليه آخرُ، كما لا يجمعُ بين حرفي استفهامٍ، أو حرفي نفيٍ، أو حرفي جرٍّ². من هنا لا يجوزُ الجمعُ بين تعريفِ النداءِ وتعريفِ العَلَمِيَّةِ في الاسمِ المنادى العَلَمِ³.

أما الكوفيُّون- وتبعهم في ذلك البغدادِيُّون⁴- فقد أجازوا أن يُنادى ما فيه "ال" التعرِيفَ مُطْلَقًا⁵، وبغيرِ واسطةٍ⁶، نحو: "يا الرَّجُلُ"، إلَّا أنَّ ابنَ سعدان [231-...هـ، 846م]- أحدُ نحاةِ الكوفة- منعَ ذلك، وذَهَبَ مَذْهَبُ البصريِّين، بل زَادَ على الحالاتِ، الَّتِي اسْتَنْتَوْا مِنْهَا دخولَ "ال" على المنادى دون واسطةٍ، اسمَ الجنسِ المشبَّه به، نحو: "يا الخليفةُ هَيْبَةُ"، و"يا الأسدُ شِدَّةُ"⁷، وَوَصَفَهُ ابْنُ مالِكٍ- أيضًا- بأنَّه قياسٌ صحيحٌ؛ لأنَّ تقديره: "يا مِثْلَ الخليفةِ هَيْبَةُ"، و"يا مِثْلَ الأسدِ شِدَّةُ"، فحسن لدخولِ "يا" على غيرِ الألفِ واللامِ⁸. وقد قَبِلَ خالدُ الأزْهَرِيُّ هذا الرَّأيَ، قائلاً: "وعندي أنَّ تقديرَ ابنِ مالِكٍ صحيحٌ"⁹، إلَّا أنَّ المكناسيَّ

¹ ابن الأنباري، أسرار العربية، 174؛ ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، 2: 187؛ ابن الخباز، الغرَّة، 2: 519.

² أبو البقاء العكبري، التبيين، 444.

³ الوراق، علل النحو، 470؛ الخضري، الحاشية، 2: 72؛ أبو البقاء العكبري، التبيين، 444.

⁴ أبو حيَّان، ارتشاف الضَّرْب، 4: 2193.

⁵ ابن مالِك، شرح التَّسهيل، 3: 398؛ رضي الدِّين، شرح الكافية، 1: 349؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 503؛ الشَّاطِبي، المقاصد، 5: 287.

⁶ الشَّرْحي، ائتلاف النُّصرة، 46؛ ابن الخباز، الغرَّة المَخْفِيَّة، 2: 518.

⁷ خالد الأزْهَرِيُّ، شرح التَّصريح، 2: 225؛ أبو حيَّان، ارتشاف الضَّرْب، 4: 2193؛ ابن هشام، مغني اللِّيب، 2: 741؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 502-503؛ السَّهْورِيُّ، شرح الأَجْرُومِيَّة، 2: 659؛ السَّيُوطِيُّ، الهمَّع، 3: 48؛ المخزومي، مدرسة الكوفة، 130.

⁸ ابن مالِك، شرح التَّسهيل، 3: 398؛ السَّيُوطِيُّ، الهمَّع، 3: 48؛ الشَّاطِبي، المقاصد، 5: 288.

⁹ خالد الأزْهَرِيُّ، شرح التَّصريح، 2: 226.

[...-909هـ، ...-1503م] نَوَّهَ إِلَى أَنَّ رَأْيَ ابْنِ سَعْدَانَ، وَمَا وَافَقَ عَلَيْهِ ابْنُ مَالِكٍ، فِيهِ نَظَرٌ؛ إِذْ يَلْزَمُ- حَسَبَ رَأْيِهِ- أَنْ يَقُولَ مِثْلًا: "يَا الْقَرْيَةَ" عَلَى تَقْدِيرِ: "يَا أَهْلَ الْقَرْيَةِ"، وَ"يَا الرَّجُلَ"؛ لِأَنَّ فِي مَعْنَى: "يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ"¹.

وَكَانَ دَلِيلُ الْكُوفِيِّينَ فِي مَذْهَبِهِمْ هَذَا هُوَ مَا سَمِعُوهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

"فِيَا الْغَلَامَانَ اللَّذَانِ فَرَّآ
إِيَّاكُمَا أَنْ تَكْسِبَانِي شَرًّا"

فَقَالَ "يَا الْغَلَامَانَ"، فَأَدْخَلَ حَرْفَ التَّدَايِ عَلَى مَا فِيهِ "ال"²، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى جَوَازِهِ. وَالَّذِي يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى صَحَّةِ ذَلِكَ- كَمَا يَقُولُ الْكُوفِيُّونَ- أَنَّ الْعَرَبَ أَجْمَعَتْ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ فِي الدَّعَاءِ: "يَا اللَّهُ" أَغْفِرْ لَنَا وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ فِي اسْمِ اللَّهِ زَائِدَانِ³.

وَلَكِنَّ ابْنَ الْأَنْبَارِيِّ يَرَى أَنَّ الْكُوفِيِّينَ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي هَذَا الدَّلِيلِ؛ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ فِيهِ: "فِيَا أَيُّهَا الْغَلَامَانَ"، فَحَذَفَ الْمُوصُوفَ، وَأَقَامَ الصِّفَةَ مَقَامَهُ، وَهَذَا فِي اللُّغَةِ قَلِيلٌ، بَلْ هُوَ عِنْدَ أَبِي الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيِّ شَاذٌ⁴، إِلَّا أَنَّهُ يَجِيءُ فِي الشَّعْرِ كضَرُورَةٍ⁵، فَلَا يَكُونُ فِيهِ حُجَّةٌ⁶، نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

"عَبَّاسُ يَا الْمَلِكُ الْمَتَّوِّجُ وَالَّذِي
عَرَفْتُ لَهُ بَيْتَ الْعُلَا عَدْنَانُ"⁷.

ثُمَّ يَسْتَمِرُّ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ مُرَجِّحًا رَأْيَ الْبَصَرِيِّينَ، حَوْلَ مَا ادَّعَاهُ الْكُوفِيُّونَ، فِي أَنَّنا نَقُولُ: "يَا اللَّهُ"¹، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ دُخُولِ "ال" عَلَى الْمُنَادَى، فَيَقُولُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ إِنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ

¹ المكناسي، شرح ألفية ابن مالك، 2: 218.

² ابن الأنباري، الإنصاف، 1: 312-313؛ ابن عصفور، المقرَّب، 243؛ السيوطي، الهمع، 47.

³ ابن الأنباري، 1: 313.

⁴ أبو البقاء العكبري، التبيين، 446.

⁵ الوراق، 470-471؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 503؛ ابن عصفور، المقرَّب، 243.

⁶ ابن الأنباري، الإنصاف، 1: 314.

⁷ السَّهْوَري، 2: 659.

في "الله" هما عَوْضٌ عن همزة "إله"، الّتي هي فاءُ الفعل²، فَتَزَلَّتْ مَنَزَلَةً حَرْفٍ من الكلمةِ نفسها، فَجَازَ أَنْ يَدْخَلَ حَرْفُ النَّدَاءِ عَلَيْهِ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا بِمَنَزَلَةٍ حَرْفٍ فِي الْكَلِمَةِ نَفْسِهَا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي النَّدَاءِ: "يَا اللَّهُ" بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ، وَلَوْ كَانَتْ كَالْهَمْزَةِ الّتي تَدْخُلُ مَعَ لَامِ التَّعْرِيفِ لَوَجَبَ أَنْ تَكُونَ هَمْزَةً وَصَلٍ، فَلَمَّا جَازَ فِيهَا هَا هُنَا هَمْزَةُ الْقَطْعِ دَلَّ عَلَى أَنَّهَا أَصْبَحَتْ بِمَنَزَلَةٍ حَرْفٍ من الكلمةِ نَفْسِهَا³. كَمَا أَنَّهُمْ لَوْ أَجْرَوْا هَذَا الْاسْمَ مَجْرَى غَيْرِهِ من الْأَسْمَاءِ الْمَعْرُوفَةِ بِ"ال" لَكَانُوا يَقُولُونَ: "يَا أَيُّهَا اللَّهُ" كَمَا يَقُولُونَ: "يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ"⁴.

وَأَضَافَ أَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيُّ وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ يُبْطِلُ مِنْ خِلَالِهِمَا رَأْيَ الْكُوفِيِّينَ فِي أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: "يَا اللَّهُ"، فَقَالَ إِنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ لَيْسَتْ لِلتَّعْرِيفِ؛ لِأَنَّ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى مَعْرُوفَةٌ بِنَفْسِهِ، لِانْفِرَادِهِ سُبْحَانَهُ، وَالْأَلْفَ وَاللَّامَ زَائِدَةً، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ اسْمِ "اللَّهُ"؛ وَلِذَلِكَ جَازَ قَطْعُ الْهَمْزَةِ وَوَصْلُهَا، فَجَوَزُوا فِيهِ مَا لَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهِ⁵، حَيْثُ إِنَّ خَصَائِصَ هَذَا الْاسْمِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا زِيَادَةُ الْمِيمِ فِي آخِرِهِ، نَحْوُ: "اللَّهِمَّ"، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ، وَمِنْهَا دُخُولُ "تَاءِ" الْقِسْمِ عَلَيْهِ، نَحْوُ: "تَاللَّهِ"⁶.

وَكَانَ ابْنُ مَالِكٍ قَدْ عَارَضَ رَأْيَ الْبَصْرِيِّينَ عِنْدَمَا عَدُّوا دُخُولَ "ال" عَلَى الْمُنَادَى مِنْ الضَّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ، فَقَالَ إِنَّهُ لَا يَرَاهُ مِنَ الضَّرُورَاتِ؛ لِتَمَكُّنِ قَائِلِهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ: "يَا غُلَامَانِ" لِدُخُولِ الْذَّانِ فَرًّا؛ لِأَنَّ التَّكْرَرَ الْمَقْصُودَةَ بِذِي الْأَلْفِ وَاللَّامِ الْمَوْصُولِ، وَبِذِي الْأَلْفِ وَاللَّامِ غَيْرِ الْمَوْصُولِ، كَقَوْلِ بَعْضِ الْعَرَبِ: "يَا فَاسِقَ الْخَبِيثِ"، فَإِنَّ الْقَائِلَ "يَا الْغُلَامَانِ" عِنْدَ ابْنِ

¹ هُنَاكَ خِلَافٌ طَوِيلٌ بَيْنَ النُّحَاةِ (وَالْمُفَسِّرِينَ) حَوْلَ حَقِيقَةِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ "اللَّهُ"، فَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ اسْمٌ لَيْسَ بِمَشْتَقٍّ (مَرْتَجَلٌ) وَهُوَ رَأْيُ الْخَلِيلِ وَسَيُيُوْنُهُ وَأَكْثَرِ الْأَصُولِيِّينَ وَالْفُقَهَاءِ- كَمَا يَذْكُرُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى فِيهِ اسْمًا مُشْتَقًّا.

² ابْنُ الْخَبَّازِ، تَوْجِيهِ اللَّطَمِ، 328.

³ الْوَرَّاقُ، 471؛ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، أَسْرَارُ الْعَرَبِيَّةِ، 175-176.

⁴ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، الْإِنْصَافُ، 1: 314-315.

⁵ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، أَسْرَارُ الْعَرَبِيَّةِ، 176.

⁶ أَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيُّ، التَّبْيِينُ، 447.

مالك- ليس مضطراً، لكنّه استُعْمِلَ شذوذاً ما حقّه ألاّ يجوز، ومثله في الشذوذ قول الشاعر:

مِنْ أَجْلِكَ يَا الَّتِي تَيَّمْتُ قَلْبِي وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ بِالْوُدِّ عَنِّي¹

1.11. توابع المنادی:

رأينا فيما سَبَقَ أَنَّ جُمْلَةَ النَّدَاءِ تَحْوِي فِي دَاخِلِهَا أَرْكَانًا عَدِيدَةً، فَهَنَّاكَ حُرُوفُ النَّدَاءِ، وَالْمَنَادَى نَفْسُهُ، ثُمَّ الرُّكْنُ الَّذِي يَتَّبِعُ الْمَنَادَى، وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّحَاةُ بـ"تَوَابِعِ الْمَنَادَى"²؛ لِهَذَا، فَقَدْ أَشَارُوا فِي مَصْنَفَاتِهِمْ أَنَّ لِلْمَنَادَى خَمْسَةَ تَوَابِعَ تَتَّبِعُهُ، وَهِيَ: النَّعْتُ، وَالتَّوَكُّيدُ، وَالبَدَلُ، وَعَطْفُ الْبَيَانِ، عَطْفُ النَّسَقِ، وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ ابْنُ السَّرَّاجِ بِقَوْلِهِ: "وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ أَنْ تَصِفَ زَيْدًا وَمَا أَشْبَهَهُ فِي النَّدَاءِ، وَتُؤَكِّدَهُ، وَتُبْدِلَ مِنْهُ، وَتَعَطِّفَ عَلَيْهِ بِحَرْفِ الْعَطْفِ وَعَطْفِ الْبَيَانِ"³.

ولعلّه من اللافت أن نشير إلى أن النُحَاة لم يسيروا في عَرْضِهِم لتوابع المنادى وفق منهجية واحدة، فنلاحظ في مصنفاتهم طرائق متباينة، وتشعبات واضحة، فمثلاً، ثمة نحاة ينطلقون من حيثية بناء المنادى وإعرايه، فيقسّمونه إلى قسمين: توابع المنادى المبنى، وتوابع المنادى المُعَرَّب، ثم يُدرِجون كلّ أنواع التّوابع الخمسة تحت وجوب الرّفْع، أو النّصب، أو جواز كليهما⁴.

¹ ابن مالك، شرح التّسهيل، 3: 399.

² لعلّ "توابع المنادى" مِنْ أَكْثَرِ الْمَوْضُوعَاتِ الدَّنَائِيَّةِ صَعُوبَةً عِنْدَ الدَّارِسِينَ، لَا سِيَّمَا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهُمَا تَحْوِي مَسَائِلَ مُتَشَعِّبَةً، الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ يَشْكَلُ عَبْئًا كَبِيرًا عَلَى الْمُدْرِسِينَ فِي نَقْلِ الْمَادَّةِ النَّحْوِيَّةِ إِلَى الطَّلَّابِ.

³ ابن السَّراج، الأُصول، 1: 333؛ الصَّبَّان، الحاشية، 3: 220؛ ابن يعيش، شرح المفصَّل، 1: 326؛ ابن مالك، شرح التَّسهيل، 3: 410.

⁴ مثال على ذلك: يقول خالد الأزهرى في شرحه على أوضح المسالك لابن هشام: " في أقسام تابع المندى المبنى وأحكامه. أقسامه أربعة: أحدها: ما يجب نصبه مراعاةً لمحلّ المندى، فإنّ محلّه النصب وهو وما اجتمع فيه أمران: أحدهما: أن يكون التابع نعتاً، وبیاناً، وتوكيداً، والأمر الثانى: أن يكون التابع مضافاً

وهناك قِسْمٌ من النُّحَاةِ يُرْتَبُونَ تَوَابِعَ المَنَادَى وَفَقًّا لِأَبْوَابِ التَّوَابِعِ الخَمْسَةِ، فيقفون عند حالات نعت المَنَادَى، ثُمَّ توكيده، وهلمَّ جزًا. وهذا النَّهْجُ هو الَّذِي اخْتَرْتُهُ، على الرَّغْمِ مِنْ تَشْعُبَاتِهِ.

1.11.1. النُّعْت:

يرى جمهورُ النُّحَاةِ أَنَّهُ إِذَا نُعِتَ المَنَادَى المَفْرَدُ فيجوزُ أَنْ يَكُونَ النُّعْتُ (التَّابِعُ) مرفوعًا، أو منصوبًا¹، نحو: "يا زَيْدُ الطَّوِيلُ"، أو "يا زَيْدُ الطَّوِيلِ"، وإنَّما رُفِعَ النُّعْتُ، في هذه الحالة، حَمَلًا على لَفْظِ المَنَادَى²؛ لِأَنَّهُ مضمومٌ، فَجَارَ حَمْلُ ضَمَّةِ الإعرابِ على ضَمَّةِ البناءِ الكائنةِ في التَّدَايِ، فهي مطَّردةٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ اسمٍ نادِيَّةٍ لك أَنْ تَضُمَّهُ، فهي كضَمَّةِ الإعرابِ في الأَطْرَادِ³. وقد نُصِبَ تابِعُ المَنَادَى حَمَلًا على المَوْضِعِ⁴؛ لِأَنَّ المَنَادَى، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ مَبْنِيٌّ على الضَّمِّ، إِلَّا أَنَّهُ منصوبٌ محلاً؛ لكَوْنِهِ مفعولاً به⁵.

إِذَا كَانَ نَعْتُ المَنَادَى المَبْنِيِّ مضافًا فَقَدْ وَجَبَ نَصْبُهُ عِنْدَ جُمهُورِ النُّحَاةِ مُطْلَقًا⁶، نحو: "يا زَيْدُ أَخانا"، و"يا زَيْدُ ذا الحَسَبِ"؛ لِأَنَّهُ- كما يقول ابنُ السَّرَاجِ- لَوَقَعَ مَوْقِعَ زَيْدٍ لَمْ

مَجْرَدًا من ال... إلخ. والقسم الثاني: ما يجب رفعه مراعاةً للفظِ المَنَادَى... والقسم الثالث: ما يجوز رفعه ونصبه... والقسم الرابع: ما يُعْطَى حال كونه تابِعًا يستحقُّه إِذَا كان مَنَادَى مُستَقْلًا.. إلخ". انظر: خالد الأزهري، شرح التَّصْرِيح، 2: 227-231؛ النَّجَّار، ضياء السَّالِك، 3: 237-242.

¹ المطرزي، المصباح، 76؛ ابن الدَّهَّان، كتاب الفصول، 44؛ ابن الخَبَّاز، الغُرَّة، 2: 523.

² المبرِّد، 4: 465؛ ابن السَّرَاج، الأصول، 1: 332؛ ابن طولون، 2: 121؛ ابن مالك، شرح التَّسْهِيل، 3: 402؛ ابن الأثير، البديع، 2: 402.

³ ابن الخَبَّاز، توجيه اللَّمَع، 323؛ ابن الخَبَّاز، الغُرَّة، 2: 523-524.

⁴ ابن يعيش، شرح المَفْصَّل، 1: 326؛ ابن الأثير، البديع، 2: 402.

⁵ ابن الخَبَّاز، توجيه اللَّمَع، 323؛ ابن الخَبَّاز، الغُرَّة، 2: 524.

⁶ المبرِّد، 4: 469؛ المطرزي، المصباح، 77؛ ابن الخَبَّاز، توجيه اللَّمَع، 324؛ ابن الخَبَّاز، الغُرَّة، 2: 524؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 514، أبو حيان، الارتشاف، 4: 2197-2198.

يَكُنْ إِلَّا مَنْصُوبًا، فتقول "يا زَيْدُ ذا الْجُمَّةِ"¹، فلمنادى، في هذا الحالة، إذا وُصِفَ بالْمُضَافِ فهو بِمَثَلِهِ؛ لذا يَكُونُ في مَوْضِعِهِ²، فحملوا النَّعْتَ الْمُضَافَ عَلَى الْمَنَادَى الْمُضَافِ، كَأَنَّا نَادِينَاهُ ابْتِدَاءً، وَلَمْ يَحْمِلُوهَا عَلَى اللَّفْظِ؛ لِمُخَالَفَةِ الْمُضَافِ الْمَفْرُودِ³. وَلَكِنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ وَأَبَا حَيَّانٍ وَغَيْرَهُمَا مِنَ النَّحَاةِ يَشِيرُونَ إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: "يا زَيْدُ الْحَسَنِ الْوَجْهَ" بِالرَّفْعِ؛ لِأَنَّ إِضَافَتَهُ غَيْرُ حَقِيقَتِهِ⁴، مَعْلَلِينَ ذَلِكَ بِاجْتِمَاعِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ مَعَ الْإِضَافَةِ فِيهِ"⁵.

إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، فَقَدْ أَشَارَ أَبُو حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيُّ إِلَى أَنَّ الْكِسَائِيَّ، وَالْفَرَّاءَ، وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ الطَّوَالَ، وَابْنَ الْأَنْبَارِيِّ أَجَازُوا أَنْ يَكُونَ النَّعْتُ مَرْفُوعًا حَتَّى لَوْ كَانَتْ الْإِضَافَةُ مَحْضَةً حَقِيقَةً، نَحْو: "يا زَيْدُ صَاحِبِنَا"⁶، وَلَكِنَّ هَذَا الرَّأْيَ مُخَالِفٌ لَجُمْهُورِ النَّحَاةِ⁷؛ فَرَأَى بِهِ الْأَشْمُونِيُّ أَنَّهُ مَذْهَبٌ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ فِي "صَاحِبِنَا" مَحْضَةٌ⁸.

وَذَكَرَ ابْنُ الْخَبَّازِ وَالْأَشْمُونِيُّ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ لَمْ يُجِزْ نَعْتَ الْمَنَادَى الْمَضْمُونِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُسَمَّى نَعْتًا لِلْمَنَادَى الْمَبْنِيِّ؛ لِأَنَّهُ -حَسَبَ رَأْيِهِ- وَقَعَ مَوْقِعَ الْمُضْمَرِ، بَلْ جَعَلَ الْأَصْمَعِيُّ الْمَرْفُوعَ -النَّعْتُ الْمَرْفُوعُ عِنْدَ النَّحَاةِ- خَبْرًا لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، وَالْمَنْصُوبَ -النَّعْتُ الْمَنْصُوبُ عِنْدَ النَّحَاةِ- مَبْنِيًّا عَلَى حَذْفِ فَعْلٍ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: "أَنْتَ الْكَرِيمُ" فِي قَوْلِكَ: "يا زَيْدُ الْكَرِيمُ"، وَ"أَعْنِي الْجَوَادُ" فِي قَوْلِكَ: "يا زَيْدُ الْجَوَادُ"⁹.

¹ ابن السَّراج، الْأَصُول، 1: 334.

² سيبويه، 2: 184؛ ابن الخَبَّاز، الْغُرَّة، 2: 524.

³ ابن الْأَثِير، الْبَدِيع، 2: 403.

⁴ ابن مالك، شرح عمدة الحافظ، 1: 281؛ ابن عقيل، الْمُسَاعَد، 2: 515.

⁵ ابن الْأَثِير، الْبَدِيع، 2: 403؛ أَبُو حَيَّان، الْارْتِشَاف، 4: 2197؛ ابن مالك، الْكَافِيَّة، 2: 12.

⁶ أَبُو حَيَّان، الْارْتِشَاف، 4: 2198؛ ابن عقيل، الْمُسَاعَد، 2: 516.

⁷ ابن عقيل، الْمُسَاعَد، 2: 516.

⁸ الْأَشْمُونِيُّ، 2: 149.

⁹ ابن الْخَبَّاز، الْغُرَّة، 2: 524؛ رَضِيَ الدِّين، شرح الْكَافِيَّة، 1: 326؛ السَّيُوطِيُّ، الْهَمْع، 5: 285؛

السَّنْهَوْرِيُّ، شرح الْأَجْرُومِيَّة، 2: 654-655.

لكنَّ ابنَ مالِكٍ عارضَ رأيَ الأصمعيِّ في هذا الشَّأنِ، فقال إنَّه رأيٌ مردودٌ غيرُ مقبولٍ؛ لسببين، أولاً: لِما سُمِعَ عن العربِ، وهو كثيرٌ ومشهورٌ، وثانياً: للقياس، إذ إنَّ مشابهةَ المنادى للضميرِ عارضةٌ، فمقتضى الدليلِ ألا تُعدَّ مطلقاً، كما لم تعدَّ مشابهةَ المصدرِ لفعلِ الأمرِ في نحو: "ضرباً زنباً"، لكنَّ العربَ عدَّتْ مشابهةَ المنادى للضميرِ في البناءِ استحساناً، فلم يزد على ذلك، كما أنَّ "فَعَالٍ" العلمَ لم يُبَيَّ حَمَلاً على فعالِ المأمورِ به لم يَزِدْ على بناءِ شَيْءٍ من أحوالِ ما حُمِلَ عليه، ونظائرُ ذلك كثيرةٌ¹.

1.11.2. تابع "أي":

يعدُّ النِّحاةُ "أي" منادى مُبَهِّماً، بالإضافة إلى اسمِ الإشارةِ المنادى³: لهذا يحتاجُ المتكلِّمُ إلى إضافةٍ تابعٍ: كي يُتِمَّ فيه الجملةُ مِنْ حَيْثُ المعنى، إذ لا يُحَسَّنُ إنَّ يتوقَّفَ المتكلِّمُ في قوله "يا أيُّها الرَّجُلُ" عند: "يا أيُّها" وَيَسْكُتَ؛ لأنَّه، عند سيبويه- مهمٌّ يلزمُهُ التَّقديرُ، فصاَرَهُ والرَّجُلَ بمنزِلَةِ واحدةٍ، كأنَّكَ قُلْتَ: "يا رجُلٌ"⁴.

وقال الأعلَمُ الشَّنتمريُّ إنَّ الأصلَ في دخولِ "أي" أنَّهم أرادوا نداءَ الرَّجُلِ وهو قريبٌ من المنادى، فلم يَكُنْ نداؤُهُ من أجلِ الألفِ واللامِ، وكرهوا نَزْعَهُما وتغييرَ اللَّفْظِ، فأدخلوا "أي" وصلَّهُ إلى نداءِ الرَّجُلِ على لفظه، وجعلوه الاسمَ المنادى⁵.

وقد ذَهَبَ جمهورُ النِّحاةِ أنَّ التَّابِعَ الَّذِي يلي "أي"، نحو قولنا: "يا أيُّها الرَّجُلُ" لا يجوزُ فيه إلَّا الرِّفْعُ⁶ حَمَلاً على اللَّفْظِ؛ لأنَّه هو المنادى في المعنى¹، واللَّفْظُ هنا هو "أي"، إذ يَجِبُ

¹ ابن مالِك، شرح التَّسهيل، 3: 393.

² يقول أبو البقاء العكبريُّ إنَّ العربَ اختاروا "أي" هنا؛ لأنَّها اسمٌ مُعَرَّبٌ فيه إِبْهَامٌ، يصلحُ لكلِّ شَيْءٍ. انظر: العكبري، اللُّباب، 1: 337.

³ الرَّمْخسري، المفصَّل، 70: ابن يعيش، شرح المفصَّل، 1: 338: ابن المرتضى، تاج علوم الأدب، 1: 621.

⁴ سيبويه، 2: 188.

⁵ الأعلَم، النِّكت، 2: 146.

⁶ ابن الأنباري، أسرار العربيَّة، 174: ابن الخِثَار، العُرَّةُ الْمُخَفِيَّة، 2: 520: الخطيب، كتاب المجالس، 193.

بناؤها على الضَّمِّ²، وإتباعها بهاء التَّنْبِيهِ³، الَّتِي تَأْتِي مَعَ "أَيَّ" عِوَضًا عَنْ مِضَافِ "أَيَّ" المحذوف، أو تأكيدًا لمعنى النداء⁴، فَيُعْرَبُ التَّابِعُ الَّذِي يَلِي "أَيَّ" نَعْتًا مرفوعًا⁵.

إِلَّا أَنَّ المَازِنِيَّ أَجَارَ نَصَبَ "الرَّجُل" فِي قَوْلِنَا: "يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ"، فَهُوَ - فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ نَعْتًا مرفوعًا - عِنْدَهُ نَعْتٌ مَنْصُوبٌ⁶؛ وَذَلِكَ قِيَاسًا عَلَى نَحْوِ: "يَا زَيْدُ الظَّرِيفِ"⁷، وَحَمْلًا عَلَى المَوْضِعِ (المَحَلِّ)⁸؛ إِذْ إِنَّ "أَيَّ" مَحَلُّهَا النَّصَبُ؛ لِأَنَّ الْأَصَلَ فِي المِنَادَى أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا إِمَّا لَفْظًا، وَإِمَّا مَحَلًّا⁹. لَكِنَّ هَذَا الرَّأْيَ لَمْ يَرُقْ لكَثِيرٍ مِنَ النَّحَاةِ، حَيْثُ رَأَوْا أَنَّ الحَمْلَ عَلَى المَوْضِعِ (النَّصَبِ) إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ تَمَامِ الكَلَامِ، وَفِي الحَقِيقَةِ فَإِنَّ النَّدَاءَ لَمْ يَتِمَّ بِ"يَا أَيُّهَا"؛ لِهَذَا لَا يَجُوزُ الحَمْلُ عَلَى مَوْضِعِهَا، وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ المَقْصُودَ بِالنَّدَاءِ هُوَ الرَّجُلُ، وَهُوَ مَفْرَدٌ، وَإِنَّمَا أَتِيَ بِ"أَيَّ"؛ لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى نِدَائِهِ¹⁰؛ وَبِهَذَا يَكُونُ النَّصَبُ مَخَالِفًا لِلنَّحَاةِ جَمِيعًا¹¹، بَلْ هُوَ عِنْدَ ابْنِ الْخَبَّازِ رَدِيٌّ فِي القِيَاسِ، وَلَا يُسَانِدُهُ السَّمَاعُ¹²، وَعِنْدَ الرَّجَّاجِ

¹ أبو البقاء العكبري، اللُّبَاب، 1: 337؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 506.

² أبو حيان، ارتشاف الضَّرْبِ، 4: 2193؛ ابن الدَّهَّان، كتاب الفصول، 43.

³ أشار النحويون إلى أَنَّ الهَاءَ تَلَزِمُ أَنْ تَكُونَ مَفْتُوحَةً، وَقَدْ تَكُونُ مَضْمُومَةً عَلَى لُغَةِ بَنِي أَسَدٍ، فَقَدْ قُرِئَ: {يَا أَيُّهُ السَّاجِرُ} بِضَمِّ الهَاءِ "أَيُّهُ"، وَيَقُولُونَ: "يَا أَيُّتُهُ الْمَرْأَةُ". انظر: الأعلام، النكت، 2: 146؛ أبو حيان، ارتشاف الضَّرْبِ، 4: 2193؛ السيوطي، الهمع، 3: 51-52؛ خالد الأزهرى، شرح التصريح، 2: 227.

⁴ الأعلام، النكت، 2: 146؛ السيوطي، الهمع، 3: 50؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 505.

⁵ سيبويه، 2: 188؛ ابن الخَبَّاز، الغُرَّة، 2: 520؛ ابن الدَّهَّان، كتاب الفصول، 43.

⁶ أبو البقاء العكبري، اللُّبَاب، 1: 337؛ الرِّضِيِّ، 1: 340.

⁷ الرِّضِيِّ، 1: 340.

⁸ ابن يعيش، شرح المفصَّل، 1: 329.

⁹ أبو حيان، ارتشاف الضَّرْبِ، 4: 2193-2194؛ السيوطي، الهمع، 3: 50.

¹⁰ ابن عقيل، المساعد، 2: 505؛ السيوطي، الهمع، 3: 50.

¹¹ أبو حيان، ارتشاف الضَّرْبِ، 4: 2194.

¹² ابن الخَبَّاز، الغُرَّة، 2: 520.

وابن مالك يُعدُّ ذلك مذهباً لم يُجزَّه أحدٌ مِنَ النُّحاة قَبْلَ المازنيّ، ولا تابَعَهُ أحدٌ بَعْدَهُ، فهو رأيٌّ مطرحٌ مردودٌ؛ لأنَّه يُخالفُ كلامَ العرب¹، إلّا أنَّ أبا حيان يذكُرُ روايةً لابن الباذش بأنَّ نَصَبَ "الرَّجل" في "يا أيُّها الرَّجل" مسموعٌ عن بعضِ العرب².

وأشار ابنُ عقيلٍ والسَّيوطيُّ إلى أنَّ ابنَ السَّيِّدِ رأى في تابعٍ "أيّ" على أنَّه عطفٌ بيانٍ؛ لأنَّه ليسَ مشتقّاً³، بل كان لملكِ النُّحاة رأيٌّ لافِتٌ، وهو أنَّ تابعٍ "أيّ" يكون مبنياً على الضَّمِّ وليسَ مرفوعاً، ثمَّ إنَّ الألفَ اللَّامَ فيه بَدَلٌ من حرفِ النِّداءِ "يا"⁴.

ولم يكن هذا هو الاختلافُ فَحَسْبُ، بل أجازَ الأخفشُ- في أحدِ قوليه- أن تكونَ "أيّ" اسماً موصولاً، والمرفوعُ بعدها، نحو "يا أيُّها الرَّجل"، خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ، والجملةُ بعد "أيّ" صلةٌ لها⁵. وقد علَّلَ الأخفشُ ذلكَ بقوله إنَّ "أيّ" لا تكونُ اسماً في غيرِ الاستفهامِ والجزاءِ إلّا بصلّة⁶. إلّا أنَّ ابنَ مالكٍ لم يقبلِ هذا الرأي؛ مُعلِّلاً ذلكَ بأنَّه لو صحَّ ما قاله الأخفشُ لَجَازَ ظهورُ المبتدأ، وَلَكَانَ أَوَّلِي مِنْ حَذْفِهِ؛ لأنَّ كمالَ الصِّلَةِ أَوَّلِي مِنْ اختصارِها، كما أنَّه لو صحَّ رأيُّ الأخفشِ لَجَازَ أن يغيى عن المرفوعِ بعد "أيّ" جملةٌ فعليةٌ وظرفٌ ومجرورٌ، أيّ لوصلتُ بالجملةِ الفعليةِ والظرفِ والمجرورِ، كما يجوزُ ذلكَ في غيرِ النِّداءِ؛ لهذا فإنَّ في امتناعِ هذه الأمورِ دليلاً على أنَّ "أيّ" لَيْسَتْ اسماً موصولاً⁷.

¹ الرَّجَاج، معاني القرآن وإعرابه، 1: 228-229؛ ابن مالك، شرح التَّسهيل، 3: 400؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 507.

² أبو حيان، ارتشاف الضَّرَب، 4: 2194؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 507.

³ ابن عقيل، المساعد، 2: 506؛ الرِّضِّي، 1: 341؛ أبو حيان، ارتشاف الضَّرَب، 4: 2193-2194؛ السَّيوطي، الهمع، 3: 50.

⁴ السَّيوطي، الهمع، 3: 50.

⁵ أبو حيان، ارتشاف الضَّرَب، 4: 2196؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 506؛ ابن مالك، شرح التَّسهيل، 3: 400؛ ابن الخبَّاز، الغُرَّة، 2: 520؛ السَّيوطي، الهمع، 3: 52.

⁶ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 323.

⁷ ابن مالك، شرح التَّسهيل، 3: 400؛ السَّيوطي، الهمع، 3: 52.

وكذلك رَفَضَ الرَّجَاُ وابْنُ يَعِيشَ رَأْيَ الْأَخْفَشِ، ووصفوه بأنه قولٌ فاسدٌ، حيثُ إنَّ "أَيَّ" لو كانت موصولةً لَوَجَبَ أَلَّا تُضَمَّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُبْنَى فِي النَّدَاءِ مَا كَانَ مَوْصُولًا؛ لِأَنَّ الصَّلَةَ مِنْ تَمَامِهِ؛ لِهَذَا لَا يُقَالُ: "يَا خَيْرُ مِنْ زَيْدٍ"، إِنَّمَا يُقَالُ: "يَا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ" بِالنَّصْبِ؛ لِأَنَّ "مِنْ زَيْدٍ" مِنْ تَمَامٍ "خَيْرٍ"، فَكَذَلِكَ "الرَّجُلُ" مِنْ تَمَامٍ "أَيَّ"¹. فَضْلًا عَنْ أَنَّ "أَيَّ" الموصولة لَا تَكُونُ إِلَّا مَضَافَةً لِفِعْلًا، أَوْ نِيَّةً؛ لِذَا فَإِنَّ الإِضَافَةَ هَا هُنَا مُنْتَفِيَةٌ بِوَجْهَيْهَا، اللَّفْظِيَّ وَالْمَنْوِيَّ.

ولكننا- في الوقتِ نفسِه- نجدُ مَنْ يَرُدُّ عَلَى الرَّجَاِ بِقَوْلِهِ إِنَّ ذَلِكَ يَلْزُمُ إِذَا قُدِّرَتْ "أَيَّ" معربةً قَبْلَ النَّدَاءِ، لَا إِذَا قُدِّرَتْ مَبْنِيَّةً قَبْلَهُ، ثُمَّ التَّزَمُوا فِيهَا النَّدَاءَ مَا كَانَ قَبْلَهُ، كَمَا أَنَّ "هَا" عَوَّضَتْ فِيهَا مِنَ الْمَضَافِ الْمَحذُوفِ، فَجَرَتْ مَجْرَاهُ، وَكَانَتْهَا مَضَافَةً².

بالإضافة إلى ذلك، فقد ذَكَرَ ابْنُ عَقِيلٍ رَأْيَا آخَرَ لِلْكُوفِيِّينَ، وَهُوَ أَنَّ "الرَّجُلَ" فِي قَوْلِنَا "يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ" هُوَ نَعْتُ خَبَرٍ لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، وَالْأَصْلُ: "يَا أَيُّ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ"، فَجَاءَ بِأَيَّ يَلْتَمِسُ اسْمَهُ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ بِقَوْلِهِ: "هُوَ هَذَا الرَّجُلُ"؛ لِبَيَانِ إِبْهَامِ "أَيَّ"، وَحَذَفَ "ذَا" اكْتِفَاءً بِهَا مِنْ دَلَالَةِ الرَّجُلِ عَلَيْهَا³.

أَمَّا ابْنُ كَيْسَانَ- بَغْدَادِيُّ الْمَذْهَبِ⁴- فَقَدْ كَانَ لَهُ رَأْيٌ مُنْفَرِدٌ، إِذْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ "الرَّجُلَ" فِي قَوْلِنَا: "يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ" نَعْتُ لَاسْمٍ إِشَارَةٍ مَلْفُوظٌ بِهِ، أَوْ مَقْدَرٌ، ثُمَّ إِنَّ اسْمَ الْإِشَارَةِ تَبْيِينٌ

¹ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 323.

² السيوطي، الهمع، 3: 52-53.

³ ابن عقيل، المساعد، 2: 506؛ السيوطي، الهمع، 3: 52.

⁴ اختلف المترجمون في مذهب ابن كيسان، فقد ترجم له السيرافي في "أخبار النحويين البصريين" ممَّا يدلُّ على أَنَّهُ يُعَدُّه بَصْرِيًّا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَوْلِهِ إِنَّ ابْنَ كَيْسَانَ كَانَ يَخْلُطُ عِلْمَ الْبَصْرِيِّينَ بِعِلْمِ الْكُوفِيِّينَ مَعَ ابْنِ شَقِيرٍ، وَابْنِ الْخِياطِ. أَمَّا الزَّيْدِيُّ فَقَدْ عَدَّهُ مِنَ الْكُوفِيِّينَ، بَلْ صَنَّفَهُ فِي الطَّبَقَةِ السَّادِسَةِ مِنْ طَبَقَاتِ النَّحَاةِ الْكُوفِيِّينَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَوْلِهِ- أَيْضًا- إِنَّهُ "كَانَ بَصْرِيًّا كُوفِيًّا"، وَتَبَعَهُ الْأَزْهَرِيُّ فِي ذَلِكَ. وَلَكِنْ، يَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّحَاةِ إِلَى أَنَّهُ بَغْدَادِيُّ الْمَذْهَبِ مَعَ مِثْلِهِ إِلَى الْمَذْهَبِ الْكُوفِيِّ، وَاسْتَدَلُّوا بِذَلِكَ بِمَا جَاءَ فِي "الْإِنْصَافِ" لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ، الَّذِي ذَكَرَ ابْنَ كَيْسَانَ فِي نَحْوِ أَرْبَعِ مَسَائِلَ وَافَقَ فِيهَا الْكُوفِيِّينَ دُونَ أَنْ يَذْكَرَ ابْنَ الْأَنْبَارِيِّ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً وَافَقَ فِيهَا ابْنَ كَيْسَانَ الْبَصْرِيِّينَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ بَغْدَادِيُّ مَعَ مِثْلِهِ إِلَى

ل"أي"، و"الرجل" تبين لاسم الإشارة، كما إن "ها" يرادُ بها هذا، فإذا حذفوها اكتفوا ب"ها" التنبيه منها، فالرجل- بهذا- نعت ل"ها"، كما هو نعت ل"ذا"؛ لأن "ها" و"هذا" واحد، فلزم على هذا المذهب إجازة أن نقول: "يا أيُّ الرجل"¹.

وأشار ابن السراج إلى أنه يمكن أن نُقيم النعت مكان المنعوت، فنقول: "يا أيها الطويل"، و"يا هذا القصير"، نحو قوله تعالى: ﴿قالوا يا أيها العزيز مَسْنَا وأهْلْنَا الضُّرُ﴾²، فإن قَدَرْتَ الوقفَ على اسم الإشارة "هذا"، ولم تجعله وصله إلى النعت، وكان مستغنياً بإفراجه، يجوز لك الوجهان، إن شئت رفعت، وإن شئت نصبت، كما كان ذلك في نعت زُبد: "يا هذا الطويل، والطويل"³.

وذكر ابن هشام أن "أي" قد تُنعت باسم الإشارة، كقولك: "يا أيُّ هذا"، والغالب حينئذ أن تُنعت الإشارة، نحو قول طرفة بن العبد:

"ألا أيُّ هذا الزَّاجريُّ"⁴ أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلدي

البصريين، فقد أشار الزَّاجي في "الإيضاح" أن ابن كيسان كان في أول أمره كوفيًا، ثم ابتعد عن المذهب الكوفي قليلاً، ووقف موقفاً وسطاً تحت تأثير المذهب البصري، ويعني بذلك المذهب البغدادي. والأمر الذي كان يدل على أن لم يكن بصرياً أنه كان يُجالس المبرِّد البصري، فيسأله عن مسائل، فيجيبه المبرِّد، فيعارضها ابن كيسان بقوله: "في هذا على ما قال كذا، ويلزمه كذا، فإذا رضي قال له: قد بقي عليك شيء، لم لا تقول كذا؟ فقال له المبرِّد يوماً وقد لزم قولاً للكوفيين لَج فيه: أنت كما قال جرير:

أسليك عن زُبد لتسلى وقد أرى بعينيك من زُبد قذى غير بارح

انظر: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين واللغويين، السِّراfi، أخبار النحويين البصريين، 113-114؛ محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية، 184-186؛ إبراهيم نجا، المذهب النحوي البغدادي، 101-105.

¹ أبو حيان، ارتشاف الضرب، 4: 2195؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 507.

² القرآن الكريم، يوسف: 88.

³ ابن السراج، الأصول، 1: 337.

⁴ المنادى هو "أي"، وهذا: نعت لأي، والزَّاجري: بدل من اسم الإشارة، أو نعت، أو عطف بيان. انظر: محمد عبد الحميد، منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، 184-185.

ويُضَيِّفُ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّهَا قَدْ لَا تُنْعَتُ، نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

"أَيُّهَذَا كَلًّا زَادِيكُمَا وَدَعَانِي وَاعِلًا فِي مَنْ يَغِلُّ"¹

ولعلِّي أَشِيرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَى أَنَّ ابْنَ النَّقِيبِ [...] 698هـ، ... - 1299م]، وَفِي مَعْرِضِ حَدِيثِهِ عَنِ الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ، تَحَدَّثَ عَنْ حَذْفِ الْمَوْصُوفِ فِي أَسْلُوبِ النَّدَاءِ، فَقَالَ: "وَأَمَّا حَذْفُ الْمَوْصُوفِ فَأَكْثَرُهُ فِي النَّدَاءِ وَالْمَصْدَرِ. أَمَّا النَّدَاءُ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾²، تَقْدِيرُهُ: "يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ السَّاحِرُ". وَكَذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾³ تَقْدِيرُهُ: "يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ آمَنُوا". وَقَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾⁴ تَقْدِيرُهُ: "يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الْمُؤْمِنُونَ"⁵.

1.11.3. تَابِعُ "اللَّهُمَّ" بَيْنَ النَّعْتِ وَالنَّدَاءِ الْمُسْتَأْنَفِ:

كَانَ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ وَسَيَبُوهُ فِي التَّابِعِ الَّذِي يَلِي "اللَّهُمَّ" أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِيهِ النَّعْتُ⁶؛ لِأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُمْ مَعَ الْمِيمِ الْمَشْدَدَةِ بِمَنْزِلَةِ الصَّوْتِ، أَيْ إِنَّهُ غَيْرُ مَتَمَكِّنٍ فِي الِاسْتِعْمَالِ⁷، وَكَذَلِكَ لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ لَفْظٍ لَا يَقَعُ إِلَّا فِي النَّدَاءِ، مِثْلُ "يَا هُنَا"، وَ"يَا فُلًّا"⁸، وَهِيَ أَسْمَاءٌ لَزِمَتْ النَّدَاءَ، وَلَا تَأْتِي مَعَ غَيْرِهِ؛ لِهَذَا فَإِنَّ التَّابِعَ الَّذِي يَلِي "اللَّهُمَّ" عِنْدَ سَيَبُوهِ عِبَارَةٌ عَنْ نَدَاءٍ مُسْتَأْنَفٍ⁹، بِمَعْنَى أَنَّهُ نَدَاءٌ ثَانٍ¹⁰.

¹ ابن هشام، شرح شنور الذهب، 184-185.

² القرآن الكريم، الزخرف: 49.

³ القرآن الكريم، البقرة: 183.

⁴ القرآن الكريم، النور: 31.

⁵ محمد بن سليمان البلخي الشهير بابن النقيب، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1995)، 155.

⁶ سيبويه، الكتاب، 2: 196؛ الصبان، الحاشية، 3: 217.

⁷ السيوطي، الهمع، 3: 65.

⁸ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 367.

⁹ رضي الدين، شرح الكافية، 1: 351.

¹⁰ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 368.

وقد خالف المبرِّد والزَّجَّاج مذهب سيبويه في ذلك¹، فَذَهَبَا إِلَى أَنَّ تَابِعَ اللّٰهُمَّ يَكُونُ نَعْتًا، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾²، وَقَدْ قَاسَ الْمَبْرِّدُ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ فِي آخِرِ "اللّٰهُمَّ" عَوْضًا مِنْ "يَا" فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: "يَا اللّٰهَ"، ثُمَّ تَصِفُهُ، نَحْوُ: "يَا اللّٰهُ الْكَرِيمُ"، فَالْكَرِيمُ نَعْتُ، وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: "اللّٰهُمَّ الْكَرِيمُ"، فَالْكَرِيمُ نَعْتُ كَذَلِكَ³. بَلْ أَجَازَ الْمَبْرِّدُ وَالزَّجَّاجُ أَنَّهُ إِذَا وُصِفَ تَابِعُ اللّٰهُمَّ بِمَفْرِدٍ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا عَلَى اللَّفْظِ أَوْ مَنْصُوبًا عَلَى الْمَحَلِّ⁴، نَحْوُ: "اللّٰهُمَّ الْكَرِيمُ، أَوْ الْكَرِيمُ"، إِلَّا أَنَّ أَبَا حَيَّانٍ الْأَنْدَلِسِيَّ لَمْ يُوَافِقْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَكَّدَ أَنَّ مَذْهَبَ سَيْبَوِيهِ هُوَ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّ مَا قَالَهُ كُلُّ مِنَ الْمَبْرِّدِ وَالزَّجَّاجِ لَمْ يُسْمَعْ فِيهِ، نَحْوُ: "اللّٰهُمَّ الرَّحِيمَ ارْحَمْنَا"، كَمَا أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ لِلنَّدَاءِ، عَلَى خِلَافِ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَأَمْثَالِهَا⁵.

1.11.4. التَّوَكِيدُ:

اِخْتَصَرَ النُّحَاةُ تَابِعَ الْمَنَادَى عِنْدَمَا يَكُونُ تَوَكِيدًا بِمِشَابَهَتِهِ لِلنَّعْتِ، فَقَدْ أَكَّدَ ابْنُ الْخَبَّازِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ التَّوَكِيدُ مَفْرَدًا أُجْرِيَ مَجْرَى النَّعْتِ فِي جَوَازِ الرِّفْعِ وَالتَّصْبِیِّ⁶، فَتَقُولُ: "يَا تَمِيمُ أَجْمَعُونَ وَأَجْمَعِينَ"⁷، كَمَا تَقُولُ: "يَا زَيْدُ الْكَرِيمُ وَالْكَرِيمُ"؛ لِأَنَّهُ تَابِعٌ مِثْلُهَا⁸. وَأَضَافَ أَنَّ التَّوَكِيدَ الْمُضَافَ لَا يَجُوزُ فِيهِ إِلَّا التَّصْبِیُّ كَالنَّعْتِ الْمُضَافِ، تَقُولُ "يَا تَمِيمُ كُلَّكُمْ"، "وَيَا تَمِيمُ

¹ الْأَعْلَمُ الشَّنْتَمَرِيُّ، النُّكْتُ، 2: 153.

² الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الزُّمَرُ، 46.

³ الْمَبْرِّدُ، الْمُقْتَضِبُ، 4: 489؛ ابْنُ يَعِيشَ، شَرْحُ الْمَفْصَلِ، 1: 368.

⁴ أَبُو حَيَّانٍ، الْإِرْتِشَافُ، 4: 2192؛ السَّيُّوطِيُّ، الْهَمْعُ، 3: 65.

⁵ السَّيُّوطِيُّ، الْهَمْعُ، 3: 65.

⁶ ابْنُ مَالِكٍ، شَرْحُ عَمْدَةِ الْحَافِظِ، 1: 280.

⁷ ابْنُ مَالِكٍ، شَرْحُ الْكَافِيَةِ، 2: 13.

⁸ ابْنُ الْخَبَّازِ، الْغُرَّةُ، 2: 528.

كلّهم¹. وذكر ابنُ جَيّ أنّه في حالِ كونِ المنادى منصوباً لَمْ يَجْزُ في توكيدهِ إلّا النَّصبُ، نحو: "يا غُلّمانَ زَيْدُ أَجمِعينَ" كما هو حالُ في النَّعتِ، نحو: "يا عبدَ اللهِ الظَّرِيفَ"².

وهذا، حقيقةً، ما نَقَلَهُ سيبويه عن الخليلِ أنّه كان يقيسُ نَصْبَ التَّوكِيدِ المضافِ على نَصْبِ النَّعتِ المضافِ³، ولكنّه، مَعَ ذلكَ، بيَّنَ الفرقَ بَيْنَ تابعِ المنادى في النَّعتِ وتابعِ المنادى في التَّوكِيدِ، وذلكَ أنّه يجوزُ النَّصبُ في النَّعتِ على المحلِّ، أو على إضمارِ فعلٍ (أعني)، أمّا في التَّوكِيدِ فلا يجوزُ النَّصبُ إلّا على المحلِّ، ولا يجوزُ فيه النَّصبُ بإضمارِ فعلٍ⁴، حيث قال سيبويه: "وقال الخليل- رحمه الله- وسألته عن يا زَيْدُ نفسَه، ويا تَمِيمُ كلّكم، ويا قيسُ كلّهم، فقال: هذا كُلُّهُ نصبٌ، كقولك: يا زَيْدُ ذا الجُمّةِ. وأمّا يا تَمِيمُ أَجمِعونَ فأنت فيه بالخيار، إن شئتَ قلتَ أَجمِعونَ⁵، وإن شئتَ قلتَ أَجمِعينَ، ولا ينتصب على أعني، مِنْ قِبَلِ أنّه مُحالٌّ أن تقول: أعني أَجمِعينَ. ويدلّك على أنّ أَجمِعينَ ينتصبُ؛ لأنّه وصفٌ لمنصوبٍ قولُ يونس: المعنى في الرِّفْعِ والنَّصبِ واحدٌ. وأمّا المضافُ في الصِّفَةِ فهو ينبغي له أن لا يكونَ إلّا نصباً إذا كان المفردُ ينتصب في الصِّفَةِ"⁶.

¹ ابن الخباز، الغرّة، 2: 529؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 516؛ الأشموني، 2: 149.

² ابن الخباز، توجيه اللّمع، 325.

³ سيبويه، 2: 184.

⁴ ابن يعيش، شرح المفصّل، 1: 327.

⁵ ذَكَرَ ابنُ الْخَبَّازِ أنّه قرأ: "يا تَمِيمُ جُمْعٌ"، وهذه- حسبَ رأيهِ- لُغَةٌ لَيْسَتْ جَيِّدَةً؛ لأنَّ "جُمْعٌ" إنّما يجري توكيداً على جماعةِ الإناث، كقولك: "جاءتِ النِّسَاءُ جُمْعٌ"، و"تَمِيمٌ" ليس كذلك. ثُمَّ يضيفُ أنّ هناك ثلاثة أمورٍ محتملةٌ في ذلكَ، أمّا الأوّلُ فهو أن يُقالَ: "يا تَمِيمُ أَجمِعونَ"، فيُفْرَدُ التَّوكِيدُ حملاً على لفظِ تَمِيمٍ- وهذا الصَّوابُ. وأمّا الثَّاني فهو أن يُقالَ: "يا تَمِيمُ أَجمِعينَ"، فيُجْمَعُ حملاً على معنى تَمِيمٍ؛ لأنَّ المرادَ هو العِيَّ والأمرُ الثَّالثُ أن يُقالَ: "يا تَمِيمُ جَمْعاءُ"؛ لأنَّ المرادَ القبيلةَ. انظر: ابن الخباز، الغرّة، 2: 529-528.

⁶ سيبويه، 2: 184؛ ابن الخباز، توجيه اللّمع، 324.

وأنفردَ بعضُ النُّحَاةِ، منهم الفراءُ، بإجازةِ الرَّفْعِ والنَّصْبِ في التَّوكِيدِ المضافِ إضافةً محضةً، نحو: "يا زَيْدُ نَفْسُهُ، ونَفْسُهُ"، ونحو: "يا تَمِيمُ كُلُّهُمْ، وكُلُّهُمْ"، وقد ذَكَرَ أبو حَيَّانٍ أَنَّ الفراءَ قاسَ ذلكَ على النَّعْتِ المضافِ إضافةً مَحْضَةً، وأَجْرَاهُ مَجْرَاهُ¹، وهو مخالفٌ لمَذْهَبِ سيبويه. ثُمَّ يُوَكِّدُ أبو حَيَّانٍ أَنَّ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الفراءُ هو مسموعٌ عن العربِ، وإنَّما يُؤَوَّلُ ذلكَ عندَ النُّحَاةِ على القَطْعِ، بمعنى: "أي كُلُّهُمْ"، أو بتقدير: "كُلُّكُمْ مدعوٌ²، أو يُدعى³."

1.11.5. البديل:

يرى جمهورُ النُّحَاةِ أَنَّهُ إذا أُبْدِلَتْ مِنَ المَنَادَى المفردِ (المُبْدَلِ منه) مفردًا وَجَبَ ضَمُّ البَدَلِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ، نحو: "يا زَيْدُ بِشْرٌ"⁴، وكذلك الأمرُ إذا أُبْدِلَتْ مِنَ المَنَادَى المضافِ مفردًا فيجبُ ضَمُّ البَدَلِ أيضًا، نحو: "يا أبا عَبْدِ اللَّهِ بِشْرٌ"⁵، و"يا غلامنا زَيْدٌ"⁶، وَعَلَّلَ النُّحَاةُ ذلكَ؛ بأنَّ البَدَلَ إِنَّمَا يَكُونُ في نِيَّةِ تَكَرُّرِ العَامِلِ⁷، وكَأَنَّكَ تقول: "يا زَيْدُ ويا بِشْرُ"، وهو ما عَبَّرُوا عنه بقَوْلِهِمْ إِنَّهُ ما يُعْطَى حالُ كَوْنِهِ تابعًا ما يَسْتَحِقُّهُ إذا كان مَنَادَى مُستَقْلًا⁸؛ بمعنى-كما أَشارَ ابنُ مالِكٍ- أَنَّ البَدَلَ كُلُّهُ حُكْمُهُ في الإِتِّبَاعِ حُكْمُهُ في الاستقلالِ⁹؛ لهذا عَدَّهُ ابنُ الخَبَّازِ نداءً ثانيًا¹⁰، وكانَ له اسمَيْنِ، هما: زَيْدٌ، وبِشْرٌ، وهذا رأيُ ابنِ بابِشاذٍ، وقد أَيْدَهُ ابنُ الخَبَّازِ¹¹.

¹ أبو حَيَّانٍ، الارتشاف، 4: 2198.

² ن. م.

³ الأشموني، 2: 149.

⁴ خالد الأزهري، شرح التَّصْرِيع، 2: 231.

⁵ خالد الأزهري، شرح التَّصْرِيع، 2: 231.

⁶ ابنُ الخَبَّازِ، الغرَّة، 2: 529.

⁷ ابنُ أَبِي الرَّبِيعِ، البسيط، 1: 296.

⁸ خالد الأزهري، شرح التَّصْرِيع، 2: 231؛ الأشموني، 2: 149.

⁹ ابنُ مالِكٍ، شرح الكافية، 2: 13.

¹⁰ ابنُ الخَبَّازِ، الغرَّة، 2: 526.

¹¹ ابنُ الخَبَّازِ، الغرَّة، 2: 526.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، إِذَا كَانَ الْبَدَلُ مِضَافًا فَيَجِبُ نَصْبُهُ، نَحْوُ: "يَا زَيْدُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ"، وَقَدْ شَبَّهَهُ بِعَطْفِ النَّسَقِ الْمَجْرَدِ مِنْ "ال"¹، فَيُشِيرُ خَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ فِي الْبَدَلِ الْمِضَافِ: "يَا زَيْدُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ" بِالنَّصْبِ، كَمَا تَقُولُ: "يَا زَيْدُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ"، وَكَذَلِكَ فِي عَطْفِ النَّسَقِ الْمَجْرَدِ مِنْ "ال"، نَحْوُ: "يَا زَيْدُ وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ" كَمَا تَقُولُ: "يَا زَيْدًا وَيَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ"².

وَيَلْفِئُ الْبَاحِثُ عِدْنَانَ سَلْمَانَ الْإِتْبَاهَ إِلَى أَنَّ سَيَبُوهَ لَمْ يَتَوَسَّعْ فِي الْبَدَلِ، إِذْ لَمْ يَعْضُضْ لَهُ إِلَّا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ حِينَمَا تَحَدَّثُ حَوْلَ اسْمِ الْإِشَارَةِ فِي حَالِ كَوْنِهِ مُنَادِي، فَقَدْ أَشَارَ إِلَى أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْمُبْهَمَةَ إِذَا كَانَ مُنَادِي، وَجَاءَ بَعْدَهُ مِضَافٌ حُمِلَ عَلَى الْبَدَلِ، أَوْ عَلَى عَطْفِ الْبَيَانِ، وَعِنْدُنِي يَجِبُ أَنْ يُنْصَبَ، نَحْوُ: "يَا هَذَا ذَا الْجَمَّةِ"³: لِأَنَّ- كَمَا يَقُولُ سَيَبُوه- ذَا الْجَمَّةِ لَا تَوْصَفُ بِهِ الْأَسْمَاءُ الْمُبْهَمَةُ⁴.

1.11.6. عطف البيان⁵:

ذَهَبَ سَيَبُوهَ إِلَى أَنَّ تَابِعَ الْمُنَادَى إِذَا كَانَ عَطْفَ بَيَانٍ⁶ مِضَافًا فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُنْصَبَ، نَحْوُ: "يَا هَذَا ذَا الْجَمَّةِ"⁷، وَيَعْلَلُ سَيَبُوهَ وَجُوبَ النَّصْبِ: لِمِشَابَهَتِهِ النَّعْتَ الْمِضَافَةَ إِذَا كَانَ تَابِعًا لِلْمُنَادَى، نَحْوُ: "يَا زَيْدُ ذَا الْجَمَّةِ"⁸.

¹ الْمَبْرَدُ، 4: 468؛ ابْنُ مَالِكٍ، شَرْحُ الْكَافِيَةِ، 2: 13.

² خَالِدُ الْأَزْهَرِيِّ، شَرْحُ التَّصْرِيحِ، 2: 231.

³ عِدْنَانَ سَلْمَانَ، التَّوَابِعُ فِي كِتَابِ سَيَبُوهَ، 91.

⁴ سَيَبُوهَ، 2: 189-190.

⁵ يُسَمِّي الْكُوفِيُّونَ عَطْفَ الْبَيَانِ التَّرْجَمَةَ. انْظُرْ: السَّيُوطِيُّ، الْهَمْعُ، 5: 190. وَيُعْرِضُ ابْنُ عَصْفُورٍ الْإِشْبِيلِيَّ عَلَى أَنَّهُ "جَرِيَانُ اسْمِ جَامِدٍ مَعْرِفَةٌ فِي الْأَكْثَرِ عَلَى اسْمِ دَوْنِهِ فِي الشَّهْرَةِ يَبَيِّنُهُ كَمَا يَبَيِّنُهُ النَّعْتُ، نَحْوُ: جَاءَنِي أَبُو حَفْصٍ عَمْرٌ". انْظُرْ: ابْنُ عَصْفُورٍ، شَرْحُ الْجَمَلِ، 1:

⁶ يَرَى رِضِيُّ الدِّينِ الْأُسْتَرَابَادِيُّ أَنَّ عَطْفَ الْبَيَانِ هُوَ الْبَدَلُ، حَيْثُ يَطَّرِدُ فِيهِ عَطْفُ الْبَيَانِ حُكْمَ الْبَدَلِ، نَحْوُ: "يَا عَالَمُ زَيْدٌ"، وَ"يَا ذَا الْمَالِ بَكْرٌ". انْظُرْ: الرِّضِيُّ، 1: 327.

⁷ سَيَبُوهَ، 2: 189.

⁸ ن. م.، 2: 192-193.

ويجب عند جمهور النحاة أن ينصب عطف البيان- أيضاً- إذا كان المنادى مضافاً، نحو: "يا أخانا زيداً"¹؛ لأنه- كما يشير سيبويه- يأخذ حكم النعت، حيث يقول: "قلت: رأيت قول العرب: يا أخانا زيداً أقبل. قال (أي الخليل): عطفوه على هذا المنصوب فصارت نصباً مثله، وهو الأصل؛ لأنه منصوب في موضع نصب. وقال قوم: يا أخانا زيد². وقد زعم يونس أن أبا عمرو كان يقوله³، وهو قول أهل المدينة، قال: هذا بمنزلة قولنا يا زيد، كما كان قوله يا زيد أخانا بمنزلة يا أخانا، فيحمل وصف المضاف إذا كان مفرداً بمنزلة إذا كان منادى. ويا أخانا زيداً أكثر في كلام العرب⁴؛ لأنهم يردونه إلى الأصل حيث أزالوا عن الموضع الذي يكون فيه منادى، كما ردوا ما زيد إلا منطلق إلى أصله⁵.

ويذهب النحاة إلى أنه إذا كان المنادى مفرداً، وعطف البيان مفرداً كذلك، ففي هذه الحالة، يجوز الرفع والنصب في عطف البيان، نحو: "يا غلام بشر، وبشراً"⁶، "فبشر" مرفوع؛ حملاً على لفظ المنادى، و"بشراً" منصوب؛ حملاً على محل المنادى⁷، وها هنا أيضاً يشبه النحاة عطف البيان بالنعت، فيقول ابن السراج: "واعلم أن عطف البيان كالنعت

¹ ابن الخباز، توجيه اللمع، 325.

² هذا يعني أنه يجوز في هذا المثال ضم "زيد"، على أنه بدل وليس عطف بيان. وأشار الرضي إلى أن الألفش أجاز ضم عطف البيان المفرد، نحو: "يا أخانا زيد" وقال إن هذا موضع اطرء في المرفوع، فرد الرضي بأنه قول غريب، لم يذكره غيره، إذ إن عطف البيان هو البدل فيلزم إذن ضمه، إذا كان مفرداً، تبع العرب، أو المبني. أنظر: الرضي، 1: 327-328. وذكر ابن مالك أنه في المثال: "لا غلام بشر" يمتاز عطف البيان من البدل، فإن ضممت كان بدلاً، نحو: "لا غلام بشر"، وإن نونت كان عطف بيان، نحو: "لا غلام بشر". أنظر: ابن مالك، شرح عمدة الحافظ، 1: 280.

³ يقصد كان يقول: يا أخانا زيد.

⁴ بمعنى أن المشهور في كلام العرب وأكثره هو قولهم: يا أخانا زيداً، فهو أكثر استعمالاً من "يا أخانا زيد".

⁵ سيبويه، 2: 184-185.

⁶ ابن مالك، شرح عمدة الحافظ، 1: 280؛ خالد الأزهري، شرح التصريح، 2: 229.

⁷ ابن مالك، شرح الكافية، 2: 13؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 327.

سواء، لا يلزمك فيه طرح التّنوين كما لا يلزمك في النّعتِ طرح الألف واللام، تقول: يا زيدُ زيدًا، فتعطف على الموضع، ويا زيدُ زيدٌ¹.

وذكر سيبويه أنّه بعض العرب قالوا إنّ الرّفْع في "يا هذا زيدٌ" كثيرٌ في لغة قبيلة طيّ²، ولكنّه لا يأخذُ بهذا، بل يُجيزُ الوجهين، الرّفْع والنّصب معًا، وهو ما قال به شيخُه الخليل: "إذا قلتَ يا هذا وأنت تريدُ أنْ تقفَ عليه، ثمَّ تؤكّده باسمٍ يكونُ عطفًا عليه (يقصد عطف بيان)، فأنت فيه بالخيار: إنْ شئتَ رَفَعْتَ، وإنْ شئتَ نَصَبْتَ، وذلك قولك: يا هذا زيدٌ، وأنْ شئتَ قلتَ زيدًا"³.

واستشهد سيبويه على عطفِ البيان بقول الشّاعر ربيعة:

"إني وأسطارٍ سَطَرْنَ سَطْرًا لَقَائِلُ يا نصرٌ نصرٌ نصرًا"⁴

ثمَّ وضَحَ أنّ قولَ ربيعةَ محمولٌ على أنّه جعلَ "نصرًا" عطفَ بيانٍ فنَصَبَهُ، كأنّه على قوله "يا زيدُ زيدًا"⁵، وقد علّقَ الأعلَمُ على ذلك بأنَّ سيبويه أنشدَ هذا البيتَ على أنّه جعلَ "نصر" الثاني عطفَ بيانٍ يقومُ مقامَ النّعتِ⁶. وهذا ما أكّده ابنُ يعيش⁷ أنّ "نصر" الثاني

¹ ابن السّراج، الأصول، 1: 334.

² سيبويه، 2: 192. يُشارُ إلى أنّ بعضَ المصادرِ تضبطُها بـ"طيء". للمزيد حول لغة (لهجة) طيّ وما لها من مميزات انظر: تشيم [حاييم] راين [חיים רבין]، اللّهجات العربيّة القديمة في غرب الجزيرة العربيّة (بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، 2002)، 357-381.

³ سيبويه، 2: 192.

⁴ سيبويه، 2: 185؛ المبرد، 4: 467؛ ابن السّراج، الأصول، 1: 334-335؛ الأعلَم، 2: 142؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 327؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 517؛ الرّضي، 1: 329.

⁵ سيبويه، 2: 186.

⁶ الأعلَم، 2: 142.

⁷ أشار ابنُ يعيش إلى أنّ هذا البيتُ أنشدَ على ثلاثة أوجه: "يا نصرٌ نصرٌ نصرًا" وهو اختيار أبي عمرو، و"يا نصرٌ نصرًا نصرًا"؛ لجري المنصوبين مجرى صفتين منصوبتين بمنزلة "يا زيدُ العاقلَ اللَّبيب". وكان المازني يقول: "يا نصرٌ نصرًا نصرًا" ينصبهما على الإغراء؛ لأنّ هذا نصرٌ هو جاحبُ نصرٍ بنِ سيارٍ كان قد حَجَبَ رؤيةَ ومنعَهُ من الدّخول، فقال: اضربْ نصرًا أو مُلّةً". ويروى: "يا نصرٌ نصرٌ نصرًا" بجعل الثاني "نصر"

محمولٌ على لفظِ الأول، و"نصرًا" الثالثُ محمولٌ على موضعِ المندى "نصر"، كما تقول: "يا زَيْدُ العاقل، والعاقل": لَأَنَّ مَجْرَى عَطْفِ البَيانِ والنَّعْتِ واحدٌ¹.

1.11.7. عطف النَّسَقِ:

تَبَايَنَتْ آراءُ النُّحَاةِ فِي عَطْفِ الاسْمِ المُحَلَّى بِ"ال" على المندى المفرد بين جوازِ الرَّفْعِ والنَّصْبِ²، وبينَ تفضيلِ أَحَدِ الوجهين، فقد اختارَ الخليلُ، وسيبويه، والمازنيُّ الرَّفْعَ - على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ يُجِيزُونَ النَّصْبَ³ -، نحو: "يا زَيْدُ والرَّجُلُ"; حَمَلًا على لفظِ المندى؛ ولاتَه - كما يشير ابنُ الخَبَّازِ - معرفةً مَنادى تَعَدَّرَ بناؤُهُ للألفِ واللامِ فَأُجْرِيَ مَجْرَى المندى في اختيارِ الضَّمِّ⁴. في حين اختارَ أبو عمرو بن العلاء، ويونسُ، وعيسى الثَّقَفِيُّ، والجرميُّ نصبَ الاسمِ المعطوفِ⁵ - مَعَ أَنَّهُمْ يُجِيزُونَ الرَّفْعَ أَيْضًا⁶ -، نحو: يا زَيْدُ والرَّجُلُ"; حَمَلًا على مَحَلِّ المندى⁷؛ لَأَنَّ ما فيه "ال" لَمْ يَلِ حَرْفَ التَّدَايِ فَلَمْ يُجْعَلْ لَفْظُهُ كَلْفِظِ ما وَلِيَ الحَرْفَ⁸؛ ولَأَنَّ

بدلاً من الأول، ولذلك لم يُتَوَنَّهُ، وجعل الثالث منصوباً على المصدر (مصدر مفعول مطلق)، كَأَنَّهُ قال: انصُرْني نصرًا. ووقف ابنُ الخَبَّازِ عند "نصر" الأوسط"، فقال إِنَّ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَوْجِهٍ: الضَّمُّ "نصر" على أَنَّهُ بدلٌ، والرفْع "نصر" على أَنَّ عَطْفُ بَيَانٍ محمول على الموضع، أو "نصرًا" على أَنَّهُ مصدرٌ أَكَّدَ بالثَّانِي، فحذف الفعلَ وَكَرَّرَ الاسمَ بدلاً من اللَّفْظِ بالفعل. انظر: ابنُ الخَبَّازِ، الغرَّة، 2: 526-527؛ ابنُ يعيش، شرح المِفْصَل، 1: 328؛ سيبويه، 2: 186؛ ابنُ السَّرَاجِ، الأُصول، 1: 334-335؛ ابنُ عقيل، المُساعد، 2: 517-518.

¹ ابن يعيش، شرح المِفْصَل، 1: 328؛ المَبْرَد، 4: 468.

² الرُّضَيِّ، 1: 329؛ السَّيَّوطِي، الهمع، 5: 282.

³ ابن عصفور، شرح جمل الزَّجَاجِي، 2: 191.

⁴ ابنُ الخَبَّازِ، توجيهِ اللَّمَع، 325.

⁵ المَبْرَد، 4: 469؛ ابنُ مالِك، شرح الكافية، 2: 14؛ ابنُ عقيل، المُساعد، 2: 514؛ الأَشْمُونِي، 2: 150.

⁶ ابن عصفور، شرح جمل الزَّجَاجِي، 2: 191.

⁷ ابنُ السَّرَاجِ، الأُصول، 1: 336؛ ابنُ الخَبَّازِ، الغرَّة، 2: 527؛ ابنُ يعيش، شرح المِفْصَل، 1: 328؛ ابنُ

مالِك، شرح التَّسْهِيل، 3: 402؛ خالد الأَزْهَرِي، شرح التَّصْرِيع، 2: 230؛ الصَّبَّان، 3: 221.

⁸ ابنُ عقيل، المُساعد، 2: 514؛ السَّيَّوطِي، الهمع، 5: 282؛ الأَشْمُونِي، 2: 150؛ الصَّبَّان، 3: 221.

أَكْثَرَ الْقُرَاءِ قَرَأُوا بِهِ فِي {يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ}¹، وكذلك: لَأْتَهُ- كَمَا نَقَلَ سِيبَوَيْهٍ عَنِ الْخَلِيلِ- مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُرَدُّ فِيهَا الشَّيْءُ إِلَى أَصْلِهِ²، عِنْدَمَا تَعَدَّرَ بِنَاؤُهُ فَعُدِلَ بِهِ إِلَى الْأَصْلِ³. وَمِنْ ثَمَّ، فَقَدْ عَلَّلَ الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهٍ اخْتِيَارَهُمَا لِلرَّفْعِ⁴ بِأَنَّهُ الْأَكْثَرُ سَمَاعًا عِنْدَ الْعَرَبِ، إِذْ سَمِعَ عَنْهُمْ يَقُولُونَ: "يَا زَيْدُ وَالنَّضْرُ"، وَهُوَ عِنْدَهُمَا الْقِيَاسُ، فَجُمِلَتْ: "يَا عَمْرُو وَالْحَارِثُ" كَأَنَّهُ قَالَ: "يَا حَارِثُ"، كَمَا أَنَّ الْأَعْرَجَ قَرَأَ الْآيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ {يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ}⁵، بِرَفْعِ "الطَّيْرِ"⁶. وَالشَّيْءُ اللَّافَتْ فِي ذَلِكَ، هُوَ أَنَّ سِيبَوَيْهٍ أَخَذَ بِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ (الطَّيْرُ) مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْقُرَاءَ السَّبْعَةَ قَرَأُوا بِالنَّصَبِ (الطَّيْرُ).

وَانْفَرَدَ الْمُبَرِّدُ بِرَأْيٍ خَاصٍّ بَيْنَ الرَّفْعِ وَالنَّصَبِ، فَإِذَا قُلْتَ: "يَا زَيْدُ وَالْحَارِثُ" فَالرَّفْعُ هُوَ الْاِخْتِيَارُ عِنْدَهُ، وَإِذَا قُلْتَ: ""يَا زَيْدُ وَالرَّجُلُ" فَالنَّصَبُ هُوَ الْمُخْتَارُ⁷، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَخْتَارُ فِي الْعِلْمِ الرَّفْعَ، وَفِي اسْمِ الْجِنْسِ النَّصَبُ⁸؛ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ- كَمَا يَقُولُ ابْنُ السَّرَّاجِ- أَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي "الْحَارِثُ" دَخَلَتْ عِنْدَهُ؛ لِلتَّفْخِيمِ، الْأَلْفُ وَاللَّامُ فِي "الرَّجُلُ" دَخَلَتَا بَدَلًا مِنْ "يَا": لِأَنَّ قَوْلَكَ: "النَّضْرُ وَالْحَارِثُ"، وَ"نَضْرُو حَارِثُ" بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ⁹.

¹ القرآن الكريم، سبأ: 10.

² سيبويه، 2: 186.

³ ابن الخباز، توجيه اللمع، 326.

⁴ بَلْ أَجَازَ سِيبَوَيْهٍ الرَّفْعَ وَإِنْ كَانَ الْمَعْطُوفُ لَا يَصِحُّ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْهِ حَرْفُ النَّدَاءِ؛ لِأَنَّهُ مَحَلٌّ بِ"ال"، وَالْمَحَلَّى بِ"ال" لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ "يَا"، فَيَقُولُ إِنَّ لَوْ حَمَلَ "الْحَارِثُ"- فِي قَوْلِهِمْ: "يَا عَمْرُو وَالْحَارِثُ"- عَلَى "يَا" لَمْ يَجْزُ النَّصَبُ، أَو الرَّفْعُ؛ بِسَبَبِ أَنَّكَ لَا تَنَادِي اسْمًا فِيهِ "ال" بِ"يَا"، وَلَكِنَّكَ أَشْرَكَتَ بَيْنَ "النَّضْرِ" وَ"زَيْدِ" فِي قَوْلِكَ "يَا زَيْدُ وَالنَّضْرُ"، وَلَمْ تَجْعَلْ "يَا" خَاصَّةً لِلنَّضْرِ، كَقَوْلِكَ: "مَا مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمْرٍو"، وَلَوْ أَرَدْتَ عَمَلَيْنِ لَقُلْتَ: "مَا مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَلَا مَرَرْتُ بِعَمْرٍو". انظر: سيبويه، 187.

⁵ القرآن الكريم، سبأ: 10.

⁶ ن. م، 2: 186-187.

⁷ المبرِّد، 4: 469؛ ابن الأثير، 2: 406؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 328.

⁸ ابن الخباز، توجيه اللمع، 326.

⁹ ابن السَّرَّاجِ، الأصول، 1: 336.

وأضاف ابنُ يعيش وابنُ مالك أنَّ المبرِّدَ إنما ذهبَ إلى هذا الرأي؛ لأنَّ "الحارث" و"حارث" علَّمان، وليس في الألفِ واللامِ معنى سوى ما كان قبلَ دخولهما، إذ لم تُؤثِّر في "الحارث"؛ لشبهه بالمجرَّد في عدمِ التأثير، أمَّا الألفُ واللامُ في "الرَّجل" قد أفادتَا معيًّا؛ لشبهه بالمضافِ في تأثيره بما اتصلَ به، حيثُ إنَّ الألفَ واللامَ أثَّرتَا في "الرَّجل".¹

ولكنَّ ابنَ عقيلٍ يؤكِّد أنَّ المبرِّدَ يأخذُ بمذهبِ أبي عمرو، وهو النَّصبُ مطلقًا، ذلك أنَّ الذي نقلَ عنه هذا الرأي هو ابنُ السَّراج في أصوله²، ولم يذكُر أنَّ المبرِّدَ كان يميل إلى النَّصبِ مطلقًا بغضِ النَّظَر إذا كان المعطوفُ علَّمًا محلِّي بـ"ال"، أو اسمَ جنسٍ محلِّي بـ"ال" كما فصَّلَ ذلك في كتابه المُقتَضَب. وفي الحقيقة، نرى أنَّ المبرِّدَ يعرِّضُ ما أشار إليه النَّحاة، ولكنَّه في نهاية هذا العرِّض يقول: "... وكلا القولين حسنٌ. والنَّصبُ عندي حسنٌ على قراءة الناس"³، بمعنى أنَّه يُرجِّح النَّصبَ؛ لأنَّ جمهورَ القُرَّاء يقرأُ بالنَّصبِ؛ لذا فهو يراه أحسنَ وجهًا من الرَّفعِ، على الرَّغم من أنَّه لا ينفي وجَّه الرَّفعِ.

أما ابنُ جني فإنه يُجيزُ الرَّفعَ والنَّصبَ من غيرِ فرق بينِ الجنسِ والعلمِ، وقد استشهدَ بقول الشَّاعر:

"ألا يا زبدُ والضَّحَّاكُ سيرًا فقد جاوَزْتُما خَمَرَ الطَّريقِ"

فقال- ابنُ جني:- "يُروى: الضَّحَّاكُ والضَّحَّاكُ، بالرَّفعِ والنَّصبِ".⁴

ويُستشفُّ من حديثِ ابنِ مالك في "شرح التَّسهيل" أنَّه كان يميلُ إلى نصبِ المعطوفِ المحلِّي بـ"ال"، بل عدَّه أجودَ من الرَّفعِ، فقد قال: "وفي عطفِ المقرون بـ"ال": يا زبدُ

¹ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 329-328: ابن مالك، شرح التَّسهيل، 3: 402-403؛ السيوطي، الهمع، 284-283: 5.

² ابن عقيل، المساعد، 2: 514.

³ المبرِّد، 4: 469.

⁴ ابن الخباز، توجيه اللَّمع، 325: ابن الخباز، الغرّة، 2: 528؛ السيوطي، الهمع، 5: 284-283.

والتَّضَرُّ، والتَّضَرُّ، ونصبُ المقرونِ بـ"ال" أجودُ مِنْ رَفْعِهِ عند أبي عمرو ويونس وأبي عَمَرَ الجرمي...¹.

ويرى الأخفشُ في عطفِ النَّسَقِ المحلَّى بـ"ال"، الَّذي يَتَّبِعُ منادَى مُعَرِّبًا، أَنَّهُ يجوزُ فيه الرَّفْعُ أيضًا، نحو: "يا رجلاً والحارثُ"، و"يا عبدَ اللَّهِ والحارثُ"؛ وإنَّما يجوزُ ذلك الأمرُ بسببِ قوَّةِ حُكْمِ كونهِ في حكمِ المستأنفِ، أي كَأَنَّهُ منادى مستأنفٌ قَدْ باشرَهُ حرفُ النِّداءِ، وكأَنَّكَ تقولُ: "يا أيُّها الرَّجُلُ". وكذلك الأمرُ في عطفِ البيانِ، إذ يجوزُ ضَمُّهُ إذا كان تابعًا لمنادى معرَّبٍ، نحو: "يا أخانا زيدُ"².

وفي المقابل، فقد أجمَعَ الثُّخَاةُ على أَنَّهُ إذا عطفْتَ على المنادى المفردِ اسمًا خاليًا من "ال" فيجبُ فيه الرَّفْعُ، نحو: "يا زيدُ وعمرو"³؛ لأنَّ حُكْمَ المعطوفِ كَحُكْمِ الَّذي ابْتُدِئَ به⁴، وكأَنَّهُ منادى مستقلٌّ⁵، أي: يا زيدُ ويا عمرو"، وهذا ما عَبَّرَ عنه سيبويه بقوله: "وتقول: يا زيدُ وعمرو، ليسَ إلَّا لأنَّهما قد اشتركا في النِّداءِ في قوله يا"⁶.

إلَّا أَنَّ الكوفيَّينَ والمازنيَّ- مِنَ البصريِّينَ- أجازوا النَّصْبَ، نحو: "يا زيدُ وعمراً"⁷، حَمَلًا على مَحَلِّ المنادى⁸، كما أَنَّهُم أَجْرَوْا المعطوفَ غَيْرَ المحلَّى بـ"ال" مَجْرَى المحلَّى بـ"ال"⁹، فعاملوه معاملتَهُ، وقاسوا عليه¹⁰.

¹ ابن مالك، شرح التَّسْهِيل، 3: 402.

² رضي الدِّين، شرح الكافية، 1: 327.

³ سيبويه، 2: 186.

⁴ ابن الأثير، 2: 406.

⁵ ابن مالك، شرح التَّسْهِيل، 3: 401.

⁶ سيبويه، 2: 186.

⁷ ابن الأثير، 2: 406؛ السَّيُوطِي، الهمع، 5: 284.

⁸ السَّيُوطِي، الهمع، 5: 284.

⁹ ابن مالك، شرح التَّسْهِيل، 3: 402.

¹⁰ ابن عقيل، المساعد، 2: 513.

ونرى ابن مالك أنه يقبل بهذا الرأي، إذ أشار إلى أن ما ذهب إليه الكوفيون والمازني غير بعيد من الصحة إذا لم تنو إعادة حرف النداء، ذلك أن المتكلم قد يقصد إيقاع نداء واحد على الاسمين، كما يقصد تشريكهما في عامل واحد، نحو: "حسبت زيدا عمراً حاضرين"، ونحو: "كأن خالدًا وسعدًا أسدان"¹.

ثم يُنسب إلى الكوفيين أنهم أجازوا رفع المعطوف وتنوينه، نحو: "يا زيد وعمرو"؛ لأن الكسائي يرى في ضمة "زيد" أنها ضمة إعراب؛ لذا- كما يقول ابن عقيل- قاس عليه الكوفيون ذلك بجواز الرفع والتنوين².

وأما إذا كان المعطوف مضافاً فإنه يجب أن يُنصب عند سيبويه وجمهور النحاة³، حتى لو كان المنادى مفرداً، أو مضافاً نحو: "يا زيد وعبدالله"⁴، و"يا غلام زيد وصاحب عمرو"⁵. إلا أن الفراء خالف النحاة في ذلك، فأجاز في المعطوف المضاف أن يكون مرفوعاً، نحو: "يا زيد وغلام بشر"⁶.

1.12. الاستغاثة:

تختص الاستغاثة -كما يبين الشاطبي⁷- بالنداء؛ فلذلك أتى بها في أبوابه. وهي من ناحية الشكل مصدر للفعّل السداسي (استغاث). أما من حيث اللغة فتعود إلى الأصل اللغوي

¹ ابن مالك، شرح التسهيل، 3: 402.

² ابن عقيل، المساعد، 2: 513.

³ ابن مالك، شرح عمدة الحافظ، 1: 280.

⁴ سيبويه، 2: 186.

⁵ ابن الأثير، 2: 405.

⁶ أبو حيان، الارتشاف، 4: 2198.

⁷ الشاطبي، المقاصد الشافية، 5: 361.

(غ، و، ث)¹، وتعني طلب الغوث²، وهو التخليص من الشدة والنقمة، والعون على الفكك من الشدائد والمكاره، فيقول المضطر الواقع في بليّة: أغثني، أي فرّج عني³. فقد ذكر الخليل بن أحمد أنه يُقال: "ضرب فلان فغوث تغويثاً، أي قال: واغوثاه، أي: من يُغيثني"⁴. وذكر ابن سيده وغيره: غَوَّثَ الرَّجُلُ واستغاثَ أي صاح: واغوثاه⁵. ويُقال في اللّغة: أجاب الله غوثاه، وغوثاه، وغوثاه وغياثه⁶، أي أجاب الله دعاءه⁷ وطلبه للمعونة والإغاثة. وبين الزبيدي أن ما ذكر سابقاً هو أصل الـ"غوث"، فقد صرح بذلك أئمة النحوي على حدّ قوله- بأن هذا هو أصله، ثمّ إنهم استعملوه بمعنى صاح ونادى طلباً للغوث⁸.

ولعلّه، من هنا، تظهر العلاقة الدلالية بين الغوث والغيث الذي يعني المطر، إذ قيل: غاث الغيث الأرض، أي أصابها، وغاث الله البلاد يغيثها غيثاً⁹، أي أنزل المطر، فأصابها

¹ بعض المعاجم تُدرج ألفاظ الاستغاثة تحت الجذر الثلاثي (غ، ي، ث)، وبعضها يدمج الجذرين معاً، بمعنى أن هناك اختلافاً حول الألف في الفعل الأجوف (غاث) هل هي منقلبة عن واو، أم عن ياء؟ انظر مثلاً:
² يُشار إلى أن هذه المادة اللغوية موجودة في اللغة العبرية القديمة، "لاوت" وهي تعني- كما يقول ابن شوشان אבן-שושן- إما المساعدة (أي طلب المساعدة)، وإما الإجابة (أي طلب الإجابة)، ويذكر ابن شوشان אבן-שושן في معجمه بأن هذا الجذر الثلاثي مستعمل في العربية بمعنى طلب الغوث والمعونة والمساعدة. ولعل الأمر اللافت أن هناك اسم عَلِمَ في العبرية "לאתיאל" وهو يعني: "أنقذني وأغثني يا الله"، "הצל אותי הוי אלוהים". انظر: אבן-שושן، מלון אבן-שושן، 4: 1360.

³ الزبيدي، تاج العروس، 3: 243.

⁴ الخليل بن أحمد، العين، 4: 440؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 965؛ الزبيدي، تاج العروس، 3: 242.

⁵ ابن سيده، المحكم، 6: 48.

⁶ ابن منظور، لسان العرب، 10: 139.

⁷ ابن عباد، المحيط، 5: 120-121.

⁸ الزبيدي، تاج العروس، 3: 242.

⁹ الجوهري، الصحاح، 1: 428؛ الرّمحشري، أساس البلاغة، 1: 717؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، 966-967.

غَيْثٌ. وَالْغَيْثُ أَيْضًا هُوَ الْكَلَأُ (الْعُشْبُ)¹ الَّذِي يَنْبُتُ بَعْدَ هطولِ الْمَطَرِ²؛ دَلَالَةً عَلَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِنْمَاءِ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ، أَوْ النَّاسَ يَطْلُبُونَ الْغَوْثَ بِالْغَيْثِ (المطر) الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ، فَتَحَيَا الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَجفافِهَا، وَحَيَا النَّاسُ كَذَلِكَ.

أَمَّا الْاسْتِغَاثَةُ مِنْ حَيْثُ الْأَصْطِلَاحُ فَيُعَرِّفُهَا النَّحَاةُ بِأَنَّهَا نِدَاءٌ؛ لِيَطْلُبَ الْغَوْثُ³، وَلِتَخْلِصَ الْمُنَادِي (المستغيث) مِنْ شِدَّةٍ، أَوْ لِإِعَانَتِهِ عَلَى رَفْعِ مَشَقَّةٍ⁴، أَوْ هِيَ دَعَاءُ الْمُسْتَنْصِرِ الْمُسْتَنْصِرَ بِهِ، وَالْمُسْتَعِينِ الْمُسْتَعَانَ بِهِ⁵، وَالْمُسْتَغِيثِ الْمُسْتَغَاثَ بِهِ⁶، نَحْو: "يَا لَلَّهِ"، أَوْ: "يَا لَزَيْدٍ".

وَيَحَاوُلُ عَبَّاسُ حَسَنٌ أَنْ يُصَوِّرَ مَعْنَى الْاسْتِغَاثَةِ النَّحْوِيَّ قَائِلًا إِنَّهُ إِذَا وَقَعَ إِنْسَانٌ فِي شِدَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ وَحْدَهُ التَّغَلُّبَ عَلَيْهَا، أَوْ تَوَقَّعَ أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ، فَقَدْ يُنَادِي غَيْرُهُ؛ لِيُنْقِذَهُ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ فِعْلًا، أَوْ لِيُدْفَعَ عَنْهُ الْمَكْرُوهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُهُ، وَيَخَافُ مِنْهُ نَحْوُ مُنَادَاةِ الْحَارِسِ زَمَلَاءَهُ حِينَ يَرَى جَمْعًا مِنَ الْأَعْدَاءِ مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ: "يَا لِلْحُرَّاسِ لِلْأَعْدَاءِ"، إِذْ إِنَّ هَذِهِ الْمُنَادَاةَ هِيَ لَطَلَبُ الْعَوْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ⁷.

1.12.1. استغاثَةٌ أَمْ تَعَجُّبٌ؟

وَمِنْ اللَّاقَتِ فِي بَابِ الْاسْتِغَاثَةِ أَنَّهُ يَضُمُّ التَّعَجُّبُ⁸، بَلْ إِنَّ بَعْضَ النَّحَاةِ قَدْ سَمَّوْا هَذَا

¹ ذَكَرَ الزَّيْبِيدِيُّ أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ: "...وَمِنْ بَابِ الْمَجَازِ: الْغَيْثُ: الْكَلَأُ يَنْبُتُ بِمَاءِ السَّمَاءِ، قَالَهُ اللَّيْثُ، وَكَذَا السَّحَابُ، وَقِيلَ: الْمَطَرُ، ثُمَّ سُيِّيَ مَا يَنْبُتُ بِهِ غَيْثًا...". انْظُرْ: الزَّيْبِيدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ، 3: 244.

² الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، الْعَيْنُ، 4: 440؛ ابْنُ عَبَّادٍ، الْمَحِيطُ، 5: 120؛ ابْنُ سَيِّدِهِ، الْمَحْكَمُ، 6: 11؛ ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، 10: 153.

³ ابْنُ الْخَبَّازِ، الْغَرَّةُ، 2: 532.

⁴ ابْنُ مَالِكٍ، شَرْحُ الْكَافِيَةِ، 2: 22؛ الْأَشْمُونِيُّ، الشَّرْحُ، 2: 164.

⁵ ابْنُ مَالِكٍ، شَرْحُ التَّسْهِيلِ، 3: 409؛ ابْنُ عَقِيلٍ، الْمُسَاعَدَةُ، 2: 525؛ الشَّاطِبِيُّ، الْمَقَاصِدُ، 5: 361.

⁶ السَّيُوطِيُّ، هَمْعُ الْهَوَامِعِ، 3: 71.

⁷ عَبَّاسُ حَسَنٍ، النَّحْوُ الْوَاقِعِيُّ، 4: 77.

⁸ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالتَّعَجُّبِ - هُنَا - الصُّورَةُ الْقِيَاسِيَّةُ: "مَا أَفْعَلَ السَّيِّءُ"، وَ"أَفْعَلُ بِهِ"، بَلْ هِيَ صُورَةٌ نَدَائِيَّةٌ تُحَاكِي شَكْلَ الْأُسْلُوبِ الْاسْتِغَاثِيِّ، وَتَحْمِلُ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ مَعْنَى التَّعَجُّبِ.

الباب: "باب الاستغاثَة والتَّعَجُّبِ المشبَّه بها"¹ لما يحتلُّه التَّعَجُّبُ مِنْ مكانٍ في هذا الباب. يقول الرِّضِيُّ عن اللَّامِ الَّتِي تَسْبِقُ الاسمَ المُسْتَغاثَ، أو المتعجَّبَ منه: "هذه اللَّامُ المفتوحة تدخلُ على المنادى إذا اسْتُغِيثَ به، نحو: "يا لِّلَّهِ"، أو تُعْجِبَ منه، نحو: "يا لِلْماءِ"، و"يا لِلدَّواهي"، وهي لَامُ التَّخْصِيصِ أُدْخِلَتْ علامةً للاستغاثَة والتَّعَجُّبِ"². ويقول ابنُ عصفور: "إذا نادَيْتَ الاسمَ على جهةِ الاستغاثَة، أو التَّعَجُّبِ، فيجبُ فَتْحُ لامِهِ..."³.

وقد شَرَعَ ابنُ عقيلٍ بتعليلٍ إلحاقِ المتعجَّبِ منه بالاستغاثَة، فوضَّحَ أَنَّ المتعجَّبَ منه إنَّما سيقَ هذا المساق؛ لأنَّ الاستغاثَة تُستعملُ لطلبِ النِّصْر، أو العَوْن، وأنَّ رؤيةَ الأمرِ العظيمِ المتعجَّبِ منه يقتضي بالعادةِ طَلَبَ الشَّخْصِ مَنْ يرى ذلك، فكأنَّه استغاثَ عِنْدَ رؤيةِ ذلك العظيمِ بما هو مِنْ جِنْسِهِ؛ لِيُخْضَرَ، فقال: يا لِلْماءِ! ويا لِلدَّواهي!⁴.

وَمِنْ ثَمَّ، حاولَ السيوطيُّ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُما في الدَّلالةِ والمعنى، فأشارَ إلى أَنَّ الاستغاثَة دعاءُ المستغيثِ المُسْتَغاثَ به، أمَّا التَّعَجُّبُ بالنداءِ فَإِنَّهُ يُفْهَمُ على وجهين: أحدهما أَنْ ترى أمراً عظيماً، فتنادي جِنْسَهُ، نحو: يا لِلْماءِ، والثَّاني أَنْ ترى أمراً تستعظمُهُ، فتنادي مَنْ له نسبةٌ إِلَيْهِ أو مكنةٌ فيه، نحو: يا لِلْعُلَماءِ!⁵.

ولعلِّي أتساءلُ هنا، لماذا لم يُفَرِّدِ النُّحاةُ القدماءُ بابَ "التَّعَجُّبِ" المرتبطَ بِاللَّامِ عن بابِ الاستغاثَة ببابٍ خاصٍّ؟ صحيحٌ أَنَّ ثَمَّةَ شيئاً يجمعُ بَيْنَهُما، نحو ارتباطِهما بِاللَّامِ مثلاً، إلَّا أنَّهما- في اعتقادي- من النَّاحِيَةِ الدَّلاليَّةِ لا يسيران في فَلَكٍ واحدٍ لا سِيَّما فيما يتعلَّقُ بالمعنى الدَّلاليِّ لِكُلِّ منهما.

¹ ابن مالك، شرح التَّسْهِيل، 3: 409؛ ابن عقيل، المُساعِد، 2: 525؛ الجرجاني، المُقْتَصِد، 2: 788؛ أبو حيان الأندلسي، الارتشاف، 4: 2211.

² الرِّضِيُّ، شرح الكافية، 1: 317.

³ ابن عصفور، شرح جمل الرَّجَاحي، 2: 210.

⁴ ابن عقيل، المُساعِد، 2: 525.

⁵ السيوطي، همع الهوامع، 3: 72-71.

1.12.2. أركان الاستغاثة:

يتألف تركيب الاستغاثة- عند جمهور النحاة- من ثلاثة أركان¹، وهي:

- 1- حرف النداء: ذهب النحاة إلى أنه لا يدخل على جملة الاستغاثة، أو المتعجب منه إلا حرف النداء "يا" خاصة² من بين سائر الحروف الأخرى³، ولا يجوز حذفها فيهما. وأشار أبو حيان إلى أنه ورد دخول حرف النداء "الوا" على المتعجب منه على قلة، كقول عمر بن الخطاب: "واعجباً لك يا ابن العاص"⁴.
- 2- المستغاث به⁵: وهو المنداد⁶ عند جمهور النحاة، وحكمه أن تدخل عليه لام الجر فيجر بها، ولكنها تكون لأم مفتوحة، ولا تكون مكسورة كحالها في غير النداء⁷.
- 3- المستغاث من أجله (أو المستغاث له)⁸: وهو الذي يطلب بسببه العفو⁹.

1.12.3. النصب في الاستغاثة:

كما لاحظنا سابقاً، فإن الاسم الذي يلي حروف النداء يكون منصوباً إمّا لفظاً، وإمّا محلاً؛ لأنه يُعدُّ مفعولاً عند جمهور النحاة، وبما أن حرف النداء "يا" يتصدر الجملة الاستغاثية فإن ذلك يُحتّم وفقاً للقاعدة- أن يُنصب الاسم الذي تدخل عليه لام الاستغاثة، وهو، في

¹ من النحاة من يُسمِّم أركان الاستغاثة إلى أربعة، حيثُ يضاف إلى الأركان الثلاثة المذكورة في البحث ركن رابع وهو المستغيث، ويشيرون إلى أن المستغيث لا يُذكر في جملة الاستغاثة، بل يكون مفهوماً من خلال سياق الجملة.

² أبو حيان الأندلسي، الارتشاف، 4: 2213.

³ السيوطي، همع الهوامع، 3: 75.

⁴ أبو حيان، الارتشاف، 4: 2213.

⁵ يُطلق عليه بعض النحاة "المدعول". انظر: ابن الدهان، كتاب الفصول، 45.

⁶ النيلي، الصفوة، 2: 217؛ الأشموني، الشرح، 2: 164.

⁷ الشاطبي، المقاصد، 5: 361.

⁸ يُسميه بعض النحاة المدعول إليه. انظر: ابن الدهان، كتاب الفصول، 45.

⁹ الهواري، قاموس قواعد اللغة العربية، 225.

طبيعة الحال- يلي حرف الـ"يا": لهذا سارع النحاة إلى تعليل ذلك، فقد أكد ابن يعيش أنه مما هو منصوب في التقدير والموضع، وإن لم يكن لفظه منصوباً، ما دخل عليه لام الاستغاثة، نحو: "يا لزيد" إذا استغثت به لغيره، ودعوتُهُ لِنَصْرَتِهِ (المستغاث به)¹. وإنما عني ابن يعيش بهذا الكلام أن "زيد" في جملة: "يا لزيد" هو اسم مستغاث به مجرور لفظاً؛ بسبب اللام الجارة²، منصوب محلاً؛ لأن موضعه النصب؛ مراعاةً لمعنى النداء والطلب في التركيب الاستغاثي لا سيما أنه متصدد بحرف النداء الـ"يا".

1.12.4. لام الاستغاثة:

يتراءى للنّاظر إلى جملة الاستغاثة التي تستوفي أركانها أن هناك لامين، وهما لام المستغاث به، ولام المستغاث من أجله، وإنما يكمن الفرق الجلي بينهما في حركة اللام- فضلاً عن الصدارة والترتيب- نحو: "يا لقومي لفرقة الأحباب"، وهذا ما أكد السيوطي وغيره من النحاة في أن علّة فتح لام المستغاث هو الفرق بينه وبين المستغاث من أجله، وكذلك فإن المتعجب منه أجري مجراه؛ لمشاركته في المعنى³. هذا يعني أنه لو بقيت لام المستغاث به مكسورة، ولام المستغاث من أجله مكسورة أيضاً، لوقع اللبس بينهما⁴؛ لهذا فتحت لام المستغاث به، وتركزت لام المستغاث من أجله مكسورة بحالها، فإذا قلت: "يا لزيد" بالفتح عليم أنه مستغاث به، وإذا قلت: "يا لزيد" بالكسر عليم أنه مستغاث من أجله، نحو قول الشاعر:

تَكَنَّفَنِي الْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي فَيَا لِلنَّاسِ لِلْوَأَشِي الْمُطَاعِ

¹ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 323.

² الشّاطبي، المقاصد، 5: 361.

³ السيوطي، الهمع، 3: 72..

⁴ الشّاطبي، المقاصد، 5: 363.

لهذا- كما يقول ابن يعيش- فَتَحَ الشَّاعِرُ اللَّامَ الْأَوَّلَى من "النَّاس": لَأَنَّهُمْ مُسْتَغَاثٌ بِهِمْ، وَكَسَرَ اللَّامَ الثَّانِيَةَ: لَأَنَّهُ مُسْتَغَاثٌ مِنْ أَجْلِهِ¹.

ويذهب النَّيْلِيُّ إلى أَنَّ عِلَّةَ فَتْحِ لَامِ الْمُسْتَغَاثِ بِهِ هِيَ لِكَوْنِهِ الْمُنَادَى فِي الْجُمْلَةِ الْاسْتِغَاثِيَّةِ كَمَا تُفْتَحُ مَعَ الْمُضْمَرِ، وَأَنَّ عِلَّةَ كَسْرِ لَامِ الْمُسْتَغَاثِ مِنْ أَجْلِهِ هِيَ لَأَنَّهُ غَيْرُ مُنَادَى؛ فَبَقِيَتْ اللَّامُ مَعَهُ مَكْسُورَةً كَمَا تَبْقَى مَعَ سَائِرِ الْمُظْهَرَاتِ².

ثُمَّ يُحَاوِلُ كَثِيرٌ مِنَ النُّحَاةِ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنْ مَجِيءِ اللَّامِ خَاصَّةً عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ الْمَعْيَنَةِ، فَأَشَارُوا إِلَى أَنَّ اللَّامَ تَحْمَلُ دَوْرًا وَظِيفِيًّا يَقِفُ مِنْ وَرَائِهِ مَفْهُومُ الْاسْتِغَاثَةِ، وَالْمَعْنَى الدَّلَالِيُّ الَّذِي يَتَغَيَّاهُ هَذَا الدَّوْرُ، إِذْ أَكَّدُوا إِنَّمَا جِيءَ بِاللَّامِ- كَمَا يَقُولُ ابْنُ عَقِيلٍ- لِأَنَّ ذَلِكَ أَغْوَنُ عَلَى مَدِّ الصَّوْتِ، وَهُوَ مُعَيَّنٌ عَلَى الْمَقْصُودِ بِالْاسْتِغَاثَةِ³. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّامَ لَهَا قُدْرَةٌ صَوْتِيَّةٌ تُسَاعِدُ عَلَى الْأَدَاءِ الْوُظِيفِيِّ لِمَقْصُودِ الْاسْتِغَاثَةِ.

1.13. النَّدْبَةُ:

وَرَدَتْ فِي الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ لِلْمَادَّةِ اللَّغْوِيَّةِ (ن، د، ب)، مِنْهَا مَا هُوَ ذَوْ صِلَةٍ بِالْمَعْنَى الْإِصْطِلَاحِيِّ، وَمِنْهَا مَا يَأْخُذُ دَلَالَاتٍ أُخْرَى قَدْ تَبَتَّعَتْ قَلِيلًا عَنِ الْإِصْطِلَاحِ النَّحْوِيِّ، فَالنَّدْبَةُ- لُغَةً- هِيَ أَثَرُ الْجَرَحِ الْبَاقِي عَلَى الْجِلْدِ إِذَا لَمْ يَرْتَفَعْ عَنْهُ⁴، وَالْجَمْعُ نُدَبٌ وَأُنْدَابٌ وَنُدُوبٌ. وَيُقَالُ أَيْضًا: نَدَبَ الْمَيِّتُ أَيُّ بَكَى عَلَيْهِ، وَعَدَّدَ مُحَاسِنَتَهُ وَأَفْعَالَهُ⁵، وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ سَيِّدِهِ غَيْرُ مُشْرُوطٍ بِبِكَاءٍ حَيْثُ إِنَّ النَّدْبَةَ عَنْده "مَدْحُ الْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَيَّدَ بِبِكَاءٍ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ؛

¹ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 323-324.

² النَّيْلِيُّ، الصَّفْوَةُ، 2: 217-218؛ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ، التَّلْغِيَّةُ، 1: 357؛ ابْنُ الدَّهَّانِ، كِتَابُ الْفُصُولِ، 45.

³ ابْنُ عَقِيلٍ، الْمُسَاعَدُ، 2: 526.

⁴ ابْنُ سَيِّدِهِ، الْمُحْكَمُ، 9: 353؛ الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، 1: 336؛ ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، 14: 87؛

الْفَيْرُوزَابَادِيُّ، الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، 1272؛ الرَّيْزِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ، 2: 424.

⁵ الْجَوْهَرِيُّ، 1: 335؛ ابْنُ مَنْظُورٍ، 14: 87؛ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ، 1272؛ الرَّيْزِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ، 2: 425.

لأنه احتراقٌ، وَلَدُّعٌ مِنَ الْحَزَنِ¹. والنَّدْبُ هو- أيضًا- أَنْ يَنْدُبَ إِنْسَانٌ قَوْمًا فِي أَمْرٍ، أَوْ حَرْبٍ، أَوْ مَعُونَةٍ، أَيْ يَدْعُوهُمْ؛ فَيَنْتَدِبُونَ لَهُ، أَيْ يُجِيبُونَ وَيُسَارِعُونَ؛ لهذا فهو ذُو نُدْبَةٍ². والنَّدْبُ هو الرِّشْقُ، فيقال: رَمَيْنَا نَدْبًا، أَيْ رَشَقًا³. وَكَرَّ ابْنُ مَنْظُورٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ النَّدْبَ يَعْنِي الْخَطَرَ، فيقال: أُنْدَبَ نَفْسَهُ، أَوْ بِنَفْسِهِ أَيْ خَاطَرَهَا⁴ مُسْتَشْهِدًا بِقَوْلِ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ:

أَيِّلِكَ مُعْتَمٌّ وَزَيْدٌ وَلَمْ أَقُمْ عَلَى نَدْبٍ يَوْمًا وَلِي نَفْسٌ مُخْطِرٌ⁵

وقد ذَكَرَ الرَّمَخَشَرِيُّ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ: "أَضْرَبْتُ بِهِ الْحَاجَةَ فَأَنْدَبْتُهُ إِنْدَابًا شَدِيدًا"، أَيْ أَثَرْتُ فِيهِ أَثَرًا وَاضِحًا⁶.

مِنْ هُنَا، أَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ إِنَّ الْجَذَرَ الثَّلَاثِيَّ (ن، د، ب) بِمَا يَحْوِي مِنْ اِشْتِقَاقَاتٍ، وَتَقْلِبَاتٍ فِي الشَّكْلِ إِنَّمَا يَتَّجِعُ إِلَى حَقْلِ دَلَالِيٍّ مُشْتَرِكٍ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ، أَلَا وَهُوَ الْأَثَرُ النَّاتِجُ، وَالْعَلَامَةُ النَّاتِيَةُ الْمُسْتَقَرَّةُ جَرَاءَ الْجُرْحِ وَالْمُصَابِ حَسًّا وَمَعْنًى، وَكَذَلِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ مَلَاحِظٍ ظَاهِرَةٍ لِلأَلَمِ، وَالْحَزَنِ، وَالْبَكَاءِ، وَالْحَسْرَةِ، وَالْفَرَقِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الرَّيْئِدِيُّ، مُؤَكِّدًا مَا نَقَلَهُ عَنْ شَيْخِهِ، بِأَنَّ "النُّدْبَةَ" مَأْخُوذَةٌ مِنَ النَّدْبِ، وَهُوَ الْأَثَرُ، فَكَأَنَّ النَّادِبَ يَذْكُرُ أَثَرَ مَنْ مَضَى⁷، وَكَذَا مَا ذَكَرَهُ الْخَوَارِزْمِيُّ بِأَنَّ النُّدْبَةَ وَجَعٌ وَغَمٌّ يَلْحَقُ الْبَاكِي عَلَى الْمَيِّتِ، فَيَدْعُوهُ وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَجِيبُهُ إِلَى إِزَالَةِ مَا لَحِقَهُ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيحِ⁸.

¹ ابن سيده، 9: 353؛ ابن منظور، 14: 87.

² الجوهري، 1: 335؛ ابن عباد، المحيط، 9: 326؛ الرِّيْئِدِيُّ، 2: 427.

³ ابن عباد، 9: 325؛ الجوهري، 1: 335؛ الفيروزآبادي، 1272: الرِّيْئِدِيُّ، 2: 426.

⁴ ابن سيده، المحكم، 9: 354.

⁵ ابن منظور، 14: 88؛ الجوهري، 1: 335؛ الرِّيْئِدِيُّ، 2: 426.

⁶ الرَّمَخَشَرِيُّ، أساس البلاغة، 2: 259.

⁷ الرِّيْئِدِيُّ، 2: 425.

⁸ الخوارزمي، التخمير، 4: 97.

والمندوب- اصطلاحًا- هو المذكور بعد "يا"، أو "وا" تَفْجُعًا؛ لِفَقْدِهِ حَقِيقَةً، أَوْ حُكْمًا، أَوْ تَوَجُّعًا؛ لَكُونِهِ مَحَلَّ أَلَمٍ، أَوْ سَبَبَهُ¹.

والمقصود بالفقد الحقيقي كالبقي على مَيِّتٍ قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ²، نَحْوَ قَوْلِ جَرِيرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَزِيزِ:

نَعَى النَّعَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ
حَمَلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرَتْ لَهُ وَقُفْتُ فِينَا بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَ

وَأَمَّا الْمَقْصُودُ بِالْفَقْدِ حُكْمًا هُوَ إِنْزَالُ الْمَوْجُودِ الْمُتَفَجِّعِ عَلَيْهِ مَثَلَةَ الْمَفْقُودِ، أَيْ أَنْ يُعَامَلَ الْمَوْجُودُ مُعَامَلَةَ الْمَفْقُودِ، نَحْوَ قَوْلِ الْخَنْدَسَاءِ وَمَنْ أَسِرَ مَعَهَا مِنْ آلِ صَخْرِ، وَصَخْرٌ غَائِبٌ لَا يُرْجَى حُضُورُهُ: "وَاصْخَرَاهُ، وَاصْخَرَاهُ"³.

إِذَنْ، فَالْمَنْدُوبُ⁴- كَمَا عَرَّفَهُ سَيُوبِيهِ- مَدْعُوٌّ؛ لِذَلِكَ ذُكِرَ مَعَ فِصُولِ النَّدَاءِ⁵، وَلَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّدَاءِ أَنَّهُ مُتَفَجِّعٌ عَلَيْهِ⁶. بَلْ ذَهَبَ بَعْضُ النُّحَاةِ إِلَى أَنَّ الْمَنْدُوبَ لَيْسَ مَدْعُوًّا؛ كِي

¹ ابن مالك، شرح التَّسْهِيل، 3: 413؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 534.

² ابن عصفور، شرح جمل الزَّجَاجِيِّ، 2: 229.

³ ابن مالك، شرح التَّسْهِيل، 3: 413؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 534.

⁴ تجدر الإشارة إلى أَنَّ هُنَاكَ مُصْطَلَحًا فَقْهِيًّا يُعْرَفُ بِالْمَنْدُوبِ، وَهُوَ أَيْضًا مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَادَّةِ ذَاتِهَا (ن، د، ب)، فَقَدْ ذَكَرَ التَّهَانَوِيُّ أَنَّ النَّدْبَ عِنْدَ الْأَصُولِيِّينَ وَالْفُقَهَاءِ هُوَ خَطَابٌ يَطْلُبُ فِعْلَ غَيْرِ كَفٍّ، يَنْتَهِضُ فَعْلُهُ فَقَطْ سَبَبًا لِلثَّوَابِ، وَذَلِكَ الْفِعْلُ يُسَمَّى مَنْدُوبًا وَمُسْتَحَبًّا وَتَطَوُّعًا وَنَفْلًا. وَقِيلَ إِنَّ الْمَنْدُوبَ هُوَ الزَّائِدُ عَلَى الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالسُّنَنِ. انْظُرْ: التَّهَانَوِيُّ، كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفَنُونِ، 4: 168-169. وَذَكَرَ الْأَمْدِيُّ أَنَّ الْأَمْرَ الْمَنْدُوبَ فِي مَاخُودٍ مِنَ النَّدْبِ، وَهُوَ الدَّعَاءُ إِلَى أَمْرٍ مَهْمٍ، وَهُوَ فِي الشَّرْعِ مَا كَانَ فَعْلُهُ خَيْرًا مِنْ تَرْكِهِ، أَوْ هُوَ مَا يُنْدَحُّ عَلَى فَعْلِهِ، وَلَا يُدْمُ عَلَى تَرْكِهِ". انْظُرْ: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْأَمْدِيُّ، الْإِحْكَامُ فِي أَصُولِ الْأَحْكَامِ (الْقَاهِرَةُ: دَارُ الْكُتُبِ الْخَدِيوِيَّةِ- مَطْبَعَةُ الْمَعَارِفِ، 1914)، 1: 170؛ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَافِيِّ، نَفَائِسُ الْأَصُولِ فِي شَرْحِ الْمَحْصُولِ (بَيْرُوتُ: الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ، 1999)، 1: 277-278.

⁵ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 358.

⁶ سَيُوبِيهِ، الْكِتَابُ، 2: 220؛ الْهُوَارِيُّ، الْقَامُوسُ، 226؛ الْخَضْرِيُّ، 2: 81؛ الصَّيْمَرِيُّ، التَّبَصُّرَةُ، 1: 362.

يُجِيبُ الدَّعَاءَ، فَقَدْ عَرَفَ الشَّاطِطِيُّ النَّدْبَةَ عَلَى أَنَّهَا "الاستصراخُ بالمفقود، أو ما أُقِيمَ مقامُهُ على جهةِ التَّفَجُّعِ، أو التَّوَجُّعِ، لا لِأَنَّ يُجِيبَ، فَإِذَا قُلْتَ: وَاذْنَاهُ، وَهُوَ مَيِّتٌ، فَأَنْتَ لَمْ تَقْصِدْ بِنِدَائِهِ أَنْ يُجِيبَكَ، وَإِنَّمَا قَصَدْتَ التَّصَوُّيْتُ بِاسْمِهِ تَفَجُّعًا لِقَفْدِهِ"¹، وَفِي تَعْرِيفِهِ هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى الْفَرْقِ الرَّئِيسِ بَيْنَ النَّدَاءِ وَالنَّدْبَةِ.

1.13.1. أركان النَّدْبَةِ:

بَيَّنَّ النُّحَاةُ أَنَّ لَتَرْكِيبِ النَّدْبَةِ ثَلَاثَةَ أَرْكَانٍ يُشْتَرَطُ أَنْ تَتَوَقَّفَ فِيهَا، وَهَذِهِ الْأَرْكَانُ:

(أ) حَرْفُ النَّدْبَةِ:

يُسْتَعْمَلُ فِي أَسْلُوبِ النَّدْبَةِ حَرْفَانِ، هُمَا "الـ" و"يا"، فَقَدْ قَالَ سَيَبُويه: "وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُنْدُوبَ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ اسْمِهِ (يَا) أَوْ (وَا)، كَمَا لَزِمَ "يَا" الْمُسْتَغَاثَ بِهِ، وَالْمَتَعَجِّبَ مِنْهُ"².

وَأَكَّدَ جَمْهُورُ النُّحَاةِ أَنَّ "وَا" مَخْصُصَةٌ بِالنَّدْبَةِ³، وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهَا. وَحُكِيَ أَنَّهَا اسْتُعْمِلَتْ فِي غَيْرِ النَّدْبَةِ قَلِيلًا⁴، كَمَا أَشَارَ ابْنُ هِشَامٍ - كَذَلِكَ - إِلَى أَنَّهَا تُسْتَعْمَلُ فِي النَّدَاءِ الْحَقِيقِيِّ⁵، نَحْوَ قَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ: "وَأَعْجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ"⁶.

وَحَرْفُ النَّدْبَةِ "وَا" - كَمَا أَشْرَنَّا سَابِقًا - لَيْسَ الْحَرْفَ الْوَحِيدَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي أَسْلُوبِ النَّدْبِ، فَقَدْ ذَكَرَ النُّحَاةُ أَنَّ "يَا" قَدْ تَسَبَّقُ الْاسْمَ الْمُنْدُوبَ⁷، نَحْوَ قَوْلِ جَرِيرٍ:

"حَمَلْتَ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبِرْتَ لَهُ وَفُقِمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَا"

¹ الشَّاطِطِيُّ، الْمَقَاصِدُ الشَّافِيَّةُ، 5: 376.

² سَيَبُويه، 2: 220؛ 231.

³ الْمَبْرَدُ، الْمُقْتَضِبُ، 4: 485؛ ابْنُ السَّرَّاجِ، الْأَصُولُ، 1: 329؛ ابْنُ هِشَامٍ، الْمَغْنِي، 2: 425.

⁴ الْأَهْدَلُ، الْكَوَاكِبُ الدَّرِّيَّةُ، 2: 332.

⁵ ابْنُ هِشَامٍ، مَغْنِي اللَّيِّيبِ، 2: 425؛ الصَّبَّانُ، حَاشِيَةُ الصَّبَّانِ، 3: 198.

⁶ السَّيُوطِيُّ، هَمْعُ الْهَوَامِعِ، 3: 36. وَقَدْ ذَكَرَ الْأَهْدَلُ "وَأَعْجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ". انْظُرْ: الْأَهْدَلُ، الْكَوَاكِبُ الدَّرِّيَّةُ، 2: 333.

⁷ سَيَبُويه، الْكِتَابُ، 2: 220.

ولكنهم وَضَعُوا شرطاً في استخدام "يا" في التَّدْبَةِ، وذلك أنه إذا خِيفَ اللَّبْسُ بَيْنَ التَّدْبَةِ-
الَّتِي فِيهَا تَفْجُجُ وَحَسَرَةٍ- وَبَيْنَ النَّدَاءِ- عندما يتبادرُ إلى السَّامِعِ أَنَّكَ قَصَدْتَ النَّدَاءَ لَا التَّدْبَةَ-
عندئذٍ تَعَيَّنَتْ "وا"، فلا يجوزُ استخدامُ "يا"؛ ذلك-كما قلنا- أَمَّا لِلْبَسِ¹.
ولكن، لعلُّهُ من اللَّاقِبِ أَنْ نذكرَ هنا أَنَّ أسلوبَ التَّدْبَةِ الواردَ في القرآن² لم يُصَدَّرْ
بحرفِ التَّدْبَةِ "وا"، بل جاءَ مصدِّراً بالياء، نحو قوله تعالى: {يا أسفا على يوسف}³. وهذا
الأمرُ يُدَكِّرُنَا ثانيةً بأنَّ الحرفَ الوحيدَ المستخدمَ للنَّداءِ في القرآن هو الـ"يا" دونَ غيرهٍ مِنْ
حروفِ النَّداءِ.

إذن، فحرفا التَّدْبَةِ "وا"، و"يا" هما علامتانِ مميَّزتانِ لِأسلوبِ التَّدْبَةِ عن النَّداءِ، لهذا
قال النُّحاةُ إِنَّهُ لا يجوزُ أَنْ يُحْدَفَ حرفُ التَّدْبَةِ⁴؛ لأنَّه علامةٌ عليه، إذ يُؤْتَى بحرفيها؛ لأظهارِ
التَّفْجُجِ، وَمَدِّ الصَّوْتِ وتكثيرِهِ، ولأنَّ المتفجِّعَ يصبِيهُ طَرَبٌ لشدَّةِ جَزَعِهِ ولا يكونُ ذلك-كما
يقولُ المبرِّدُ- إلَّا بـ"يا"، أو"وا"⁵، بل يؤكِّدُ ابنُ عصفور أنَّ حَذْفَ حرفِ التَّدْبَةِ يُناقِضُ ذلك⁶.
ونجدُ سببِيهِ مُؤَكِّداً هذه الحقيقةَ بقوله -الَّذي أَشْرُنَا إِلَيْهِ أَنفَاقاً-: "واعلم أنَّ المندوبَ لا بدَّ
له من أَنْ يكونَ قَبْلَ اسمِهِ (يا) أو (وا)"⁷. هذا يعني أَنَّهُ لا بدَّ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ كي يتمَّ معنى
التَّدْبِ⁸، كما قال ابنُ السَّرَاجِ.

¹ الأشموني، الشَّرح، 2: 136؛ الصَّبَّان، الحاشية، 3: 198-199؛ السيوطي، الهمع، 3: 66؛ الأزهرى، شرح
التَّصريح، 2: 206.

² انظر: الفصل الثاني- "مواضع التَّدْبَةِ ومدلولاتها القرآنيَّة".

³ القرآن الكريم، يوسف: 84.

⁴ أبو حيان، الارتشاف، 5: 2215؛ ابن الخباز، التَّوجيه، 345.

⁵ المبرِّد، المقتضب، 4: 512؛ ابن عصفور، شرح جمل الرَّجَاجِي، 2: 230؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 358.

⁶ ابن عصفور، شرح جمل الرَّجَاجِي، 2: 230؛ ابن الخباز، التَّوجيه، 345.

⁷ سيبويه، 2: 220؛ 231.

⁸ ابن السَّرَاج، الأصول، 1: 355.

وتظهرُ من خلالِ منعِ حذفِ حرفِ النَّدْبَةِ عِلَّةُ استعمالِ الحرفَيْنِ، وهذا العِلَّةُ هي الإطالةُ في الصَّوْتِ ومُدُّه؛ مبالغةً في الحزنِ والتَّفَجُّعِ والأسى¹، وكأَنَّ العربَ يترنِّمونَ في النَّدْبَةِ إشعارًا بما يحتويه معناها؛ لذا ألزموها المدَّ، ثُمَّ ألحقوا آخرَ الاسمِ مدًّا آخرَ؛ مبالغةً في التَّرَنُّمِ².

(ب) النَّادِبُ:

ويُقْصَدُ بالنَّادِبِ هو ذلك المَصَوِّتُ الَّذِي ينطقُ بجملةِ النَّدْبَةِ، كالباكي على مَيِّتٍ، أو كالمْتَفَجِّعِ لِفَقْدِهِ غَالِيًا، أو كالمْتَوَجِّعِ لكونِهِ محلِّ أَلَمٍ، أو لكونِهِ سببًا للألَمِ³. وهو رُكْنٌ غيرُ مذكورٍ في الجملة.

والشَّيْءُ المثيرُ بما يتعلَّقُ بالنَّادِبِ أَنَّ النُّحَاةَ كانوا قد حدَّدُوا الجهةَ الصَّادِرَةَ عن النَّدْبِ، وهذه الجهةُ هي في أغلبِهَا مِنَ النِّسَاءِ⁴؛ لِمَا تَتَّصِفُ به المرأةُ مِنْ ضَعْفٍ، وَقَلَّةِ تَحَمُّلٍ على المَصَابِ. يقولُ ابنُ يَعِيشَ: "واعلمَ أَنَّ النَّدْبَةَ لِمَا كَانَتْ بُكَاءً وَنَوْحًا بتعدادِ مآثرِ المندوبِ وفضائله، وإظهارُ ذلكِ ضَعْفٌ وَخَوَرٌ، ولذلكِ كَانَتْ في الأكثرِ من كلامِ النِّسَوَانِ؛ لِضَعْفِهِنَّ عن الاحتمالِ، وَقَلَّةِ صَبْرِهِنَّ"⁵.

(ج) المندوب:

يندرجُ المندوبُ تحتَ تعريفيْن، فهو -أولاً- المتفجَّعُ عليه⁶، أي الَّذِي أصَابَهُ المصَابُ، أو

¹ مِنَ المعلومِ أَنَّ أسلوبَ النَّدْبَةِ أَخِذٌ بالاختفاءِ في اللغةِ العربيَّةِ المعاصرة - خاصةً في اللُّغاتِ المحكيَّةِ - بشكلٍ بارزٍ ولافتٍ، بل تكادُ هذه الظَّاهِرَةُ تتلاشى.

² سيبويه، 231؛ المبرِّد، 4: 512؛ ابنُ يَعِيشَ، شرح المِفْصَلِ، 1: 358.

³ ابنُ مالِك، شرح التَّسْهِيلِ، 3: 413-414؛ أبو حَيَّان، الارتشاف، 5: 2215.

⁴ ابنُ الأَنْبَارِيِّ، أسرار العربيَّة، 183؛ أبو حَيَّان، الارتشاف، 5: 2215؛ الخَضْرِيُّ، 2: 82؛ ابنُ الدَّهَّانِ، الفصول، 45.

⁵ ابنُ يَعِيشَ، شرح المِفْصَلِ، 1: 359-360.

⁶ ذَكَرَ الرَّضِيُّ أَنَّ المقصودَ باستخدامِ "عليه" في قولنا: "المتفجَّعُ عليه" هو دخوله في المجرور، فعندما نقول:

"وازيذا" كأننا نقول: "تَفَجَّعْتُ على زَيْدٍ". انظر: الرَّضِيُّ، الشَّرْحُ، 1: 379.

الفاجعة، نحو تَفْجُوعِكَ على زَيْدٍ: "وازيده". أو -ثانيًا- هو المتفجّع منه (المتفجّع له)، وهو موضع الألم، أو الشدّة، أَكَانَ ذلك حقيقيًا، نحو تَأْلَمُكَ مِنْ ظَهْرِكَ: "واظْهَرَاهُ"¹، أم حُكْمِيًّا² (مجازيًا) نحو: أو تَوْجَعِكَ وشكواكَ مِنْ حُبِّ يَشْتَدُّ عَلَيْكَ فتجدُ حرقتَه وجواه، كقول قيس العامري:

"فواكبدا مِنْ حُبِّ مِنْ لَا يَحْبُنِي وَمِنْ عِبْرَاتٍ مَا لِهِنَّ فَنَاءٌ"

والمندوبُ عندَ النَّحَاةِ في حكم المنادى³؛ لِأَنَّهُ في الحقيقةِ مَدْعُوٌّ، فقد قال سيبويه: "اعْلَمْ أَنَّ المندوبَ مدعوٌّ ولكنّه متفجّعٌ عليه"⁴.

وَمِنْ ثَمَّ فقد أَوْجَبَ بعضُ النَّحَاةِ أَنْ "يُنَادَى" المندوبُ بِأَشْهَرِ أَسْمَائِهِ؛ لِئَدُلَّ ذلكَ على عَظَمِ المَأْسَاةِ، ومشاركهم في التَّفْجُعِ والرَّزِيَّةِ⁵، كما يقول ابنُ يعيش، مبينًا أَنَّهُ "وَجَبَ أَنْ لَا يُنْدَبَ إِلَّا بِأَشْهَرِ أَسْمَاءِ المندوبِ وأَعْرِفَهَا؛ لِكِي يَعْرِفَهُ السَّامِعُونَ، فيكونَ عُدْرًا لَهُ عِنْدَهُمْ، وَيُعْلَمَ أَنَّهُ قد وَقَعَ في أَمْرٍ عَظِيمٍ، لَا يُمْلِكُ التَّصَبُّرُ عِنْدَ مِثْلِهِ. ولهذا المعنى لَا تُنْدَبُ نَكْرَةً، وَلَا مُبَيَّنَةً"⁶.

1.13.2. الأسماء التي لا يصحُّ ندبها:

لاحظنا أَنَّ الأصلَ في المندوبِ أَنْ يُسَمَّى بِأَشْهَرِ أَسْمَائِهِ لِإِعْلَافِ ذِكْرَتِ أَنْفَا، ولكن، على الرّغم مِنْ هذا الاشتراطِ، حَدَدَ النَّحَاةُ الأسماءَ التي لَا يجوزُ أَنْ تكونَ مندوبةً⁷، وهي:

¹ ابن عقيل، الشّرح، 449؛ الصّبّان، الحاشية، 3: 248-249.

² الصّبّان، الحاشية، 3: 248-249؛ ابن مالك، شرح التّسهيل، 3: 413-414؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 534؛ الخصري، 2: 82.

³ السيوطي، الهمع، 3: 66.

⁴ سيبويه، 2: 220.

⁵ ابن الأنباري، أسرار العربيّة، 183.

⁶ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 360؛ الخصري، الحاشية، 2: 82.

⁷ سيبويه، 2: 227؛ السيوطي، الهمع، 3: 67؛ ابن عقيل، الشّرح، 449؛ الصّبّان، الحاشية، 3: 249-

250؛ الرّضي، الشّرح، 1: 384-385؛ أبو حيّان، الارتشاف، 5: 2215-2216؛ ابن مالك، شرح التّسهيل،

أ- الاسم النكرة: فلا يُقال: "وارجلأه".

ب- الاسم المبهّم من ضمير: فلا يُقال: "وأنتاه".

ج- اسم الإشارة: فلا يُقال: "واهذه".

د- الاسم الموصول: فلا يُقال: "وأمّن ذهباه"، أو: "والذّياه".

هـ- الاسم المقترن بـ"ال": فلا يُقال: "وأئّها الرّجلأه".

وذكر السيوطي أنّ الرّياشيّ أجاز نُدْبَةَ النّكرة مستدلاً بالحديث: "واجبلأه"، ولكنّ جمهور النّحاة أنكروا ذلك، فقالوا: "إنّ صحّ الحديث فهو نادر"¹.

في المقابل، فقد أشار ابن الأنباري² إلى أنّ الكوفيّين يُجيزون نُدْبَةَ النّكرة والأسماء الموصولة، خلافاً للبصريّين الذين لا يجيزون ذلك³.

ويُلخّص الأعلّم باب ما يجوز أن يُندب مُستبطناً كوامن العلة في ذلك، فيقول: "قد تقدّم أنّ أصل التّدية حزنٌ وبكاءٌ على فائتٍ لا عوّضَ منه في فضلٍ وإحسانٍ وشجاعةٍ وقيامٍ بأمرٍ لا يقومُ به غيرُهُ فيحتاجُ إلى تعظيمِ الأمرِ الذي حزنوا له وبكوا عليه؛ ليكونَ عذراً. فيجبُ أن لا يأتوا فيه من اللَّفْظِ إلّا بما يُعرَفُ ويشهرُ؛ فلهذا لم تُندبِ النّكرة، ولا المبهّم كما لا يجبُ أن يُندبِ الإنسانُ من لا يعنيه أمرُهُ، ولا يُؤلّهُ فَقْدُهُ"⁴.

3: 414؛ ابن عقيل، المساعد، 2: 535؛ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 360؛ الشّاطبي، المقاصد، 5:

379-383؛ ابن الخبّاز، التّوجيه، 345؛ الصّيمري، التّبصرة، 1: 362.

¹ السيوطي، الهمع، 3: 67.

² يقف ابن الأنباري موقفَ المعارض لما ذهب إليه الكوفيّون، واصفاً بأنّ ما استدّلوا به- على أنّ الإشارة قد قرّبت الاسم النّكرة من المعرفة فجازت ندبته كالمعرفة- هو، عنده، تعليلٌ غيرُ صحيح؛ لأنّه باق على إبهامه، وأنّ ما حكّوه من قولهم: "وا من حَفَر بئرَ رَمَماه" هو شاذٌّ لا يُقاسُ عليه، وإنّما جاء مع شذوذه ها هنا؛ لأنّه كان معرّفاً، وهو عبد المطلب جد النّبيّ- عليه السّلام. وهذا الأمر يوضّحه سيبويه نفسه في الكتاب قائلاً: "وزعم (الخليل بن أحمد) أنّه لا يُستَقْبَحُ وا من حَفَر بئرَ رَمَماه؛ لأنّ هذا معروفٌ بعينه، وكان التّبيين في التّدية عذراً للفتّح. انظر: سيبويه، 2: 228؛ ابن الأنباري، الإنصاف، 1: 338.

³ ابن الأنباري، الإنصاف، 1: 337.

⁴ الأعلّم، النّكت، 2: 173.

1.13.3. ألف النُّدْبَة:

هي ألفٌ تلحقُ آخرَ الاسمِ المندوبِ¹، نحو: "واعمراً"²، وإنما زيدتْ؛ لإظهارِ التَّفجُّعِ، ومدِّ الصَّوْتِ والإبعادِ فيه، والمبالغةِ في التَّرْتُمِ³. قال ابنُ يعيش: إنَّه لَمَّا كان يسلكُ في النَّدْبَةِ والنَّوْحِ مذهبُ التَّطْرِيبِ زادوا الألفَ في آخرِهِ للتَّرْتُمِ؛ لأنَّ مدَّ الصَّوْتِ فيها أمكنُ⁴.

والجمهورُ على أنَّ ألفَ النَّدْبَةِ تُضَافُ جَوَازًا، وليسَ وجوبًا، إذ قال ابنُ السَّرَاجِ: "وتلحقُ الألفُ آخرَ الاسمِ المندوبِ إنْ شِئْتَ وإنْ شِئْتَ نَدَبْتَ بغيرِ ألفٍ، والألفُ أكثرُ في هذا الباب"⁵. وقد بيَّنَ سيبويه- من قبله- أنَّ وجودَ الألفِ في آخرِ الاسمِ المندوبِ ليسَ شرطًا رئيسًا لتحقيقِ النَّدْبِ، مشيرًا إلى أنَّ المتكلمَ يستطيعُ أنْ يُلْحَقَ في آخرِ الاسمِ المندوبِ ألفًا؛ التي تُعَيِّرُ عن مَسَلِّكَ النَّوْحِ⁶، فكانَ في الألفِ تَرْتُمًا، ويستطيعُ أنْ لا يفعلَ ذلكَ كما لا تلحقُ الألفُ في النداء⁷.

وذكرَ ابنُ الأنباري أنَّ من علَّلِ ألفَ النَّدْبَةِ أنَّ المندوبَ يتوسَّطُ صَوْتَيْنِ مديدينِ "يا"، أو "وا" في أولِهِ، وألفًا وهاءً في آخرِهِ؛ لِيُمَدَّ بهما الصَّوْتُ⁸. وأضافَ ابنُ الخَبَّازِ أنَّ العربَ خَصَّوْا الألفَ بالإلحاقِ؛ لأنَّها أبلغُ في المدِّ من الياءِ أو الواوِ⁹.

¹ السَّهْوَري، شرح الأجروميَّة، 2: 671؛ ابنُ الخَبَّازِ، التَّوجِيه، 347.

² نقولُ في إعرابِ "واعمراً": "وا": حرف ندية مبنيٌّ على السَّكُونِ لا محلَّ لها من الإعرابِ، و"عمر": مندوب مبنيٌّ على الضَّمِّ المقدَّر؛ منع من ظهوره اشتغال المحلِّ بحركة المناسبة في محلِّ نصب، والألف للنَّدْبَةِ مبنيةٌ على السَّكُونِ لا محلَّ لها من الإعرابِ.

³ الشَّاطِبي، المقاصد، 5: 389.

⁴ الصَّيْمِري، التَّبَصُّرَة، 1: 362؛ ابنُ يعيش، شرح المِفْصَل، 1: 358.

⁵ ابنُ السَّرَاجِ، الأُصُول، 1: 355.

⁶ ابنُ يعيش، شرح المِفْصَل، 1: 358.

⁷ سيبويه، الكتاب، 2: 220.

⁸ ابنُ الأنباري، أسرار العربيَّة، 243.

⁹ ابنُ الخَبَّازِ، التَّوجِيه، 345.

وبعيداً عن اختلاف النُحاة¹ - بصريين وكوفيّين - حول قواعد ألفِ النَّدبة، نستذكر قول ابن الدّهان الموجز بأنّه إنّ كان في الكلام لبسٌ قُلبتِ الألفُ إلى جنسِ الحركة التي قبلها، نحو: "واغلامُوه"، و"واغلامُكوه"، و"واغلامُكيه"².

1.13.4. هاء السّكت:

تُضافُ بعد ألفِ النَّدبةِ هاءٌ، تُعرَفُ عند النُّحاةِ بهاءِ السّكتِ³، نحو: "وازيّدة"، و"يا عبد الملكاه"، و"يا أمير المؤمنين". يقول الزّمخشريّ إنّها سُمّيت بذلك؛ لأنّ حقّها أن تكون ساكنةً⁴. فإذا وقفت على المندوبِ جازَ زيادةُ هاءِ سكتٍ بعد المدّ، سواءً أكانَ ألفاً، نحو: وَاُمَحَمَداهُ، أو ياءً، نحو: "واغلامُكيه"، أو واوًا، نحو: "واغلامُوه"⁵.

ودَهَبَ جمهورُ النُّحاةِ إلى عدمِ إثباتِ الهاءِ في الوصلِ، بل عدَّ ابنُ السّراجِ والزّمخشريّ وغيرُهم إثباتها عند الوصلِ لُحْنًا وخروجًا على كلامِ العربِ⁶، خلافاً للفرّاءِ إذ أجازَ إثباتها في الوصلِ اختياراً مضمومةً، أو مكسورةً⁷. وربّما تُثبتُ في الضّرورةِ الشّعريّةِ - وصلاً - مضمومةٌ تشهيباً لها بهاءِ الضّميرِ، أو مسكورةً؛ لالتقاء الساكنين، نحو قولِ الشّاعرِ:

"أَلَا يَا عَمْرُو عَمْرَاهُ وَعَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرَاهُ"⁸.

¹ ليس بوسعنا أن نتحدّث حول أحكام ألفِ النَّدبةِ بإسهابٍ؛ لأنّ ذلك يحتاجُ إلى تفصيلٍ طويلٍ، في حين أنّ عدد صفحات البحثِ محدودة. كما أنّ هدفنا من درسِ النَّدبةِ هو التّعريفُ بأهم الأحكام، معيّ وفقها وإدراكها، بما يعيننا على استيعابه؛ وأيضاً، اعتقاداً منا بأنّ الإعرابَ هو فرعُ المعنى، أي إنّ النّحوَ بامتدادِهِ الواسعِ يقوم على فهم معاني الموضوعات النّحويّة - على حدِّ علمنا.

² ابن الدّهان، الفصول، 45؛ ابن الخباز، التّوجيه، 347.

³ السيوطي، النّكت، 2: 185.

⁴ الزّمخشريّ، المفصل، 431.

⁵ الشّاطبي، المقاصد، 5: 397.

⁶ ابن السّراج، الأصول، 1: 355؛ الزّمخشريّ، المفصل، 431.

⁷ السيوطي، الهمع، 3: 70؛ إبراهيم، أسرار النّداء، 166.

⁸ السيوطي، الهمع، 3: 70؛ النّكت، 185؛ الأشموني، الشّرح، 2: 466.

ويوضِّح ابنُ الخَبَّازِ دلالةَ هاءِ السَّكْتِ، إثباتًا وَحَذْفًا، مبيِّنًا أنَّ هذه الهاءَ تؤدِّي معنى التَّنْبِيهِ للألفِ الَّتِي تَلْحَقُ آخرَ المندوبِ؛ لأنَّها خَفِيَّةٌ، فإذا وَصَلَتْ أَسْقَطَتْ الهاءَ؛ لأنَّ ما بعدَ الألفِ يقومُ مقامَ الهاءِ في بيانها، فتقولُ في الوَصْلِ: "وَأَزِيدَا يَا قَوْمَ"، وتقولُ عندَ الوَقْفِ: "وَأَزِيدَاهُ"¹.

ثُمَّ يُجَمِّلُ عبدُ السَّلامِ المقدسيُّ² [...] 678هـ، ... 1279م] طبيعةَ تركيبِ التَّدْبِيَةِ بما فيه مِنْ حُرُوفٍ، نَحَوَ: "وَأَزِيدَاهُ"، فيقولُ إِنَّهُ جُعِلَ فِي أَوَّلِ التَّدْبِيَةِ أَلْفٌ- الواقعةُ بعدَ الواو- وفي آخرها هاءٌ؛ ليقعَ الصَّوْتُ بَيْنَ حرفَيْنِ مديدَيْنِ، فيطوَّلُ صَوْتُهُ، ويمتدُّ نَدْبُهُ، ويطوَّلُ تَفَجُّعُهُ، فيرحمُهُ مَنْ يسمِعُهُ³.

1.13.5. حُكْمُ المندوبِ:

كما ذَكَرْنَا سابقًا فَإِنَّ المندوبَ عِنْدَ جمهورِ النُّحَاةِ- بغضِّ النَّظَرِ عنِ الخلافاتِ حَوْلَ دلالةِ المندوبِ- فهو مدعوٌّ، بمعنى أَنَّهُ منادى، وهذا ما نَصَّ عَلَيْهِ سيبويهُ نَفْسُهُ بقوله: "اعْلَمْ أَنَّ المندوبَ مدعوٌّ ولكنَّه متفَجِّعٌ عَلَيْهِ"⁴.

لهذا؛ فَإِنَّ حُكْمَ المندوبِ عِنْدَ النُّحَاةِ يُشَابِهُ حُكْمَ المنادى؛ فقد بَيَّنَّ السَّيَوطِيُّ ذلكَ وَأَجْمَلَهُ بقوله: "وَحُكْمُ المندوبِ حُكْمُ المنادى مِنْ نَصْبِهِ ، إِذَا كَانَ مضافًا أو شبيهَهُ، نحو: "وَاعْبُدَ اللَّهَ"، "واضاربًا عَمْرًا"، وَضَمَّهُ إِذَا كَانَ مفرَّدًا، نحو: "وازيدُ"، وتنوينه عندَ الاضطرارِ، نحو: "وَأَفْقَعَسَا وَأَيْنَ مَيِّ فَقَعَسُ"⁵.

¹ ابنُ الخَبَّازِ، التَّوْجِيهِ، 345.

² يُعَدُّ كِتَابُ عبدِ السَّلامِ المقدسيِّ مِنْ أَقدمِ المصنِّفاتِ الَّتِي شَرَحَتْ النَّحْوَ العَرَبِيَّ عن طريقِ الإِشارةِ الصَّوْفِيَّةِ.

³ عَزَّ الدِّينُ عبدُ السَّلامِ بنُ أَحْمَدَ المقدسيِّ، تلخيصُ العبارةِ في نحوِ أَهلِ الإِشارةِ (بيروت: دارُ الكتبِ العِلْمِيَّةِ، 2006)، 42.

⁴ سيبويه، 2: 220.

⁵ السَّيَوطِيُّ، الهمع، 3: 66.

1.14. جدلية الخبر والإنشاء:

مِنَ الْمُسْلَمِ بِهِ عِنْدَ النَّحَاةِ الْقَدَمَاءِ أَنَّ النَّدَاءَ أَسْلُوبٌ إِنْشَائِيٌّ¹ مِنْ حَيْثُ الْبَلَاغَةُ، وَتَحْدِيدًا تَحْتَ سَقْفِ عِلْمِ الْمَعَانِي²، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يَخْلُقُ إِشْكَالًا بَارِزًا هُوَ تَقْدِيرُ الْفِعْلِ الْمُضْمَرِ فِي جُمْلَةِ النَّدَاءِ، إِذْ إِنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ الْإِسْلُوبِ الْمُنطَوِّقِ (الصَّوْتِي)، وَبَيْنَ أَسْلُوبِ التَّقْدِيرِ،

¹ الإنشاء لغةً يعني الابتداء، والإيجاد، والخلق. وفي الاصطلاح هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، أو هو كلُّ كلامٍ لا يصحُّ أن يُقالَ لصاحبه إنَّه صادقٌ فيه أو كاذبٌ، نحو: اغفر، وارحم، فلا يُنسبُ ذلك إلى صديقٍ أو كاذبٍ. وقد وَضَّحَ القزويني مفهومَ الصِّدْقِ والكذبِ أنَّ صدقَ الكلامِ مطابقتهُ للواقع، وكذبُهُ عدمُ مطابقتهُ للواقع، بمعنى أنَّ هذا الكلامَ يُنشِئُهُ صاحبهُ بدايةً دونَ أن تكونَ له حقيقةٌ خارجيَّةٌ يطابقُها أو يخالفُها؛ لهذا فإنَّ الإنشاءَ لا دلالةَ له قبلَ نطقه؛ لأنَّه - غالبًا - لم يقعَ سابقًا، ولا يُطابقُ الواقعَ الذي تقدَّمَهُ. ويُقسَمُ الإنشاءُ إلى قسمين: (أ) إنشاءٌ طليّ، وهو الذي يستدعي مطلوبًا غيرَ حاصلٍ في ذهن المتكلِّمِ وقتَ الطلبِ، وأنواعه خمسة: الأمر، والتَّيْبِ، والاستفهام، والتَّمَنِّي، والنَّداء. (ب) إنشاءٌ غير طليّ، وهو الذي لا يستدعي مطلوبًا غيرَ حاصلٍ وقتَ الطلبِ، وله أساليبٌ عديدة، منها: المدح والذَّم، القسم، التَّعَجُّب، الرِّجاء، العقود. ونستطيعُ، من هنا، أن نفهمَ أبعادَ التسميةِ التي أطلقها السَّكَّاكِيُّ على باب الإنشاء حينَ عَنَوْنَ البابَ بقوله: "من علم المعاني وهو قانون الطلب". انظر: يوسف بن محمَّد السَّكَّاكِيُّ، مِفْتَاحُ الْعُلُومِ (بيروت: دار الكتب العلميَّة، 2000)، 414؛ محمَّد الكرمي، الوشاح، 1: 317-318؛ الجرجاني، التَّعْرِيفَات، 44؛ التَّهَانَوِيُّ، كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ، 4: 168؛ السَّيُوطِيُّ، الهمع، 1: 34؛ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الْهَاشِمِيُّ، جَوَاهِرُ الْبَلَاغَةِ فِي الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ (المنصورة: مكتبة الإيمان، 1999)، 52-53؛ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (القاهرة: دار الآفاق العربيَّة، 2000)، 73؛ بن عيسى باطاهر، البلاغة العربيَّة - مقدِّمات وتطبيقات (بيروت: دار الكتاب الجديد المتَّحدة، 2008)، 61-62؛ حسين جمعة، جماليَّةُ الخبر والإنشاء، 99-101.

² علمُ المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة حسبَ تقسيمِ البلاغيِّين قديمًا، وهذه العلوم الثلاثة هي: علم المعاني، علم البيان، علم البديع. وقيل إنَّ واضعَهُ هو الجرجاني. ويُقصدُ بعلم المعاني - كما يُعرِّفُهُ السَّكَّاكِيُّ - هو العلمُ الَّذِي يَتَنَبَّعُ خواصَّ تراكيب الكلامِ في الإفادة، وما يتَّصلُ بها من الاستحسان وغيره، ليحتزَّ بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره. انظر: السَّكَّاكِيُّ، مِفْتَاحُ الْعُلُومِ، 247؛ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (بيروت: دار إحياء العلوم، 1988)، 16. وهو العلمُ الَّذِي يبحثُ في الجملةِ وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو حذفٍ وذكُرٍ، أو تعريفٍ وتنكيرٍ، أو قصرٍ وتخصيصٍ، أو فصلٍ ووصلٍ، أو إيجازٍ وإطنابٍ. كما يُراعى في هذا العلمُ أمران: قواعد

فالأسلوب المنطوق هو طلبُ الإنشاء، أما أسلوبُ تقديرِ الفعلِ المحذوفِ فإنه يحوّلُ الجملةَ الندائيةَ إلى خبريةٍ، الأمرُ الذي يتعارضُ معَ معطياتِ اللغةِ وواقعِها.

من أجل ذلك، يُؤكِّدُ النَحْوِيُّونَ والبَلَاغِيُّونَ أَنَّ الفِعْلَ المُقَدَّرَ "أدعو"، أو "أنادي" في جملة النداء لا يَصِحُّ اللَّفْظُ بِهِ لئلاَّ يَنْقَلِبَ النِّدَاءُ إِلَى بابِ الْخَبَرِ¹، وإنَّما حُذِفَ مخافةَ اللَّبْسِ بِالأُسْلُوبِ الْخَبَرِيِّ²، وفي ذلك تَنَاقُضٌ مَعَ إنشائيةِ جملةِ النِّدَاءِ.

ويذهبُ ابنُ برهانِ العُكْبَرِيُّ إلى أَنَّ النِّدَاءَ يحملُ في طَيَّاتِهِ أُسْلُوبًا إنشائيًا فريدًا مُغَايِرًا لأساليبَ كثيرةٍ، فيقولُ إِنَّ أَقْرَبَ ما يَسُدُّ به الدَّهْنُ إلى تصوُّرٍ "إنشائيةٍ" النِّدَاءِ أَنْ تقول: "أنادي" خبر³، وهو فعلٌ يتعدَّى. فإذا قُلْتَ لرجلٍ هو حاضرٌ مَعَكَ: أُنَادِيكَ، أفادَ مِنْ ذَلِكَ ما

النَّحْوِ. ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، بمعنى أَنَّهُ يَبْحَثُ في المعاني المترتبة على قواعد النَّحْوِ، وموضوعه هو الجملةُ مِنْ حَيْثُ معانيها البلاغيةُ، أي، مِنْ حَيْثُ الْخَبَرُ والإنشاءُ، فيدرس الخبر من زاوية التوكيد، والإسنادِ ومتعلقاتِهِ نحو: الحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والنفي الإثبات... أما الأنشاء فموضوعه دراسة أنواع الطلب، نحو: الاستفهام، والأمر، والنهي، والتَّمَنِّي، والنداء... انظر: السَّيُوطِي، الهمع، 1: 34-35؛ باطاهر، البلاغة العربية- مقدّمات وتطبيقات، 37-38؛ أحمد المراغي، علوم البلاغة، 44.

¹ ابن برهان العُكْبَرِيُّ، شرح اللُّمَع، 1: 271؛ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 3: 197؛ أبو علي الفارسي، المسائل العسكرية، 45.

² الإِسْفَرائِينِي، اللُّبَاب في علم الإعراب، 87.

³ المقصود جملة خبرية. والخبر- اصطلاحًا- قولٌ يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ والكذبَ لذاتِهِ، والمقصودُ بالصِّدْقِ مطابقتُهُ الواقع، والمقصودُ بالكذبِ عدمُ مطابقتِهِ للواقع حَيْثُ يتحقَّقُ مدلولُهُ في الخارجِ دونَ النُّطْقِ بِهِ، فإن قلت: "العلم نافع" فقد أثبتنا صفة النُّفَعِ للعلم، وتلك الصِّفَةُ ثابتةٌ له، سواءٌ تَلَفَّظْتَ بالجملة السابقة أم لم تَلَفَّظْ؛ لأنَّ نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكي ما اتفق عليه النَّاسُ. وإن كانت النسبة الكلامية لهذه الجملة- وهي ثبوت النُّفَعِ للعلم- المفهومة من ترك الجملة مطابقةً للنسبة الخارجية، أي موافقةً لما في الخارج والواقع فصدق! وإلاَّ فهي كذبٌ، نحو: الجهل نافع فنسبته الكلامية ليست مطابقةً وموافقةً للنسبة الخارجية. والإنشاء خلاف ذلك. تجدر الإشارة إلى أَنَّ هناك اختلافًا كبيرًا بَيْنَ البَلَاغِيِّينَ حول تعريف "الخبر" ومفهومِهِ. ولعلَّ السَّيَّءَ اللَّافِتَ هو ما ذَهَبَ إِلَيْهِ الجاحظُ في تقسيمه للخبر، فقد قَسَّمَهُ إلى ثلاثة أقسام، وهي: خبر صادق، وخبر كاذب، وخبر لا يوصفُ

يفيدهُ من قولك: يا فلان. ف"يا" نائبةٌ عن فعلٍ مرفوضٍ¹، ليس بخبرٍ، ولا أمرٍ، ولا نهْيٍ، ولا عَرْضٍ، ولا استفهامٍ، ولا تَمَنٍّ يُفيدُ ما تُفيدُهُ "يا"².

كما يرفضُ ابنُ يعيشُ أن يكونَ النداءُ أسلوبًا خبريًا لا مِنْ قَرِيبٍ ولا مِنْ بَعِيدٍ؛ لهذا نراه يُفسِّرُ إنشائيةَ النداءِ بأنَّه لا يجوزُ إظهارُ الفعلِ المُضمرِ المُقدَّرِ بـ"أنادي"، أو "أريد"، أو "أدعو"، كما لا يجوزُ التَّلَقُّظُ بِهِ؛ لأنَّ "يا" قد نابت عنه؛ ولأنَّ التَّصريحَ بالفعلِ يُفيدُ الإخبارَ الَّذي يحتملُ الصِّدْقَ والكذبَ في ذاته، والنداءُ ليسُ بإخبارٍ؛ لأنَّه لا يحتملُ الصِّدْقَ والكذبَ في ذاته³، وإنَّما هو نفسُ التَّصويِّتِ بالمنادي، ثُمَّ يَقَعُ الإخبارُ عنه فيما بَعْدُ، فتقولُ: "نادَيْتُ زَيْدًا"⁴، بمعنى أَنَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَسْتَوَى التَّركِيبِيِّ لجملةِ النداءِ وبَيْنَ الْمَسْتَوَى الدَّلَالِيِّ، أو- إن جاز التَّعبيرُ- بين البِنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ لِلتَّركِيبِ والبِنْيَةِ العميقة.

وقد حاولَ ابنُ مالكٍ أن يُعِلِّلَ⁵ سببَ إخفاءِ حروفِ النداءِ؛ لتعلُّقِها بالإخبارِ والإنشاءِ، فبيَّنَ أنَّ ناصِبَ المنادي لازمُ الإضمارِ؛ لظهورِ معناه مَعَ كَثْرَةِ الاستعمالِ، وقَصْدِ الإنشاءِ، ولجَعْلِ العربِ أحدَ الحروفِ المذكورةِ كالعوضِ منه، كما أنَّ كلَّ واحدٍ مِنْ هَذِهِ الأسبابِ كافٍ في إيجابِ لزومِ الإضمارِ، ولا سِيَّما قَصْدَ الإنشاءِ، فإنَّ الاهتمامَ به في غايةٍ مِنْ

بالصدق ولا بالكذب. انظر: القزويني، تلخيص المفتاح، 47؛ الهاشمي، جواهر البلاغة، 35؛ المراغي، علوم البلاغة 49-51؛ الجرجاني، التعريفات، 108؛ باطاهر، البلاغة العربية، 47-50؛ حلي مرزق، في فلسفة البلاغة العربية، 121-124؛ 179-181.

¹ يقصدُ العكبريُّ بالفعلِ المرفوضِ هو الفعلُ المُقدَّرُ المحذوفُ، وقد عبَّرَ بهذا الشَّكْلَ؛ لأنَّه يُرفضُ أن يُصَرَّحَ به في جملةِ النداءِ، وإلا لانتقلت إلى جملةٍ إنشائيةٍ، وَلَقَقَدْتُ الجملةَ أيضًا معناها الإنشائيَّ.

² ابنُ برهان العكبريُّ، شرح اللَّمع، 1: 271.

³ محمَّد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية (القاهرة: دار الشُّروق، 1996)، 220.

⁴ ابن يعيش، شرح المِفْصَل، 1: 316-317.

⁵ للتوسُّع حول مفهوم التعليل النَّحْوِيَّ عند النَّحاةِ القدماءِ، انظر إلى: Yaser Suleiman, *The Arabic Grammatical Tradition A Study in ta'lil* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999), 43-211.

الوكادة؛ لأنَّ إظهارَ "أنادي" يُوهِمُ أنَّ المتكلِّمَ مخبِّرٌ بأنَّه سيوقُعُ نداءً، والغرضُ علْمُ السَّامِعِ بأنَّه مُنْشِئٌ له، والإضمارُ معيَّنٌ على ذلك، فكان واجباً هذا الإضمارُ¹.

ولعلَّ مِنَ اللَّاقِبِ للانتباهِ هو ما ذَكَرَهُ بعضُ النحاةِ بأنَّ النداءَ يكونُ أسلوباً خبرياً، وليس إنشائياً، وذلك عندما يكونُ النداءُ بصفةٍ، نحو: "يا فاسقُ"، و"يا فاضلُ": لاحتِمَالِ الصِّدْقِ والكذبِ في هذه الصِّفَةِ²، وحينها يخرجُ الكلامُ مِنَ الإنشاءِ إلى الخبرِ حتَّى لو وُجِدَ حرفُ النداءِ والمنادى.

1.15. دلالة التنبية:

تكادُ كلمةُ "التنبية" لا تُفارقُ ألسنةَ النُّحاةِ في مُصَنَّفَاتِهِم عن النداءِ، ولعلَّ صاحبَ الكتابِ، سيبويه، خبِرَ دليلٍ على ذلك، فقد سَمَّى حُرُوفَ النداءِ بالحُرُوفِ "الَّتِي يُنبَّهُ فِيهَا الْمَدْعُوُّ"، ثُمَّ يبدَأُ شارحاً إيَّاهَا بقَوْلِهِ: "فَأَمَّا الْاسْمُ غَيْرُ الْمُنْدُوبِ فَيُنَبَّهُ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ: بَيَا، وَأَيَا، وَهَيَا، وَأَيُّ وَبِالْأَلْفِ"³، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ شَرْحَهُ الَّذِي يُبْرِزُ أَلْيَةَ التَّنْبِيهِ بِشَكْلِ لَا يَحْتَمِلُ اللَّبْسَ وَالتَّأْوِيلَ، فيقول: "...إِلَّا أَنَّ الْأَرْبَعَةَ غَيْرَ الْأَلْفِ (يَقْصِدُ هَمْزَةَ النَّدَاءِ) قَدْ يَسْتَعْمَلُونَهَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْدُوا أَصْوَاتَهُم لِلشَّيْءِ الْمَتَرَاخِي عَنْهُمْ، وَالْإِنْسَانِ الْمُعْرِضِ عَنْهُمْ، الَّذِي يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِمْ إِلَّا بِالْاجْتِهَادِ، أَوْ النَّائِمِ الْمُسْتَنْقِلِ"⁴.

وإنَّ دَلَّ ذلك على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على أَنَّ مَدَّ الْأَصْوَاتِ لَهُ دَوْرٌ فِي زِيَادَةِ التَّنْبِيهِ. وهذا ما وَضَّحَهُ ابْنُ يَعِيشٍ - أَيْضًا - مُعَرِّفًا غَرَضَ النَّدَاءِ بِأَنَّهُ التَّصْوِيْتُ بِالْمُنَادَى؛ لِئُقْبَلَ، وَأَنَّ غَرَضَ حُرُوفِ النَّدَاءِ هُوَ امْتِدَادُ الصَّوْتِ، وَتَّنْبِيهُ الْمَدْعُوِّ، فَإِذَا كَانَ الْمُنَادَى مَتَرَاخِيًا عَنِ الْمُنَادِي، أَوْ مُعْرِضًا عَنْهُ، اسْتَعْمَلَتِ الْعَرَبُ جَمِيعَ حُرُوفِ النَّدَاءِ مَا خَلَا الْهَمْزَةَ، حَيْثُ يَمْتَدُّ فِيهِ الصَّوْتُ

¹ ابن مالك، شرح التَّسْهِيلِ، 3: 385.

² السَّيَوْتِيُّ، الِهْمْعُ، 3: 34؛ أَبُو حَيَّانٍ، الْاِرْتِشَافُ، 4: 2179.

³ سيبويه، 2: 229.

⁴ سيبويه، 2: 229-230.

ويرتفع، فإنّ هذه الحروف تُفيد تنبيه المدعو؛ لذلك، لم يُجيزوا نداء البعيد بالهمزة؛ لِعَدَم المدِّ فيها¹.

ومن هنا، قَسَرَ بعض النُّحاة الفرقَ بَيْنَ "يا"، و"أيا"، و"هيا" مِنْ حَيْثُ شَدَّةُ التَّنْبِيهِ، فقالوا إِنَّه إِذَا قِيلَ: "يا زَيْدٌ"، و"أيا زَيْدٌ"، و"هيا زَيْدٌ" فَقَدْ بالغوا فِي التَّنْبِيهِ، بَلْ إِنَّ ثَمَّةَ فَرْقًا بَيْنَها، فـ"أيا" و"هيا" أَشَدُّ تَنْبِيهاً مِنْ "يا"، وَلَكِنَّ ثَلَاثَها تُسْتَعْمَلُ لِلْبَعِيدِ، وَلَمْ يَنْ غَابَ؛ لِأَنَّ الصَّوْتَ يَمْتَدُّ مَعها، فَيُسْمَعُ مِنْ بُعْدٍ، كَذَلِكَ النَّائِمُ وَالْغَافِلُ يَكُونُ النِّدَاءُ بِهَذَا الْحُرُوفِ الثَّلَاثَةِ مُؤَدِّياً إِلَى انْتِباهِهِ، أَوْ الْفَاتِهِ².

ولعلَّ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ وَظِيفَةُ دَلَالِيَّةٍ لَطَبِيعَةِ حُرُوفِ النِّدَاءِ، وَمَا يَرْتَبِنُ بِها مِنْ أَدَاءٍ صَوْتِيٍّ-دَلَالِيٍّ، فَقَدْ كَشَفَ الْخَوَارِزْمِيُّ عَنْ مَعَانِي "يا"، و"أيا"، و"هيا" بِأَنَّها حُرُوفُ تَنْبِيهِ الْمُنَادَى وَدَعَائِهِ بِوَصْلِ اسْمِهِ الظَّاهِرِ بِحَرْفٍ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ تَنْبِيهاً لَهُ، وَتَصْوِيتاً بِهِ؛ لِيُقْبَلَ عَلَى الْمُنَادِي، فَإِذَا كَانَتْ الْمَسَافَةُ بَيْنَ الْمُنَادِي وَالْمُنَادَى أَطْوَلَ كَانَ الْحَرْفُ الَّذِي يُنَادَى بِهِ أَطْوَلَ³، بِمَعْنَى أَنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً بَيْنَ الصَّوْتِ وَالْمَعْنَى الدَّلَالِيَّةِ، حَيْثُ إِنَّ الْمَوْقِعَ-الْحَسِّيَّ، أَوْ الْمَعْنَوِيَّ-بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمُنَادَى هُوَ الَّذِي يُقَرَّرُ نَوْعُ الْحَرْفِ الْمُنشُودِ اسْتِخْدَامُهُ فِي الْأَدَاءِ التَّنْبِيهِِيِّ.

وَيَرى الْإِسْفَرَايِينِيُّ أَنَّ حَرْفَ النِّدَاءِ "يا" فِي حَقِيقَتِهِ أَقِيمَ مَظْهَرًا مَقَامَ الْمُضْمَرِّ، وَهُوَ الْفِعْلُ الْمَقْدَرُ؛ مِنْ أَجْلِ تَنْبِيهِ الْمَخَاطَبِ بِأَنَّ الْقَصْدَ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ لَا غَيْرَ⁴، بَلْ إِنَّ بَعْضَ النُّحَاةِ يُقَدِّرونَ الْفِعْلَ الْمَحْذُوفَ فِي "يا عِبْدَ اللَّهِ" بِـ"أَنْتَ عِبْدَ اللَّهِ"⁵، لَتَكُونَ دَلَالَةُ النِّدَاءِ الْأَوَّلَى التَّنْبِيَةَ.

¹ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 361.

² السَّخَاوِيُّ، الْمُفَصَّلُ فِي شَرْحِ الْمُفَصَّلِ، 257-258؛ ابن يعيش، 1: 361.

³ الْخَوَارِزْمِيُّ، التَّخْمِيرُ، 4: 97.

⁴ الْإِسْفَرَايِينِيُّ، اللَّبَابُ فِي عِلْمِ الْإِعْرَابِ، 87.

⁵ أَبُو الْبَقَاءِ الْعُكْبَرِيُّ، اللَّبَابُ فِي عِلَلِ الْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ، 1: 329.

وعلى هذا يُعرَفُ بعضُ النَّدَاءِ بِأنَّه عبارةٌ عن تصويِتٍ لِمَنْ تُرِيدُ إقبالَكَ عليه¹، أي إنَّ ثَمَّةَ عمليَّةٍ صوتيَّةٍ تحملُ في طياتِها مؤشِّرَ التَّنبيهِ، واستدعاءَ المخاطَبِ.

وقد عبَّرَ ابنُ برهان العُكْبَرِيُّ عن آليَّةِ التَّنبيهِ الكامنةِ في النَّدَاءِ حين ساوَى بيْنَ التَّصويِتِ في حروفِ النَّدَاءِ وبين الصَّلَكِ (الضَّرْبِ) مِنْ حَيْثُ الأَثَرُ والوَقْعُ، فقال: إذا قلت: يا حَكَم، قالوا: قد نادا. كما أنَّك إذا صَكَّكْتَهُ بِعَصَا، قالوا: قَدْ ضَرَبْتَهُ. فَبَانَ أَنَّ مَخْبِرَ قولِهِم "نادا" تصويِتٌ، كما أنَّ مَخْبِرَ "ضَرَبْتَهُ" صَكٌّ جَسَمٍ بِجَسَمٍ. فالمنادى مفعولٌ، كما أنَّ المضروبَ مفعولٌ بِهِ. والنَّدَاءُ يحلُّ في سَمْعِهِ، كما أنَّ الضَّرْبَ يحلُّ في بدنِ المضروبِ، فـ"يا" هي النَّدَاءُ، كما أنَّ العرضَ الخارجَ من العدمِ إلى الوجودِ الحالِّ في بدنِ زَيْدٍ هو الضَّرْبُ².

وحينما نُنَعِّمُ النَّظَرَ فيما كان يُعرَفُ به المألقي حروفَ النَّدَاءِ³ نستدلُّ على دلالةِ التَّنبيهِ مِنْ خلالِ هذا التعريفِ، فمثلاً عندما يَعْرِضُ لحرفِ النَّدَاءِ "أيا" يقول: اعْلَمْ أَنَّ "أيا" معناها التَّنبيهُ⁴، ويقولُ في مَوْضِعٍ آخَرَ مُعَرِّفاً "هيا": "اعْلَمْ أَنَّها حرفُ تنبيهٍ، وتكونُ للنَّدَاءِ"⁵، ولعلَّ الأكثرَ بروزاً فيما نرمي إِلَيْهِ قولُهُ حول "يا": "اعْلَمْ أَنَّ "يا" حرفٌ مِنْ حروفِ التَّنبيهِ، يُنادى بها مرَّةً، ولا يُنادى بها أخرى"⁶، أي يقصدُ بالأخرى، تأكيداً، أَنَّها تُستعملُ للتَّنبيهِ فحسب.

كما فَصَّلَ المَرادِيُّ تفصيلاً واضحاً يُنبئُ عن دَوْرِ التَّنبيهِ الجَلِيِّ في حرفِ النَّدَاءِ "يا"، فقد قَسَمَ الـ"يا" إلى نَوْعَيْنِ، وفي كليهما وَجْهٌ حاضِرٌ للتَّنبيهِ، فبعد أن عَرَفَ "يا" بقوله: "حرفُ تَنبِيهِ. وهي قسمان: الأول: أن تكونَ لتَنبيهِ المنادى، نحو: يا زَيْدٌ"⁷، تابعَ مُفَصِّلاً القسمَ الثَّانِي

¹ الجَنْدِي، الإقليد، 1: 399.

² ابن برهان العُكْبَرِيُّ، شرح اللَّمَع، 1: 271.

³ ابتدأ المألقي متطَرِّفاً إلى حيثيَّةِ التَّنبيهِ مَعَ حروفِ النَّدَاءِ جميعها.

⁴ المألقي، رصف المبانِي، 215.

⁵ المألقي، 472.

⁶ المألقي، 513.

⁷ المَرادِيُّ، الجنى الدَّانِي، 354.

بقوله: "الثاني: أن تكونَ لمجرّدِ التّنبيه، لا للتّداء"¹. ليسَ هذا فحسب، بل حدّدَ هذه الأشياءَ الخمسةَ الّتي تأتي بعد "يا" وتكون حينئذٍ للتّنبيه خالصةً، وهي:

أ- الأمر، نحو: "ألا لا اسقياني قبل غارة سنجال".

ب- الدّعاء، نحو قول الشّاعر:

"يا لعنة الله، والأقوام كلّهم والصّالحين على سِمعان من جار".

ت- "ليّت"، نحو: {يا ليتني كنْتُ مَعَهُمْ}².

ث- "رُبَّ"، نحو: يا رُبَّ سارِباتٍ ما تَوَسَّدا.

ج- "حبّذا"، نحو قول جرير:

"يا حبّذا جبلُ الرّيّان من جَبَلٍ وحبّذا ساكنُ الرّيّان من كانا".

ثمّ أكّدَ المراديّ أن "يا" في هذه المواضع هي حرفُ تنبيه، وليست حرفَ نداءٍ، مشيرًا إلى أن هذا مذهب قومٍ من النّحويّين، ثمّ قال: "قال بعضهم: وهو الصّحيح"³.

وبيّنَ المراديّ، بعد ذلك، أن ثمةَ نحاةً يذهبون إلى أنّ المواضعَ الخمسةَ الّتي ذكرها تُعدّ "يا" حرفَ نداءٍ، والمنادى محذوف، ولكنّه يستدرِك بأنّ هذا الرّأي ضِعَفٌ لسببين: الأوّل، أنّ "يا" نابت منابَ الفعل المحذوف، فلو حُذِفَ المنادى لَزِمَ حَذْفُ الجملةِ بأسرها، وفي ذلك إخلالٌ. أمّا السّبب الثاني، هو أنّ المنادى هو المقصودُ، فإذا حُذِفَ تناقضَ المراد⁴.

وها هو ذا الجوهريّ يؤكّد ما قاله بعضُ النّحاة بأنّ "يا" في قوله تعالى: {أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ} المُقدّرة: ألا يا اسجدوا لله، إنّما هي للتّنبيه، كأنّه قال: ألا اسجدوا، فلمّا دخل عليه يا للتّنبيه سقطت الألف الّتي في "اسجدوا"؛ لأنّها ألفٌ وصلٍ، وذهبت الألفُ الّتي في "يا"؛ لاجتماع الساكنين؛ لأنّها والسين ساكنتان، ومنه قول الشّاعر ذي الرّمة:

¹ المراديّ، 355؛ ابن هشام، مغني اللّبيب، 2: 429-430؛ محمّد الكوّاز، الأسلوب في الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم، 376.

² القرآن الكريم، النّساء: 73.

³ المراديّ، 355-357؛ ابن مالك، شرح التّسهيل، 3: 389-390.

⁴ المراديّ، 357.

"ألا يا أسلمي يا دارمَي على اليلَى ولا زال مُنهلاً بجرعائكِ القطُر".¹

وما مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ لِلتَّنْبِيهِ عِلَاقَةً وَاضِحَةً بِالخِطَابِ الْمَوْجَّهِ إِلَى الْمُنَادَى؛ لِأَنَّ النَّدَاءَ- كَمَا يَقُولُ الْجَرَجَانِيُّ- فِي حَقِيقَتِهِ خِطَابٌ مَقْصُودٌ إِلَى جِهَةٍ، وَهُوَ الْمُنَادَى خِلَالَ عَمَلِيَّةِ التَّنْبِيهِ، حَيْثُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ تَرْكَ إِظْهَارِ الْفِعْلِ الْمُقَدَّرِ "أَدْعُو" أَوْ "أُرِيد"، وَجَعَلَ "يَا" كَالنَّائِبِ عَنْهُ إِنَّمَا يُفِيدُ فِي أَتْلَفٍ فِي حَالِ دُعَائِهِ، وَأَنَّ فِي نَفْسِكَ إِرَادَةً مُتَوَجِّهَةً إِلَيْهِ، وَقَصْداً مُخْتَصِصاً بِهِ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْمُنَادَى مُخَاطَبٌ، بِدَلِيلِ أَنَّ الْأَصْلَ- كَمَا عَرَّفَهُ سَيَبُويَه- أَنْ تَقُولَ: "يَا إِيَّاكَ أَعْنِي"، وَكَأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ "يَا" وَبَيْنَ "أَعْنِي"؛ لِيَجْعَلَ "يَا" دَلِيلًا عَلَى كَوْنِ الْمُتَكَلِّمِ فِي حَالِ الدَّعَاءِ، وَتَنْبِيْهَا عَلَى ذَلِكَ.²

وَلَا أَذَلَّ-كَذَلِكَ- عَلَى قَرِينَةِ التَّنْبِيهِ فِي النَّدَاءِ مِمَّا عَرَضَ لَهُ السَّيُّوْطِيُّ فِي حَدِيثِهِ حَوْلَ "يَا" التَّنْبِيهِ وَهَائِهَا" فِي بَابِ الْحُرُوفِ غَيْرِ الْعَامِلَةِ، فَبَيَّنَ أَنَّ "يَا" تَأْتِي لِلتَّنْبِيهِ كَمَا هُوَ شَأْنُ "أَلَا"، وَ"أَمَّا" اللَّتَيْنِ تُسْتَعْمَلَانِ لِهَذَا الْغَرَضِ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ "يَا" التَّنْبِيْيةَ غَالِبًا مَا يَلِمَا أَمْرٌ، أَوْ "لَيْتَ"، أَوْ رُبٌّ"، أَوْ جَمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ³. وَكَأَنَّ الْمُؤَشِّرَ الَّذِي يُفْضِي إِلَى أَنَّ "يَا" تَكُونُ حَرْفَ تَنْبِيْهِ لَا غَيْرَ هُوَ أَنَّهَا لَيْسَتْ عَامِلَةً فِيمَا بَعْدَهَا، عَلَى خِلَافِ إِجْمَاعِ النَّحَاةِ فِي أَنَّ "يَا" عَامِلَةٌ، حَيْثُ تَقُومُ بِنَصْبِ الْأِسْمِ التَّالِي لَهَا- الْمُنَادَى- لَفْظًا، أَوْ مُحَلًّا، فَهِيَ بِذَلِكَ عَامِلٌ لَفْظِيٌّ، أَمَّا هُنَا، وَفِي الْأَمْثَلَةِ الَّتِي يَضُرُّهَا النَّحَاةُ، تَدُلُّ عَلَى عَدَمِ عَمَلِ "يَا"، نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ: "يَا لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ..."⁴، فَرَفُوعُ "اللَّعْنَةُ"-وهي مُضَافَةٌ- دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ عَمَلِهَا، أَوْ - كَمَا قَالَ السَّيْرَافِيُّ- دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُنَادَى غَيْرُهَا.⁵

¹ الجوهري، الصحاح، 6: 607.

² الجرجاني، المقتصد، 2: 753-754.

³ السيوطي، الهمع، 4: 366-367.

⁴ السيوطي، الهمع، 4: 367.

⁵ السيراقي، شرح كتاب سيبويه، 8: 11.

الفصل الثاني

النّداء في كتب التّفسير

النّداء في كتب التّفسير

2.1. التّفسير وعلاقته بالنّحو:

لَيْسَ النّحْوُ الْعَرَبِيُّ- بمفهوميّة الدّقِيقِ- عِلْمُ الْإِعْرَابِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْمَرْفُوعِ، أَوْ الْمَنْصُوبِ، أَوْ الْمَجْرُورِ، أَوْ الْمَجْزُومِ، أَوْ الْمَبْنِيِّ فَحَسَبُ، إِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ يَتِمَثَّلُ مُسْتَوَاهُ الْأَوَّلُ فِي رَصْدِ الصَّوَابِ وَالخَطَأِ فِي الْأَدَاءِ اللَّغَوِيِّ؛ حِفَظًا عَلَى اللِّسَانِ مِنَ اللَّحَنِ، وَيَتِمَثَّلُ مُسْتَوَاهُ الثَّانِي- مُتَجَاوِزًا الْمُسْتَوَى الْأَوَّلَ- فِي رَصْدِ نَوَاحِي مَكَامِنِ الْجَمَالِ وَالْإِبْدَاعِ¹ مِنْ خِلَالِ الْمُنْظُومَةِ اللَّغَوِيَّةِ بِكُلِّهَا. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ مَجْرَدَ وَضْعِ أَلْفَاظٍ بِإِزاءِ مَعَانٍ فَقَطْ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ يَتَخَطَّى كُلَّ ذَلِكَ إِلَى عَمَلِيَّةِ التَّرْكِيبِ عَلَى حَسَبِ مَقْتَضِيَّاتِ الْمَعَانِي الَّتِي يَرِيدُ أَنْ يَعْبُرَ عَنْهَا الْمُتَكَلِّمُ².

وِيرَى مُحَمَّدٌ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ أَنَّ الْمُسْتَوَى الثَّانِي الَّذِي أَدْرَكَهُ النُّحَاةُ يَتِمَثَّلُ فِي الْعِلَاقَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ، ثُمَّ بَيْنَ الْجُمَلِ، فَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ ذَاتُ سِمَاتٍ وَخَصَائِصٍ اِهْتَمَّ لَهَا النّحْوِيُّونَ الْقَدَامَى أَمْثَالُ سِيبَوَيْهِ وَغَيْرِهِ، كَمَا اِهْتَمُّوا بِالتَّرَاكِيِبِ، وَأَدْرَكُوا أَنَّ الْخَبْرَةَ بِتَرَاكِيِبِ اللَّغَةِ هِيَ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ خَبْرَةٌ بِالْأَعْرَاضِ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْهَا، بِمَعْنَى أَنَّ النُّحَاةَ قَدْ أَدْرَكُوا أَنَّ هُنَاكَ ارْتِبَاطًا قَوِيًّا بَيْنَ مَا يُسَمَّى بِالتَّرَاكِيِبِ وَمَا يُسَمَّى بِالْمَعَانِي أَوْ الْأَفْكَارِ، إِذْ شَغَلَتْ هَذِهِ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْفِكْرِ وَاللُّغَةِ هَؤُلَاءِ النُّحَاةَ³.

وَهَذَا مَا قَطَنَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النُّحَاةِ الْقَدَمَاءِ، كَالسَّيْرَافِيِّ الَّذِي قَالَ بِصَرِيحِ الْعِبَارَةِ: "إِنَّ مَعَانِي النّحْوِ مَنْقَسِمَةٌ بَيْنَ حَرَكَاتِ اللَّفْظِ وَسَكَنَاتِهِ، وَبَيْنَ وَضْعِ الْحُرُوفِ فِي مَوَاضِعِهَا الْمَقْتَضِيَّةِ لَهَا، وَبَيْنَ تَأْلِيْفِ الْكَلَامِ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَتَوَجِّي الصَّوَابِ فِي ذَلِكَ، وَتَجَنُّبِ الْخَطَأِ مِنْ ذَلِكَ. وَإِنْ زَاغَ شَيْءٌ عَنْ هَذَا النَّعْتِ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ سَائِعًا بِالِاسْتِعْمَالِ النَّادِرِ، وَالتَّأْوِيلِ الْبَعِيدِ، أَوْ مُرْدُودًا؛ لَخُرُوجِهِ عَنْ عَادَةِ الْقَوْمِ الْجَارِيَةِ عَلَى فِطْرَتِهِمْ"⁴.

¹ مُحَمَّدٌ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ، الْبَلَاغَةُ وَالْأُسْلُوبِيَّةُ، 38.

² ن. م.، 42.

³ ن. م.، 38-39.

⁴ مُحَمَّدٌ مَنْدُورٌ، اللَّغَةُ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْمَغَامَرَةِ، 138-139.

ولا أدلّ على ذلك وأوضح ممّا أسّس له عبدُ القاهر الجرجاني، في نظريّة النّظم- التي برأينا سبقَتْ عصره- واصفاً بأنّ النّحو هو سرُّ صناعة العرب، وربط الصّيغ الدّهنيّة¹، إذ استطاع- الجرجاني- أن يَضَع نظريّتي علمي المعاني والبيان وَضْعاً جيّداً في كتابيه "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة"، واستطاع من خلالهما أن يُرسي دعائم نظريّة "النّظم" إرساءً واضحةً معاليه²، فَبَنَى نظريّة لغويّة متكاملة، تجلّت فيها الصّلة بين النّحو والبلاغة، وجعلتُ منهما علماً واحداً مترابطاً الأصول والفروع، وجاءتْ هذه النّظريّة تطبيقاً عملياً لهذا الاتجاه في الرّبط بين معاني النّحو ومعطيات البلاغة وفنونها³. يقول الجرجاني: "واعلم أن ليس النّظم إلا أن تَضَعَ كلامك الوَضْع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرفَ مناهجه التي نَهَجْتَ، فلا تَزِغَ عنها، وتحفظَ الرّسوم التي رَسَمْتَ لك، فلا تَخِلَّ بشيءٍ منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن يَنْظُرَ في وجوه كلّ بابٍ وفروقه، فينظرَ في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قول: زيدٌ منطلقٌ، وزيدٌ ينطلقٌ، ومنطلقٌ زيدٌ، وزيدٌ المنطلقٌ، والمنطلقٌ زيدٌ، وزيدٌ هو المنطلقٌ، وزيدٌ هو منطلقٌ. وفي الشّرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إنْ تخرُجْ أخرج، وإنْ خرجتْ خرجتُ، وإنْ تخرجْ فأنا خارجٌ، وأنا خارجٌ أنْ خرجتْ، وأنا إنْ خرجتْ خارجٌ⁴.

وإلى هذه الوجهة، أيضاً، يَبَيّن الخطّابي سِمَاتِ النّظم وخصائصه، وأثره في المعنى، قائلاً: "وأما رسومُ النّظم فالحاجةُ إلى الثّقافة والحدقِ فيها أكثرُ؛ لأنّها لِحَامُ الألفاظِ، وزمامُ المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضُه مع بعضٍ، فتقومُ له صورةٌ في النّفسِ يتشكّلُ بها البيانُ"⁵.

¹ عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، 38.

² شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، 160-161.

³ الشّجراوي، 53.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 62.

⁵ الخطّابي، بيان إعجاز القرآن، 31؛ الشّجراوي، 50.

ولا شكَّ في أنَّ القرآنَ كانَ المصدرَ الأوَّلَ الَّذي اعتمدَ عليه النَّحْوِيُّونَ في تقعيدِ القواعدِ النَّحْوِيَّةِ المختلفةِ¹، منه يَكُونُ الانطلاقُ، وإليه يَكُونُ الرَّجوعُ في هذه القواعدِ². وقد أَجمَعَ الأصوليونَ أنَّ القرآنَ هو المصدرُ السَّماعيُّ الأوَّلُ الَّذي يُحتجُّ ويُستدلُّ به³، فقد ذَكَرَ السيوطيُّ أنَّ كلَّ ما وَرَدَ أَنَّهُ قُرئَ بالقرآنِ جازَ الاحتجاجُ به في العربيَّةِ سواءَ كانَ متواتراً أمَّ آحاداً، أمَّ شاذّاً⁴.

والاحتجاجُ بالقراءاتِ الشَّاذَّةِ⁵ دليلٌ واضحٌ على مرجعيَّةِ القرآنِ اللُّغويَّةِ، فقد أَكَّدَ السيوطيُّ أنَّ النَّاسَ أَطَبَّقُوا على الاحتجاجِ بالقراءاتِ الشَّاذَّةِ في العربيَّةِ إذا لَمْ تُخَالِفْ قياساً معروفاً، ثُمَّ يقولُ: "وما ذَكَرْتُهُ من الاحتجاجِ بالقراءةِ الشَّاذَّةِ لا أعلمُ فيه خلافاً بَيْنَ النُّحاةِ وإن اختلفَ في الاحتجاجِ بها في الفقه"⁶.

فالقرآنُ- إذن- في نظَرِ النُّحاةِ أفصحُ كلامِ العربِ وأبْلَغُهُ، وهو أساسُ مصادرِ المادَّةِ اللُّغويَّةِ عِنْدَهُم وأَعْلَاهَا⁷، وما مِنْ شكٍّ- أيضاً- في أنَّ له أثراً بالغاً في تدوينِ النَّحْوِ، ولعلُّهُ يَكُونُ المَبْعَثُ الرَّئيسَ في اشتغالِ النُّحاةِ بالدُّرسِ النَّحْويِّ، إذْ شَعَرُوا أنَّ ثَمَّةَ حاجةٍ لِصيانةِ

¹ أحمد مكي الأنصاري، نظرية النَّحو القرآني- نشأتها وتطوُّرها ومقوماتها الأساسية (القاهرة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1984)، 15.

² الهادي الجطلاني، قضايا اللُّغة في كتب التفسير (صفاقس- الجمهورية التُّونسيَّة، دار محمد الحامي، 1998)، 7.

³ أحمد مكي الأنصاري، نظرية النَّحو القرآني- نشأتها وتطوُّرها ومقوماتها الأساسية (القاهرة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1984)، 24-23.

⁴ السيوطي، كتاب الاقتراح في علم أصول النَّحو، 36: أحمد الأنصاري، نظرية النَّحو القرآني، 18.

⁵ قال السيوطي في "الإتقان": "القراءات تنقسم إلى متواتر وأحاد وشاذ، فملتواترُ القراءاتُ السَّبعة المشهورة، والأحاد قراءات الثلاثة الَّتِي هي تمام العشر، ويلحق بها قراءة الصَّحابة، والشَّاذُّ قراءةُ التَّابعين كالأعمش ويحيى بن وثَّاب وابن جُبَيْر ونحوهم". انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1: 210.

⁶ السيوطي، الاقتراح، 36.

⁷ الأنصاري، نظرية النَّحو القرآني، 50.

القرآن من التّصحيّف، والتّحريف، ولَحْنِ القارئ¹؛ لأنّ هذه الأمور تُخلُّ بقدسيّته حتّى مِنْ غيرِ قَصْدٍ، فَسَعَوْا إلى إيجادِ طريقةٍ ما مِنْ أَجْلِ وَضْعِ قواعدٍ يسيّرُ عليها النَّاسُ، الأمرُ الَّذي جَعَلَ أبا الأسودِ الدَّؤْلِيَّ يَجِدُ طريقةً تُرْشِدُ القارئَ إلى النُّطْقِ السَّليْمِ بِالْفاظِ القرآن، وذلك خلال ضَبْطِ أواخرِ الكلامِ بالحركاتِ، وشَكْلِهِ بإشاراتٍ تَدُلُّ على الفتحَةِ والضَّمةِ والكسرةِ والسَّكونِ.

وإذا كانتْ هذه حالُ النّحويّين فإنّ المفسّرين كانَ لهم شأنٌ مشابهُ، خاصّةً في تلك التّفسيراتِ الّتي يمكنُ أنْ نصفَها بالتّفسيراتِ اللُّغويّةِ أو النّحويّةِ²، حيثُ أضحى للغة- بكلِّ مستوياتها- حضورٌ كثيفٌ واعتبارٌ بارزٌ في كتب التّفسيراتِ؛ انطلاقاً منهم بأنّ فهمَ النّصِّ القرآنيّ يحتاجُ إلى تحليلٍ لغويّ- نَحْويّ في كثيرٍ من الأحيان؛ كي يصلَ القارئُ إلى دلالةِ التّراكيبِ ومقاصدها الّتي جاءَ بها القرآنُ، فأصبحتِ اللغةُ بذلك أداةً مُوظَّفةً للتّفسير³، علماً يتكئُ المفسّرون، بلْ يؤصّلون تعليلاتهم وإحكامهم وفقاً لمضامين اللغة ونحوها، بل كان في التّفسيراتِ- كما يشير الجطلالوي- من التّفنُّنِ في استثمارِ اللغة والخصوبةِ والنّراءِ في طرحِ قضايا اللغة المتعدّدة، فإنّ الَّذي يبحُثُ في كتب التّفسيرِ يلاحظُ- لا محالة- اهتماماً بالجانبِ اللُّغويّ، حيثُ يظهرُ ذلك الاهتمامُ في الحَيَزِ الَّذي حَصَّصَهُ بعضُ الدّارسين لما يُسمّى بالتّفسيرِ اللُّغويّ⁴.

وغيرُ خافٍ على أحدٍ بأنّ النّصَّ القرآنيّ هو نسيجٌ لغويّ، ونظامٌ لفظيّ بانّت مكانة اللغة فيه عند المفسّرين؛ لأنّه عندهم المرجعُ الأوّل للغة، والنّمودجُ الأعلى للفصاحة، فقامتْ

¹ شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، 11: سهام خضر، الإعجاز اللُّغويّ في فواتح السّور (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2008)، 4.

² هناك مِنْ الباحثين مَنْ تجاهلَ التّفسيرَ اللُّغويّ عندما عَرَضُوا لدراسة علم التّفسير، فلم يُعدُّوا هذا النّوعَ من التّفسير نوعاً قائماً بحدِّ ذاته، أو مذهباً مِنَ المذاهبِ الإسلاميّةِ في التّفسير، نحو: جولدتسهر في كتابه "مذاهب التّفسير الإسلاميّ"، ونحو: محمّد حسين الذّهبيّ في كتابه "التّفسير والمفسّرون".

³ الجطلالوي، قضايا اللغة في كتب التّفسير، 9.

⁴ الجطلالوي، قضايا اللغة، 7.

على غرار ذلك ضرورة المعرفة بالرّصيد المعجميّ، وبقواعد النّظم، وسنن التّخاطب بين العرب طلباً لفهم المعنى القرآنيّ، وشرطاً لازماً من شروط تفسيره والتّقوّه فيه¹.

وقد أشار السيوطيّ إلى أهميّة الإعراب ومعرفة اللّغة-مليّاً على حدّ قول السيوطيّ- بالنّسبة إلى المفسّر، وإلى الشّروط التي يحتاج إليها: كيّ يكون قادراً على تفسير القرآن، فقال: "وعلى النّاظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسرارِهِ، النّظر في الكلمة وصيغِها ومحلّها، ككونها مبتدأً أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً، أو في مبادئ الكلام... إلى غير ذلك... ويجب عليه (على المفسّر) مراعاة أمور: أحدهما: وهو أوّل واجبٍ عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يُعربه مفرداً أو مركّباً قبل الإعراب، فإنّه فنّع المعنى"². ثمّ ذكر السيوطيّ قولاً لابن هشام جاء فيه: "وقد زلت أقدام كثيرٍ من المُعربين راعوا في الإعراب ظاهر اللّفظ ولم ينظروا في موجب المعنى"³.

إذن، فالإعراب- وفق مفهوم المفسّرين- يُكوّن أهمّ ميادين العلوم القرآنيّة، ويعني، بالضرورة، تدبّر معاني القرآن؛ لأنّه الموضّح للمعنى، والمبيّن للغرض، والمشير إلى البلاغة، وهو أيضاً يومئ إلى جمال التّركيب، وحسن الصّيغة، وهذه كلّها مواطن الإعجاز في القرآن⁴.

إنّ نظريّة النّحو القرآنيّ ليس مقصورةً على الحركات الإعرابيّة، وأثر العوامل في أواخر الكلمات فحسب، بل يرى بعض الباحثين أنّه من سلّك بالنّحو ذلك المسلك المحصور بـ"أواخر الحركات" فقد سلّك طريقاً منحرفاً، وضَيّع كثيراً من أحكام نُظم الكلام وأسرار

¹ الجطلالوي، 7.

² السيوطيّ، الإتقان، 2: 260.

³ ن. م.، 261.

⁴ عماد مجيد العبيدي، الخلاف النّحويّ في كتب إعراب القرآن الكريم حتّى نهاية القرن الثّامن للهجرة (عمّان- دار غيداء، 2010)، 17.

تأليف العبارة¹، ذلك أن المعاني منقسمة بين حركات اللفظ وسكّناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوحي الصواب وتجنب الخطأ².

وإنما عنيّنا بكلّ ما تقدّم أن نبيّن بأنّ بحثنا لبعض المظاهر النّدائيّة في القرآن، لما سيأتي، ليس الهدف منه أن نقف على الإعراب؛ فنذكر أنواع المنادى، أو نستجلي المنادى المنصوب والمبني... وغيرها من المسائل النّدائيّة، بل ودّدنا أن نُشرك الجوانب الإعرابيّة بمعناها "الضّيق" بالجوانب النّحويّة النّظميّة بمعناها الواسع؛ فتدسّى لنا النظرة الأوسع في تناول قضايا النّحو؛ لأنّ النّحو- فيما نرى ونعتقد- أوسع وأبلغ من أن يُزج تحت وطأة الحركات فحسب، بل إنّه- النّحو- حركات، ودلالات، وسياقات، وقرائن، وبلاغة، وأصوات، وأشكال.

2.2. التّصويّط النّدائي وأثره الخطابي:

ليس بخاف بأنّ النّداء يتمّ عبر قنوات لغويّة يقضيها تركيب النّداء من أداة ومنادى، ولعلّ إحدى الوظائف الأساسيّة التي تحملها أداة النّداء هي القدرة على الأداء الصّوتي؛ بما للصّوت النّدائي من أبعاد وملامح تنتقل من مجرد الصّوت إلى الأداء الدّلالي، فقد أشار كريم الخالدي إلى أنّ الانتقال من الصّوت المجرّد إلى المستوى الدّلالي يكمن في معاني حروف النّداء المختلفة من جهة، وفي صفات الحروف (الفونولوجيّة- والفوناتيكيّة) خلال استخداماتها السياقيّة من جهة أخرى³.

¹ إبراهيم مصطفى، إحياء النّحو، 128؛ محمّد حماسة عبد اللّطيف، النّحو والدّلالة- مدخل لدراسة المعنى النّحوي- الدّلالي، 34.

² بلحبيب، ضوابط التّقديم وحفظ المراتب في النّحو العربي، 257.

³ كريم حسين الخالدي، الخطاب التّفسي في القرآن الكريم- دراسة أسلوبيّة دلاليّة (عمّان: دار صفاء للنّشر والتّوزيع، 2007)، 179.

وكي يدعم الخالدي فكرته استعان بما بيّنه بعض النحاة القدماء في حديثهم حول خصائص حروف النداء ومزاياها، فوضّح أنّ الطَّلَب يحصل بواسطة صوت هذه الحروف؛ لذا يُمدّد الصوت لمن كان متراخياً، أو مُغرِضاً، أو نائماً، ولا يُمدّد الصوت لنداء مَنْ كان قريباً، أو مُقبلاً، أو متنبّها؛ لأنّ طبيعة النداء تستلزم مدّ صوت الحرف إذا كان المنادى في حالة بُعْدٍ وإعراضٍ، كما أنّها لا تستدعي مدّ الصوت لمن هو في حالة قُرْبٍ وإقبالٍ وتنبّه. ولا أدلّ على ذلك من حروف النداء الثلاثة "يا"، و"أيا" و"هيا" التي تنتهي بألفاتٍ، والألف ملازمة للمدّ، فاستُعْمِلَتْ في دعائهم وندائهم لإمكان امتداد الصوت ورفعِهِ، وليست الياء هنا في "أي" كذلك؛ لأنّها لَيْسَتْ مدّاً من حيث كان ما قبلها مفتوحاً، وذلك لا يكون مدّة إلا إذا سُكِّنَتْ وكان حركه ما قبلها من جنسها، والهمزة لَيْسَتْ من حروف المدّ؛ فاستُعْمِلَتْ للقريب¹.

ويُلفِتُ الخالدي الأنظار إلى أنّ ثمة ضرورةً لتوصيف دلالة أدوات النداء، مبيّناً بأنّ جهود النحاة انصبّت على موضوعاتٍ متعدّدة كالعامل، والأصل والفرع في النداء؛ وتفسيراتهم لاختلاف حركته ذلك أنّه يأتي تارةً منصوباً، وتارةً مضمومًا (مبنياً)...، فتداخلت بذلك موضوعاتُهُ وأحكامُهُ وحدودُهُ وتفسيراتُهُ، بل تقيّد النحاة بوصفهم النداء وفق مفاهيم العامل، ولم تُوصَفَ دلالة النداء وطبيعته الأسلوبية، ودلالات أدواته². ثمّ يُضيفُ أنّنا لو تأملنا الاستعمال القرآني للنداء، والمعاني النفسية التي أدّتها أدواته من تعجّبٍ، وتفجّعٍ، ونُدْبَةٍ، واستغاثةٍ، وغير ذلك آخذين بالمنهج الذي يقترحه الخالدي؛ لدراسة مثل هذه المعاني في ضوء تفسير التراكيب الندائية بمقاييس الدلالة الأصلية والدلالة المكتسبة.

¹ كريم الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، 179؛ سيبويه، 1: 352؛ ابن السراج، 1: 401.

² ينتقد الخالدي - بشكلٍ واضحٍ - تعليل الرضوي والمبرد بأنّ أصل النداء "يا أَدْعُو" فحذف الفعل حذفاً لازماً؛ لكثرة الاستعمال؛ لدلالة حرف النداء عليه، وإفادته فائدته، بأنّ المنادى نُصِبَ بسبب حرف النداء الذي سدّ مسدّ الفعل، ويقول الخالدي: "... ولا شك في أنّ هذا التأويل يُذهِبُ بمعنى النداء وحقيقته التي تقتضي وجود مُنادٍ يواجه منادى ويدعوه بصوت قد يمتدّ، وقد يقصُر بحسب قرب المنادى، أو بعده، أو بحسب الحالة التي يكون عليها.

لوجدنا أنَّ أدوات النداء لا تُستعمل في دلالتها الأصلية إلا قليلاً، بل إننا نجد أنَّ معظم ما تُستعمل به هذه الأدوات في القرآن الكريم بدلالات مكتسبة¹.

إنَّ تأويل النُّحاة للنداء يقتضي وجودَ مخبرٍ، ومخبرٍ، ومنادٍ، وهذا بدوره يُخرجُ النداء من معنى الإنشاء إلى معنى الإخبار، فيذهب المعنى المقصود من هذا الاستعمال، ويدلُّ على ذلك أنَّ المتكلم لو كانَ قاصداً الإخبارَ لذكرَ الفعلَ كما هو الحال في قوله تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ}² فقد ذُكِرَ الفعلُ "نَادَيْنَاهُ" وذُكِرَتِ الأداةُ أيضاً، ولو كانَ النداءُ أسلوباً إخبارياً، على الوجه الذي يُقدِّرُ به النُّحاة يُقال "يَا إِبْرَاهِيمُ" من غيرِ "نَادَيْنَاهُ"، وقد أضاعَ الجدلُ بين النُّحاة كثيراً من معاني النداء، ولو أنعمنا النظرَ لتحققنا من أنَّ "يا" النداء دَخَلَتْ على الاسمِ وعلى الفعلِ، وأفادتْ معاني مختلفة لا علاقةَ لها بالنداء، أو التصويت، بل جاءتْ معبرةً عن معاني أخرى، منها المدحُ، والذمُّ، والترغيبُ، والترهيبُ، والتمنيُّ، إذ يكثرُ في القرآن استعمالُ "يا أيُّها الذين آمنوا"، و"يا أيُّها النَّاسُ"، و"يا أيُّها النَّبيُّ"، و"يا أيُّها الكافرون"، وهذه الاستعمالاتُ في حقيقتها تراكيبُ تخاطبُ البشرَ بدلالاتٍ واضحةٍ، فالسَّامِعُ يُدركُ من قوله تعالى: {يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ❁ ولا تكونوا كالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ³ معاني التَّرهيبِ بتقوى الله، والاستهانةَ بالفاسقين الذين نَسُوا اللَّهَ في الحياة الدُّنيا فنسِهم في الآخرةِ إذلالاً لهم. كما يشعرُ السَّامِعُ عند سماعِهِ قوله تعالى: {يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}⁴ بإحساسِ الرَّهبةِ مِنْ ثِقَلِ هذه الدَّعوةِ إلى الإيمانِ الذي يملأُ الصَّدورَ نوراً؛ لأنَّها تصدرُ من الله، فالنداءُ ها هنا غيرُ مقصودٍ، ولا يُرادُ به هنا طلبُ انتباهٍ أو إقبالٍ، بل جيءَ به لمدحِ المؤمنين بتعظيمِ إيمانهم وتحبُّبِهِ إلى أنفسهم⁵.

¹ الخالدي، الخطاب النَّفسي في القرآن الكريم، 180-181.

² القرآن الكريم، الصَّافَات: 104.

³ القرآن الكريم، الحشر: 18-19.

⁴ القرآن الكريم، الحديد: 28.

⁵ الخالدي، الخطاب النَّفسي، 181-182.

ويضيف الخالدي أننا لو تأملنا قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} ¹، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ} ² لوجدنا أن النداء هنا ليس مقصوداً به التنبيه، أو الإقبال، بل المراد به ذم الكافرين وما يعبدون، وزجر الكافرين ولومهم على سوء أعمالهم؛ لعدم اتعاضهم في الحياة الدنيا، فلا فائدة من اعتذارهم في الآخرة. إذن، فلا نداء على وجه الحقيقة في هذه الآيات، وهذا ما يلمسه السامع في قوله تعالى: {وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاجِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ} ³ إذ لا موجب للنداء هنا؛ لأن النبي موسى مُصْغٍ إلى السحرة، مُقْبِلٌ عليهم، وهذا ما يقتضيه الحال، لكن المراد هنا السخرية والاستهزاء به ⁴. ويتبدى مما ذكر أننا أن النعمة الكامنة في التركيب الندائي هي قرينة لفظية؛ لأنها- كما يقول علي سلمان- لا يمكن تصوُّرها إلا في الكلام المفلوظ، وهي مصحوبة بقرائن مختلفة، وسياقات متباينة تقترن بهيكل تنغيي عرقي مخصوص يُعرف به الأسلوب المعين؛ فتكون النعمات مشتركة في الدلالة مع البنية والعلامة الإعرابية والمطابقة والربط والتضام والأدوات الندائية المختلفة ⁵.

ولعل هذا الأمر دعا تمام حسان إلى القول إن هناك حالات في الاستعمال العربي تستقل فيها النعمة بالدلالة، فتكون القرينة الوحيدة في الكلام، وإن أكثر ما يكون ذلك عند حذف الأداة من الكلام ولا سيما الأدوات التي لها حق الصدارة ⁶، نحو قوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} ⁷، فقد حُذِفَتِ الـ"يا" ودلَّ سياق الآية مصحوباً بالنعمة الندائية على أن هذا التركيب إنما هو تركيب ندائي يهدف إلى المناداة ودعوة المخاطب (يوسف).

¹ القرآن الكريم، الكافرون: 1-2.

² القرآن الكريم، التحريم: 7.

³ القرآن الكريم، الزخرف: 49.

⁴ الخالدي، الخطاب النفسي، 182.

⁵ علي سلمان، المجاز وقوانين اللغة، 78-79.

⁶ تمام حسان، "القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابيين التقديري والمحلي"، مجلة اللسان العربي 11 (1974)، 50.

⁷ القرآن الكريم، يوسف: 29.

2.3. معيار التنغيم¹ والنبر² في التركيب الندائي:

¹ التنغيم Intonation مصطلحٌ لسانِي، يعني- كما يعرفه علماء اللغة- التباين بين الارتفاع والانخفاض في درجة الصوت الناتج عن التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين التي تُحدثُ نغمةً موسيقيةً، أي إنَّ هذا التنغيم بهذا المفهوم يدلُّ على العنصر الموسيقي في نظام اللغة. ويُعدُّ التنغيم والنبر من الفونيمات فوق التركيبية، أو الثانوية التي تصاحب نطقنا للكلمات والجمل، ويرتبط كلُّ منها بالنظام الصوتي للغة. ويمثِّلُ التنغيم أثناء الكلام دورًا وظيفيًّا للتفريق بين الأنواع المختلفة للتركيب، نحو الفرق بين التقرير والاستفهام، وأيضًا؛ للدلالة على انتهاء الجملة، والتعبير عن الدهشة، أو التَّهْكَم، أو الرضا، أو الغضب، أو التعجب، أو التألم، والإنكار، والاستفهام، والتداء...إلخ، فمثلا ثمة فرقٌ بين: "محمَّدٌ موجودٌ؟" (بنغمة صاعدة التي تدلُّ على الاستفهام)، وبين: "محمَّدٌ موجودٌ". (بنغمة مستوية التي تدلُّ على التقرير والإخبار). يُشار إلى أنَّ هناك مصطلحاتٍ أخرى تنبع عن التنغيم، نحو: الوظيفة الانفعالية، أنماط التنغيم، لغات تنغيمية. انظر: تَمَام حَسَان، *مناهج البحث في اللغة*، 160-164:

Ramzi Baalbaki, *Dictionary of Linguistics Terms*, 258; Sami Hanna, *Dictionary of Modern Linguistics*, 67-70; David Crystal, *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*, 182-183; R. L. Trask, *A student's Dictionary of Language and Linguistics*, 117.

² عَرِفَ مصطلح "النبر" عند العرب قديمًا، وقد فهمه اللغويون العرب القدماء على أنه رفع الصوت، فيقال: نَبَر الشَّيْء إذا رفعه، وَنَبَرَ الرَّجُلُ نَبْرَةً إذا تكلَّم بكلمةٍ فيها علوٌّ ومن مادته جاءت لفظة "المنبر"؛ لأنَّه مكانُ رفع الصوت، بل سُمِّيَ المنبرُ بذلك لارتفاعه وعلوه. أمَّا اللغويون المحدثون فإنهم يعرفون "النبر" (Stress) على أنه "نشاطٌ ذاتيٌّ للمتكلِّم ينجم عنه نوعٌ من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع قياسًا لما يُحيط به". ولعلَّه من المجدي أنْ أُشير إلى أنَّه لم يكن للنبر تعريفٌ واحدٌ منضبطٌ، بل اختلفَ حوله كثيرًا ممَّا حدا ببعض الباحثين إلى القول إنَّه ليس من السَّهل تعريف النبر. ويؤكِّد فوزي الشَّايب- في معرض حديثه عن النبر- أنَّ خَيْرَ تعريفٍ للنبر هو ما ذهب إليه تَمَام حَسَان، وذلك بأنَّه: "ازدياد وضوح جزءٍ من أجزاء الكلمة في السَّمع عن بقيَّة ما حوَّلَهُ من أجزائها".

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ اللغويين المحدثين- على الرَّغم من الخلاف الطويل والمتشعب بينهم حول مصدر مصطلح "النبر" وأصلاته- يجمعون على أنَّ ظاهرة "النبر" هي ظاهرة عامَّة تكاد تُميِّزُ لغات العالم جميعها، حيثُ يؤكِّد عبد الغفار هلال ذلك بقوله: "لا تخلو أيُّ لغة من النبر، فكلٌّ متحدِّث- بلغةٍ ما- يضغط على بعض المقاطع فيها، وإنَّما الاختلافُ بينهما في استخدامه فونيًّا يغيِّر الصَّيغ، أو المعاني، أو عدم تأثيره فيهما".

ويشرح بروكلمان طبيعة النَّبَر في اللُّغة العربيَّة الفصيحة إذ بيَّن أنَّه يدخل في اللُّغة العربيَّة القديمة نوعٌ من النَّبَر، تغلب عليه الموسيقية، ويتوقَّف على كميَّة المقطع، فإنَّه يسير من مؤخَّر الكلمة إل مقدِّمها حتَّى يقابلَ مقطعًا طويلاً فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطعٌ طويلٌ فإنَّ النَّبَر يقعُ على المقطع الأوَّل منها.

انظر: عبد العزيز الصَّيغ، المصطلح الصَّوتِي في الدِّراسات العربيَّة (دمشق: دار الفكر، 2000)، 280-284؛ فوزي الشَّايب، أثر القوانين الصَّوتية في بناء الكلمة (إربد: عالم الكتب الحديث، 2004)، 157-159؛ عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللُّغة العربيَّة (القاهرة: مكتبة وهبة، 1996)، 216-219؛ رشيد عبد الرَّحمن العبيدي، مباحث في علم اللُّغة واللِّسانيَّات (بغداد: دار الشَّؤون الثقافيَّة العامَّة، 2002)، 82-86؛ حسام الهنساوي، علم الأصوات (القاهرة: مكتبة الثقافة الدِّينية، 2004)، 153-159؛ تَمَام حَسَّان، مناهج البحث في اللُّغة، 164-170؛ Crystal, A Dictionary of Linguistics, 328-329؛ Trask, A student's Dictionary of Language and Linguistics, 209.

¹ بيَّن تَمَام حَسَّان أنَّ دراسة النَّبَر والتنغيم للُّغة الفصيحة هي دراسةٌ لئسَّت سهلةً، فقد قال في معرض كلامه عن النَّبَر والتنغيم: "...ولا يفوتني أن أُشير إلى أنَّ دراسة النَّبَر ودراسة التنغيم في العربيَّة الفصحى يتطلب شيئا من المجازفة: ذلك لأنَّ العربيَّة الفصحى لم تعرف هذا الدِّراسة في قديمها، ولم يسجِّل لنا القدماء شيئا عن هاتين النَّاحيتين، وأغلب الظَّن أنَّ ما ننسبه للعربيَّة الفصحى في هذا المقام إنما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العامَّة؛ لأنَّ كلَّ متكلم بالعربيَّة الفصحى في أيَّامنا هذه يفرضُ عليها من عاداته النُّطقيَّة العامَّة الشَّيء الكثير. وأظنُّ القارئ يعلم أنَّ القرآن الكريم نفسه يختلفُ نطقًا ونبرًا وتنغيمًا (وعلى الأخصَّ في نطق الضَّاد والجيم والثَّاء والدَّال والظَّاء والقاف والكاف) من بلد عربيٍّ إلى بلد عربيٍّ آخر اختلافًا يُخبرُ عن نسبة التَّبائني في هذه النَّاحية بين اللِّهجات العامَّة في البلاد العربيَّة المختلفة". وكذلك نفى محمَّد الأنطاكي أنَّ يكون النَّحاة القدماء قد تطرَّقوا إلى هذه الظَّاهرة فقال: "إنَّ قواعد التنغيم في العربيَّة قديماً مجهولةٌ تماماً؛ لأنَّ النَّحاة لم يشيروا إلى هذه النَّاحية". وهذا ما أكَّده صائل شديد حينما قال: "لم يدرس علماء العربيَّة التنغيم دراسةً وافيةً تفصيليَّةً تمكُّنا من سبر أغوار هذه الظَّاهرة. ولعلَّ دراسة التنغيم أدائيًا كان أكثر منه دلاليًّا؛ الأمر الَّذي أدَّى إلى عدم استكناها الحقيقي لهذه الظَّاهرة. ولعلَّ اقتصارنا على فهم التنغيم ضمن حدود التَّلوين الصَّوتي كان سببًا آخر في عدم معرفتنا بأهميَّة التنغيم؛ فقد عرفَ علماؤنا الأوائلُ التنغيم ظاهراً لا مصطلحاً. علماً بأنَّ هذه الآراء كانت مثارَ خلافٍ بينَ الباحثين، فقد أشار هایل محمَّد طالب إلى أنَّ مسألة التنغيم في التَّراث العربيِّ أثارتُ خلافاً كبيراً بينَ الدَّارسين المعاصرين، حيث انقسمت آراؤهم إلى قسمين، فذهب قسمٌ من

رأينا سابقاً أنّ التَّنْغِيمَ هو ظاهرةٌ صوتيّةٌ، وفي الوقتِ نفسِهِ، يحملُ قرينةً نحويّةً تُعينُ على فهم دلالاتِ الجملِ، أو ما يُسمّى عند الألسنيين بالدلالةِ الصّوتيّة¹، حيثُ يروْنَ أنّ عنصري التَّنْغِيمِ والتَّبَرُّ يشكّلان، في كثيرٍ من الأحيان، مشهداً بارزاً لمعاني الجمل، وبالتالي يستطيع الفردُ أن يُفَرِّقَ بينَ ما تدلُّ عليه الجملة من معاني النداء المتعدّدة². ومن هذه الرّؤية يذهبُ تَمَامُ حَسَّانُ أنّ ظاهرةَ التَّبَرُّ والإجْهَارِ في اللّغة تحملُ وظيفةً جليلاً وهامّةً، بل تُعدُّ هذه الظّاهرةُ أساساً لقوّة الإسماع³، ووفقاً لهذا فعلى المتحدّث أن يراعي النّغمَ في حديثهِ لكي لا يُخْبِرَ بالنداء، أو الاستفهام، أو التّعجّب فيؤدّي ذلك إلى سوء التّواصل اللّغويّ، والالتباس في الفهم، وكذلك على المستمع أن يُصغي إلى ما يُقال بدقّة متناهية؛ لكيلا يُسيء الفهم بسبب عدم مراعاة النّغم أثناء الاستقبال⁴.

إنّ هذه الظّاهرة الصّوتيّة لصيقةٌ بالأسلوب التّدائيّ، خاصّةً أنّ النداء في جوهرهِ - كما يُعرّفهُ النُّحاةُ - تصويّتٌ بالمنادى؛ للإقبال؛ لهذا فهو يُعدُّ تركيباً إجْهَارِيّاً من خلال صفات حروفهِ المختلفة، ومقاصدِهِ الدّلاليّة، وتنبيهياً في أصلهِ - أيضاً - من خلال حروفِ الّتي تحمل معنى التّنبيه ولُفّت الانتباه.

الباحثين إلى أنّ العرب لم يتناولوا هذه الظّاهرة، ولم يدرسوها، ومن الباحثين من أشار إلى أنّ النّحاة القدماء أشاروا إلى هذه الظّاهرة كابن جني.. انظر: تَمَامُ حَسَّان، مناهج البحث في اللّغة، 163-164؛ محمّد الأنطاكي، دراسات في فقه اللّغة العربيّة (بيروت: دار الشّرق العربيّ، [د.ت.ا])، 197؛ صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدّلالة في العربيّة - دراسة لسانيّة (عمّان: الأهليّة للنّشر والتّوزيع، 2004)، 88؛ هایل محمّد طالب، "ظاهرة التَّنْغِيمِ في التّراث العربيّ"، مجلّة التّراث العربيّ 91 (2003)، 80-81.

¹ انظر في الفصل الأوّل: "حروف النداء بين الصّوت والدّلالة".

² علي سلمان، المجاز وقوانين اللّغة، 78.

³ تَمَامُ حَسَّان، مناهج البحث في اللّغة، 160.

⁴ سلمان، المجاز وقوانين اللّغة، 78.

فَقَدْ وَضَّحَ صَائِلٌ شَدِيدٌ أَنَّ أَسْلُوبَ النَّدَاءِ دَلِيلٌ آخَرٌ- مِنْ ضِمْنِ أَدَلَّةٍ نَحْوِيَّةٍ كَثِيرَةٍ- عَلَى مَا أَسَمَاهُ بـ"التَّنْغِيمِ النَّحْوِيَّ"، فَإِنَّ ثَمَّةَ اخْتِلَافًا مَلْمُوسًا حِينَ تُنَادِي عَلِيًّا: "يا عليُّ" وَأَنْتَ فِي حَالَةِ الْغَضَبِ، وَحِينَ تُنَادِيهِ وَأَنْتَ تَتَعَجَّبُ مِنْ فِعْلِهِ، أَوْ طَالِبًا الْمُسَاعَدَةَ¹.

لِهَذَا، يَتَوَصَّلُ صَائِلٌ شَدِيدٌ إِلَى أَنَّ لِلتَّنْغِيمِ وَظِيفَةً نَحْوِيَّةً، مُؤَكَّدًا دَوْرَهُ الْفَاعِلَ فِي تَحْدِيدِ الْمَعْنَى النَّحْوِيَّ، فَنَسْتَطِيعُ خِلَالَهَا أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ النَّدَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالتَّنْدِبَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْأُمُورِ الْإِنْفِعَالِيَّةِ مِثْلَ الْفَخْرِ وَالتَّوَاضُعِ²- عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ.

بَلْ نَرَى صَائِلٌ شَدِيدٌ يُوَلِّي لِلتَّنْغِيمِ أَهْمِيَّةً كَبْرَى مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ: "وَلَعَلَّ التَّرَكِيبَ النَّحْوِيَّ أَوْ الْأَدَاةَ النَّحْوِيَّةَ هُمَا اللَّذَانِ يُحَدِّدَانِ نَوْعَ التَّنْغِيمِ، وَلَكِنَّهُمَا لَا يُلْغِيَانِ التَّنْغِيمَ مَطْلَقًا، فَالتَّرَكِيبُ النَّحْوِيُّ هُوَ الَّذِي يَفْرَضُ طَبِيعَةَ التَّنْغِيمِ، وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَمَعَ هَذِهِ الْأَسْبَقِيَّةِ لِلتَّرَكِيبِ فَإِنَّ هَذَا لَا يَعْنِي الْإِسْتِغْنَاءَ عَنِ التَّنْغِيمِ، فَلَوْ أَنَّ نَاطِقًا لِلغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ذَكَرَ التَّرَكِيبَ سَلِيمًا، وَلَكِنْ بِتَنْغِيمٍ غَيْرٍ مُطَابِقٍ لِدَلَالَةِ التَّرَكِيبِ النَّحْوِيِّ فَإِنَّ الدَّلَالََةَ الْعَامَّةَ يُصِيبُهَا الْاضْطِرَابُ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ انْتِقَالَ الدَّلَالَةِ مِنْ خِلَالِ التَّنْغِيمِ يُعَدُّ مِنْ عَنَاصِرِ تَحْقِيقِ الدَّلَالَةِ..."³.

وَيَذْهَبُ الْبَاحِثُ أَحْمَدُ كَشْكُ إِلَى أَنَّ ثَمَّةَ تَرَابُطًا بَيْنَ النَّدَاءِ وَالتَّنْغِيمِ فِي الْجُمْلَةِ النَّدَائِيَّةِ ، فَيُؤَكِّدُ أَنَّ أَسَالِيبَ النَّدَاءِ تَخْضَعُ لِعَنْصَرِ التَّنْغِيمِ؛ إِذْ هُوَ- عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِ- ضَابِطٌ مُمَيِّزٌ لَهُ، وَالَّذِي يُبْرِزُ ذَلِكَ وَيُؤَكِّدُهُ هُوَ عَدُّ مَا بَعْدَ النَّدَاءِ فِي قَوْلِنَا: "يا عليُّ مُحَمَّدٌ مَسَافِرٌ" اسْتِثْنَاءً جَدِيدًا لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِمَا قَبْلَهُ، ثُمَّ إِنَّ الَّذِي يُؤَكِّدُ أَمْرَ التَّنْغِيمِ بوضوحٍ مَا جَاءَتْ بِهِ الْمَصَادِرُ اللَّغَوِيَّةُ عَنْ أَدَاةِ النَّدَاءِ وَجُودًا، أَوْ حَذْفًا، حَيْثُ إِنَّ أَدَاةَ النَّدَاءِ نَفْسَهَا مَسْأَلَةٌ تَجْعَلُ لِلتَّنْغِيمِ دَوْرًا كَبِيرًا عَلَى أُسَاسٍ مِنَ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ عِنْدَ النَّدَاءِ⁴.

¹ صَائِلٌ رَشْدِي شَدِيدٌ، عَنَاصِرُ تَحْقِيقِ الدَّلَالَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ- دَرَاةٌ لِسَانِيَّةٌ، 93.

² شَدِيدٌ، عَنَاصِرُ تَحْقِيقِ الدَّلَالَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، 94.

³ شَدِيدٌ، 94.

⁴ أَحْمَدُ كَشْكُ، مِنْ وَظَائِفِ الصَّوْتِ اللَّغَوِيِّ- مَحَاوَلَةٌ لِفَهْمِ صَرْفِيٍّ وَنَحْوِيٍّ وَدَلَالِيٍّ (الْقَاهِرَةُ: [د. ن.].

1983)، 102.

لهذا فإنَّ أمرَ النداءِ- عند كشك- بعيداً كان أو قريباً إنّما هو متّصلٌ بالتّصويّتِ والتّنبيهِ الذي يدلُّ عليه ويدفعُ إليه تراخي المنادى أو الإعراضُ عنه بعدم السّماعِ، أو لنومٍ ثَقِيلٍ، كما أشارَ إلى ذلك النّحاةُ القدماءُ حينما عرّفوا المنادى. ويضيفُ أنّه لا يجدُ محقّقاً لتلك الوسيلةِ إلا من خلال الضّغطِ على حرفِ النداءِ والمنادى مُنغَمّاً أصواتُهُ حتّى يُحدِثَ الإسماعَ المطلوبَ¹.

إنَّ مراعاةَ الصّوتِ إطالةً أو تقصيراً هو بحدِّ ذاته صوَرُ النداءِ على أساسِ القُرْبِ أو البعدِ، ولعلَّ هذا يحدو بنا- كما يقول كشك- إلى تصوّرِ النداءِ حينَ تكونُ الأداةُ محذوفةً، فَقَدْ وَرَدَتْ أَلَيْنَا نماذجٌ كثيرةٌ توكّدُ مجيءَ المنادى مِنْ دُونِ حرفِ النداءِ إذ تصوّرُ لها النّحاةُ حرفَ نداءٍ محذوفاً كان يقومُ بالنداءِ قبلَ حذفِهِ؛ كآتِه لا سبيلَ إلى تحقُّقِ النداءِ إلا بوجودِ حرفِ النداءِ ظاهراً، أو مقدّراً، نحو قوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}²، وقوله: {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ}³، وفي هذه الحالِ يُبَرِّزُ النّحاةُ حذفَ أداةِ النداءِ عِبْرَ فهمِها من السّياقِ، ويصبُحُ التّقديرُ عندهم: "يا يوسف"، و"يا هؤلاء". وهذا الأمرُ يتوصّلُ بنا إلى أنّ النداءَ ليسَ قاصراً على الأداةِ وحدها؛ حتّى تكونَ وسيلةُ التّنبيهِ متّجهةً إلَها وحدها، بل علَها وعلى المنادى أيضاً الذي تكونُ له صفاتٌ صوتيّةٌ في هذا الموطنِ لا توجدُ في موطنٍ آخرَ، فكلمةُ "محمّد" لها صفاتٌ صوتيّةٌ في قولنا مخبرين: "محمّد مجتهد" تختلفُ عن صفاتها في قولنا: "محمّد" فحسب، أو "يا محمّد" على سبيلِ النداءِ، والذي يُثبِتُ ذلك مجالُ النداءِ الاستعماليُّ، وهو مجالٌ حيٌّ، فحينَ نتّجهُ بالنداءِ إلى إنسانٍ اسمُهُ محمّد وهو بعيدٌ فإنّنا نُصدِرُ صوّتنا إمّا أن نخلعَ على الأداةِ صفةَ الطّولِ؛ حتّى يستجيبَ المدعوُ، وإلاّ فإنّ الكلمةَ الّتي تنادي نفسَها تأخذُ من التّطويلِ والمطّ ما يقومُ مقامَ الأداةِ، فأقول في "محمّد" مثلاً "محمّاد"، وتكونُ النّعمةُ وحدها قرينةً وعلامةً على النداءِ، ومن هنا فإنّ النداءَ حينما يكونُ

¹ أحمد كشك، من وظائف الصّوت اللّغوي، 102.

² القرآن الكريم، يوسف: 29.

³ القرآن الكريم، البقرة: 85.

وَحَدَهُ- دون أداة النداء- فإنه يأخذ لونها نغميًا معيّنًا، يختلف حينما يكون مصاحبًا للأداة حيث يأخذ لونها نغميًا مغايرًا عن سابقه، فالأداة عندما تصحب المندى موصولةً به كأنها معه كتلة نطقية واحدة لا وجود لراحة بيّهما، لكتها إذا وردت وحدها فإن تطويلًا ومطًا يحدّث لها، فتعقبه سكتة تُنبئ عن مكان المندى المحذوف¹.

كما أن للتنغيم أمرًا فاعلاً ونشطاً في الندبة والاستغاثة؛ لأنهما تتعلّقان بالمستوى التنغيبيّ، بل-كما يصفُ كشك- يتّصلُ حبّهما بصور النداء الأخرى من جهة عامل التنغيم، فلا ندبة دون تصويتٍ وتطريح، ولا استغاثة دون ارتفاع صوتٍ يسمعه المغيْث. بل إنّ أمر الترخيم في النداء يَمْنَحُ إحساسًا بأنّ الاسم المرخّم يُضغَطُ عليه ضغطًا يوازي ما حُذِفَ منه؛ لأنّ نطقنا للكلمة "مروان" في قولنا: "يا مروان إنّ مطيّتي محبوسة" يُخالفُ بلا شك قول الشاعر: "يا مروان إنّ مطيّتي محبوسة"، لا سيّما إذا كان الناطق يسير في نطقه هذا على نهج مَنْ لا ينتظر إذْ عُدَّ ذلك استقلالاً لهذه الكلمة، على حين أنّ مَنْ ينتظر محذوفه يجعلُ نغمة الاتصال باقيةً تُنبئ عن مجيء ما حُذِفَ².

ومن ثمّ فإنّ أحمد كشك يتوصّل إلى حقيقةٍ مثيرة، وهي أنّ كلّ قضية النداء تُفصَحُ عن أمرٍ تنغيبيّ، ولعلّ عدّ الأسلوب من قبيل الأساليب الإنشائية لهو مؤكّد تمامًا لما نقول؛ لهذا كان من الخطأ الفاضح- حسب تعبيره- أن نُسوّي بين جملة النداء: "يا محمّد"، وجملة: "أدعو محمّدًا" التي لا علاقة لها بالأولى، فهي خبريّة، والأولى إنشائية، بل إنّ الأولى لها تنغيمٌ معروفٌ تحدّده وسائل القُرب والبُعد، وتحدّده علاقة المندى، وأمّا الجملة الثانية "أدعو محمّدًا" فهي خاليةٌ من هذا الموقف تمامًا³.

¹ كشك، من وظائف الصوت اللغوي، 103-104.

² كشك، 105.

³ ن. م، 105.

ثم نلحظُ بكري شيخ أمين يؤكدُ أنَّ جرسَ المفرداتِ القرآنيَّةِ يوحيُ بمعناها قبل أن يُوحي مدلولُها اللَّغويُّ عليه¹، فيضربُ مثلاً لذلك بما وَرَدَ في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١﴾ اِزْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٣﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتِي}،² حيث يقول: وتأمَّل ما ضَمَّت هذه الآياتُ مَنْ مدودٍ: يا- ها- جعي- إلى- را- خلي- في- عبا- دي- خُلي- تي، وما ضَمَّتُهُ من تشديد: أَيُّهَا- النَّفس- المطمئنة- رَبِّكِ- ضِيَّة- جَنَّتِي، وما ضَمَّتُهُ من نونات: النَّفس- المطمئنة- راضِيَتُن- مرضِيَتُن³- جَنَّتِي، وما ضَمَّتُهُ من حركاتِ الكسْرِ: جعي- رَبِّكِ- في- دِي- خُلي- نَتِي، وَمِنْ ثَمَّ تصوَّر أنَّ الميتَ مُسَجَّى في كفنٍ، والقبرُ فاغزُ فاهُ، ينتظرُ ضيفَهُ الجديدَ؛ لِيُضْمَّهُ، وتَصَوَّر كذلك الدَّموعَ الصَّامِتَةَ يذرفُها الأهلُ والأحبابُ لفراقِ عزيزٍ أو حبيبٍ، وَتَصَوَّر الصَّرَاعَ النَّفسيَّ في قلوبِهِم، فَرَحَّ فيما هو مُقْبِلٌ عَلَيْهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وحزنٌ إنسانيٌّ لا بدَّ منه عند الوداع؛ فَهَلْ تَجِدُ- بعد هذا كَلِّهِ- أَوْقَعَ أَثَرًا، وأدقَّ تعبيرًا عن هذا الموقفِ الجليلِ بما يحويه من حزنٍ، ودموعٍ، وذلك الأملِ العريضِ ممَّا جاءت به تلك المفرداتُ بكلِّ ما حملتْ مِنْ مدودٍ، وَشَدَاتٍ، وَغُنَّاتٍ، وحركاتِ كَسْرٍ، ونوناتٍ؟ وَجَرِبْتُ أَنْ تُعِيدَ قِراءَةُ الآياتِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وتأمَّل في الحروفِ وَرَصفِها، والمفرداتِ كُلِّ منها على حِدَةٍ، ثُمَّ في مجموعِها وتناسُقِها، فَلَسَوْفَ تَجِدُ الحزنَ والرِّضا، والطَّمَأِينَةَ قَدِ امتزجتْ امتزاجًا تامًّا⁴.

ويعطي شيخ أمينُ مثلاً آخرَ حَوْلَ توافقِ المستوى الصَّوتيِّ التَّنغيميِّ مَعَ المستوى الدَّلاليِّ البلاغيِّ وذلك في قوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى}،⁵ حَيْثُ أَكَّدَ أَنَّ هذا الموضعَ وما أَعَقَبَهُ مِنْ آياتٍ يبعثان على الرِّغبةِ في الإطالةِ والإسهابِ، ذلك لأنَّه موقفٌ حبيبٌ أمامَ المحبوبِ؛ فالأنبياءُ محبوبون عند الله، ثُمَّ يُعَقَّبُ قائلًا: "ما أروعَ البلاغةَ الَّتِي تضعُ كُلَّ شيءٍ

¹ بكري شيخ أمين، التعبير الفتي في القرآن (القاهرة: دار الشروق، 1973)، 180.

² القرآن الكريم، الفجر: 27-30.

³ "راضِيَتُن"، و"مرضِيَتُن" كتابةً صوتيَّةً؛ أو توصيفٌ صوتيٌّ؛ لأنَّ التَّونينَ- صوتًا- تُعَدُّ نونًا ساكنةً، ولا تُكْتَبُ خطًّا (نونًا).

⁴ بكري شيخ أمين، التعبير الفتي في القرآن، 181.

⁵ القرآن الكريم، طه: 17.

موضعة، وتقدير الكلام بحسب المقام... وإذا قالوا إن الحديث مع الملوك والعظماء يستحب فيه الاختصار، ويَجْمَلُ فيه الإيجاز؛ ولذا فالأنسب أن يكون موسى قد اختصر واكتفى بالإشارة عن العبارة، وبالتلويح عن التصريح. فإنا نقول: ولكن أين تذهب عاطفة الحب، وحرارة المشاعر، وخفقة القلب العاشق؟ وهل يُقاسُ موقفُ الحبيب مع المحبوب على كل موقف آخر في الوجود؟¹ ولعل شيخ أمين يقصد من كلامه هذا أن الأسلوبين، الاستفهامي والندائي، هما تركيبان منبوران، يستشعر فيهما القارئ قوة التفاعل النفسي للعبارة وبالفضاء التنغييمي الذي بدوره يُسرهم في فهم دلالات الآيات حسبما يقتضيه السياق، وقرائن الألفاظ.

والأمر اللافت أن تمام حسان يذهب إلى أن تركيب النداء يندرج تحت ما يُسميه بـ"التنغيم النسبي الهابط"²، ويشاركه في ذلك أسلوب التحيّة، والكلام التأمّ، وتفصيل المعدودات، وما عبّر به عن فكرة مكملّة لكلام سابق مباشرة كما في: "لقد قابلت أذاك... على دراجته"، والاستفهام بغير "هل" والهمزة.³

وأنوه هنا إلى أن تمام حسان - وهو علّم معروف لا يشقّ له غبار في عالم اللغة - لم يلتفت إلى أسلوب الاستغاثة، أو الندبة⁴، وفيهما تظهر آثار الانفعال النفسي الواضحة، فتَنحُو الكلمات، وبالتالي الجملة، إلى تنغيم مغاير عن النداء. ولعلّي أضيف قائلاً إن النداء نفسه قد يسلك مسلك التعجب، أو الندم، أو الحسرة، بمعنى أن يخرج النداء عن معناه

¹ شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، 185-186.

² وفقاً لشرح تمام حسان فإن "التنغيم النسبي" يستعمل في الكلام غير العاطفي، وتُفهم سعة المدى وضيقه في محدودية المدى التنغييمي العام في اللغة المدروسة، أي المدى الذي بين أعلى نغمة كلامية وأخفضها تستعمل في المحادثة؛ وذلك لأنه ليس هناك سعة مطلقة، وضيق مطلق، بل كل شيء في هذا المجال نسبي. وأمّا "النغمة الهابطة" فهي النغمة التي لا تكون إلا على مقطع منبور. انظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، 164-169.

³ تمام حسان، مناهج البحث، 169.

⁴ نمة كثير من النحاة لا يعدّون الاستغاثة والندبة أسلوباً من أساليب النداء.

الحقيقي، وعندها قد تتغيّر حركة التّنعيم وفقاً لسياق الجمل ومقتضياتها، علماً أنّ تَمَام حَسَن كان قد أشار إلى أنّ التّنعيم ذا "المدى السّليبي" - ضمن الموازين التّنعيميّة - يُستعمل في الكلام الذي تصحبه عاطفة تهبط بالنّشاط الجسديّ العامّ كالحزن مثلاً، فلماذا - إذن - لا يُضاف إلى النّداء الحقيقيّ - الذي يُقصد به طلب الإقبال - نداء يحمل دلالات مغايرة لما وُضعت له في الأصل؟

وللحق، بوسعي أن أفهم توجّه حَسَن تَمَام؛ حيث يحتكم إلى المعيار الفيزيائيّ في تحديده للتّنعيم طارحاً بذلك الوجّه التّفسيّة، فيقول بصريح العبارة: "...ولتحديد هذا تحديداً أكثر ضبطاً نقول: إنّ الكلام بهذا المدى تصحبه إثارة أقوى للأوتار الصّوتية بإخراج كمّيّة أكبر من الهواء الرّئويّ، باستعمال نشاطٍ أشدّ في حركة الحجاب الحاجز. وهذا أكثر ضبطاً من استعمال تعريف مبنيّ على الدّراسات التّفسيّة؛ لأنّ علم النّفس باعتباره علماً مساعداً من أقلّ العلوم فائدة في الدّراسات اللّغويّة"².

2.4. الاقتضاء³ النّدائيّ في أسلوب القرآن:

¹ تَمَام حَسَن، مناهج البحث ، 167.

² حَسَن، مناهج البحث ، 166-167.

³ الاقتضاء لغةً هو الطّلب والحاجة، أي طلب شيء، أو احتياج شيء إلى شيء آخر، أمّا اصطلاحاً؛ فالأقتضاء هو عبارة عن زيادة في المنصوص عليه يشترط تقديمه؛ ليصير المنظوم مفيداً، أو موجباً للحكم، وبدونه لا يمكن إعمال المنظوم، فكان المقتضى مع الحكم مضافين إلى النّص ثابتين به الحكم. واتفق معظم المحدثين على أنّ دلالة الاقتضاء هي دلالة الكلام على مسكوت عنه، إذ يتوقّع صدق الكلام أو صحته عقلاً وشرعاً على تقديره، أي: لا يستقيم الكلام إلا به. لهذا فإنّ الاقتضاء يُعدّ أحدي القواعد الأصوليّة اللّغويّة في تفسير النّصوص الّتي لا يمكن استغناء المجتهد، والمفسّر، والشارع عنها، إذ يتوصّل من خلالها إلى استنباط النّصوص، وفهمها فهماً صحيحاً. من هنا، يتفق معظم الباحثين المحدثين على وجود ارتباط قائم بين الوحدات اللّغويّة، ويجعلون اللّغة نظاماً من العلاقات المرتبطة بعضها ببعض، أو نظاماً من العلاقات المبنية على مبدأ التّلازم والاستدعاء الحاصل بين الوحدات اللّغويّة. ثمّ إنّ الاقتضاء لم يكن قائماً بين الوحدات اللّغويّة فحسب، بل إنّ دائرته المستويات اللّغويّة كلّها، بمعنى أنّ اللّغة وحدة متكاملة يتمّ بهذه الوحدة حصول الكلام، كما أنّ وجود العناصر اللّغويّة

إنَّ الدَّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةَ، لَا سِيَّما الحَدِيثُ مِنْهَا، تَفْهَمُ مَهْمَةً النَّحْوِ عَلَى أَنَّهُ الْبَحْثُ فِي خَوَاصِّ الْجُمْلَةِ مِنْ كَيْفِيَّةِ تَأْلِيفِ كَلِمَاتِهَا، وَمَوْقِفِ كُلِّ كَلِمَةٍ فِيهَا مِنْ الْأُخْرَى مِنْ حَيْثُ الْمَوْقِعُ وَعِلَاقَةُ كُلِّ مِنْهَا بِالْأُخْرَى مِنْ حَيْثُ الْوُضُوعُ¹. فَالنَّحْوُ لَا يَتَجَرَّدُ بِهَذَا الْفَهْمِ مِنْ خَاصِّيَّةِ الْبَحْثِ فِي

صَوْتًا، وَبِنَاءً، وَتَرْكِيبًا، وَتَدَاوُلًا يُبْنَى عَلَى الْاِقْتِضَاءِ؛ لِهَذَا قِيلَ إِنَّ اللُّغَةَ هِيَ نِظَامٌ كُلُّ عَنَاصِرِهِ مَتَمَاسِكَةٌ، أَيْ فِيهِ يَقْتَضِي كُلُّ شَيْءٍ الْآخَرَ بِشَكْلِ مُتَبَادِلٍ، بَلْ إِنَّ فِيهِ عَنَصَرًا يَتَحَدَّدُ مِنْ خِلَالِ مَوْقِعِهِ عَلَى الشَّبَكَةِ الْكَلِمَةِ لِلْعِلَاقَاتِ. وَبُيِّنَ فُخْرُ الدِّينِ قِبَاوَةَ أَنَّ لِّلْاِقْتِضَاءِ مَفْهُومَيْنِ، أَحَدُهُمَا لُغَوِيٌّ، وَالْآخَرُ نَحْوِيٌّ، أَمَّا الْمَعْنَى اللَّغَوِيُّ فَيَكُونُ فِي الْأَسْمِ الْمَقْتَضِي، نَحْوُ قَوْلِكَ: "أَخ، وَشَرِيكَ، وَابْن، وَخَصْم، وَجَار، وَتَلْمِيز"، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ إِذَا ذُكِرَ اقْتَضَى مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْأَخَ يَسْتَدْعِي فِي الذَّهْنِ أَخًا أَوْ أُخْتًا، وَالشَّرِيكَ يَتَطَلَّبُ شَرِيكًا أَوْ شَرَكًا، وَالابْنَ يَقْتَضِي أَبًا وَأُمًّا وَقَدْ يَقْتَضِي أَجْدَادًا وَجَدَّاتٍ، وَالْخَصْمَ يَسْتَحْضِرُ مَنْ يَخَاصُمُهُ، وَالْجَارُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ جَارٌ وَمَكَانٌ وَزَمَانٌ، وَالتَّلْمِيزُ لَا يَدُلُّ مِنْ أَسْتَاذٍ وَعِلْمٍ. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَدُلُّ أَنَّ يَكُونُ الْمَقْتَضِي وَالْمَقْتَضَى تَأْثِيرًا وَانْفِعَالًا، فَتَجْمَعُ بَيْنَهُمَا عِلَاقَةٌ تَفَاعُلِيَّةٌ. أَمَّا الْمَعْنَى النَّحْوِيُّ فَيَتِمُّ فِي قَوْلِ ابْنِ يَعِيشَ: "أَلَا تَرَى أَنَّ الضَّرْبَ وَالْقَتْلَ يَقْتَضِيَانِ مَضْرُوبًا وَمَقْتُولًا"، وَهَذَا الْمَعْنَى يُفْضِي إِلَى الْقَوْلِ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَفْعَالِ الْحَوَاسِّ يَقْتَضِي مَفْعُولًا مِمَّا تَقْتَضِيهِ تِلْكَ الْحَاسَّةُ، فَالْبَصَرُ - مَثَلًا - يَقْتَضِي مَبْصَرًا، وَالسَّمْعُ يَقْتَضِي مَسْمُوعًا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ مِمَّا تَقْتَضِيهِ تِلْكَ الْحَاسَّةُ، يُضَافُ إِلَى هَذَا مَا يُرَافِقُهَا مِنْ مَكَانٍ وَزَمَانٍ وَسَبَبٍ وَغَايَةٍ وَآلَةٍ وَمَصَاحِبَةٍ وَبَيَانٍ. ثُمَّ يَقُولُ إِنَّ ثَمَّةَ نُحَاةٍ يَرَوْنَ أَنَّ الْاِقْتِضَاءَ - نَحْوِيًّا - هِيَ نَظَرِيَّةُ الْعَمَلِ، فَالْمَقْتَضِي هُوَ الْعَامِلُ، حَيْثُ يَذْهَبُ أَصْحَابُ هَذَا الرَّأْيِ إِلَى أَنَّ الْمَقْتَضِي لِلْإِعْرَابِ هُوَ تَوَارُدُ الْمَعَانِي الْمَخْتَلِفَةِ عَلَى الْكَلَامِ؛ بِسَبَبِ التَّرْكِيبِ، ثُمَّ فَسَّرُوا مَقُولَتَهُمْ هَذِهِ - كَنُموذَجٍ مِنْ بَيْنِ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ الْمَخْتَلِفَةِ - أَنَّ مَحَلَّ الْمَعَانِي الْمَقْتَضِيَّةِ هُوَ الْأَسْمُ، وَمَنْ ثُمَّ حَكَمَ لَهُ بِأَصَالَةِ الْإِعْرَابِ، وَأَنَّ الْبِنَاءَ فِي الْأَسْمَاءِ إِمَّا لِفَقْدَانِ الْمَقْتَضِي، وَإِمَّا لَوْجُودِ الْمَانِعِ، وَهُوَ مَنَاسِبَةٌ عَيْرِ الْمَتَمَكَّنِ. وَأَنَّ الْمَقْتَضِي لِلْإِعْرَابِ الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ هُوَ مُضَارَعَتُهُ لِأَسْمِ الْفَاعِلِ لَفْظًا وَمَعْنَى وَاسْتِعْمَالًا. كَمَا يَتَضَحُّ ذَلِكَ جَلِيًّا فِيمَا ذَكَرَهُ الرَّمَخَشَرِيُّ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنِ الْإِضَافَةِ قَائِلًا: "هِيَ الْمَقْضِيَّةُ لِلْجَرِّ، كَمَا أَنَّ الْفَاعِلِيَّةَ وَالْمَفْعُولِيَّةَ هُمَا الْمَقْتَضِيَانِ لِلرَّفْعِ وَالنَّصْبِ"، وَفِي هَذَا - كَمَا يُوَكِّدُ قِبَاوَةَ - نَصٌّ صَرِيحٌ بِتَوَسُّطِ الْوُضُوعِ النَّحْوِيِّ بَيْنَ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ. انْظُرْ: أَشْوَاقُ مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلِ النَّجَّارِ، الْاِقْتِضَاءُ - دِلَالَتُهُ وَتَطْبِيقَاتُهُ فِي أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (عَمَّان، دَارُ دَجْلَةِ، 2007)، 25-31؛ فُخْرُ الدِّينِ قِبَاوَةَ، مُشْكَلَةُ الْعَامِلِ النَّحْوِيِّ وَنَظَرِيَّةُ الْاِقْتِضَاءِ (دَمَشَق: دَارُ الْفِكْرِ، 2003)، 121-123.

¹ مُحَمَّدٌ عَيْدٌ، أَصُولُ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ، 266.

الإعراب ونظامه وأحواله، بل يزداد اتساعاً من خلال فهم مهمته على هذا الوجه الشامل. فالبحث في الجمل من حيث تأليفها وعلاقات كلماتها ببعضها ببعض، ثم بوسائل التعبير عن هذا العلاقات لهو- كما يعتقد محمد عيد- من أهم مباحث النحو إن لم يكن أهمها في نظر اللغوي الحديث، كما هو واقع فعلاً في كتب النحو العربيّة، وكما فهمه على ذلك بعض أئمة النحاة؛ فيترتب على أساس هذا الفهم بيان كيفية قيام العلاقات بين الكلمات في الجملة، ومعنى وظائفها النحويّة والتعبير عنها شكلياً¹.

وبالتالي- بناءً على ذلك- فإن مقصد الاقتضاء يكمن في استظهار سبيل الوصول إلى معرفة ما يستدعيه النص بما يحمله من شحنات تفاعليّة، ومن خلال العلاقات التبادليّة بين متأثر ومتأثر به؛ لاستبطان المرجو من هذه العلاقات مصحوبةً بسياقات النص، وبما حضره من أحداثيات ووشائج مترابطة. فالتص- بهذا المفهوم- هو المحور الرئيس للاقتضاء. لقد أشارت الباحثة أشواق النجار إلى أنّ النداء يُمَثَّلُ ضرباً من مقتضيات المكونات الإنشائيّة الطلبيّة، إذ يُعَدُّ حرفُ النداء "يا" من أكثر المكونات الندائيّة اقتضاءً وأهميّةً في أسلوب القرآن، إذ لا يُنادَى لفظُ الجلالة إلاّ به، وينوب المكوّن الندائي عن الفعل المعبر عن "أدعو" أو "أنادي"، كما أنّ الوضع اللغوي يقتضي تحديد المكونات الندائيّة، ف"الهمزة" و"أي" تُستعمل لنداء القريب، أمّا "يا"، و"أيا"، و"ها"، و"أي"، و"وا" فلنداء البعيد، ولكنّ السياق يقتضي أحياناً استعمال المكوّن الدال على القريب؛ للدلالة على البعيد أو العكس². وتذهب الباحثة أشواق النجار إلى أنّ العلاقة بين مكوّن النداء والمنادى في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ...}³ هي علاقة اقتضاء ليس غير، بينما إذا نظرنا إلى قوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ}⁴ يتبدى لنا أنّ الموقف

¹ عيد، أصول النحو، 266.

² أشواق النجار، الاقتضاء- دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم، 304.

³ القرآن الكريم، الحج: 1.

⁴ القرآن الكريم، يوسف: 29.

كان يقتضي حذف المكوّن الندائي في هذه الآية، وجاء التّقدير لهذا الحذف "يا يوسف"، ولعلّ في نداء يوسف باسمه تقريباً له وتلطيفاً، إذ تَبَتَّتْ له براءتُهُ، وَحَقَّتْ له تلك الملاحظة، حيث إنّ هذه الملاحظة وراءها مَرَبٌّ يُشْعِرُ به الحذف ألا وهو الإيماء بأنّ ما حَدَثَ يجبُ أن يُضْمَرَ في السّرّاء فلا يَجْري به لسان¹. فحذف المكوّن الندائي ها هنا جاء اقتضاءً؛ كي يُشِيرَ إلى ما صارَ إليه حالّ العزيز، وقد رأى براءة يوسف، وأيقنَ ثبوتَ التّهمة على امرأته، وأنّها هي الّتي أَرَادَتِ السُّوءَ، وكانَ الكلماتِ لا تُسَعِفُهُ حتّى يتمّ النداء فطوى هذا الحرفَ وحذفه، ثمّ أجملَ القصّة كلّها في اسم الإشارة "هذا"؛ لأنّ المقامَ مقامُ ضيقٍ وحزنٍ، وهو- بذلك- يقتضي الإيجازَ والحذفَ وطَيّ الكلمات².

وقد يقتضي التّركيبُ الندائي خروجَ المكوّناتِ الندائيّة عن دلاليتها الحقيقيّة، فيُستعملُ القريبُ للبعيد، والبعيدُ للقريب، ولا يحصلُ هذا الأمرُ اعتباطاً أو عشوائيّةً، بل هو محكومٌ بالسياقِ وباقتضاء التّركيب، فمثلاً عندما نادى لقمانُ ابنه في قوله تعالى: {يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}³ إلى قوله: {يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ...}⁴ إنّما ناداه بالمكوّن الندائي "يا" على الرّغم من أنّه قريبٌ إليه حسّاً ومعنى، إذ كان بإمكانه أن يُناديّه بالمكوّناتِ الندائيّة الموضوعيّة للقريب، كالهزمة، أو "أي" مثلاً، ولكنّه استعاضَ عنها بالمكوّن الندائي "يا" إشعاراً بِمَنْزِلَةِ الصَّلَاةِ، وأهميّة الأمرِ المعروف، والتهنّي عن المنكر، وبقيمة الصّبر، وهي الأمورُ المُنَادِي لها، فهي أمورٌ ومَسائلُ ذاتُ شأنٍ، ينبغي أن يَلْتَفِتَ إليها المخاطبُ؛ كي يُدركَ أهميّتها وحجَمها وثقلها، فيبادِرَ إلى الإجابة لها، والامتنالِ بها؛ ومن أجل ذلك عدَلَ عن نداء القريبِ إلى نداء البعيد⁵.

¹ النّجار، الاقتضاء- دلالاته وتطبيقاته، 304؛ أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط، 6: 262؛ شيخ زاده، الحاشية، 5: 28.

² النّجار، الاقتضاء، 304-305؛ فيود، علم المعاني، 81.

³ القرآن الكريم، لقمان: 13.

⁴ القرآن الكريم، لقمان: 17.

⁵ النّجار، 305.

وحيثما ننظر إلى الآية القرآنية في قوله تعالى: {يا أبت لا تعبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} ¹ نلاحظ أن هناك اقتضاءً للدلالة على علو مكانة المنادى، والإشعار ببُعْدِ مَنْزِلَتِهِ، تزيلاً للبُعْدِ المعنوي مَنْزِلَةَ البُعْدِ المكاني، فقد نادى إبراهيم- عليه السَّلام- أباه بالْمَكُونِ النَّدَائِيَّ "يا" الدَّالَّ على البعيد، وأبوه- في الحقيقة- قريب منه؛ وذلك لِيُنْيِيَ بِعِظَمِ مَنْزِلَةِ الأبِّ وسمو مكانته، وتعبيراً عن أدب الابن تجاه أبيه. وفي المقابل، قد يكون العدول اقتضاءً للدلالة على انحطاط المنادى، والإشارة إلى الرغبة في إبعاده؛ بغضاً له، وتحقيراً لشأنه، كما في قوله تعالى: {فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا} * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} ²، فالمنادى قريب في الموضعين السابقين، لكن غرَّ عنه بـ "يا" الموضوع لنداء البعيد؛ لتشعر بالبغض والتحقير، وكأنَّ الدَّاعِيَ لا يطيق النَّظَرَ إلى المدعو، ويريد إبعاده وعدمَ مواجهته بالنداء ³.

ومن اللافت أيضاً أنَّ السِّيَاق- كما تومئ الباحثة أشواق النَّجَّار- يحتلُّ مكانةً جليَّةً في فهم الاقتضاء، ويُمثِّلُ دوراً فاعلاً في الاقتضاء النَّدَائِيَّ، فإذا أنعمنا النَّظَرَ إلى الموضعين التاليين: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} ⁴ مقارنةً بقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} ⁵ نلاحظ أنَّ الاستعمالين جاء اقتضاءً؛ ذلك أنَّه لما اعتمد في الموضع الأول تذكيرهم بضروب وألوان من الآلاء والنعيم من جعل الأنبياء فيهم، وجعلهم ملوكاً، وإعطائهم ما لم يُعطَ غيرهم، وكان

¹ القرآن الكريم، مريم: 44.

² القرآن الكريم، الإسراء: 101-102.

³ النَّجَّار، 305-306.

⁴ القرآن الكريم، المائدة: 20.

⁵ القرآن الكريم، إبراهيم: 6.

ذلك تعريفاً باعتناء الله بهم، وتفضيلهم على مَنْ عاصَرهم وتقدّمهم مِنْ أُمَمِ الأنبياءِ قبلهم، فاقتضى ذلك نداء موسى إياهم بقوله: "يا قوم" بالإضافة إلى ضميره؛ إنباءً بالقُربِ والمزية، فناسبَ النداءَ المُثنَّى بالاعتناء ما تقدّم من تخصيصهم بما عقب به النداءُ مِنَ التَّشْرِيفِ بما مَنْحَهُم من الآلاءِ والنِّعَمِ الجِسَامِ. أمّا في الموضعِ الثَّاني كان القصدُ تذكيرهم بنجاتهم مِنْ آلِ فرعونَ، وما أصابهم من التعذيب والقتل والاستحياء، اقتصَرَ عليه هنا مِنَ التَّذكيرِ بمجرد الإنجاء؛ فاقتضى ذلك الاقتصارَ على خطاياهم مِنْ دُونِ النداءِ مراعاةً للمناسبة، وتماشياً مَعَ سياقِ الموضوعين، والمقصودُ منهما¹.

2.5. التَّعدُّدُ الإعرابيُّ ودلالاته:

اهتمَّ النُّحاةُ منذُ نشأةِ الدِّرسِ النُّحويِّ بالحركاتِ، لا سيَّما حركاتِ الأواخرِ²، فالإعرابُ، بمفهوميهِ اللُّغويِّ والنُّحويِّ، هو الإفصاحُ عن المعانيِ المقتضية³ باختلافِ الحركةِ في أواخرِ الألفاظِ، وقد عرَّفَ ابنُ الحاجبِ الإعرابَ على أَنَّهُ اختلافُ آخرِ الكلمةِ باختلافِ العواملِ الدَّاخِلَةِ عليها⁴، لفظاً أو تقديرًا⁵.

والَّذي نُرِيدُ أَنْ نذهبَ إليه- هنا- هو أَنَّنَا نقصدُ بالإعرابِ- بمعناه الاصطلاحيِّ- الإبانةَ عن المعانيِ بالألفاظِ. ولعلَّنا نعي هذا التَّصوِيرَ من خلالِ النُّحاةِ أَنفُسِهِم، فقد سَمَّوْا بالإعرابِ النُّحُوَ، فقال ابنُ منظورٍ: "والإعرابُ الَّذي هو النُّحُو، إِنَّمَا هو الإبانةُ عن المعانيِ والألفاظِ"⁶. وعندما نَلْتَفِتُ إلى كتبِ الإعرابِ لدى القدماءِ نرى أَنَّ أصحابها أسَمَوْها

¹ النِّجَار، 306-307: ابن الزَّيْرِ الغرناطي، ملاك التَّأويل، 1: 384-385.

² الأعلام، النُّكْت، 1: 167؛ علي مزهر الياسري، الفكر النُّحويُّ عِنْدَ العرب- أصوله ومناهجه (بيروت: الدَّار العربيَّة للموسوعات، 2003)، 328.

³ التَّهَانُوي، كَشَافُ الاصطلاحات، 3: 194.

⁴ ابن أبي الرِّبِّيع، البسيط، 1: 171؛ التَّهَانُوي، الكَشَاف، 3: 192؛ الهرمي، المحرَّر، 1: 249.

⁵ الجرجاني، التَّعريفات، 36؛ ابن هشام، شرح قطر النُّدى، 51؛ الصَّبَّان، الحاشية، 1: 72-74؛ ابن الأنباري، أسرار العربيَّة، 32؛ ابن فلاح اليميني، المغني، 1: 209.

⁶ ابن منظور، لسان العرب، 9: 21؛ الرِّبِّيدي، تاج العروس، 2: 215.

بالإعراب، نحو: "إعراب القرآن" للنَّحَّاسِ، و"معاني القرآن وإعرابه" للزَّجَّاج. وهذا خير دليل- أولاً- على ارتباط الإعراب بالمعنى، مُجَسِّدًا الجانب النَّحْوِيَّ، وثانيًا، على أنَّهم لم يتخيَّروا الكلمات المعربة في القرآن- فقط- فأعربوها، بل أعربوا الألفاظ بأنواعها المختلفة، والجمل بأنواعها المتعددة، إذ رأيناهم قد تطرَّقوا إلى المعاني المرافقة للإعراب.

لقد أدرك النَّحَّاةُ والمفسِّرون هذا الأمر منذ البداية، فَيَلْحَظُ الدَّارِسُ أَنَّ تَعَدُّدَ الْأَوْجِهَةِ في تحليل أحد العناصر التركيبية أمرٌ شائعٌ ومألوفٌ في درسنا النَّحْوِيَّ، وَمِنْ ثَمَّ أَلْفَنَّا أَسَالِيبَ الْجَوَازِ عِنْدَ النَّحَّاةِ، فَرَأَيْنَا أحياناً أَنَّ أَحَدَهُمْ قد يُجِيزُ أَكْثَرَ مِنْ وَجْهِ في المسألة ذاتها. كما أَلْفَنَّا الخِلافَ بَيْنَهُمْ في أثناء التحليل، فمنهم مَنْ يرى وجهاً فيما يتناوله، ثُمَّ يَأْتِي آخَرُ رافضاً ما سَبَقَ ومضيفاً وجهاً جديداً، وَرُبَّمَا وَقَفَ أَحَدُهُمْ عِنْدَ شَاهِدٍ مَعَيَّنٍ حَوَى أَوْجُهًا كَثِيرَةً تَمَثَّلُهَا نُحَاةٌ عِدَّةٌ، فَيُحَاكِمُ هذه الأوجه؛ لِيُضَعِّفَ بَعْضَهَا، أو يَرَفُضَهَا، أو يُرَجِّحَ، أو يُجِيزَ بَعْضَهَا الْآخَرَ، وهكذا شَاعَ الْجَوَازُ في تحليلهم، وَكَثُرَ الْأَخْذُ وَالرَّكُّدُ بِالْتَّرْجِيحِ، وَالتَّضْعِيفِ، وَالرَّفْضِ في حوارهم¹.

وَيَبِينُ محمود الجاسم أَنَّ النَّحَّاةَ والمفسِّرين انطلقوا في تحليلهم النَّصِّ مِنْ أُمُورٍ مَعْقَدَةٍ، فَرَدِيَّةٍ ومكتسبةٍ، كَالذَّوْقِ الأدبيِّ، وَالْمَخْزُونِ الثَّقَافِيِّ وَالنَّحْوِيِّ، فَتَوَثَّرَ هذه الْأُمُورُ في التَّعَدُّدِ الإِعْرَابِيِّ الَّذِي نَشْهَدُهُ في كُتُبِ التَّفْسِيرِ. ثُمَّ يَقُولُ إِنَّ المفسِّرَ عندما يتناول نَصًّا ما يَنْقَادُ إِلَى فَهْمٍ مَعَيَّنٍ، وهذا الفهم يُعَدُّ حَصِيلَةً لِتَفَاعُلِ أَمْرَيْنِ: المَعْطِيَّاتُ السِّيَاقِيَّةُ الَّتِي يَتَشَكَّلُ مِنْهَا المعنى، وَطَبِيعَةُ الْمُتَلَقِّيِّ مِنْ حَيْثُ التَّكْوِينُ الفطريُّ والمكتسبُ، إذ يَتَعَدَّدُ المعنى في نَظَرِ المفسِّرِ الواحدِ جِزَاءَ المَعْطِيَّاتِ السِّيَاقِيَّةِ الَّتِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا في فَهْمِ النَّصِّ، وَيَقُودُ هذا إلى تَعَدُّدٍ في التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ عِنْدَهُ، وَقَدْ يَخْتَلِفُ فَهْمُ المعنى باختلاف النَّاسِ؛ مِمَّا يَجْعَلُنَا نَرَى التَّفَاوُتَ النَّسْبِيَّ في عَمَلِيَّةِ التَّلَقِّيِّ وتحديدِ المعنى أَمْرًا شائعًا، وَهُوَ ما يَجْعَلُ التَّحْلِيلَ النَّحْوِيَّ- أحياناً- يَخْتَلِفُ الاختلافَ نَفْسَهُ، كما يَظْهَرُ في تَفَاسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَغَيْرِهَا².

¹ محمود الجاسم، "أسباب التعدد في التحليل النحويّ، مجلّة مجمع اللغة الأردني، 93.

² ن. م.، 94.

من هنا، فقد أتاح تعدُّد الأوجه الإعرابية في القرآن- على مستوى الألفاظ والجملي- مساحةً خصبةً للنُّحاة والمفسِّرين، على حدِّ سواء، للوقوف على دلالة الألفاظ والتراكيب، خاصةً أنَّ علامات الإعراب أدلَّة على معاني الإعراب¹.

وهذا التعدُّد- المتمثِّل بالقراءات القرآنية المختلفة- شَغَلَ بالِ المفسِّرين منذ الإرهافات الأولى لنشأة عليّ النحو والتفسير، فراح المفسِّرون يحاولون تعليل (تفسير) الاختلافات النحويَّة، وما اعترأها من حركات تدلُّ بدورها- على معاني متغايرة.

وعندما نُنعمُ النَّظَر في كتب التفسير بما يتعلَّق بتراكيب النِّداء يترأى لدينا أنَّهم كانوا يرصدون المواضع التي تحتاجُ إلى إفصاح نحويٍّ، وهذا يعني أنَّ ثمة اشتراكاً بيِّن الإعراب والمعنى من جهة، وبين النُّحو ودلالاته من جهةٍ أخرى.

ففي قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ²، قُرِئَ بالنَّصْبِ "وَالطَّيْرُ"، وبالرَّفْعِ "وَالطَّيْرُ"³، وكانت لكلِّ من القراءتين توجهاتٌ مختلفة، اجتهد المفسِّرون في تخريجها وتأويلها.

أما قراءة النَّصْبِ "وَالطَّيْرُ"- وهي قراءة الجمهور⁴- فَقَدْ ذَكَرَ المفسِّرون أنَّ لها أربعة أوجهٍ نحويَّة، أما الوجه الأوَّل فهو أنَّه اسمٌ معطوفٌ على محلِّ "جبال"⁵؛ لأنَّه منصوبٌ على النِّداء

¹ أبو حيَّان التَّوحيدي، البصائر والذخائر، 1: 174.

² القرآن الكريم، سبأ: 10.

³ انظر: الخطيب، معجم القراءات، 7: 341؛ الأنصاري، إعراب القرآن، 351.

⁴ هي قراءة جمهور القراء، فقد قرأ بذلك السَّبعة، ورويس، والأعرج، والحسن، وابن أبي إسحاق، وأبو جعفر. انظر: الطَّبراني، التفسير الكبير، 5: 228؛ القرطبي، الجامع: 7: 240؛ أبو حيَّان الأندلسي، البحر، 8: 525؛ الحَّداد، الكشف، 5: 383؛ النَّسفي، المدارك، 3: 465؛ الخطيب، معجم القراءات، 7: 341.

⁵ العبركي، التَّبيان، 2: 282؛ القيسي، المشكل، 2: 133؛ العبركي، الإملاء، 2: 195؛ ابن الأنباري، البيان، 2: 275؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 4: 393؛ الصَّاوي، الحاشية، 3: 493؛ الجَمَل، الفتوحات، 3: 462؛ أبو حيَّان، التَّهر المادَّة، 4: 545؛ أبو السَّعود، الإرشاد، 5: 250؛ النَّسفي، مدارك التنزيل، 3: 465؛ الشُّوكاني، الفتح، 4: 390؛ درويش، إعراب القرآن، 6: 221؛ شبر، التفسير، 372.

تقديرًا¹، إذ المعنى- وفقًا لتصوير الشوكاني-: "نادينا الجبال والطَّيْر"². وهذا القول- كما يُبين المنتجب الهمداني وغيره³- مرَّده إلى سيبويه في الكتاب⁴. وأشار الطَّبري إلى أنَّ هذا الوجه قاله ابن زَيْدٍ مِنْ أَنَّ الطَّيْرَ نَوْدِيَتْ كما نَوْدِيَتْ الجبال؛ فتكون منصوبةً من أجل أنَّها معطوفة على مرفوع، بما لا يَحْسُنُ إعادةُ رفعه عليه، فيكون كالمصروف عن جهته⁵.

والوجه الثاني على أنَّه مفعولٌ به لفعلٍ مُضَمَّرٍ تقديره "سَخَّرْنَا"، وكأنَّ التَّقدير: "وسَخَّرْنَا له الطَّيْرَ"⁶، وهو قول أبي عمرو بن العلاء حكاه أبو عبيدة نقلًا عنه⁷. ثُمَّ نَجَدُ الفراءَ يُحَسِّنُ هذا الوجهَ وَيَجَوِّزُهُ خلالَ تشبيهه هذا الموضعَ بقول العرب: "أطعمته طعامًا وماءً"، تريد: وسقيته ماءً⁸.

ويوضِّح ابن الأنباري أنَّ الذي دَلَّ على هذا الوجه الإعرابي هو الكلامُ المقدَّرُ في الآية {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا}⁹.

¹ السَّمين الحلبي، الدَّرَج، 9: 159؛ شيخ زاده، الحاشية، 6: 680؛ الحدَّاد، الكشف، 5: 383؛ الفراء، معاني القرآن، 2: 355؛ الصَّاوي، الحاشية، 3: 493؛ الحلواني، المفصل، 1: 133.

² الشَّوكاني، الفتح، 4: 390-391.

³ المنتجب الهمداني، الفريد، 4: 58.

⁴ سيبويه، الكتاب، 1: 304-305؛ القيسِّي، المشكل، 2: 133؛ ابن عطية، المحرر، 12: 143.

⁵ الطَّبري، جامع البيان، 10: 350.

⁶ الفراء، معاني القرآن، 2: 355؛ الرَّمْخَشري، الكشَّاف، 3: 554؛ أبو حَيَّان، البحر، 8: 525؛ الطَّبري،

جامع البيان، 10: 350-351؛ الألوسي، الرُّوح، 11: 643؛ ابن الأنباري، البيان، 2: 275؛ القيسِّي،

المشكل، 2: 133؛ العبكري، الإملاء، 2: 196؛ ابن عطية، المحرر، 12: 143؛ النَّحَّاس، إعراب القرآن،

2: 409؛ الشَّوكاني، الفتح، 4: 391؛ الحدَّاد، الكشف، 5: 383؛ الحلواني، المفصل، 1: 133.

⁷ المنتجب الهمداني، الفريد، 4: 58؛ الرِّجَّاج، معاني القرآن، 4: 243؛ شيخ زاده، الحاشية، 6: 680.

⁸ الفراء، معاني القرآن، 2: 355.

⁹ ابن الأنباري، البيان، 2: 275.

وأما الوجه الثالث فهو مفعولٌ مَعَهُ¹، أي مَعَ الطَّيْرِ: فَنُصِبَ على معنى "مَعَ" نحو قولك- كما علَّل ذلك الرَّجَّاجُ:- "قمتُ وزَيْدًا" أي قمتُ مَعَ زَيْدٍ، فيصبح المعنى: أُوْبِي مَعَهُ وَمَعَ الطَّيْرِ²، أو كما تقول أيضًا: "استوى الماء والخشبة"، أي مَعَ الخشبة³، فيفيد من ذلك- كما فسَّر ابنُ عاشور- أَنَّ الطَّيْرَ تَأَوَّبَ مَعَهُ أيضًا⁴. ودَعَمَ هذا الرَّايَ العُكْبَرِيُّ-إضافةً إلى الأوجهِ الإعرابيةِ الأخرى- قائلًا: "الواو بمعنى مَعَ، والَّذي أوصَلته الواو أُوْبِي؛ لأنَّها لا تنصبُ إلَّا مَعَ الفعلِ"⁵. ولكنَّ أبا حَيَّانَ الأندلسيَّ رَفَضَ هذا الرَّايَ مؤكِّدًا أَنَّ هذا القولَ "لا يجوزُ؛ لأنَّ قبلَه مَعَهُ، ولا يقتضي الفعل اثنين من المفعول مَعَهُ إلَّا على البدلِ أو العطفِ، فكما لا يجوزُ: جاءَ زَيْدٌ مَعَ عمروٍ مَعَ زَيْنَبَ إلَّا بالعطف، كذلك هذا"⁶. في المقابل نلاحظُ كثيرًا من النُّحاةِ يقبلونَ رايَ الرَّجَّاجِ على أَنَّ "والطَّيْرَ" مفعولٌ مَعَهُ، نحو السَّمينِ الحلبيِّ، فيقول: "أنَّه مفعولٌ مَعَهُ. قالَه الرَّجَّاجُ. ورُدَّ عليه: بأنَّ قبلَه لفظةُ "معه" ولا يقتضي العاملُ أكثرَ من مفعولٍ معه واحدٍ إلَّا بالبدلِ أو العطفِ لا يُقال: "جاءَ زَيْدٌ مَعَ بكرٍ مَعَ عمرو". قُلْتُ: وخلافُهم في تقضية حالِّينِ يقتضي مجيئَهُ هنا"⁷. ولعلَّه مِنَ الضَّروريِّ أَنْ نُشيرَ هنا إلى أَنَّ الطَّبرانيَّ عبَّرَ هذا عن الوجهِ الإعرابيِّ بـ"نَزَعَ الخافِضِ"⁸، إذ قالَ في تفسيرِه: "والثالث (يقصدُ الوجهَ الإعرابيَّ الثالثَ): بَنَزَعَ الخافِضِ، كأنَّه قال: أُوْبِي مَعَهُ الطَّيْرَ، كما يُقال: لو تركتَ

¹ الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَّاف، 3: 554؛ الشَّهاب، الحاشية، 7: 528؛ القَيْسِيُّ، المشكل، 2: 133؛ العِبريُّ.

الإملاء، 2: 195؛ أبو السَّعود، الإرشاد، 5: 250؛ الجَمَل، الفتوحات، 3: 462؛ أبو حَيَّان، البحر، 8:

525؛ الصَّاوِي، الحاشية، 3: 493؛ الشَّوكاني، الفتح، 4: 391.

² الرَّجَّاجُ، معاني القرآن، 4: 243؛ القرطبي، الجامع، 7: 240؛ ابن الأنباري، البيان، 2: 275؛ النَّسْفِيُّ، المدارك، 3: 465.

³ النَّحَّاس، إعراب القرآن، 2: 409؛ الشَّوكاني، الفتح، 4: 391.

⁴ ابن عاشور، التَّحْريْر، 22: 156.

⁵ العِبريُّ، التَّبيان، 2: 282.

⁶ أبو حَيَّان، البحر المحيط، 8: 525؛ الشَّهاب، الحاشية، 7: 528.

⁷ السَّمين الحلبيِّ، الدَّر، 9: 159؛ شيخ زاده، الحاشية، 6: 680.

⁸ الحَدَّاد، الكشف، 5: 383.

النَّاقَة وفصيلها لرَضَعها، أي مَعَ فصيلها"¹. وهذا يعني أَنَّ الطَّبْرانيَّ أَوَّلَ مَنْ ثَمَّةَ حَرْفَ جَرٍّ (الخافِض) قد حُذِفَ فَنُضِبَ الاسمَ الَّذي يليه على أَنَّهُ منصوبٌ على نزع الخافض على الرَّغْمِ مِنَ أَنَّ المحذوفَ المقدَّرَ عندهُ هو "مَعَ"، وهو عند النُّحاة ظَرْفٌ وليس حَرْفَ جَرٍّ، وعلى الرَّغْمِ- أيضًا- أَنَّ تأويلَ الطَّبْرانيِّ نَفْسِهِ كانَ تأويلًا يُفْضِي إلى أَنَّ "والطَّيْرَ" مفعولٌ مَعَهُ، وليسَ اسمًا منصوبًا على نَزْعِ الخافِضِ، وإلاَّ لَكَانَ هذا وَجْهًا إعرابيًا إضافيًا فضلًا عن الأوجهِ الإعرابِيَّةِ الأُخْرَى!

وأما الوجهُ الرَّابِعُ لقراءة النَّصْبِ فهو على أَنَّ تكونَ "والطَّيْرَ" اسمًا معطوفًا على "فضلًا"، أي "وَأَتَيْنَاهُ تَسْبِيحَ الطَّيْرِ"²، أو- كما يذكرُ القرطبيُّ- "وَأَتَيْنَاهُ الطَّيْرَ" حملًا على {وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا}³، وهذا يعني، وَفَقًا لِتَعْلِيلِ السَّمِينِ الحَلبيِّ، أَنَّ هناكَ حَدَقًا للمُضَافِ في هذا المَوْضِعِ تَقْدِيرُهُ: "أَتَيْنَاهُ فَضْلًا وَتَسْبِيحَ الطَّيْرِ"⁴. وهذا الرَّأْيُ هو قولُ الكَسائِي⁵، وقد رَجَّحَهُ أبو السَّعُودِ العِمادِيُّ في تَفْسِيرِهِ على باقي الأوجهِ الإعرابِيَّةِ⁶.

وأما قراءةَ الرَّفْعِ "والطَّيْرَ"⁷ فقد أشارَ المفسِّرونَ إلى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ إعرابِيَّةٍ، وهي:

¹ الطَّبْراني، التَّفْسِير، 5: 228.

² المنتجب الهمداني، الفريد، 4: 58؛ الشَّهاب، الحاشية، 7: 528؛ القَيْسِي، المشكل، 2: 133؛ العبكري، الإملاء، 2: 195؛ أبو حَيَّان، البحر، 8: 525.

³ القرطبي، الجامع: 7: 240؛ النَّحَّاس، إعراب القرآن، 2: 409.

⁴ السَّمِينِ الحَلبي، الدَّرَج، 9: 159؛ الشُّوكاني، الفتح، 4: 391.

⁵ السَّمِينِ الحَلبي، الدَّرَج، 9: 159؛ المنتجب الهمداني، الفريد، 4: 58؛ العبكري، التَّبَيَّان، 2: 282؛ أبو حَيَّان، البحر، 8: 525؛ الألوَسي، الرُّوح، 11: 643؛ القَيْسِي، المشكل، 2: 133؛ العبكري، الإملاء، 2: 195؛ أبو السَّعُودِ، الإرشاد، 5: 250؛ ابن عطية، المحرَّر، 12: 143؛ الشُّوكاني، الفتح، 4: 391.

⁶ أبو السَّعُودِ، الإرشاد، 5: 250.

⁷ قرأ بذلك السَّلَعي، والأعرج، وعبد الوارث، ومحبوب عن أبي عمرو، ونصر وأبو بكر عن عاصم في، وابن أبي إسحاق، وابن هُرْمُز، ومسلمة بن عبد الملك، وأبو يحيى، وأبو نوفل، وروح، وزيد عن يعقوب، وعبيد عن عمير، وأبورزين، وأبو العالية، وابن أبي عبله، وجماعة من أهل المدينة. انظر: القرطبي، الجامع: 7: 240؛ الألوَسي، الرُّوح، 11: 644؛ أبو حَيَّان، البحر، 8: 525؛ الخطيب، معجم القراءات، 7: 340.

أولاً: أن يكون "والطَّيْرُ" منادى معطوفاً على لفظ "جبال"¹: تشبيهاً للحركة البنائية العارضة بالحركة الإعرابية²، نحو قول الشاعر:

"ألا يا زَيْدُ والضَّحَّاكُ سِيراً³ فقد جاوزتما حَمَرَ الطَّرِيقِ"⁴

وقد حاول ابن الأنباري أن يُعَلِّلَ قراءة الرُّفْعِ بالعطفِ على اللَّفْظِ حينما شَبَّهَ ذلك بالوصف، نحو: "يا زَيْدُ الظَّرِيفُ"، وإنَّما جازَ الحملُ على اللَّفْظِ؛ لأنَّه لما اطَّردَ البناءُ على الضَّمِّ في كلِّ اسمٍ منادى مفردٍ، فإنَّه بذلك أشَبَّهَ حركةَ الفاعلِ؛ فأشَبَّهَ حركةَ الإعرابِ؛ لهذا جازَ أن يُحمَلَ على لفظه، وإلَّا فالقياسُ يقتضي ألاَّ يجوزَ الحملُ على لفظِ المبني في العطفِ والوصفِ. ولكنَّ على الرَّغمِ من هذا التَّعليلِ - وبناءً عليه - يذهبُ ابنُ الأنباريِّ إلى أنَّ قراءةَ النَّصْبِ أقوى عندَهُ في القياسِ من قراءةِ الرُّفْعِ⁵.

والفراءُ بدوره حاولَ أيضاً تفسيرَ هذا الوَجْهِ خلالَ العلاقاتِ التَّقابليةِ بينَ العطفِ والنَّعتِ، قائلاً إنَّ النَّعْتَ يَجْرِي في الحرفِ المنادى كما يجري المعطوفُ: يُنصَبُ ويُرفَعُ، ألا ترى أنَّكَ تقولُ: "إنَّ إِيَّاكَ قائمٌ وزَيْدٌ"، و"إنَّ أَخاك قائمٌ وزَيْدٌ"، فيجْرى المعطوفُ في "إنَّ" بعدَ الفعلِ مَجْرى النَّعْتِ بَعْدَ الفعلِ⁶.

¹ العبكري، التَّبيان، 2: 282؛ الرَّمْخسري، الكشَّاف، 3: 554؛ الفَيْسي، المشكل، 2: 133؛ العبكري، الإملاء، 2: 196؛ الفراء، معاني القرآن، 2: 355؛ ابن عطية، المحرَّر، 12: 143؛ الصَّاوي، الحاشية، 3: 487؛ النَّحَّاس، إعراب القرآن، 2: 409؛ النَّسْفِي، المدارك، 3: 465؛ أبو حيان، النَّهر، 4: 545؛ الشُّوكاني، الفتح، 4: 391؛ الحَدَّاد، الكشف، 5: 383؛ درويش، إعراب القرآن، 6: 221.

² الشَّهاب، الحاشية، 7: 528؛ الصَّاوي، الحاشية، 3: 493؛ أبو السَّعود، الإرشاد، 5: 250؛ البيضاوي، أنوار التَّنزيل، 4: 393؛ الجَمَل، الفتوحات، 3: 462.

³ يروى هذا البيتُ برفعِ "الضَّحَّاكُ" ونصبه.

⁴ الطَّبري، جامع البيان، 10: 350؛ السَّمين الحلبي، الدَّرَج، 9: 159؛ الطَّبْراني، التَّفْسِير الكبير، 5: 228؛ الفراء، معاني القرآن، 2: 355؛ الحَدَّاد، الكشف، 5: 383.

⁵ ابن الأنباري، البيان، 2: 275؛ الخطيب، معجم القراءات، 7: 341.

⁶ الفراء، معاني القرآن، 2: 355.

وثانيًا: أن يكون "والطَّيْرُ" معطوفًا على الضَّميرِ المستكنِّ في أُوبِي¹، والتقدير: "أُوبِي مَعَهُ أَنْتِ والطَّيْرُ" وقد جازَ ذلك؛ لِلْفَصْلِ بِالظَّرْفِ²، بمعنى أنَّ الظَّرْفَ "مَعَهُ" أَغْنَتْ عن توكيد الضَّميرِ³؛ لِأَنَّهُ فَصَلَ بَيْنَ الفِعْلِ "أُوبِي" و"الطَّيْرُ"، أي بَيْنَ المَعطُوفِ والمَعطُوفِ عَلَيْهِ⁴؛ فَأُبْعَدَ بذلك وَجْهَ التَّوكِيدِ. واسْتَدَلَّ شيخُ زاده بِالآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ}⁵؛ مُبَيِّنًا أَنَّ الضَّميرَ المَرْفُوعَ بـ"أُوبِي" لَمْ يُؤَكِّدْ بِضَميرٍ مُنفَصِلٍ؛ اسْتِغْنَاءً عَنْهُ بِالْفَصْلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَعطُوفِ بِالظَّرْفِ "مَعَهُ"⁶.

وثالثًا: أن يكون "والطَّيْرُ" مبتدأً مرفوعًا، وخبرُهُ مضمَّرًا، وتقديره: "والطَّيْرُ كَذَلِكَ" أي مُؤَوَّبَةً⁷. وقد اسْتَشْهَدَ الطَّبْرَانِيُّ بِالْبَيْتِ السَّابِقِ كَدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ "والطَّيْرُ" مبتدأٌ فَقَالَ: "وقيل: على الابتداء، قال الشَّاعِرُ: أَلَا يَا زَيْدُ وَالضَّحَّاكُ سِيرًا..."⁸، والتقدير ها هنا: "أَلَا يَا زَيْدُ وَالضَّحَّاكُ كَذَلِكَ سِيرًا".

ورابعًا: أن يكون مرفوعًا على البَدَلِ، فيصْبِحُ المعنى: "يَا جِبَالُ وَيَا أَيُّهَا الطَّيْرُ أُوبِي مَعَهُ"⁹، وَهَذَا الْوَجْهُ ذَكَرَهُ الرَّجَّاجُ، بِتَقْدِيرِ "أَيُّهَا"؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ حَرْفُ النَّدَاءِ عَلَى الْاسْمِ الْمَعْرُوفِ بِ"ال" فِي هَذِهِ الْحَالِ، فَقَدَّرَ الرَّجَّاجُ حَرْفَ نَدَاءٍ وَمَنَادَى (الْأَدَاةَ الْمُسَاعِدَةَ "أَيُّهَا")؛ ثُمَّ

¹ العَبْكِرِيُّ، التَّبْيَان، 2: 282؛ الْقَيْسِيُّ، الْمَشْكَل، 2: 134؛ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، الْبَيَان، 2: 276؛ أَبُو حَيَّان، الْبَحْر، 8: 525.

² السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الدَّرَج، 9: 159-160؛ النَّحَّاسُ، إِعْرَابُ الْقُرْآن، 2: 409.

³ الْأَلُومِيُّ، الزَّوْج، 11: 644؛ الْعَبْكِرِيُّ، التَّبْيَان، 2: 282؛ الْمُتَنَجِّبُ الْهَمْدَانِيُّ، الْفَرِيد، 4: 58-59؛ الْقَيْسِيُّ، الْمَشْكَل، 2: 134.

⁴ الشَّوْكَانِيُّ، الْفَتْح، 4: 391.

⁵ الْقُرْآنُ الْكَرِيم، الْمَائِدَةُ: 24.

⁶ شَيْخُ زَادِهِ، الْحَاشِيَّة، 6: 680؛ الْعَبْكِرِيُّ، الْإِمْلَاء، 2: 195.

⁷ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الدَّرَج، 9: 160؛ أَبُو حَيَّان، الْبَحْر، 8: 525.

⁸ الطَّبْرَانِيُّ، التَّفْسِيرُ الْكَبِير، 5: 228.

⁹ الرَّجَّاجُ، مَعَانِي الْقُرْآن، 4: 243.

حُذِفَ الحَرْفُ والمُنَادَى مَعًا، وأُبْقِيَ على البَدَلِ الَّذِي هو المُنَادَى في أَصْلِهِ قَبْلَ دُخُولِ "ال" التَّعْرِيفِ عَلَيْهِ؛ لِهَذَا عَدَّ الرَّجَاجُ "الطَّيْرُ" بَدَلًا مِّنَ المُنَادَى المَحذُوفِ "أَيُّهَا"؛ مَحَاكَاةً لِحَرَكَةِ البِنَاءِ، أَيِ الضَّمِّ فِي "أَيُّهَا".

إِذَنْ، إِذَا أَخَذْنَا بِتَخْرِيجِ النَّدَاءِ دُونَ الْأَوَّجِ الإِعْرَابِيَّةِ الْأُخْرَى، فَنَقُولُ إِنَّ قِرَاءَةَ النَّصْبِ "وَالطَّيْرُ" إِنَّمَا هِيَ قِرَاءَةٌ حَمَلًا عَلَى المَحَلِّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ لَفْظَ "جِبَالُ" هُوَ مُنَادَى مُبَيَّنٌّ عَلَى الضَّمِّ، وَلَكِنَّهُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، فَعُطِفَ "الطَّيْرُ" عَلَى تَقْدِيرِ المَحَلِّ الإِعْرَابِيِّ لِلْمُنَادَى، حَيْثُ إِنَّ الْأَصْلَ فِيهِ هُوَ النَّصْبُ¹، وَكَأَنَّ تَقْدِيرَ الجُمْلَةِ فِي هَذِهِ الحَالِ: "يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَيَا الطَّيْرُ"، أَمَّا قِرَاءَةُ الرُّفْعِ "وَالطَّيْرُ" فِيهِ قِرَاءَةٌ حَمَلًا عَلَى اللَّفْظِ، أَيِ عُطِفَ فِيهَا عَلَى لَفْظِ "جِبَالُ" الَّذِي حُتِمَ بِالضَّمِّ دُونَ التَّفَاتِ- فِي هَذِهِ الحَالِ- إِلَى أَنَّ المُنَادَى المَفْرَدَ فِي أَصْلِهِ مَنْصُوبٌ²، وَكَأَنَّ التَّقْدِيرَ بِذَلِكَ: "يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَيَا الطَّيْرُ".

وَهَذَا مَا فَعَلَتْهُ البَاحِثَةُ هَدَى قُرَاعَةُ عِنْدَمَا ارْتَبَّتْ أَنَّ تَفْسِيرَ قِرَاءَتِي النَّصْبِ وَالرُّفْعِ مِنْ مَنظُورِ العُطْفِ، مُرَجَّحَةً- عَلَى مَا يَبْدُو- الرُّفْعَ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهَا إِنَّهُ إِذَا كَانَ المَعْطُوفُ عَلَى المُنَادَى المَفْرَدِ المُبَيَّنِّ عَلَى "الضَّمِّ" فِيهِ "ال"؛ فَيَجُوزُ فِيهِ النَّصْبُ وَالرُّفْعُ، وَلَكِنَّ الرُّفْعَ هُوَ المَخْتَارُ عِنْدَ سَبْيُونِهِ وَالخَلِيلِ وَغَيْرِهِمَا³.

وغيرُ خَافٍ أَنَّ الفَخْرَ الرَّازِيَّ قَدْ أَوْلَى تَخْرِيجَ النَّدَاءِ، فِي قِرَاءَتِي النَّصْبِ وَالرُّفْعِ، أَهْمِيَّةً كَبْرَى حِينَمَا خَصَّصَ لَهَا مَسْأَلَةً مُخْتَصِرَةً، قَائِلًا: "قُرِئَ" وَالطَّيْرُ "بِالنَّصْبِ حَمَلًا عَلَى مَحَلِّ المُنَادَى، "وَالطَّيْرُ" بِالرُّفْعِ حَمَلًا عَلَى لَفْظِهِ"⁴. وَإِنْ دَلَّ ذَلِكَ شَيْءٌ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عَنَايَةِ الرَّازِيِّ

¹ الطَّبْرَانِي، التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ، 5: 228؛ شَيْخُ زَادِهِ، الحَاشِيَةُ، 6: 680

² الرَّجَاجُ، مَعَانِي الفُرْقَانِ، 4: 243؛ ابْنُ عَطِيَّةٍ، المَحَرَّرُ، 12: 143؛ الشَّوْكَانِيُّ، الفَتْحُ، 4: 390؛ الحَدَّادُ، الكَشْفُ، 5: 383.

³ هَدَى مَحْمُودُ قُرَاعَةُ، الشَّوَاهِدُ القُرْآنِيَّةُ فِي كِتَابِ شَرْحِ ابْنِ عَقِيلٍ (القَاهِرَةُ: مَطْبَعَةُ المَدْنِيِّ، 1998)، 239.

⁴ الرَّازِي، مَفَاتِيحُ الغَيْبِ، 13: 212.

بالتوجيه النَّحْوِيَّ لِلنِّدَاءِ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْجِهِ الإِعْرَابِيَّةِ الْأُخْرَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ تَفْسِيرَهُ يُعَدُّ مِنَ التَّفَاسِيرِ ذَاتِ الإِطْنَابِ الْوَاسِعِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الزَّمْخَشَرِيَّ- أَحَدَ الْمَفْسِّرِينَ الَّذِينَ تَأَثَّرَ بِهِمُ الرَّاظِيُّ تَأَثِيرًا بَالِغًا إِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْمُهُمْ عِنْدَهُ- عَرَضَ فِي تَفْسِيرِهِ "الْكَشَافَ" لِأَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ إِعْرَابِيَّةٍ، ثَلَاثَةٌ مِنْهَا لِلنَّصْبِ، وَوَاحِدٌ لِلرَّفْعِ، إِيَّاهُ لَمْ يَكْتَفِ بِتَخْرِيجِ قِرَاءَةِ النَّدَاءِ¹.

2.6. البنى المحتملة للنِّدَاءِ:

عُرِفَ النَّدَاءُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِبْرَ وَسَائِلٍ نَدَائِيَّةٍ وَاضِحَةٍ تُفْضِي بِالضَّرُورَةِ إِلَى أَنَّ هَذَا الْأَسْلُوبَ هُوَ أَسْلُوبٌ نَدَائِيٌّ دُونَ لَبْسٍ، أَوْ اخْتِلَافٍ، فَمَثَلًا نَجِدُ حَرْفَ النَّدَاءِ ثُمَّ الْمُنَادَى نَحْو: يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ²، وَنَجِدُ الْمُنَادَى دُونَ حَرْفِ النَّدَاءِ (الْمَحْذُوفِ)، نَحْو: يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا³، وَنَحْو: {اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ}⁴، وَنَجِدُ أَدَاءً مُسَاعِدَةً تَسِيقُ الْمُنَادَى نَحْو: يَا أَيُّهَا النَّاسُ⁵، وَإِلَى غَيْرِهَا مِنَ التَّرَاكيبِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى النَّدَاءِ وَتَفْرُعَاتِهِ⁶.

وَلَكِنْ، حِينَمَا نُنْعِمُ النَّظَرَ مَلِيًّا يَتَبَدَّى لَنَا أَنَّ ثَمَّةَ آيَاتٍ لَا يَظْهَرُ فِيهَا النَّدَاءُ بِأَسْلُوبِهِ الْخَاصِّ الْمَعْرُوفِ، بَلْ يَنْدَرِجُ ذَلِكَ الْأَمْرُ تَحْتَ الْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَضَمَّنَ مَا يُسَمَّى بِـ "تَعَدُّدِ الْأَوْجِهِ الإِعْرَابِيَّةِ". وَإِخَالُ أَنَّ نِسْبَةً كَبِيرَةً مِنَ النَّاطِقِينَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْقَارِئِينَ الْقُرْآنَ- حَتَّى الدَّارِسِينَ- لَا يُدْرِكُونَ أَنَّهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْقُرْآنِيَّةِ يَوْجَدُ نَدَاءٌ.

وَمِنْ هَذِهِ النَّمَاذِجِ:

¹ الزَّمْخَشَرِيَّ، الْكَشَافَ، 3: 554.

² الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الْبَقَرَةُ: 35.

³ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، يُوسُفَ: 29.

⁴ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، آلِ عِمْرَانَ، 26.

⁵ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الْبَقَرَةُ: 21.

⁶ قَدْ يَخْرُجُ النَّدَاءُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ إِلَى التَّنْبِيهِ، وَالتَّمَنِّي، وَالتَّعَجُّبِ، وَالتَّحَسُّرِ...إِلَخْ، وَهَذَا مَا عَنِيْنُهُ بِـ"تَفْرِيعَاتِ النَّدَاءِ".

أ) قال تعالى: {الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين}¹، فقد ذَكَرَ الحدَّادُ أنَّ أبا هريرةَ كانَ يقرأُ "مالك يوم الدين" على نداءِ المضافِ، أي "يا مالك يوم الدين".² وبَيَّنَ ابنُ عطيةَ أنَّ قراءةَ النَّصَبِ³ هي قراءةُ ابنِ السَّمِيعِ، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وأبي صالح السَّمان، وأبي عبد الملك الشَّامي⁴، ثُمَّ أَضَافَ الألوَسيُّ أنَّها أيضًا قراءةُ عثمان بن أبي سليمان، وعبد الملك قاضي الهند⁵، إضافةً- كما أشار عبد اللطيف الخطيب- إلى ابن أبي عبله، مكِّي، ابن خالويه، وابن عطية⁶.

ولعلَّ الطَّبريَّ كانَ مِنْ أَكْثَرِ المفسِّرينَ وقوفًا على هذه القراءة في هذه السَّورة، حيثُ قال إنَّ تأويلَ ذلك في قراءةٍ مَنْ قرأَ "مالك يوم الدين"، أنَّه أرادَ: "يا مالك يوم الدين"، فنَصَبَتْهُ بِنِيةِ النَّداءِ والدَّعاءِ، كما جاءَ في سورة أخرى: {يوسفُ أَعْرِضْ عن هذا} بتأويل: "يا يوسفُ أَعْرِضْ عن هذا"، وكما قال الشَّاعر:

كَذَبْتُمُ وَبَيَّتُ اللَّهَ لَا تَنْكَحُونَهَا بني شابَ قرناها تصرُّ وتحب

أي: "يا بني شاب"، ثُمَّ أَضَافَ- الطَّبريُّ- أنَّ نَصَبَ "مالك" على النَّداءِ "إنَّما؛ لِيَكُونَ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}"⁷ خطابًا له، كأنَّه أرادَ: "يا مالك يوم الدين، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

¹ القرآن الكريم، الفاتحة: 2-4.

² الحدَّاد، كشف التَّنزيل، 1: 23؛ العكبري، التَّبيان، 1: 16؛ أبو حيان الأندلسي، البحر، 1: 38؛ النَّحاس، إعراب القرآن، 1: 15؛ العكبري، الإملاء، 6؛ الرَّمْخسري، الكشَّاف، 1: 21؛ القيسي، المشكل، 1: 108؛ المنتجب الهمداني، الفريد، 1: 166؛ شيخ زاده، الحاشية، 1: 74-75؛ العكبري، إعراب القراءات الشَّاذَّة، 1: 92؛ تاج الدِّين الإسفراييني، فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة (اليرموك: منشورات جامعة اليرموك- سلسلة الآداب واللُّغويَّات، 1981)، 119.

³ قراءة الجمهور "مالك" بالجرِّ؛ بَعْدَها نعتًا رابعًا. انظر: ابن عطية، 1: 103؛ الخطيب، 1: 8-9؛ فاخر، التَّوجهات، 1: 82.

⁴ ابن عطية، المحرَّر، 1: 104.

⁵ الألوَسي، روح المعاني، 1: 139.

⁶ الخطيب، 1: 10-11.

⁷ القرآن الكريم، الفاتحة: 5.

نستعين¹؛ ليكون ذلك توطئةً لقوله: "إياك"، ثُمَّ "اهدِنَا"² في {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}³، وهذا التأويل- عند أبي عبيدة- هو حجةٌ لمن نَصَبَ على النداء⁴.

وهذه النظرة تدلُّ على أنَّ الطَّبْرِيَّ يَرْكِّزُ حديثه- ها هنا- حَوْلَ توافقي قراءة النَّصْبِ على النداءِ مَعَ سياقِ الآياتِ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ - بشكلٍ لافِتٍ ومثيرٍ، وَبَعْدَ هذا التَّعليلِ المطنبِ- يرى أنَّ قراءة النَّصْبِ "مالك" هي قراءةٌ محظورةٌ غَيْرُ جائزةٍ؛ لِإجماع جميع الحجة من القراء وعلماء الأمة على رفضِ القراءة بها⁵. فهل قَصَدَ قراءة النَّصْبِ على قطع النَّعْتِ أَمْ قراءة النَّصْبِ على النداءِ؟

مِنْ هنا يُلَاحَظُ أَنَّ هناك مفسِّرين يستبعدون أنَّ تكون "مالك" منصوبةً على النداءِ، بل رَأَوْا أَنَّها منصوبةٌ على المدحِ، أو الحالِ، فقد قال الشَّهَابُ في حاشيته: "...وقيل نصبه على الحال. وفي التيسير (يقصدُ تفسيرَ التيسيرِ) أَنَّهُ على النداء وهو بعيدٌ، ولذا قيل إنَّ غَيْرُهُ (يقصدُ النَّصْبَ على الحالِ، أو المدحِ) أَوْلَى منه؛ لِإفادته عليه هذه الصِّفَات للعبادة، فلذا تركه الأكثرُ..."⁶.

في حين أشارَ الأَخْفَشُ⁷ والرَّجَّاجُ والمنتجبُ الهمدانيُّ وغيرُهم إلى أَنَّهُ يجوزُ أَنْ تُنْصَبَ "ربَّ العالمين" و"مالك يوم الدين" على النداءِ، كَأَنَّكَ بَعْدَ أَنْ قُلْتَ: "الحمدُ لله" قُلْتَ "لَكَ

¹ الطَّبْرِيَّ، التَّفْسِير، 1: 97.

² ابن عطية، 1: 104.

³ القرآن الكريم، الفاتحة: 6.

⁴ أبو عبيدة، مجاز القرآن، 1: 22-23.

⁵ الطَّبْرِيَّ، 1: 97.

⁶ الشَّهَاب، العناية، 1: 152؛ القنوي، الحاشية، 1: 201.

⁷ استخدم الأَخْفَشُ مصطلح "الدَّعاء" بدلاً من النداء. وَأَنَوَّهُ إلى أَنَّ بعضَ النُّحَاة كانوا يُطلقون على النداء "الدَّعاء"، فقد ذكر بعضُ علماء اللُّغة أَنَّ مصطلح "الدَّعاء" كان خاصًّا بالكوفيَّين، ولكنَّها هو الأَخْفَشُ الأوسط، وهو صاحبُ المذهبِ البصريِّ، يأخذ بمصطلح "الدَّعاء"، بل نراه عندما يتحدَّث عن النداء

الحمدُ يا ربَّ العالمين ويا مالكَ يومَ الدين"¹. كما بيَّنَ الإسفرايينيُّ أنَّ الوجهَ الإعرابيَّ للنداءِ في "ربَّ العالمين" هو وجهٌ ذكرُهُ المجاشعيُّ، وراح يقوِّي هذا الوجهَ مِنْ خلالِ الوقفةِ المتأنيَّةِ على مسائلِ النداءِ الممتدَّة، ومن خلالِ قولِهِ: "والوجهَ الثَّاني، كذا ذكره المجاشعيُّ، وعلى هذا يكون حرفُ النداءِ محذوفًا... وإِنَّمَا حَذَفَ "يا" ها هنا؛ لأنَّه كَثُرَ ما يُحذفُ من المضاف، نحو: "رَبِّ أَرْنِي"، ومن العَلَمِ، نحو: "يوسفُ أَعْرِضْ"، وَمِنْ المُبْهِمِ، نحو: "أَيُّهَا الرَّجُلُ..."².

وهذا الكلامُ يأخذُنا إلى أنَّ هناك نداءً آخَرَ "ربَّ العالمين" بإضمار "يا" قبل الآيةِ الَّتِي نحن بصددِها، علَّمَا بأنَّ هناك قراءةً بنصب "ربَّ العالمين": لفعلٍ محذوفٍ تقديرُهُ "أمدحُ"، أو "أخصُ"، أو أعني"³؛ وذلك بقطع النعتِ إلى النَّصْبِ⁴.

وذكرَ الألوسيُّ وغيرُهُ أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عاصمٍ عَنِ اليمانيِّ أَنَّهُ قرَأَ "مالكًا" بالنَّصْبِ والتَّنوين⁵، وكأنَّه أراد: "يا مالكًا يومَ الدين"، إِيَّيَّ النَّادِي هُنا هو شبيهٌ بالمضاف، إضافةً إلى قراءتي القطعِ إلى المدحِ، والحالِ⁶.

كعنوان مستقلٍ يستخدم مصطلح الدَّعاء، فيقول: "باب الدُّعاء". انظر: الأخفش الأوسط، معاني القرآن، 1: 15؛ 58.

¹ الأخفش، معاني القرآن، 1: 13؛ الرَّجَّاج، معاني القرآن، 1: 47؛ المنتجب الهمداني، الفريد، 1: 164؛ القيسي، مشكل إعراب القرآن، 1: 108؛ السَّمين الحلبي، الدرر، 1: 45؛ العكبري، إعراب القراءات الشَّاذَّة، 1: 90.

² الإسفراييني، فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة، 119-120.

³ أبو حيَّان الأندلسي، البحر، 1: 34.

⁴ القنوي، الحاشية، 1: 194؛ القيسي، المشكل، 1: 108؛ شيخ زاده، الحاشية، 1: 70.

⁵ الألوسي، روح المعاني، 1: 139.

⁶ أشار أبو جعفر النَّحَّاس إلى أنَّ "مالك" قرئت على خمسة وعشرين وجهًا مِنْ حَيْثُ اللَّفْظِ والشَّكْلِ والإعراب، ثمَّ وضَّح الأوجُهَ الإعرابيَّةَ لها قائلًا: "وفيه من العربيَّة خمسة وعشرون وجهًا: يُقال: {مالك يوم الدين} على النِّعت، والرَّفع على إضمار مبتدأ، والنَّصب على المدح، وعلى الحال، وعلى النِّعت، وعلى قراءة مَنْ قرَأَ "ربَّ العالمين"..." انظر: النَّحَّاس، إعراب القرآن، 1: 15؛ العكبري، الإملاء، 6.

ب) قال تعالى: {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ...}¹: عَدَّدَ بعضُ المفسرين الأوجهَ الإعرابيةَ لاسمِ الإشارةِ "هؤلاء"² في هذه الآية فكان النداءُ واحدًا منها، وقد ذَكَرَ أبو حيان الأندلسيُّ أنَّ بعضَ المعربين ذهبوا إلى أنَّ "هؤلاء" هي منادى لحرفِ نداءٍ محذوفٍ³ أي "يا هؤلاء"⁴: ثُمَّ يُوَضِّحُ إِنَّ هذا الوجهَ الإعرابيَّ إِنَّمَا هو منقول عن الفراء، وهو معمولٌ به عند

¹ القرآن الكريم، البقرة: 85.

² أشار بعضُ الشُّرَّاحِ إلى أنَّ "هؤلاء" سبعةٌ أوجهٍ إعرابيةٍ، ولكنها في الحقيقة تسعةٌ أوجهٍ، فبالإضافة إلى النداء، الذي نحن بصددِده في هذه الآية، يمكن أن تُعربَ "هؤلاء" خبرًا للمبتدأ "أنتم" وتكون جملة "تقتلون" حالًا، أو مبتدأً مؤخرًا للخبر المقدم "أنتم"، أو منصوبًا على الاختصاص وهو ما ذهب إليه ابنُ كيسان، فتكون جملة "تقتلون" خبرًا للمبتدأ "أنتم" في هذه الحالة، أو في موضع نصب بإضمار "أعني"، أي مفعول به لفعل محذوف تقديره "أعني"، أو خبرًا لكن بتأويل حذف مضافٍ تقديره: "ثم أنتم مثل هؤلاء"، أو اسمًا موصولاً بمعنى "الذي" وجملة تقتلون صلة الموصول، ويكون في هذه الحالة خبرًا أيضًا للمبتدأ "أنتم" أي: "أنتم الذين تقتلون" وهذا رأي الكوفيِّين ولا يأخذ به البصريُّون، أو أن يكون "أنتم هؤلاء" على ما تقدَّم من كونهما مبتدأً وخبرًا والجملة من "تقتلون" مستأنفة مبيِّنة للجملة قبلها. وأضاف الجرجانيُّ وجهًا تاسعًا، وهي أن تكون "هؤلاء" نعتًا كقولنا: "ها هو ذي"، فيكون النعت والمنعوت بمنزلة واحدة كما في التأكيد. واللافت في الأمر أنَّ القنويَّ ذَكَرَ أَنَّ هناك سبعةٌ أوجهٍ نحويةٍ لهذه الآية، ولكنه اكتفى بثلاثة أوجه. في المقابل فقد ذَكَرَ السَّمين الحلبيُّ في كتابه أنَّ ثمة سبعةٌ أوجهٍ، وقد أشار إليها. انظر: القنوي، الحاشية، 1: 480؛ السَّمين الحلبي، الدَّرَج، 1: 474-478؛ عبد القاهر الجرجاني، درج الدَّرَج، 1: 221-222؛ العكبري، التَّبيان في إعراب القرآن، 1: 79-80؛ الألوسي، روح المعاني، 1: 471-472؛ القيسي، المشكل، 1: 142؛ الصَّاوي، الحاشية، 1: 74؛ قُرَاعَة، الشَّواهد القرآنية، 238؛ عبد القاهر الجرجاني، الدَّرَج، 1: 221.

³ أبو حيان الأندلسي، البحر، 1: 467.

⁴ ابن عطية، المحرر، 1: 378؛ العكبري، التَّبيان، 1: 80؛ القيسي، 1: 142؛ النَّحَّاس، إعراب القرآن، 1: 74؛ القرطبي، الجامع، 1: 443؛ البغوي، معالم التَّزيل، 1: 91؛ التَّنَّسَابِي، إيجاز البيان، 1: 109؛ الجرجاني، الدَّرَج، 1: 221؛ الصَّاوي، الحاشية، 1: 74؛ ابن عجيبة، البحر المديد، 1: 105؛ الباقلبي، كشف المشكلات، 1: 65.

الكوفيّين¹، علماً بأنّ البصريّين لا يُجيزون ذلك؛ لأنّهم- كما يُشير القونويّ- لا يُجيزون الفصلَ بيّنَ المبتدأ والخبرِ بالنّداء²، ولأنّ اسمَ الإشارةِ عندهم لا يجوزُ أن يُخَدَفَ منه حرفُ النّداءِ³، نحو قولهم: "هذا أَقْبَلُ" والمقصود: "يا هذا أَقْبَلُ"؛ ولهذا لَحَنَ⁴ البصريّون- كما بيّنَ السّمين الحلبيّ- أبا الطيّب المتنبيّ في قوله:

"هذي برزت فَرِحْتُ رسيّاً ثمّ انصرفت وما شَفِيتِ نسيّاً"⁵

والمقصود في قوله: "يا هذي".

ومع هذا، فقد أكّد أبو حيّان أنّ هذا الرّأي لم يكن منحصراً على الكوفيّين وخَدَهُم، بل أخذَ به بعضُ النّحاة من غير المذهب الكوفيّ، فقال إنّ الرّجّاجَ وغيره جَنَحُوا إلى مذهبِ الفراء في هذه المسألة⁶.

ثمّ نلحِظُ أنّ المنتجب الهمدانيّ حاولَ أن يجدَ تعليلاً واضحاً للوجه الإعرابيّ القائلِ بالنّداءِ، حيثُ بيّنَ أنّ النّداءَ، خلالَ سياقِ هذه الآية، إنّما يحملُ دلالةَ التّنبيةِ والتّخصيصِ معاً⁷، بمعنى أنّ فائدةَ النّداءِ بـ"هؤلاء" تكمنُ في معنى التّنبيةِ⁸ من جهةٍ، وفي

¹ النّيسابوريّ، الغرائب، 1: 327.

² القونويّ، الحاشية، 3: 480؛ العبريّ، الإملاء، 48؛ ابن عطية، المحرّر، 1: 378؛ العبريّ، التّبيان، 1: 80؛ القيسيّ، 1: 142؛ النّحاس، الإعراب، 1: 74؛ القرطبيّ، الجامع، 1: 443؛ الدّرة، التّفسير، 1: 148.

³ سيّويه، 1: 325.

⁴ لَحَنَ يلحنُ لَحْنًا، أيّ أخطأ في الكلام. وهناك ظاهرة لغويّة كانت تُعرف منذ العصور الأولى- حتّى قبل نشأة علم النّحو- كانت تسمّى بظاهرة اللّحن.

⁵ السّمين الحلبيّ، الدّر، 1: 476-477؛ الباقوليّ، الكشف، 1: 66.

⁶ أبو حيّان الأندلسيّ، البحر، 1: 467؛ المنتجب الهمدانيّ، الفريد، 1: 328.

⁷ المنتجب، الفريد، 1: 327.

⁸ البغويّ، معالم التّنزيل، 1: 91؛ الشّعراويّ، التّفسير، 1: 436.

معنى التّخصيص من جهةٍ أخرى، بل أضافَ الأخفشُ أنّ التّنبيهَ في هذا الموضعِ يُفيدُ التّوكيداً¹، وهذا الاستخدامُ اللَّغويُّ- على حدِّ قوله- كثيرٌ في كلامِ العربِ².

ونجدُ أيضاً أنّ الطّبرانيَّ يتحدّثُ حولَ القرينةِ الّتي دلّت على الوجهِ النّدائيِّ في هذه الآية، ومستعيناً كذلك بشاهدٍ قرآنيٍّ آخر، فيقولُ إنّ "هؤلاء" منادى: "أيُّ تُمَّ أنتم يا هؤلاء؛ فحدّثَ حرفَ النّداءِ؛ للاستغناءِ بدلالةِ الكلامِ عليه كقوله تعالى: {ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ}³..."⁴.

ولعلَّ الأمرَ اللَّافَتَ في تفسيرِ الطّبرانيِّ لهذه الآيةِ أنّه لم يذكرِ الأوجهَ الإعرابيَّةَ الأخرى بما يتعلّقُ بـ"هؤلاء"، بل إنّهُ حَصَرَ حديثُهُ، في الجانبِ التّحويِّ، بأنَّ ثَمَّةَ نداءٍ في الآية، مُعلِّلاً ذلكَ بالقرينةِ الدّلاليَّةِ كما أشرتُ سابقاً.

بل كانَ للنّداءِ حظٌّ عظيمٌ عند الرّازيِّ حينما أرادَ أنْ يُفسِّرَ التّخريجَ اللَّغويَّ للعبارةِ القرآنيَّةِ "تُمْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ" الّتي قد يتمخّضُ عنها إشكالٌ للوهلة الأولى لمنْ لا يعرفُ طبيعةَ اللّغةِ ومقاصدها، فيقول: "أمّا قوله تعالى "تُمْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ" ففيه إشكال؛ لأنّ قوله "أنتم" للحاضرين" و"هؤلاء" للغائبين"، فكيف يكونُ الحاضرُ نفسَ الغائبِ؟ وجوابه مِنْ وجوهٍ: أحدها: تقديره ثَمَّ أنتم يا هؤلاء، وثانيها: تقديره ثَمَّ أنتم أعني هؤلاء، وثالثها: أنّه بمعنى الذين وصلّته "تقتلون" وموضع "تقتلون" رَفَعٌ إذا كان خبراً ولا مَوْضِعٌ له إذا كان صلةً..."⁵. هذا يعني أنّ الرّازيَّ بدأ مُخَرِّجاً بالنّداءِ كوجهٍ إعرابيٍّ، وإنّ دلَّ ذلك على شيءٍ فإنّما يدلُّ على أهميّةِ هذا الوجهِ الإعرابيِّ عنده؛ لأنَّ السّيءَ المقدّمَ عند المتكلّمِ يكشفُ عن أهميّةِ

¹ النّيسابوي، إيجاز البيان، 1: 109.

² الأخفش، معاني القرآن، 1: 140.

³ القرآن الكريم، الإسراء: 3.

⁴ الطّبراني، التفسير، 1: 201.

⁵ الرّازي، المفاتيح، 2: 156.

بالغة في ذهنه. أضف إلى ذلك أن الرازي لم يُفد أي وجه من الأوجه الإعرابية التي ذكرها على خلاف ما رأينا عند بعض النحاة والمفسرين.
(ت) {وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي}:

عدَّ النحاة والمفسرون كلمة "هارون" في هذا الموضع إما بدلاً مجروراً من "أخيه"، أو عطفاً بيانٍ² مجروراً لـ "أخيه"³، وعلامة الجر هي الفتحة؛ نيابة عن الكسرة؛ لأنه علم أعجمي، لم يقع في كلام العرب بطريق الأصل؛ فمُنِعَ مِنَ الصَّرْفِ⁴. وهذه القراءة هي قراءة الجمهور⁵. وأضاف الألوسي والسمين الحلبي والشهاب وغيرهم وجهاً آخر، وهو أن يكون "هارون" منصوباً على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره "أعني"⁶.
وقد أشارت بعض التفاسير أنها قرئت بالضم⁷ "هارون"¹ على النداء، فهو منادى حذِفَ منه حرفُ النداء، والتقدير: "يا هارون"²، وهي تشابه بذلك قوله تعالى: {يوسفُ أَعْرِضْ عن هذا}، قياساً عند السمين الحلبي³.

¹ القرآن الكريم، الأعراف: 142.

² يرى البقاعي أن مقصد البدلية، أو عطف البيان هو التصريح باسمه؛ من أجل التبيين. انظر: البقاعي، النظم، 8: 76.

³ السمين الحلبي، الدرر، 5: 448؛ درويش، إعراب القرآن، 3: 40؛ الرّمخسري، الكشف، 2: 145؛ الرازي، المفاتيح، 14: 185؛ التّسفي، مدارك التّزيل، 2: 109؛ الشّهاب، العناية، 4: 362.

⁴ الألوسي، روح المعاني، 5: 300؛ العكبري، الإملاء، 1: 284؛ بهجت صالح، الإعراب المفصل، 4: 81.
⁵ الخطيب، معجم القراءات، 3: 149-150.

⁶ الألوسي، روح المعاني، 5: 300؛ السمين الحلبي، الدرر، 5: 448؛ الشّهاب، العناية، 4: 362.

⁷ أشار بعض المفسرين إلى أن هناك وجهاً ثانياً للرفع - إضافة إلى المنادى المبني على الضم - وهو أن يكون "هارون" خبراً لمبتدأ محذوف تقديره "هو". ويبين السمين الحلبي أن كلا الوجهين - الرفع على الخبرية، والنصب على المفعولية - هو قطع؛ وكأنه قَطَعَ الكلام من خلال المبتدأ "هو" ثم الخبر "هارون"، أو من خلال الفعل "أعني" ثم المفعول به "هارون"، وهو ما يُستَعمل في النحو بمصطلح "القطع". انظر: السمين الحلبي، الدرر، 5: 448؛ العكبري، التبيان، 1: 459؛ الألوسي، روح المعاني، 5: 300؛ العكبري، الإملاء، 1: 284؛ الشّهاب، العناية، 4: 362؛ الخطيب، معجم القراءات، 3: 150.

ث) قال تعالى: {طه} * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى⁴: مِنْ المتعارفِ عليه عند جمهورِ المفسرينَ أَنَّ "طه" هي مِنْ إحدى الآياتِ القرآنيَّةِ الَّتِي تُعَرَّفُ بالحروفِ المقطَّعةِ، وهذانِ الحرفانِ "طه" هما مِنْ حروفِ فواتِحِ بعضِ السُّورِ مِثْلُ "ألم"، و"يس"، و"حم"، وقد رُسِمَا في خطِّ المصحفِ بصورةِ حروفِ التَّهْجِي الَّتِي هي مُسَمَّى "طا" و"ها"⁵. ولكن، أشارَ بعضُ المفسرينَ إلى أَنَّ "طه" تُحْمَلُ على النَّداءِ⁶، فقد وَضَّحَ الرَّازِيُّ اختلافَ المفسرينَ في تعليلِ هذه الآيةِ، فقالَ إِنَّ للمفسرينَ فيها قولين، أحدهما أَنَّهُ مِنْ حروفِ التَّهْجِي، والآخر أَنَّهُ كلمةٌ مفيدةٌ⁷. ثُمَّ أشارَ الرَّازِيُّ إلى أَنَّ للكلمةِ المفيدةِ وجهينَ عندَ المفسرينَ، أحدهما أَنَّ "طه" معناه "يا رجل"⁸ وهو مرويٌّ عن ابنِ عَبَّاسٍ⁹ والحسنِ ومجاهدٍ وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ

¹ ذَكَرَ الألويسيُّ، والسَّمينُ الحلبيُّ، والشَّهابُ، ومحمَّدُ عزيمةُ أَنَّ قراءةَ الضَّمِّ "هارونُ" هي قراءةٌ شاذَّةٌ. وَيَبَيِّنُ محمَّدُ الدَّالي أَنَّهُ لم يَعْزُ هذه القراءةَ أَحَدٌ في حَدِّ علمِهِ. انظر: الألويسيُّ، روح المعاني، 5: 300؛ السَّمينُ الحلبيُّ، النَّزْرُ، 5: 448؛ الشَّهابُ، العناية، 4: 362؛ عزيمة، دراسات لأسلوب القرآن، 3: 298؛ الباقوليُّ، كشف المشكلات، (تحقيق: محمَّد أحمد الدَّالي)، 1: 475.

² الرَّجَّاحُ، المعاني، 2: 372؛ الباقوليُّ، الكشف، 1: 474-475؛ أبو حَيَّان، البحر، 5: 161؛ العُكْبَرِيُّ، التَّبيان، 1: 459؛ النَّحَّاسُ، إعراب القرآن، 1: 438؛ العُكْبَرِيُّ، الإملاء، 1: 284؛ الرَّمَخَشَرِيُّ، الكشَّاف، 2: 145؛ الرَّازِيُّ، المفاتيح، 14: 185.

³ السَّمينُ الحلبيُّ، النَّزْرُ، 5: 448.

⁴ القرآن الكريم، طه: 1-2.

⁵ ابن عاشور، التَّحرير، 16: 182؛ البقاعيُّ، النَّظْمُ، 12: 255.

⁶ العُبَكْرِيُّ، التَّبيان، 2: 133.

⁷ الرَّازِيُّ، المفاتيح، 22: 3.

⁸ ذَكَرَ البقاعيُّ أَنَّهُ إذا كان معنى الحرفين: "يا رجل"، فَإِنَّ في ذلك إشارةً إلى قُوَّتِهِ، وعلوِّ قَدْرِهِ، وفخافَةِ ذِكْرِهِ، وانتشارِ أتباعِهِ، وعمومِ أمرِهِ. انظر: البقاعيُّ، النَّظْمُ، 12: 256.

⁹ ثَمَّةُ روايةٍ أُخْرَى رُوِيَتْ عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ معنى "طه" هو "يا محمَّد". انظر: المنصوريُّ، المقتطف، 3: 325.

وقتادةً وعكرمةً والكلي¹. وهذا المعنى هو بلسانِ التَّبْطِيَّةِ ولهجتهم كما قال سعيدُ بنُ جبيرٍ، أو هو بلسانِ السَّريانيَّةِ كما قال قتادةُ، بل قال عكرمةُ هي بلغة أهل الحبشة، وقال الكليُّ هي بلغة عكٍّ مُستدلاً على ذلك بقول شاعرٍ لهم:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَه فِي خِلَاتِهِمْ لَا قَدَسَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْمَلَاعِينِ²

وذكرَ الرَّمْخَسْرِيُّ وغيرُهُ بأنَّه إنَّ كان "طه" في لغة عكٍّ³ بمعنى "يا رجل" فلعلَّهم تصرَّفوا في "يا هذا" فقبلوا الياءَ طاءً، واختصروا في "هذا"، واقتصروا على "ها"، فقلوه "طه" بمعنى "يا هذا"⁴. أمَّا الوجه الثَّاني فَيُحْمَلُ على أنَّ الرَّسُولَ- عليه السَّلام- كانَ يقومُ اللَّيْلَ في تَهْجُدِهِ؛ فيقفُ على إحدى رجليه وَيُرِيحُ الأخرى مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ، فَأَمَرَ أَنْ يَطَأَ الأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ معاً. وفي روايةٍ أخرى: فَأَمَرَهُ اللَّهُ بالتَّخْفِيفِ⁵. وكانَ الأَصْلُ "طأً" فَكُلِبَتْ هَمْزَتُهُ هاءً في كما قالوا "هيا" في "إياك"، و"هرقت" في أُرقت"، ويجوزُ أَنْ يَكُونَ الأَصْلُ مِنْ وَطِئَ على تَرَكِ الهَمْزَةِ، فيكونُ أَصْلُهُ "طأً يا رجل"، ثُمَّ أَثْبَتَ الهَاءَ فيها للوقوفِ⁶.

وأردفَ ابنُ عاشورٍ، إضافةً إلى ما ذَهَبَ إِلَيْهِ بعضُ المفسِّرينَ على أنَّ "طه" تعني "يا رجل"، أو "يا إنسان"، أو "يا فلان"⁷، أو "يا حبيبي"، بأنَّه قيلَ إنَّ "طه" هي اسمُ سَعَى اللَّهِ به نَبِيَّتهُ- عليه السَّلامُ- وأنَّه على معنى النَّداءِ، أي: "يا مُحَمَّد" ⁸. وقيلَ لِيَتَّهِمَا- يقصد الحرفين

¹ الطَّبْرَانِي، التَّفْسِير، 4: 229.

² الرَّاغِبِي، المفاتيح، 23: 4.

³ قيل: أو بلغة عُكْل، وهي لغة يمانِيَّة. انظر: السَّمين الحلي، الدَّر، 8: 5؛ الطَّبْرَانِي، التَّفْسِير، 4: 229.

⁴ الرَّمْخَسْرِيُّ، الكشَّاف، 3: 47-48.

⁵ الصَّاوِي، الحاشية، 3: 83.

⁶ الرَّاغِبِي، المفاتيح، 23: 4؛ الكرمانِي، غرائب التَّفْسِير، 1: 709-710.

⁷ هذا التعليل ذُكِرَ مِنْ رِوَايَةِ السَّديِّ عن ابْنِ مَلَك. انظر: الطَّبْرَانِي، التَّفْسِير، 4: 229؛ الكرمانِي، غرائب

التَّفْسِير، 1: 709.

⁸ الصَّاوِي، الحاشية، 3: 83.

"ط" و "هـ" - حرفان مُقْتَضَبَانِ مِنْ كَلِمَتِي "طاهر" و "هاد" وأتّهما على معنى النداء بحذف حرفِ النداء¹.

(ج) في قوله تعالى: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}²:

بَيِّنَ المفسرونَ أَنَّ كَلِمَةَ "إِبْرَاهِيمُ" تَحْتَمِلُ خَمْسَةَ أَوْجُهٍ إِعْرَابِيَّةٍ:

أَوَّلًا: مرفوعةً على أَنَّهَا نَائِبُ فَاعِلٍ³ لِلْفِعْلِ "يُقَالُ" على إِرَادَةِ لَفْظِهِ⁴، على مذهب الخليل وسيبويه⁵؛ لِأَنَّ المُرَادَ الاسمَ لا المَسْمَى⁶، بمعنى أَنَّ ثَمَّةَ فَرْقًا بَيْنَ الفِعْلِ "قَالَ" (الاسم) وَبَيْنَ الفِعْلِ "سَمَى" (المَسْمَى) الَّذِي يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ. وهذا الرَّأْيُ هو اخْتِيَارُ الزَّمَخْشَرِيِّ وَابْنِ عَطِيَّةَ وَالزَّجَّاجِيِّ وَابْنِ خَرُوفٍ وَابْنِ مَالِكٍ⁷، وَغَيْرِهِم الكَثِيرُ. أَمَّا على مذهبِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدٍ فَإِنَّ نَائِبَ الفَاعِلِ مَضْمَرٌ، أَيْ: "يُقَالُ لَهُ القَوْلُ"، وَاحْتِيَجُ إِلَى الإِضْمَارِ؛ لِأَنَّ "إِبْرَاهِيمَ" لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَائِبَ فَاعِلٍ⁸.

ثَانِيًا: أَنْ تَكُونَ خَبْرًا لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: "يُقَالُ لَهُ هَذَا إِبْرَاهِيمُ"، أَوْ "هو إِبْرَاهِيمُ"⁹.

¹ ابن عاشور، التَّحْرِير، 16: 183.

² القرآن الكريم، الأنبياء: 60.

³ يَعْبُرُ النَّحَاةُ وَالمفسرون - لا سَيِّمًا القَدَمَاءَ - عَنِ نَائِبِ الفَاعِلِ بِقَوْلِهِمْ: "مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

⁴ أَبُو حَيَّان، الْبَحْر، 7: 477؛ السَّمِين الْحَلِي، الدَّرّ، 8: 175-176؛ الشَّهَاب، الْحَاشِيَّة، 6: 451.

⁵ هُنَاكَ خِلَافٌ طَوِيلٌ بَيْنَ النَّحَاةِ حَوْلَ الْجَوَازِ وَالْمَنْعِ، لَسْنَا بِصَدَدِ ذِكْرِهِ هُنَا، مِمَّا اقْتَضَى التَّنْوِيهِ.

⁶ ابْنُ جُزَيٍّ، التَّسْهِيل، 3: 60؛ الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَاف، 3: 121؛ النَّحَّاس، إِعْرَابُ الْقُرْآن، 3: 73؛ شَيْخُ

زَادَهُ، الْحَاشِيَّة، 6: 41؛ الْعَبْكِيُّ، التَّبْيَان، 2: 162؛ درویش، إِعْرَابُ الْقُرْآن، 6: 330.

⁷ السَّمِين الْحَلِي، الدَّرّ، 8: 175-176؛ الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَاف، 3: 121؛ ابْنُ عَطِيَّة، الْمُحَرَّر، 10: 164؛

الْأَلُوسِي، رُوحُ الْمُعَانِي، 7: 480؛ شَيْخُ زَادَهُ، الْحَاشِيَّة، 6: 41؛ الشَّهَاب، الْحَاشِيَّة، 6: 451.

⁸ النَّحَّاس، الْإِعْرَاب، 3: 73-74؛ شَيْخُ زَادَهُ، الْحَاشِيَّة، 6: 41.

⁹ الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَاف، 3: 121؛ الصَّوَّاي، الْحَاشِيَّة، 3: 136؛ أَبُو حَيَّان، الْبَحْر، 7: 477؛ ابْنُ جُزَيٍّ،

التَّسْهِيل، 3: 60؛ الْأَلُوسِي، رُوحُ الْمُعَانِي، 7: 480؛ الشَّهَاب، الْحَاشِيَّة، 6: 451؛ الْعَبْكِيُّ، التَّبْيَان، 2:

162؛ الْقَيْسِيُّ، الْمَشْكَل، 2: 35؛ درویش، إِعْرَابُ الْقُرْآن، 6: 330.

ثالثًا: أن يُعَرَّبَ مبتدأً خبر محذوف، والتقدير: "يُقال له إبراهيمُ فاعلٌ ذلك"¹.

رابعًا: أنه منادى بُني على الضم، والتقدير: "يُقال له يا إبراهيم"². واللافتُ هنا أن مفسرين كثيرين، حينما عَرَضُوا للأوجهِ الإعرابيةِ المختلفةِ، بدأوا بالوجهِ الإعرابيِّ الخاصِّ بالمنادى³. بل نجدُ الرَّجَّاحَ - وهو من كبار النُّحاةِ والمفسرين - يكتفي بوجهين إعرابين اثنين، وهما الخبرُ (لمبتدأ محذوف)، والنِّداءُ⁴، وإن دلَّ ذلك على شيءٍ فإنما يدلُّ على أنَّ وَجْهَ النَّداءِ هو وَجْهٌ مُعْتَبَرٌ عند النُّحاةِ والمفسرين، فها هو ابنُ عطيةٍ يُرَجِّحُ وَجْهَ النَّداءِ على الخبرِ⁵، بعد أن عَرَضَهُما بدايةً، حيثُ قال: "والأوَّلُ أَرْجَحُ"⁶، أي النَّداء. ثُمَّ يدلُّ ذلك - أيضًا - على أنَّ النَّداءَ يكادُ لا يُفارِقُ كتبَ التفسيرِ، لا سيما التِّفاسيرُ القديمة.

خامسًا: أنه رُفِعَ على الإهمالِ⁷؛ لأنَّه لم يتقدَّمْهُ عاملٌ يؤثِّرُ في لفظه؛ إذ القول لا يؤثِّرُ إلا في المفرد المتضمِّن لمعنى الجملة فبقي مُهْمَلًا، والمُهمَلُ إذا ضُمَّ إلى غيره ارتفع نحو قولهم:

¹ السَّمين الحلبي، الدَّرَ، 8: 176؛ الألوسي، روح المعاني، 7: 480؛ شيخ زاده، الحاشية، 6: 41؛ العبري، التَّبيان، 2: 162؛ الشَّهاب، الحاشية، 6: 451؛ القيسي، المشكل، 2: 35؛ درويش، إعراب القرآن، 6: 330.

² الرَّمْخسري، الكشاف، 3: 121؛ ابن عطية، المحرَّر، 10: 163؛ أبو حيَّان، البحر، 7: 477؛ الشَّهاب، الحاشية، 6: 451؛ الألوسي، روح المعاني، 7: 480؛ العبري، التَّبيان، 2: 162؛ السَّمين الحلبي، الدَّرَ، 8: 176؛ القيسي، المشكل، 2: 35؛ الصَّاوي، الحاشية، 3: 136؛ درويش، إعراب القرآن، 6: 330.

³ ابن جُزي، التَّسهيل، 3: 60.

⁴ الرَّجَّاح، معاني القرآن، 3: 396.

⁵ على الرَّغم من هذا التَّرجيح إلا أنَّ الوجْهَ الأوَّلِي عند ابن عطية هو نائب الفاعل. انظر: ابن عطية، المحرَّر، 10: 164.

⁶ ابن عطية، المحرَّر، 10: 163.

⁷ هذا الرَّأي هو مذهب أبي الحجاجِ الإشبيليِّ الأَعلَم، وهو - غالبًا - مردودٌ عند جمهور النُّحاةِ، لا يُعْمَلُ به. بل وصَّفه الألوسيُّ بأنَّه كلامٌ لا يَقُولُه إلا الأَجهل - على حدِّ قوله. انظر: الألوسي، روح المعاني، 7: 480؛ أبو حيَّان، البحر، 7: 477؛ ابن جُزي، التَّسهيل، 3: 60؛ ابن عطية، المحرَّر، 10: 163.

"واحدٌ واثنان" إذا عدّوا ولم يُدْخِلُوا عامِلًا في اللَّفْظِ ولا في التَّقْدِيرِ، وعطفوا بعضَ أسماءِ العددِ على بعضٍ¹.

وجديرٌ بالتَّنويه أنَّ الأَوْجُهَ الإِعْرَابِيَّةَ الأَرْبَعَةَ- دونَ الوجهِ الخامسِ- مقبولةٌ عن النَّحاةِ، وهذا ما يعبِّرُ به محيي الدِّين درويش بقوله: "في رفعهِ (أي إبراهيم) عدَّةٌ أوجهٌ متساويةٌ الرُّجحانِ"².

ح) قال تعالى: {أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...}³:

أشارَ المفسِّرونَ إلى أنَّ "أَلَّا يَسْجُدُوا" تُقرأُ على أوجهٍ عدَّةٍ، مفرِّقين- أساسًا⁴- بينَ قراءةِ التَّشديدِ "أَلَّا"، وبينَ قراءةِ التَّخفيفِ "أَلَا"⁵. أمَّا قراءةُ التَّشديدِ- وهي قراءةُ الجمهورِ⁶-

¹ أبو حيان، البحر، 7: 477؛ ابن عطية، المحرر، 10: 163.

² درويش، إعراب القرآن، 6: 330.

³ القرآن الكريم، التَّمَلُّ: 25.

⁴ هناك قراءاتٌ أخرى، لسنا بصدد عرضها، نحو: "أَلَّا يسجدون"، و"هَلَّا يسجدون"، و"هَلَّا يسجدون"، و"هَلَّا تسجدوا"، و"هَلَّا يسجدوا"، و"أَلَّا هل تسجدون". انظر: السَّمين الحلبي، الدرر، 8: 598-604؛ أبو حيان، البحر، 8: 229-231؛ أبو السَّعود، الإرشاد، 5: 80؛ الخطيب، معجم القراءات، 6: 504-506؛ الرَّمْخسري، الكشاف، 3: 350؛ الفراء، معاني القرآن، 2: 290؛ القرطبي، الجامع، 7: 173-174؛ القنوجي، الفتح، 10: 36.

⁵ النيسابوري، الإيجاز، 2: 94؛ ابن جزيِّ الغرناطي، التَّسهيل، 3: 205.

⁶ قرأ بالتَّشديد "أَلَّا" كلُّ من أبي عمرو، وعاصم، ونافع، وحمزة، وابن مسعود، وغيرهم. وهي قراءةُ الجمهور. انظر: الخطيب، معجم القراءات، 6: 505؛ الطَّبري، الجامع، 9: 510؛ المظهري، التفسير، 7: 116؛ أبو عليِّ الفارسي، الحجَّة، 5: 383؛ ابن أبي مريم، الموضح، 2: 955؛ المظهري، التفسير، 7: 116؛ ابن عاشور، التحرير، 19: 254؛ ابن جزيِّ، التَّسهيل، 3: 205؛ سبط الخياط، المبهج، 3: 196؛ الطَّبراني، التفسير، 5: 19؛ النَّحاس، إعراب القرآن، 2: 313.

فإنَّها مكوَّنةٌ مِنْ "أَنْ" + "لا"، ثمَّ الفعل المضارع المنصوب "يسجدوا"¹؛ لهذا، فقد قال الفراء
إِنَّ "يَسْجُدُوا" في موضع نصبٍ؛ على تقدير: "أَنْ لَا يَسْجُدُوا"².

وأما قراءة التَّخْفِيفِ³ "أَلَا" فقد عَدَّها المفسِّرونَ والنَّحاةُ على أنَّها "أَلَا يا هؤلاءِ
اسْجُدُوا"⁴، فإنَّ "أَلَا" فيها هي حرفُ تنبيهٍ واستفتاحٍ، ثُمَّ "يا"⁵ الَّتِي اختلفَ فيها
المفسِّرونَ⁶، على أنَّها حرفٌ لمجرِّدِ التَّنْبِيهِ¹، أو أنَّها حرفُ نداءٍ²، ثُمَّ فعل الأمر "اسْجُدُوا"،

¹ الصَّاوِي، الحاشية، 3: 324؛ القيسي، المشكل، 2: 86.

² الفراء، معاني القرآن، 2: 290؛ أبو السَّعود، الإرشاد، 5: 80؛ أبو عليِّ الفارسي، الحجة، 5: 385؛
الكرماني، مفاتيح الأغاني، 311: الغزنوي، باهر البرهان، 2: 1058؛ ابن عاشور، التَّحْرِير، 19: 254؛
القنوجي، فتح البيان، 10: 35؛ سبط الخياط، المبيج، 3: 195؛ عبد الله علوان وآخرون، إعراب
القرآن، 3: 1664؛ درويش، إعراب القرآن، 7: 192؛ محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، 9: 399.
³ تُنسَبُ هذا القراءةُ إلى الكسائي. وقرَأَ بالتَّخْفِيفِ- إضافةً إلى الكسائي- كلُّ مِنْ أَبِي جعفر، ورويس عن
يعقوب، وابن عباس، والزَّهري، والسَّلمي، وطلحة، وحميد الأعرج، والحسن، والسَّنبودي، والمطوعي،
وقتادة، وأبي العالية، وابن أبي عبله. انظر: أبو حيَّان، البحر، 8: 229؛ السَّمين الحلبي، الدَّرَج، 8: 598؛
أبو عليِّ الفارسي، الحجة، 5: 383؛ ابن الجزري، النَّشْر في القراءات العشر، 2: 337؛ الطَّبراني،
التَّفْسِير، 5: 19؛ سبط الخياط، المبيج، 3: 196؛ الخطيب، معجم القراءات، 6: 504.

⁴ الطَّبري، الجامع، 9: 510؛ المظهري، التَّفْسِير، 7: 116؛ الكرماني، مفاتيح الأغاني، 311: الطَّبراني،
التَّفْسِير، 5: 19؛ ابن أبي مريم، الموضَّح، 2: 954؛ البقاعي، النَّظْم، 14: 152-153؛ الرَّجَّاج، معاني
القرآن، 4: 115؛ النَّحاس، الإعراب، 2: 313؛ ابن عاشور، التَّحْرِير، 19: 255؛ أبو حيَّان، البحر، 8: 229؛
العسكري، التَّبيان، 2: 233؛ الصَّاوِي، الحاشية، 3: 324؛ ابن الجزري، النَّشْر، 2: 337؛ سبط
الخياط، المبيج، 3: 195؛ القنوجي، الفتح، 10: 35؛ القيسي، المشكل، 2: 86؛ النِّيسابوري، الغرائب،
5: 302.

⁵ قَالَ بعضُ المفسِّرينَ إِنَّ الجَمْعَ بين أداة التَّنْبِيهِ "أَلَا" و"يا" هدْفُهُ التَّوكِيدُ، بل هي عند أبي حيَّان
للمبالغةِ في التَّوكِيد، لا سيَّما أَنَّهُ يرى في "أَلَا" و"يا" أداتَيْنِ للتَّنْبِيهِ. انظر: أبو حيَّان، البحر، 8: 230؛ ابن
عاشور، التَّحْرِير، 19: 255؛ الخطيب، معجم القراءات، 6: 505.

⁶ القرطبي، الجامع، 7: 174؛ المجاشعي، النَّكْت، 371: العسكري، التَّبيان، 2: 233.

ثُمَّ يُضْمَرُ "هؤلاء"، وَيُكَتَفَى مِنْهَا بِقَوْلِهِ "يا"³؛ لِمَا وَرَدَ عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: "أَلَا يَا أَرْحَمَانَا، أَلَا يَا تَصَدَّقَا عَلَيْنَا؛ وَلِمَا جَاءَ فِي الشَّعْرِ⁴، نَحْوَ قَوْلِ الْأَخْطَلِ:
 "أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرٍ وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عِدًّا آخَرَ الدَّهْرِ"⁵.
 وَنَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

"أَلَا يَا اسْقِيَانِي قَبْلَ حَبْلِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرْبَيْنِ وَلَا نَدْرِي".

بِمَعْنَى أَنَّ الْمَنَادَى فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ مَحْذُوفٌ، ذَلَّتْ عَلَيْهِ أَشْعَارُ الْعَرَبِ، وَأَقْوَالُهُمْ.
 وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ تَقْدِيرَ اسْمِ الْإِشَارَةِ "هؤلاء" بَعْدَ حَرْفِ
 النَّدَاءِ إِنَّمَا جِيءَ بِهِ: لِأَنَّ "يا" يُنَادَى الْأَسْمَاءُ دُونَ الْأَفْعَالِ، وَمِنْ ذَلِكَ، أَيْضًا- اسْتَشْهَادُهُ بِمَا
 اسْتَشْهَدَ بِهِ سَيَبَوَيْهَ شِعْرًا:

"يا لَعْنَةُ اللَّهِ⁶ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانَ مِنْ جَارٍ"

فَقَالَ سَيَبَوَيْهَ إِنَّ "يا" لَغَيْرِ اللَّعْنَةِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْعَنْتَةِ لَنَصَبَهَا الشَّاعِرُ؛ لِأَنَّ حَقَّ الْمَنَادَى
 الْمُضَافِ أَنْ يُنْصَبَ، وَلَكِنَّ تَقْدِيرَهُ هُنَا: "يا هؤلاء لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ"⁷.

¹ يرى ابن جني أَنَّ "يا" فِي مَوْضِعِ "أَلَا يَا اسْجُدُوا" إِنَّمَا أُخْلِصَتْ لِلتَّنْبِيهِ مَجْرَدًا، بِمَعْنَى أَنَّهَا تَفِيدُ التَّنْبِيهِ
 فَقَطْ دُونَ النَّدَاءِ. انْظُرْ: ابْنُ جَنِّي، الْخَصَائِصُ، 2: 376.

² مِنَ النَّحَاةِ مَنْ عَدَّ الـ"يا" لِلتَّنْبِيهِ وَالنَّدَاءِ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ، أَيُّ إِيَّاهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ الْإِعْرَابِيَيْنِ. انْظُرْ: أَبُو
 السَّعُودِ، الْإِرْشَادُ، 5: 80.

³ الطَّبْرِيُّ، الْجَامِعُ، 9: 510؛ الطَّبْرَانِيُّ، التَّفْسِيرُ، 5: 19.

⁴ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، الْمَوْضِعُ، 2: 955؛ الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَّافُ، 3: 350.

⁵ الْفَرَّاءُ، الْمَعَانِي، 2: 290؛ الزَّجَّاجُ، الْمَعَانِي، 4: 115؛ أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ، 8: 230.

⁶ ثَمَّةُ رِوَايَةٍ أُخْرَى لِهَذَا الْبَيْتِ، أَلَا وَهِيَ: "يا لَعْنَةُ اللَّهِ" بِنَصْبِ لَعْنَةٍ عَلَى أَنَّهَا مَنَادَى مُضَافٌ. وَهِيَ رِوَايَةٌ
 مَنْسُوبَةٌ إِلَى نَحَاةٍ كَثِيرِينَ، مِنْهُمْ الْكَسَائِيُّ. وَيَسْتَشْهَدُ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ كُلُّ مَنْ أَنَّ الـ"يا" هِيَ حَرْفُ نَدَاءٍ عَلَى
 الدَّوَامِ، وَلَيْسَتْ حَرْفَ تَنْبِيهِ، وَإِنْ جَاءَ بَعْدَهَا فِعْلٌ، أَوْ شَبِيهٌ بِالْفِعْلِ فَإِنَّمَا يُقَدَّرُ الْمَنَادَى؛ لَكُونِهِ مَحْذُوفًا.
 لِلْإِسْتِزَادَةِ انْظُرْ: حَذَفَ الْمَنَادَى فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ.

⁷ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ، الْحَجَّةُ، 5: 383-384؛ الْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ، 7: 173؛ النَّحَّاسُ، الْإِعْرَابُ، 2: 313-314؛
 أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ، 8: 230-231؛ سَبْطُ الْخَيْطِ، الْمُبْهَجُ، 3: 196.

إِذَنْ، فلمنادى في هذا الموضع محذوفٌ لمن قرأ بالتخفيف، ولمن ذهب إلى أن الـ"يا" حرفٌ نداءٍ وليس حرفٌ تنبيهٍ¹.

ولكن، من المفسرين من يرفض أن تكون الـ"يا" حرفَ نداءٍ في مثل تلك الشواهد الشعرية والتراكيب الواردة عن العرب²؛ فقد قال الصّاوي إنّ تخريج قراءة التخفيف بأنّ "يا" حرفٌ نداءٍ، والمنادى محذوفٌ والتقدير "ألا يا هؤلاء" هو رأيٌ ضعيفٌ؛ وذلك- حسب رأيه- لئلاّ يؤدّي إلى حذفٍ كثيرٍ من غير ما يدلُّ على المحذوف³.

وصرح أبو حيّان، راداً، بأنّ مثل هذا التركيب وارد عن العرب ليسَتْ "يا" فيها للنداء، وحذف المنادى؛ لأنّ المنادى في مذهبه لا يجوزُ حذفُهُ؛ لأنّه قد حُذِفَ الفعلُ العاملُ في النداء، وانحذفَ فاعلُهُ لحذفِهِ. ثمّ إننا- كما يُنَوِّه أبو حيّان- لو حذَفْنَا المنادى لكانَ في ذلك حذفُ جملةِ النداء، وحذفٌ متعلِّقُهُ وهو المنادى، فكان ذلك إخلالاً كبيراً لجملةِ النداء. وإذا أبقينا المنادى ولم نحذفْهُ كانَ ذلك دليلاً على العاملِ في جملةِ النداء. وليس حرفُ النداء حرفَ جوابٍ كـ"نعم"، و"لا" و"بلى"، و"أجل"؛ فيجوزُ حذفُ الجملِ بعدهنَّ؛ لدلالةِ ما سبقَ من السّؤال على الجملِ المحذوفة؛ لهذا فإنّ "يا عند أبي حيّان في تلك التراكيب حرفٌ تنبيهٍ أُكِّدَ به "ألا" التي تُستعملُ للتّنبية، وقد جازَ ذلك لاختلافِ الحرفين "ألا"+"يا"؛ من أجلِ المبالغةِ في التّوكيد⁴.

¹ الزّمخشري، الكشاف، 3: 350؛ ابن جزي، التّسهيل، 3: 205.

² يرى النّحاس أنّ هذا التركيب موجودٌ في كلام العرب إلّا أنّه غيرُ معتادٍ أن يُقال: يا قديم زُبد، وعليه فالقراءة به بعيدة؛ لأنّ الكلام يكونُ معترضاً، أمّا القراءة الأولى- وهي قراءة التّشديد- فيكون الكلام بها متّسقاً، ثمّ إنّ الجمهورَ على غير القراءة الثّانية؛ لأنّه قد حُذِفَ منها ألفان، وإنّما يُختصَرُ مثلُ هذا بحذفِ ألفٍ واحدةٍ نحو قوله تعالى: {يا عيسى بن مريم}. انظر: النّحاس، الإعراب، 2: 314.

³ الصّاوي، الحاشية، 3: 324.

⁴ أبو حيّان، البحر، 8: 230.

ومَعَ هذا، يتبدَّى لنا أَنَّهُ، على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ قِراءَةَ التَّشْدِيدِ هِيَ الْوَجْهُ الْأَكْثَرُ قَبُولاً¹ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ وَالتَّحَاةِ²، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ رَاحَ يَقْوِي قِراءَةَ التَّخْفِيفِ بِشَكْلِ لَافِتٍ مِنْ خِلَالِ عَرَضِهِ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَهِيَ هُوَ الْفَرَاءُ- مثلاً- وَهُوَ أَحَدُ أَعْلَامِ الْمَدْرَسَةِ الْكُوفِيَّةِ، يُدْعَمُ قَوْلُهُ بِمَا سَمِعَهُ عَنْ شَيْخِهِ الْكَسَائِيِّ- شَيْخِ الْكُوفِيِّينَ- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا كُنْتُ أَسْمَعُ الْمَشِيخَةَ (وَفِي رِوَايَةٍ: الْأَشْيَاخَ، أَيْ سَيُوحَةً) يَقْرَءُونَهَا إِلَّا بِالتَّخْفِيفِ عَلَى نِيَّةِ الْأَمْرِ³.

وَيَنْتُجُ مِمَّا عُرِضَ أَنْفَاءً، أَنَّ جِزْءًا كَبِيرًا مِنَ التَّحَاةِ الْبَصْرِيِّينَ⁴ يَرَوْنَ فِي الْ"يَا" أَنَّهَا لِمَجَرَّدِ التَّنْبِيهِ، إِذْ إِنَّهَا لَا تَفِيدُ النَّدَاءَ، وَفِي الْمَقَابِلِ، فَإِنَّ جِزْءًا كَبِيرًا مِنَ الْكُوفِيِّينَ يَرَوْنَ فِيهَا حَرْفَ نَدَاءٍ حُذِفَ بَعْدَهُ الْمُنَادَى؛ وَدَلَّ عَلَيْهِ فِعْلُ الْأَمْرِ "اسْجُدُوا" بَعْدَ الْ"يَا"⁵.

وَيَذْهَبُ الشَّعْرَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ "أَلَا" مَكُونَةٌ مِنْ "أَنْ" وَ"لَا"، وَعِنْدَ إِدْغَامِهَا تُقْلَبُ النُّونُ لَامًا فَتَصِيرُ "أَلَا"، فَالْمَحذُوفُ هُنَا هُوَ حَرْفُ الْجَرِّ، كَمَا تَقُولُ: عَجِبْتُ مِنْ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْنَا فَلَانٌ، أَوْ عَجِبْتُ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْنَا فَلَان. وَأُضَافُ أَنَّهُ فِي قِراءَةِ أُخْرَى "أَلَا" وَهِيَ لِلْحَثِّ وَالْحَضِّ⁶.

¹ يَذْهَبُ الطَّبْرِيُّ إِلَى أَنَّ الصَّوَابَ فِي كِلَا الْقِراءَتَيْنِ- التَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ- أَنَّهُمَا قِراءَتَانِ مُسْتَفِيزَتَانِ فِي قِراءَةِ الْأَمْصَارِ، وَقَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءٌ مِنَ الْقِرَاءَةِ مَعَ صَحَّةٍ مَعْنِيَّتِيَّيْنِهَا. انْظُرْ: الطَّبْرِيُّ، الْجَامِعُ، 510: 9.

² ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، الْمَوْضِعُ، 2: 955؛ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ، الْحِجَّةُ، 5: 385؛ الْكِرْمَانِيُّ، مِفْتَاحُ الْأَغَانِي، 311.

³ الْفَرَاءُ، الْمُعَانِي، 2: 290؛ الْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ، 7: 173؛ الْمَجَاشِعِيُّ، النَّكْتُ، 372؛ الْخَطِيبُ، مَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ، 6: 505.

⁴ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الطَّبْرِيِّ أَنْ: "بَعْضُ نَحْوِيٍّ الْبَصْرَةِ..."، وَ"بَعْضُ نَحْوِيٍّ الْكُوفَةِ". انْظُرْ: الطَّبْرِيُّ، الْجَامِعُ، 510-511: 9.

⁵ الطَّبْرِيُّ، الْجَامِعُ، 9: 510-511؛ الْمَجَاشِعِيُّ، النَّكْتُ، 371-371.

⁶ الشَّعْرَاوِيُّ، التَّفْسِيرُ، 17: 10773.

وَيُنَبِّهُ الرَّمْخَشَرِيُّ وَالرَّازِيُّ إِلَى إِمْكَانِيَّةِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ عِنْدَ الْوَقْفِ، فَيَقُولُ إِنَّهُ إِذَا حَقَّقَ "أَلَا" وَقَفَ عَلَى {فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ}¹ ثُمَّ ابْتَدَأَ بِ{أَلَا يَسْجُدُوا}²، وَإِنْ شَاءَ وَقَفَ عَلَى "أَلَا يَا" ثُمَّ ابْتَدَأَ بِ"اسْجُدُوا"، وَإِذَا شَدَّدَ "أَلَا" لَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَى {الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}³. وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَنُوجِيُّ نَقْلًا عَنْ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ بِأَنَّ "الْوَقْفَ عَلَى "لَا يَهْتَدُونَ" غَيْرُ تَامٍ عِنْدَ مَنْ شَدَّدَ "أَلَا"؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ لَا يَسْجُدُوا"⁴.

وَكَانَ الْبِقَاعِيُّ قَدْ فَسَّرَ دَلَالَاتِ الْأَلْفَاظِ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ تَفْسِيرًا مُتَفَرِّدًا، دَاعِمًا بِذَلِكَ، قِرَاءَةَ التَّخْفِيفِ، وَمُتَرَجِّمًا عَمَلِيًّا لَمَا يُعْرَفُ بِنَظَرِيَّةِ مَعَانِي النَّحْوِ وَالْإِعْرَابِ، وَأَيْضًا، بَانِيًا تَعْلِيلَاتِهِ عَلَى قِرَائِنِ السِّيَاقِ فِي الْآيَةِ، فَيَقُولُ⁵: "بَدِئْتُ بِأَدَاةِ الْاسْتِفْتَاكِ؛ تَنْبِيْهَا لَهُمْ عَلَى عِظَمِ الْمَقَامِ؛ لِثَلَاثِ فَيُوتِ الْوَعْظُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمُصَادَفَتِهِ غَافِلًا، ثُمَّ نَادَى لِمِثْلِ ذَلِكَ وَحَدَفَ الْمُنَادَى؛ إِذَا نَأَى بِالْاِكْتِفَاءِ بِالْإِشَارَةِ؛ لَضِيقِ الْحَالِ، خَوْفًا مِنَ الْمُبَادَرَةِ بِالنِّكَالِ عَنْ اسْتِيفَاءِ الْعِبَارَةِ الَّتِي كَانَ حَقُّهَا: أَلَا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا لِلَّهِ، أَيْ لِيُتَخَلَّصُوا مِنْ أَسْرِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ السَّجُودَ مَرْضَاةٌ لِلرَّحْمَنِ، وَمَجْلَدَةٌ لِلْعَرَفَانِ، مَجَنَّةٌ لِتِمَامِ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ"⁶.

¹ القرآن الكريم، التَّمَلُّ: 24.

² الحديث هنا حول الآيتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين من السُّورَةِ. وَلَكِنِّي نَسِيتُ عَلَى الْقَارِئِ نَضْعَ أَمَامِهِ الْآيَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ: {وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} ❁ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}. انظر: القرآن الكريم، التَّمَلُّ: 24-25.

³ الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَّافُ، 3: 351؛ الرَّازِي، الْمِفَاتِيحُ، 24: 166؛ أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ، 8: 229؛ النَّيْسَابُورِيُّ، الْإِيجَازُ، 2: 94؛ ابْنُ جُزَيٍّ، التَّسْهِيلُ، 3: 205-206؛ الصَّوَاي، الْحَاشِيَّةُ، 3: 324.

⁴ الْقَنُوجِيُّ، فَتْحُ الْبَيَانِ، 10: 35.

⁵ نَنْصَحُ بِالْعَوْدَةِ إِلَى كُتُبِ التَّفَاسِيرِ لِلإِطْلَاعِ عَلَى قِصَّةِ سَلِيمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَعَ الْهَدْهِدِ؛ كَيْ يَتِمَّ رِبْطُ ذَلِكَ مَعَ مَا قَالَهُ الْبِقَاعِيُّ.

⁶ الْبِقَاعِيُّ، النَّظْمُ، 14: 153.

كما نلاحظُ أيضًا أنَّ بعضَ المفسِّرين كانوا قد شَرَحُوا طَبِيعَةَ الْخَطِّ الْمَرْسُومِ فِي الْقُرْآنِ لقراءةِ التَّخْفِيفِ "أَلَا يَسْجُدُوا" على النَّداءِ، محاولينَ بذلكَ تحديدَ التَّغْيِيرِ الطَّارِئِ على التَّركيبِ التَّدَائِي (أَلَا + يا + هؤلاء + اسجدوا)- في حين أننا عَرَفْنَا أَنَّمَا أَنَّ "أَلَا" لِلتَّنْبِيهِ، والمنادى المقْدَرُ بـ"هؤلاء" محذوفٌ، ثُمَّ بقي "يا اسجدوا"- فقالوا إِنَّهُ كَانَ حَقُّ الْخَطِّ على هذه القراءةِ أَنْ يَكُونَ "يا اسْجُدُوا"، لكنَّ الصَّحَابَةَ¹ أَسْقَطُوا أَلْفَ "يا" وهمزةُ الوصلِ من فعلِ الأمرِ "اسْجُدُوا"² خطأً لَمَّا سَقَطَ لَفْظًا، ووصلوا الياءَ بسينِ "اسجدوا"؛ فصارتُ صورتهُ "يسجدوا"³؛ لهذا اتَّخَذَتِ القراءتانِ لَفْظًا وَخَطًّا، واختلفتا تقديرًا⁴.

وبالنسبةِ إلى المحلِّ الإعرابيِّ لجملةِ "أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ" قَالَ ابْنُ هِشَامٍ إِنَّهَا إِمَّا فِي مَحَلِّ جَرٍّ بَدَلٍ مِنْ "السَّبِيلِ"، و"لَا" زيادةٌ مثلها في: "مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ"، وإمَّا فِي مَحَلِّ نَصْبٍ بَدَلٍ مِنْ "أَعْمَالِهِمْ"⁵، فالتقدير: "وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ"، فـ"لَا" هُنَا نَافِيَةٌ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْمُولًا لـ"يَهْتَدُونَ" على تقدير اللامِ، و"لَا" على هذا الوجهِ زيادةٌ أيضًا، والتقدير: "فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ لِلسَّجُودِ لِلَّهِ"⁶؛ لِأَنَّ حَذْفَ حَرْفِ الْجَرِّ مِنْ "أَنَّ" وَ"أَنْ" هُوَ حَذْفٌ قِيَاسِيٌّ. وَالْمَوْضِعُ، بِنَاءٌ عَلَى هَذَا، جَرٌّ⁷ عِنْدَ الْخَلِيلِ وَالْكَسَائِيِّ، نَصْبٌ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ وَالْفَرَّاءِ⁸،

¹ يقصدون كَتَبَةَ الْوَحْيِ الَّذِينَ أَمَلُوا الْخَطَّ الْقُرْآنِيَّ (التَّوْقِيفِيَّ) الَّذِي عُرِفَ فِيمَا بَعْدَ بـ"الرَّسْمِ الْعُثْمَانِيَّ".

² ابن أبي مريم، الموضح، 2: 954-955؛ القرطبي، الجامع، 7: 174.

³ ابن عاشور، التحرير، 19: 255؛ ابن الجزري، النشر، 2: 337.

⁴ السمين الحلبي، الدرر، 8: 598؛ أبو حيان، البحر، 8: 229؛ المظهر، التفسير، 7: 116؛ الصاوي، الحاشية، 3: 324.

⁵ المجاشعي، النكت، 372؛ القيسي، المشكل، 2: 86؛ العبري، التبيان، 2: 233؛ النحاس، الإعراب، 2: 313.

⁶ ابن جزي، التسهيل، 3: 205.

⁷ الرجاج، المعاني، 4: 115.

⁸ ابن هشام الأنصاري، رسالتان في لغة القرآن: مسائل في إعراب القرآن (عمان: دار الفكر، 1999)، 45-46.

بمعنى أنه في محلٍ نصبٍ على نزع الخافض. وأضاف السمين الحلبي وجهين آخرين، وهما: أولاً، أن يكون "ألاً يَسْجُدُوا" في محلٍ نصب مفعول له (مفعول لأجله)، وهو متعلقٌ إمّا بالفعل "زَيَّنَ"، أي زَيَّنَ لهم لأجل أن لا يسجدوا (لئلاً يسجدوا لله)¹، وإمّا بالفعل "صَدَّهُمْ"، أي صَدَّهُمْ لأجل أن لا يَسْجُدُوا. وثانيًا، أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوفٍ تقديره الضميرُ العائدُ على "أعمالهم"، أي: "هي أن لا يَسْجُدُوا؛ فتكون "لا" ها هنا نافيةً، أو أن يكونَ تقديرُ المبتدأ ضميرًا عائدًا على "السبيل"، أي: "هو أن لا يَسْجُدُوا؛ فتكون "لا" مزيدةً².

(خ) قال تعالى: {أَمَّنْ³ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ...}⁴:

الظاهر أن الهمزة هنا هي همزة استفهام، أو هي-كما يصفها أبو حيّان الأندلسي- لاستفهام التقرير، ومقابلته محذوفٌ لفهم المعنى عليه، والتقدير: أهذا هو القانتُ خيرٌ أم الكافرُ المخاطبُ⁵.

¹ البقاعي، النظم، 14: 152-153؛ الزجاج، المعاني، 4: 115؛ القنوجي، الفتح، 10: 35؛ النحاس، الإعراب، 2: 313؛ النيسابوري، الغرائب، 5: 302؛ سبط الخياط، المبهج، 3: 195؛ المجاشعي، النكت، 372.

² السمين الحلبي، الدرّ، 8: 602؛ العكبري، التبيان، 2: 233.

³ قراءة الجمهور، والحسن، وقتادة، والأعرج، وأبو جعفر بتشديد الميم. و"أَمَّنْ" عبارة عن: "أم"+"مَنْ" فأدغمَتْ ميمٌ "أم" في ميم "مَنْ"؛ لهذا يُحتملُ "أم" أن تكون متصلةً، ومعادلُها محذوفًا قبلها، تقديره: "أهذا الكافرُ خيرٌ أم مَنْ هو قانتٌ"، أو أن الخبرَ حُذِفَ لدلالة قوله تعالى عليه: {هل يستوي الذين}، ويحتملُ أن تكون "أم" منقطعةً بمعنى "بل"، والتقدير: "بل أم مَنْ هو قانتٌ صفتهُ كذا، لمن ليس كذا. انظر: أبو حيّان، البحر، 9: 189؛ العكبري، التبيان، 2: 318؛ القيسي، المشكل، 2: 176-177، الفونوي، الحاشية، 16: 487-488؛ الألوسي، روح المعاني، 12: 342؛ القرطبي، الجامع، 8: 202-203؛ ابن الجزري، النشر، 2: 362؛ النَّسفي، مدارك التنزيل، 4: 78؛ ابن الخطيب، معجم القراءات، 8: 142.

⁴ القرآن الكريم، الرُّمَر: 9.

⁵ أبو حيّان، البحر، 9: 188.

ولعلَّ المميّز لهذه الآية هو التّساؤلُ اللافتُ الَّذي يكتنفُها: هل في القرآنِ همزةٌ نداءٍ، علماً بأنَّ حرفَ النّداءِ الوحيد الَّذي جاءَ في القرآن كان الـ"يا"؟¹

دَهَبَ الفراءُ إلى أنَّ الهمزةَ في هذا الموضعِ هي همزةُ نداءٍ² لِمَنْ قَرَأَ تخفيفاً³ "أَمَنْ" أي: "يا مَنْ هو قانتٌ"⁴، بل عدَّ الفراءُ هذه الوجّهَ الإعرابيَّ وجهاً حسناً؛ وذلك لأنَّ العربَ تدعو⁵ (تنادي) بألف (الهمزة)، كما يدعون بـ"يا"، فيقولون: "يا زيدُ أَقِيلْ"، و"أزِيدُ أَقِيلْ". ثُمَّ راحَ الفراءُ يُعلِّلُ هذا الوجّهَ مُقَوِّياً بذلك هذه القراءةَ مِنْ خِلالِ الشّواهِدِ الشّعريّةِ، الّتي أكَّدَ بأنّها كثيرةٌ في أشعارِ العربِ، نحو قولِ أوس بن حجر:

أَبْنِي لُبَيْئِي لَسْتُمْ بِيَدٍ إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

وقول الشّاعر:

أَضْمُرُ بِنِ ضَمْرَةٍ مَاذَا ذَكَرْتَ مِنْ صِرْمَةٍ أَخَذْتَ بِالْمُرَارِ⁶

وعَقَّبَ ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ على قولِ الفراءِ قائلاً: "وَكُونُ الهمزةِ فيه للنّداءِ هو قولُ الفراءِ، ويُبيّنه أنّه ليسَ في التّنزيلِ نداءٌ بغيرِ "يا"، ويقرِّبه سلامتهُ مِنْ دَعْوَى المجازِ، إذ لا يكونُ الاستفهامُ منه تعالى على حقيقتهِ، ومِنْ دَعْوَى كثرةِ الحذفِ، إذ التّقديرُ عندَ مَنْ جعلها للاستفهامِ: أَمَنْ هو قانتٌ خَيْرٌ أَمْ هذا الكافرُ؛ أي المخاطبُ بقوله تعالى: {قُلْ تَمَتَّعْ

¹ ابن هشام، المغني، 1: 19.

² العكبري، التبيان، 2: 318؛ القيسي، المشكل، 2: 176؛ أبو حيّان، البحر، 9: 189.

³ قرأ بالتخفيف "أَمَنْ" كلُّ مَنْ ابنِ كثيرٍ، ونافعٍ، وحمزة، ويحيى بن وثابٍ، والأعمش، وأبي جعفرٍ، وزيدٌ عن يعقوبَ، وعيسى، وشيبة، والحسنِ في روايةٍ، وأبي زيدٍ عن المفضلِ عن عاصمٍ. انظر: القرطبي، الجامع، 8: 202؛ ابن عطية، المحرر، 12: 510؛ أبو حيّان الأندلسي، البحر، 9: 188؛ الخطيب، معجم

القراءات، 8: 141؛ النّسفي، المدارك، 4: 78؛ ابن الجزري، النّشر، 2: 362.

⁴ الفراء، معاني القرآن، 2: 416؛ أبو حيّان، البحر، 9: 189.

⁵ يستخدم الكوفيون أيضاً مصطلحَ الدّعاء إشارةً إلى النّداء.

⁶ الفراء، المعاني، 2: 416.

بِكُفْرِكَ قَلِيلًا¹، فَحَذِفَ شَيْئَانِ: مُعَادِلُ الهمزة، والخبر²...². وفي الحقيقة لم نستوضح من ابن هشام³ قَبُولُهُ هذا الرأي، أَمْ رَفَضَهُ؛ لَأَنَّهُ فَسَّرَ مَا يُضْعَفُ هذا الرأي، وفي المقابل ما يُقَوِّيهِ!

ولكننا نجدُ أبا حيان الأندلسيُّ يَقْوِي هذا الوجْهَ الإعرابيَّ، داحِضًا قَوْلَ أبي عليِّ الفارسيِّ الَّذي من جهته يرى بأنَّ رأيَ الفراءِ هو رأيُّ أَجَنِيٍّ ضَعِيفٌ، فَيَرُدُّ أَبُو حَيَّانٍ أَنَّهُ لَا التَّفَاتُ لذلك، ولتضعيفِ الأَخْفَشِ وأبي حاتمِ هذا القراءة⁴؛ لَأَنَّهُمَا يُضَعِّفَانِ مِنْ قِراءَةِ التَّخْفِيفِ على النَّداءِ، محتجِّينَ بَأَنَّهُ استفهامٌ لَيْسَ مَعَهُ خبرٌ⁵. ويوافقُ أَبُو حَيَّانٍ رأيَ ابنِ عطيةَ الَّذي يُفَنِّدُ كُلَّ رأيٍ يدَّعي بأنَّ حرفَ النَّداءِ "الهمزة" محذوفةٌ في هذا الموضع، فيؤكِّدُ ابنُ عطيةَ أَنَّ همزةَ النَّداءِ (يُعزَّرُ عنها بالألف) ثابتةٌ وظاهرةٌ في هذا الموضع⁶ مِنْ خلالِ قَوْلِهِ: "أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ".

ونلاحظُ كذلك أَنَّ أبا جعفرٍ النَّحَّاسَ وافقَ الفراءَ على وجْهِ النَّداءِ في قِراءةِ تخفيفِ الميم، بل يراه وجهًا إعرابيًّا حَسَنًا ومقبولًا، فيقول: "وفي القراءةِ بالتَّخْفِيفِ وجهانِ حَسَنانِ في العربيَّةِ، وَلَيْسَ في القراءةِ الأُخْرَى إِلَّا وَجْهٌ واحدٌ⁷. فأحدُ الوجهَيْنِ: أَنْ يَكُونَ نداءً، كما يُقالُ: "يا زَيْدُ أَقْبِلْ"، ويقالُ: "أزَيْدُ أَقْبِلْ". حكى ذلك سيبويه، وجميعُ النَّحْوِيِّينَ..."⁸.

¹ القرآن الكريم، الزَّمر: 8.

² ابن هشام، المغني، 1: 19-20.

³ كَانَ ابنُ هشامٍ مصريَّ المذهبِ، ولعلَّ هذا الأمرَ جعلَهُ يَشِيرُ إلى ما يَضْعَفُ وَيَقْوِي رأيَ الفراءِ الكوفيِّ، على الرَّغمِ مِنْ أَنَّ المدرسةَ المصريَّةَ كانت تَمِيلُ إلى البصريِّينَ في كثيرٍ مِنَ الآراءِ النَّحْوِيَّةِ.

⁴ أَبُو حَيَّانٍ الأندلسيُّ، البحر، 9: 189.

⁵ النَّحَّاسُ، إعراب القرآن، 2: 518.

⁶ ابن عطية، المحرر، 12: 512.

⁷ يقصدُ قِراءةَ الميمِ المُشدَّدةِ "أَمَّنْ".

⁸ النَّحَّاسُ، 2: 518-519.

وَمِنْ جِهَتِهِ أُوجِسَتْ فَيْشِر [1865-1949م] أَنَّهُ قَدْ يَتَعَدَّرُ عَلَيْنَا أَنْ نَوَافِقَ الْفَرَاءَ عَلَى أَنَّ هَمْزَةَ "أَمَّنْ" الْمُخَفَّفَةَ إِلَى "أَمَنْ" هِيَ هَمْزَةُ نَدَاءٍ؛ لِأَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَمْزَةَ النَّدَاءِ مَذْكُورَةٌ فِي الشَّعْرِ بِكَثْرَةٍ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْدُرُ وَجُودُهَا فِي النَّثْرِ، بَلْ لَا أَثَرُ لَهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي لَمْ يَرِدْ فِيهِ مِنْ حُرُوفِ النَّدَاءِ غَيْرُ الْيَا¹.

2.7. النَّدَاءُ التَّعْجُبِيُّ²:

التَّعْجُبُ³ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَحْصُورٌ عِنْدَ النُّحَاةِ قِيَاسًا فِي صَبِغَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ هُمَا: "مَا أَفْعَلُهُ"، وَ"أَفْعِلْ بِهِ"⁴، نَحْوَ قَوْلِكَ: "مَا أَكْرَمَ زَيْدًا"، وَ"أَكْرَمُ زَيْدٍ"⁵، وَنَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَمَا أَصْبَرَهُمْ

¹ أوجست فيشير، المعجم اللغوي التاريخي (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1967)، 16.

² عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ "التَّعْجَبَ" قَدْ يَبْدُو دَرْسًا نَحْوِيًّا مُسْتَقِلًّا بِذَاتِهِ إِلَّا أَنَّهُ- فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ- لَا تَقِفُ أَبْعَادُهُ وَحُدُودُهُ عَلَى الصَّبِغِ الْقِيَاسِيَّةِ لَهُ، بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى دَرْسِ النَّدَاءِ؛ إِذْ يَخْلُقُ بِمَوَازَاةِ التَّرْكِيبِ النَّدَائِيِّ تَرْكِيبًا تَنْصَهَرُ فِيهِ مَلَامُخُ التَّعْجَبِ. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ النَّدَاءَ قَدْ يَخْرُجُ عَنْ مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ الَّذِي وُضِعَ لَهُ مِنْ خِلَالِ السِّيَاقَاتِ التَّعْجِبِيَّةِ وَقِرَائِنِهَا الْمُخْتَلِفَةِ.

³ يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ فِي شَرْحِهِ لِمَعْنَى التَّعْجَبِ: "اعْلَمْ أَنَّ التَّعْجَبَ مَعْنَى يَحْصُلُ عِنْدَ الْمُتَعَجِّبِ عِنْدَ مَشَاهِدَةِ مَا يَجْهَلُ سَبَبَهُ، وَيَقْلُ فِي الْعَادَةِ وَجُودُ مَثَلِهِ. وَذَلِكَ الْمَعْنَى كَالدَّهْشِ وَالْحَيْرَةِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَا لَوْ رَأَيْتُ طَائِرًا يَطِيرُ، لَمْ نَتَعَجَّبْ مِنْهُ؛ لِجَرَيِ الْعَادَةِ بِذَلِكَ، وَلَوْ طَارَ غَيْرُ ذِي جَنَاحٍ لَوَقَعَ التَّعْجُبُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ عَنِ الْعَادَةِ، وَخَفِيَ سَبَبُ الطَّيْرَانِ". وَالتَّعْجَبُ عِنْدَ الشَّاطِطِيِّ هُوَ اسْتِعْظَامُ زِيَادَةٍ فِي وَصْفِ الْفَاعِلِ خَفِيَ سَبَبُهَا، وَخَرَجَ بِهَا الْمَذْكُورُ عَنْ نِظَائِرِهِ بِلَفْظٍ دَالٍّ عَلَى ذَلِكَ. وَبَيَّنَّ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنَّ "مَعْنَى التَّعْجَبِ تَعْظِيمُ الْأَمْرِ فِي قُلُوبِ السَّامِعِينَ؛ لِأَنَّ التَّعْجَبَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ خَارِجٍ عَنْ نِظَائِرِهِ وَأَشْكَالِهِ". وَذَكَرَ التَّهَانَوِيُّ- نَقْلًا عَنِ الزَّمَانِيِّ- أَنَّ "الْمَطْلُوبَ فِي التَّعْجَبِ الْإِبْهَامُ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ أَنْ يَتَعَجَّبُوا مِمَّا لَا يَعْرِفُ سَبَبَهُ، فَكَلَّمَا اسْتَهْتَمَ السَّبَبُ كَانَ التَّعْجَبُ أَحْسَنَ" انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، 4: 411؛ الشَّاطِطِيُّ، المقاصد، 4: 432؛ التَّهَانَوِيُّ، كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفَنُونِ، 3: 190؛ الْجَرَجَانِيُّ، التَّعْرِيفَاتِ، 76؛ الْخَضِرِيُّ، الْحَاشِيَّةُ، 2: 38.

⁴ السِّيَوطِيُّ، الْهِمْعُ، 6: 41؛ التَّهَانَوِيُّ، الْكَشَافُ، 3: 191.

⁵ سَيَبُوه، 4: 99.

عَلِ النَّارِ¹، وقوله: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ}². ثُمَّ قالوا إِنَّ أَيْ تَعْجُبٍ وَرَدَ خِلَافًا لِلصَّيْغَتَيْنِ الْقِيَاسِيَتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ تَعْجُبٌ سَمَاعِيٌّ، بَلْ إِنَّهُمْ أَوَّلُوا هَاتَيْنِ الصَّيْغَتَيْنِ كُلَّ عَنَايَةٍ وَاهْتِمَامٍ حَيْثُ حَوَّلُوا أَنْظَارَهُمَا عَنْ غَيْرِهِمَا مِنَ الصَّيْغِ وَالْعِبَارَاتِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِالتَّعْجُبِ مِنْ قَرِيبٍ، أَوْ بَعِيدٍ³.

وَلَكِنَّ بَعْضَ النُّحَاةِ أَدْرَكُوا شَيْئًا مَغَايِرًا، فَقَدْ أَكَّدَ ابْنُ مَالِكٍ أَنَّ لِلتَّعْجُبِ أَلْفَاظًا كَثِيرَةً لَا يُبَوِّبُ لَهَا، نَحْوُ: "سَبْحَانَ اللَّهِ"، وَالْمُبَوِّبُ لَهُ مِنَ الْأَفَاضِلِ هُمَا: "أَفْعَلُ"، وَأَفْعِلْ بِهِ"⁴، وَيَقْصِدُ بِهَذَا إِضَافَةَ صَيْغٍ قِيَاسِيَّةٍ أُخْرَى. بَلْ نَلَاخِظُ أَنَّ الشَّاطِطِيَّ يَرْفُضُ أَنْ يُخَصِّرَ التَّعْجُبَ فِي صَيْغَتَيْنِ قِيَاسِيَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ صَيْغًا كَثِيرَةً تَقْتَضِي مِنْ مَعْنَى التَّعْجُبِ مَا يَقْتَضِيهِ "مَا أَفْعَلَهُ"، وَ"أَفْعِلْ بِهِ"، فَهَاتَانِ الصَّيْغَتَانِ هُمَا مِنْ جُمْلَةِ الصَّيْغِ الْمُؤَدِّيَةِ مَعْنَى التَّعْجُبِ، فَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَاقْتَصَارُهُ عَلَى مَا ذَكَرَ هُنَا ظَاهِرُهُ التَّقْصِيرُ⁵، أَيْ إِنَّهُ عَدَّ ذَلِكَ تَقْصِيرًا.

وَمِنْ الْأُمُورِ الَّتِي امْتَاَزَ بِهَا عَبَّاسٌ حَسَنَ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُطْ بَيْنَ الِاسْتِغَاثَةِ وَبَيْنَ التَّعْجُبِ الَّذِي يُشَابِهُ أَسْلُوبَ الِاسْتِغَاثَةِ⁶، وَلَكِنَّهُ أَفْرَدَ لِلتَّعْجُبِ بَابًا خَاصًّا تَحْتَ عَنَوَانٍ: "النَّدَاءُ الْمَقْصُودُ بِهِ التَّعْجُبُ"⁷، وَقَدْ أَرَادَ بِذَلِكَ- كَمَا يَبْدُو- أَنْ يُلَفِّتَ انْتِبَاهَ الدَّارِسِينَ إِلَى أَنَّ ثَمَّةَ فَرْقًا بَيْنَ أَسْلُوبِ الِاسْتِغَاثَةِ وَبَيْنَ أَسْلُوبِ التَّعْجُبِ الَّذِي يَأْتِي عَلَى شَكْلِ الِاسْتِغَاثَةِ، وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ- صَرَاحَةً- مَنْ خِلَالِ تَأْكِيدِهِ أَنَّ "يَا لِلْبَدُورِ"، وَ"يَا لِلْحُسَنِ"- مِثْلًا- لِمَنْ يُرَاقِبُ الْبَدْرَ فِي لَيْلَةٍ صَافِيَةٍ، فَهَرَّةُ جَمَالُهُ، وَتَمَامُ اسْتِدَارَتِهِ، وَلُطْفُ حَرَكَتِهِ، فَأَعْلَنَ إِعْجَابَهُ وَإِكْبَارَهُ بِهَذَا الْمَشْهُدِ،

¹ القرآن الكريم، البقرة: 175.

² القرآن الكريم، مريم: 38.

³ جميل علّوش، التَّعْجُبُ: صَيْغُهُ وَأَبْنِيَّتُهُ- دَرَاةٌ لُغَوِيَّةٌ نَحْوِيَّةٌ مُقَارِنَةٌ (عَمَّان: دَارُ أَرْمَنَةِ، 2000)، 77.

⁴ ابن مالك، شرح الكافية، 1: 481-482.

⁵ الشَّاطِطِي، الْمَقَاصِدُ، 4: 433-434؛ 436.

⁶ رَاجِعْ أَسْلُوبَ الِاسْتِغَاثَةِ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ.

⁷ عَبَّاسٌ حَسَنٌ، النَّحْوُ الْوَاقِفِيُّ، 4: 86.

فإن هذه الأساليب وأشباهها قد تُوهِم في مظهرها اللفظي، وهيئتها الشكلية أنها أساليب استغائية؛ لاشتغالها على حرف النداء "يا"، وعلى منادى مجرور باللام المفتوحة، ولكنها في حقيقتها ليست باستغائية؛ لخلوها في الغالب من المستغاث به الذي يوجّه له النداء حقيقة، لا مجازاً، ومما يصلح أن يكون مستغاثاً حقيقياً لا مجازياً، وكذلك لأن المتكلم بها على هذه الصورة لا يطلب التخلص من شدة واقعة، ولا دفع مكروه متوقع¹، وإنما هي - على حد قول عباس حسن - أساليب نداء، أريد بها التعجب من ذات شيء، أو كثرته، أو شدته، أو أمر غريب فيه، أو غرض آخر؛ لهذا فهي نداء خرج عن معناه الأصلي إلى هذا الغرض الجديد، وجاءت صورتها الشكلية على صورة الاستغائية دون أن يكون منها في المعنى الدلالي، والمُرَاد من ذلك².

وقد سارَ فاضل السامرائي على دُربِ عباس حسن في أفراد باب خاصٍ بالنداء التعجبي فأسماه بـ"التعجب بالنداء"، مؤكداً أنه يُتعجب بالنداء وذلك بإدخال لام جرٍ مفتوحة على المتعجب منه، مسبوقه بحرف النداء "يا" نحو: "يا لئلاء"، "يا للهول"، "يا للعجب"، "يا لله"، "يا لك شاعراً". وقد تُحذف اللام فيؤتى بألفٍ في آخر المتعجب منه، فيقال: "يا عجباً"، لا هؤلاً³.

ولعلّه من المؤكّد أنّ ما أراهه عباس حسن وجميل علّوش وفاضل السامرائي وغيرهم هو، من جهة، الالتفاتُ بنظرةٍ جديدةٍ إلى التعجب الندائي؛ على أنه، كما يرون، صيغةٌ قياسيةٌ يُعاملُ معاملةً الصيغتين القياسيتين "ما أفعله"، و"أفعل به"؛ لأنّه يسيرُ حسب قواعد قياسية لها ضوابطها وقوانينها الخاصة، ومن جهة ثانية؛ لما في هذا الأسلوب من خروج النداء عن معنى الأصلي؛ ألا وهو طلب الإقبال.

¹ انظر تعريف الاستغائية من حيث اصطلاح النحاة.

² حسن، النحو الوافي، 4: 87-86.

³ السامرائي، معاني النحو، 4: 249.

من هنا، يُلَفِّتُ السَّامِرَائِي الانتباهَ إلى أَنَّ التَّعَجُّبَ بالنداءِ هو قياسٌ مُطَرِّدٌ. وهو- بهذا القياس- يسيِّرُ على وجهين: أحدهما أن ترى أمراً عظيماً فتعجبُ منه بنداؤه، فتقولُ مثلاً: "يا لِّلْماءِ!" إذا تعجَّبتَ مِنْ كَثَرَتِهِ، وتقولُ: "يا لِّلْهُولِ!" إذا رأيتَ أمراً عظيماً فتتعجَّبُ مِنْ فِظَاعَتِهِ. والوجه الثاني أن ترى أمراً تستعظمُه، فتنادي مَنْ له نِسْبَةٌ إليه أو مكنةٌ فيه، نحو: "يا لِّلْعلماءِ"؛ وذلك كأن ترى جهازاً علمياً يُهزِّكُ فتنادي العلماءَ للاطلاعِ عليه، أو تناديهم متعجباً مِنْ عَمَلِهِمْ وصُنْعِهِمْ. أو كأن تسمع قصيدةً تهزُّكُ؛ فتقولُ: "يا لِّلشُّعراءِ"، متعجباً مِنْ فِعْلِهِمْ، أو تدعوهم إلى سماعِ هذا الشَّعرِ متعجباً منه¹.

وآياتُ النداءِ التَّعجُّبِيّ في القرآن كثيرةٌ، توحى مِنْ خلالها سياقاتُها المختلفة إلى أنها ليستْ أسلوباً ندائياً مَحْضاً، بل يَشُوْبُها لَوْنٌ تعجُّبِيٌّ بَيِّنٌ على الرَّغْمِ مِنْ استخدامِ أدواتِ ندائِيَّةٍ تصويطيَّةٍ، فعندما نقرأ قوله تعالى: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}² يتبيَّنُ لنا أَنَّ النداءَ في هذه الآيةِ وُضِعَ موضعَ التَّعَجُّبِ؛ وذلك لأنَّ الحسرةَ في حقيقتها لا تُنادى، وإنما يُنادى الأشخاصُ والأعلامُ؛ لهذا فإنَّ فائدةَ النداءِ هنا- كما يُشير علي سلمان- هي التَّنبِيْهُ، ولكنَّ المعنى على التَّعَجُّبِ³.

ويقولُ الفراءُ مفسِّراً هذه الآيةَ: "المعنى: يا لها حسرةٌ⁴ على العبادِ، أي إنَّه يَقْصِدُ التَّعَجُّبَ؛ لأنَّ هذه هي صيغته. ثُمَّ يضيفُ: وَقَدْ نُصِبَتْ "حسرةٌ"؛ لأنَّ العربَ إذا دَعَتْ (نادَتْ) نكرةً موصولةً (بالصفة) بشيءٍ آثَرَتْ النَّصْبَ، كما يُقالُ: "يا رجلاً كريماً أَقْبَلَ"، و"يا راكباً على البعيرِ أَقْبَلَ"⁵.

¹ ن. م.

² القرآن الكريم، يس: 30.

³ علي محمد علي سلمان، المجاز وقوانين اللغة (بيروت: دار الهادي، 2000)، 284.

⁴ معنى الحسرة عند البقاعي هو: "شدة الندم على ما فات، فأحرقَ فقده، وأعى أمره؛ فلا حيلة في ردِّه. ويجوز أن يكون المعنى أن العباد- لكثرة ما يعكسون من أعمالهم- لا تفارقهم أسبابُ الحسرة، ولا حاضر معهم غيرُها، فلا نديم لهم إلا هي". انظر: البقاعي، النظم، 16: 117.

⁵ الفراء، المعاني، 2: 375-376؛ الطبراني، التفسير، 5: 279؛ السمين الحلبي، الدرر، 9: 259.

ونرى بهذا أنَّ الفراءَ يُقَوِّي قراءة النَّصْبِ¹ على القراءاتِ الأخرى².

ولعلَّ الرَّجَّاحَ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ الْمَفْسِّرِينَ وَقَوْفًا فِي عَرَضٍ مَعْنَى التَّعَجُّبِ الَّذِي تَحْمِلُهُ هَذِهِ الْآيَةُ، فَيُؤَكِّدُ- بِدَايَةٍ- أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنْ أَصْعَبِ الْمَسَائِلِ فِي الْقُرْآنِ، إِذَا قَالَ الْقَائِلُ: مَا الْفَائِدَةُ مِنْ مَنَادَةِ الْحَسْرَةِ، وَالْحَسْرَةُ مِمَّا لَا يُجِيبُ؛ فَالْفَائِدَةُ فِي مَنَادَاتِهَا كَالْفَائِدَةِ فِي مَنَادَةِ مَا لَا يَعْقِلُ؛ لِأَنَّ النَّدَاءَ بَابٌ تَنْبِيهٍ؛ إِذَا قُلْتَ "يَا زَيْدٌ" فَإِنْ لَمْ تَكُنْ دَعَوْتُهُ؛ لِتُخَاطَبَهُ لِغَيْرِ النَّدَاءِ- أَيْ لِتَذَكَّرَ شَيْئًا بَعْدَ النَّدَاءِ تَرِيدُهُ مِنَ الْمَنَادَى- فَلَا مَعْنَى لِلْكَلامِ، إِنَّمَا تَقُولُ: "يَا زَيْدٌ" فَتَنْبِيْهُهُ بِالنَّدَاءِ ثُمَّ تَقُولُ لَهُ: فَعَلْتَ كَذَا، وَافْعَلْ كَذَا، وَمَا أَحْبَبْتَ مِمَّا لَهُ فِيهِ فَائِدَةٌ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ لِمَنْ هُوَ مَقْبِلٌ عَلَيْكَ: "يَا زَيْدٌ مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعْتَ"، وَلَوْ قُلْتَ لَهُ: "مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعْتَ" كُنْتَ بَلَّغْتَ مِنَ الْفَائِدَةِ مَا أَفْهَمْتَ بِهِ، غَيْرَ أَنَّ قَوْلَكَ "يَا زَيْدٌ" أَوْكَدُ فِي الْكَلَامِ، وَأَبْلَغُ فِي الْإِفْهَامِ. وَكَذَا إِذَا قُلْتَ لِلْمُخَاطَبِ: "أَنَا أَعْجَبُ مِمَّا فَعَلْتَ" فَقَدْ أَفَدْتَهُ أَنَّكَ مُتَعَجِّبٌ، وَلَوْ قُلْتَ: "وَاعْجِبَاهُ مِمَّا فَعَلْتَ"، و"يَا عَجِبَاهُ أَتَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا" كَانَ نِدَاؤُكَ الْعَجَبَ أَبْلَغَ فِي الْفَائِدَةِ، وَالْمَعْنَى "يَا عَجَبٌ أَقْبَلُ فَإِنَّهُ مِنْ أَوْقَاتِكَ"، وَإِنَّمَا نِدَاءُ الْعَجَبِ تَنْبِيْهُ لِيَتِمَّ كُنْ عِلْمُ الْمُخَاطَبِ بِالتَّعَجُّبِ مِنْ فَعْلِهِ، وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ"³.

¹ قُرِئَتْ "حَسْرَةً" عَلَى عِدَّةِ قَرَاءَاتٍ، أَمَّا قَرَاءَةُ الْجُمْهُورِ فِيهِ: "يَا حَسْرَةً" بِالتَّنْكِيرِ مَنْصُوبٍ عَلَى النَّدَاءِ، أَوْ عَلَى تَقْدِيرٍ: "يَا هَؤُلَاءِ اتَّحَسَّرُ حَسْرَةً". وَقَرَأَ أَبُوُّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ: "يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ" عَلَى الْإِضَافَةِ. وَقُرِئَ: "يَا حَسْرَتَا" بِالْأَلْفِ، أَيْ يَا حَسْرَتِي. وَقَرَأَ أَبُو الزِّنَادِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَكْوَانَ الْمَدَنِيُّ، وَابْنُ هَرْمَزٍ، وَابْنُ جَنْدَبٍ، وَعُكْرَمَةُ: "يَا حَسْرَةً" بِسُكُونِ الْهَاءِ فِي الْحَالِ، خَمَلَ فِيهِ الْوَقْفُ عَلَى الْوَصْلِ. وَوَقَفَهُمْ عَلَى الْهَاءِ مِبَالِغَةً فِي التَّحَسُّرِ لَمَّا فِي الْهَاءِ مِنَ التَّأَهُُّهِ وَالتَّأَوُّهِ ثُمَّ وَصَلُوا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ. وَقَالَ الْعَبْكِيُّ: "وَالْوَجْهَ فِيهِ أَنَّهُ نَوَى الْوَقْفَ وَسَكَتَ سَكَتَهُ يَسِيرَةً تَفْخِيمًا لِلأَمْرِ". وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ أَنَّهُ قُرِئَ: "يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا". وَقَرَأَ قَتَادَةُ، وَأَبُو بَنِي كَعْبٍ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: "يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ" بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ. وَقُرِئَ: "يَا حَسْرَةً" بِالضَّمِّ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ. انْظُرْ: الْخَطِيبُ، مَعْجَمُ الْقَرَاءَاتِ، 7: 478-479؛ الْقُنُونِيُّ، الْحَاشِيَّةُ، 16: 122-124؛ الرَّازِيُّ، الْمِفْتَاحُ، 26: 55-56؛ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الدَّرَجَةُ، 9: 259-260.

² الْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ، 8: 23؛ الشُّوكَانِيُّ، الْفَتْحُ، 4: 454-455.

³ الرَّجَّاحُ، الْمَعَانِي، 4: 284-285؛ شَيْخُ زَادَةَ، الْحَاشِيَّةُ، 7: 69-70؛ الْقُنُونِيُّ، الْحَاشِيَّةُ، 16: 121.

وَذَكَرَ الرَّمَخَشَرِيُّ أَنَّ "يا حسرةً على العبادِ" نداءً للحسرة عليهم! كأنما قيل لها: يا حسرة¹ فهذه من أحوالك التي حَقُّكَ أَنْ تحضري² فيها وهي حالٌ استهزأهم بالرَّسْلِ³، والمعنى أنهم أَحَقَّاءُ بأنَّ يتحسَّروا عليهم المتحسِّرون، ويتلَهَّفَ على حالهم المتلهِّفون، أو هو متحسِّروا عليهم مِنْ جهةِ الملائكةِ والمؤمنينِ مِنَ الثَّقَلَيْنِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ من الله⁴ تعالى على سبيل الاستعارة؛ في معنى تعظيم ما جَنَّوْهُ على أَنفُسِهِمْ ومحنوها به، وفرط إنكاره له وتعجُّبه منه. وقراءةٌ مَنْ قَرَأَ "يا حسرتا" تعضدُ هذا الوجهَ وتقويه؛ لأنَّ المعنى: يا حَسْرَتِي⁵.

وهذا ما يُجَلِّيه فاضل السَّامَرائِيُّ حينما يقولُ إِنَّ الحسرةَ هي أَشدُّ النَّدَمِ والغَمِّ، تملأُ صدرَ الإنسانِ؛ حتَّى يكونَ حسيراً منقطعاً لا يستطيعُ فعلَ شيءٍ لِيَتَذَرِكَ ما فاتهُ، ولعلَّ

¹ يذكُرنا هذا المثالُ وغيرُهُ بتقاربٍ على مستوى الدَّلالاتِ والملامحِ بَيْنَ التَّعَجُّبِ والنَّدْبَةِ، وذلك أَنَّ المقامَ مقامُ تعجُّبٍ، وفي المقابلِ مقامُ نَدْبٍ لحالِهِ الَّتِي آلَ إِلَيْهَا؛ فِينادِي الحسرة: كي تَلَزِمَهُ في وقتِهِ العَصِيبِ هذا. ولعلَّنا نستنتجُ من هذا الكلامِ أَنَّ النَّدْبَةَ تحملُ في طَيَّانِها وتراكيبِها معاني التَّعَجُّبِ، خاصَّةً أَنَّ كلَّهما- التَّعَجُّبُ والنَّدْبَةُ- يعكسان تفاعلاً وجدانياً لدى المتعجِّبِ أو النَّادِي. للمزيد: انظر في البند الآخِرَ في البحث: "مواضع النَّدْبَةِ ومدلولاتها القرآنيَّة".

² العكبري، التَّبيان، 2: 295؛ الإملاء، 2: 202؛ الرَّازي، المفاتيح، 26: 55؛ ابن عطية، المحرر، 12: 292؛ ابن عاشور، التَّحرير، 23: 8؛ القيسي، المشكل، 2: 150؛ القرطبي، الجامع، 8: 23؛ أبو السَّعود، الإرشاد، 4: 382؛ النَّسفي، المدارك، 4: 12؛ السَّمين الحلبي، الدرر، 9: 259؛ الألوسي، الرُّوح، 12: 5؛ شيخ زادة، الحاشية، 7: 69؛ القونوي، الحاشية، 16: 121؛ الشُّوكاني، الفتح، 4: 454؛ البقاعي، النِّظم، 16: 117.

³ الطَّبراني، التَّفسير، 5: 279؛ النَّسفي، المدارك، 4: 12؛ الأنصاري، إعراب القرآن، 362؛ المنتجب الهمداني، الفريد، 4: 106.

⁴ الرَّازي، المفاتيح، 26: 55؛ الصَّاوِي، الحاشية، 3: 536؛ المنتجب الهمداني، الفريد، 4: 106.

⁵ الرَّمَخَشَرِيُّ، الكشَّاف، 3: 650؛ أبو حَيَّان، البحر، 9: 60-61؛ الألوسي، الرُّوح، 12: 5؛ الشَّهاب، الحاشية، 8: 17.

المعنى الناتج في هذه الآية القرآنية "يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ" أنه نداءٌ للحسرة مجازاً¹؛ أي أقبلي "يا حسرة" فهذا وقتُ حضوركِ. وهذا الرأي على أشهر الأقوال².

ويأخذ النَّحَّاسُ في هذه المسألة برأي التَّعَجُّبِ مُقْتَفِيًا أثرَ سيبويه، ومشيئاً إلى أن سيبويه كان قد شَرَحَ هذا بأحسنِ شَرْحٍ، ومذهبه أن المعنى إذا قيل: يا عَجَباً فمعناه يا عَجَبٌ هذا من إِبَانِكَ، وَمِنْ أَوْقَاتِكَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَحْضُرَهَا³.

أما المعنى عند الطَّبْرِيِّ فهو: يا حسرةً من العبادِ على أنفسهم وتندماً وتَلَهُّفاً في استهزائهم بالرُّسُلِ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ "بَعْضَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: معنى ذلك: يا لها حسرةً على العبادِ"⁴، أي يُحْمَلُ المعنى على التَّعَجُّبِ.

ولكنَّ ابْنَ عَطِيَّةٍ يُعَلِّقُ على تأويلِ الطَّبْرِيِّ بأنَّه لَيْسَ بِالْيَقِينِ، بل إِنَّ المعنى يَتَّجُهُ إلى أن يَكُونَ تَلَهُّفاً على العبادِ؛ لاقْتِضَاءِ الْحَالِ ذلك؛ فطِبَاعُ كُلِّ بَشَرٍ تَوَجُّبٌ عِنْدَ سَمَاعِهِ حَالَهُمْ وَعَذَابَهُمْ على الكُفْرِ وتَضْيِيعِهِمْ أَمْرَ اللَّهِ أَنْ يُشْفِقَ وَيَتَحَسَّرَ على العبادِ. فالحسرةُ هي التَّلَهُّفَاتُ الَّتِي تَتْرَكُ صَاحِبَهَا حَسِيراً، وَإِنَّ قِرَاءَةَ الْأَعْرَجِ، ومُسْلِمِ بنِ جَنْدَبٍ، وأبي الزَّنَادِ "يا حَسْرَةً" بِالْوَقْفِ على الهاءِ تُظْهِرُ هذا؛ لِلْحَرِصِ على بَيَانِ معنى الحسرة وتقريره للنفسِ، وَالتَّنَطُّقُ بالهاءِ في مِثْلِ هذا أبلغُ في التَّشْفِيقِ وَهَزِّ النَّفْسِ، كقولهم: أَوْهَ ونحوه⁵.

ثُمَّ يَذْهَبُ ابْنُ عَاشُورٍ إلى أَنَّ حَرْفَ النَّدَاءِ هنا؛ إِنَّمَا هو لِمَجَرَّدِ التَّنْبِيهِ على خطرٍ ما بعده؛ لِيَصْغِيَ إِلَيْهِ السَّامِعُ، حَيْثُ كَثُرَ دَخُولُهُ فِي الْجَمْلِ الَّتِي يُقْصَدُ مِنْهَا إِنْشَاءُ مَعْنَى فِي نَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ دُونَ الْإِخْبَارِ، فَيَكُونُ اقْتِرَانُ خَلْقِ هَذَا الْمَعْنَى وَإِنْشَائِهِ بِوَاسِطَةِ حَرْفِ التَّنْبِيهِ؛ إِعْلَانًا

¹ السَّامِينِ الْحَلِيِّ، الدَّرَجَةُ، 9: 259.

² فاضل السَّامِرَائِي، على طريق التفسير البياني، 2: 125؛ معاني النَّحْوِ، 4: 250.

³ النَّحَّاسُ، الإعراب، 2: 451؛ الرَّازِي، المفاتيح، 26: 55.

⁴ الطَّبْرِيُّ، الجامع، 23: 4-5؛ ابن عَطِيَّةٍ، المحرَّر، 12: 292-293؛ القرطبي، الجامع، 8: 23؛ الألويسي،

الزُّوْح، 12: 5؛ الشُّوكَانِي، الفتح، 4: 455؛ أَبُو السَّعُودِ، الإرشاد، 4: 383.

⁵ ابن عَطِيَّةٍ، المحرَّر، 12: 293-294؛ أَبُو حَيَّانٍ، البحر، 9: 60؛ السَّامِينِ الْحَلِيِّ، الدَّرَجَةُ، 9: 260.

بما في نفس المتكلم من مدلول الإنشاء كقولهم: يا خيبة، يا لعنة، يا فرحي، يا ليتني، ونحو قول المرأة مِنْ طَيٍّ من أبيات الحماسة:

فيا ضيعة الفتیان إذ يعتلونّه ببطن الشرا مثل الفينق المسدّم

وقول الشاعر:

يا لعنة الله والأقوام كلّهم والصالحين على سمعان من جارٍ

فإن أصل هذا النداء أنه على تنزيل المعنى المثير للإنشاء منزلة العاقل؛ فيُقصدُ اسمه بالنداء؛ لطلب حضوره، فكان المتكلم يقول: هذا مقامك فاحضر، كما يُنادي مَنْ يقصدُ أمرًا عظيمًا، وينتقل من ذلك إلى كتابة عمّا لحقّ المتكلم مِنْ حاجةٍ إلى ذلك المنادي¹، وهذا هو حال الآية.

وروى العكبري وأبو حيان وغيرهم أنّ المنادي في هذا الآية محذوف، وإنما نُصبت "حسرة" على المصدر؛ والتقدير: "يا هؤلاء تحسروا حسرة"²، أي إنّ "حسرة" نائب عن المفعول مطلق، فجاء بصورة المصدر غير الصريح، وحذف الفعل "تحسروا"³. وقال الشهاب يجوز أن تُعرب "حسرة" مفعولاً به بتقدير الفعل "انظروا"، أو "اسمعوا" المتعدي بواسطة حرف الجر؛ لأنهما لا يتعديان بأنفسهما⁴.

2.8. مواضع الندبة ومدلولاتها القرآنية:

علّمنا فيما سلف أنّ الندبة أسلوب لغوي معروف عند العرب، ويُراد به إظهار التألم والتفجع؛ لفقد شيء ما حقيقةً، أو مجازاً إذ يُرزل منزلة المفقود⁵. وعرفنا أيضًا أنّ له

¹ ابن عاشور، التحرير، 23: 8؛ شيخ زادة، الحاشية، 7: 69-70.

² العكبري، التبيان، 2: 295؛ الإملاء، 2: 202؛ أبو حيان، البحر، 9: 61؛ السمين الحلبي، الدر، 9: 259؛ الشوكاني، الفتح، 4: 454؛ الأنصاري، الإعراب، 362.

³ القونوي، الحاشية، 16: 123؛ الشهاب، الحاشية، 8: 17؛ المنتجب الهمداني، الفريد، 4: 106.

⁴ الشهاب، الحاشية، 8: 17.

⁵ الأشموني، 2: 169-170.

ضوابط تُحدِّدُه؛ كي لا يختلطَ بأساليبَ أخرى، كأسلوب الاستغاثة، أو أسلوب النداء المحض الذي يُرادُّ منه الأقبالُ فَحَسْبُ.

بيد أنَّ الناظرَ إلى الآياتِ القرآنيَّةِ يُلحِظُ أنَّ ثمةَ مواضعَ ترشُّدنا إلى التَّدْبَةِ؛ وذلك - أولاً - من خلالِ القراءاتِ القرآنيَّةِ الدَّاعمةِ لقراءةِ التَّدْبَةِ، وأيضًا من خلالِ السِّياقاتِ المحيطةِ بهذه المواضعِ.

ففي قوله تعالى: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ}¹ يظهرُ للعيانِ، ولأوَّلِ وهلةٍ، أنَّ المعنى الذي يطفو على الأفقِ في عبارة "يا ويلتا" هو معنى التَّعْجُبِ². وهذا حقٌّ لا مرأى فيه، لا سيَّما أنَّ قصَّةَ هذه الآيةِ تدلُّ على دلالةِ التَّعْجُبِ. إنَّها سارةٌ، امرأةُ النَّبيِّ إبراهيمَ، تَعْجَبُ كُلَّ العَجَبِ مِنْ أَنْ تَلِدَ وَلَدًا وَهِيَ عَجُوزٌ³ بلغتِ التَّسعينَ عامًا أو يزيدُ، وزوجُها شيخٌ كبيرٌ⁴، حينما سَمِعَتْ هذا النَّبَأَ مِنَ الملائكةِ الَّذِينَ أَتَوْا يَبْشِرُونَ إبراهيمَ - عليه السَّلام - بميلادِ إسحاق. إذَنْ يُحْمَلُ المعنى الظَّاهِرُ على التَّعْجُبِ مِنْ أَمْرٍ خَارِقٍ للعادةِ⁵. وإلى هذا المعنى أشارَ شيخُ زادَه بقوله: "يا ويلتا" أي يا عجبًا؛ لأنَّ أصلَ الوَيْلِ الخِزْيُ، فيقال: "ويلٌ لفلانٍ" أي خِزْيٌ له مِنْ فِظَاعَةٍ ما ارتكَبَه ممَّا هو شرٌّ في حقِّه، ثم أُطْلِقَ للإيذانِ بورودِ الأمرِ الفِظيعِ مُطْلَقًا شرًّا كانَ أَمْ خَيْرًا؛ تَعْجَبًا مِنْ فِظَاعَتِهِ وخُرُوجِهِ عن حَدِّ أمثاله⁶.

ويؤكِّدُ القونويُّ هذا الرَّأيَ بقوله إن "يا ويلتا" تعني "يا عجبًا"، وكأنَّ المتكلِّمَ يقولُ: اسْتَعْمِلْ ويْلتي. وأُطْلِقْتُ هنا مجازًا؛ لأنَّ ثمةَ قرينةً دالَّةً على استحالةِ معناها الحقيقيِّ: إذْ

¹ القرآن الكريم، هود: 72.

² الرَّمْخِشِيُّ، الكَشَاف، 2: 416.

³ الشُّوكَانِي، فتح القدير، 2: 633.

⁴ الفراء، المعاني، 2: 23؛ فاضل السَّامِراني، على طريق التَّفْسيرِ البَياني، 3: 258.

⁵ درويش، إعراب القرآن، 3: 459.

⁶ شيخُ زادَه، الحاشية، 4: 668؛ أبو حَيَّان، البحر، 6: 183؛ أبو السَّعود، 3: 51.

التبشير المذكور يُنافي الدّعاء بالويل والهلاك على أنّ قولهما-إبراهيم وزوجه سارة- {إنّ هذا لَسَيِّئٌ عَجِيبٌ}، وأنّ قول الملائكة لها {أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} ¹ قرينة واضحة على تعيينه ².

ولكن، إذا عُذنا إلى المفسرين، نرى أنّ جزءاً كبيراً منهم يتحدث عن أسلوب النّديّة في "يا وَيَلْتَا"، فيشير أبو حيّان والألوسي وغيرهما إلى أنّه قيل في ألف "ويِلْتَا" إنّها ألف النّديّة؛ ولذا يُلحَقونها بالهاء، فيقولون "يا ويِلْتَا" ³. ثمّ يقول الرّجّاج إنّ الأصل في "يا ويِلْتَا" هو "يا ويِلْتِي" فأُبدِل من الياء والكسرة الألف ⁴؛ لأنّ الفتح والألف أخفّ من الياء والكسرة ⁵. ويجوز الوقف عليه بغير الهاء "ويِلْتَا"، والاختيار أن يوقف عليه بالهاء "يا ويِلْتَا". وأمّا المصحف فلا يُخالِف، ولا يوقف عليه بغير الهاء فإن اضطرّ واقف وقف بغير الهاء ⁶.

بل إنّ الطّبريّ- شيخ المفسرين- يذهب صراحةً إلى أنّ الصّواب عنده أنّ هذه الألف ألف نديّة، وأنّ الوقوف عليها بالهاء وبغير الهاء جائز في الكلام؛ لاستعمال العرب ذلك في كلامهم ⁷.

¹ القرآن الكريم، هود: 73.

² القنوني، الحاشية، 10: 140.

³ أبو حيّان، البحر، 6: 183؛ الألوسي، روح المعاني، 7: 137؛ درويش، إعراب القرآن، 3: 459.

⁴ فصل الصّاوي في حاشيته إعراب "ويِلْتَا" قائلاً: "والألف مبدلة من ياء الإضافة (يقصد: تحولت من ويِلْتِي إلى ويِلْتَا) أي فيقال في إعرابها "ويِلْتَا": منادى منصوب بفتحة مقدّرة على ما قبل يا المتكلّم المنقلبة ألفاً، منع من ظهورها اشتغال المحلّ بالفتحة النّائبة عن الكسرة لمناسبة الألف، وويلتا مضاف، والألف مضاف إليه مبني على السّكون في محلّ جرّ. انظر: الصّاوي، الحاشية، 2: 373.

⁵ النّحاس، إعراب القرآن، 1: 562؛ الشّوكاني، فتح القدير، 2: 633؛ أبو السّعود، 3: 51؛ القرطبي، الجامع، 5: 65.

⁶ الرّجّاج، معاني القرآن، 3: 63، أبو حيّان، البحر، 6: 183؛ ابن عطية، المحرر، 7: 348-349؛ السّامرائي، على طريق التّفسير البياني، 3: 258.

⁷ الطّبريّ، الجامع، 12: 46.

وعندما نُنْعِمُ النَّظَرَ فيما رواه القراء يتحقَّقُ لدينا- أيضًا- أَنَّ النَّدْبَةَ حَاضِرَةٌ في هذا الموضوع، فقد عَرَضَ عبد الله الخطيب عَرَضًا مُفَصَّلًا للقراءاتِ القرآنيَّةِ، فيتبيَّنُ من خلالها أَنَّ الحديثَ كُلَّهُ يخصُّ النَّدْبَةَ، فقد قرأ رويس في الوقف بخلافٍ عنه "يا ويَلْتَا" بها السَّكْتُ مَعَ المَدِّ المُشْبَعِ، وهذا أَيْبُنُ لِلأَلْفِ، وأَبْعَدُ لِلصَّوْتِ، وذلك لزيادةِ التَّحَسُّرِ. والوجه الثاني لرويس بغيرها، وقال ابنُ الجزري: "والوجهانِ صحيحانِ عن رويس بهما قرأتُ، وبهما أَخَذُ¹. ولعلَّ الَّذي يدعُمُ وجهةَ النَّدْبِ في هذا الموضوع هو حديثُ المفسِّرين أنفسهم في مَعْرِضِ شروحاتهم بأنَّ "ويَلْتَا" لم يُقْصَدْ بها الدَّعَاءُ على النَّفْسِ، ولكنَّها كلمةٌ تقعُ كثيرًا على أفواهِ النِّسَاءِ إذا طَرَأَ عليهنَّ ما يعجبُنَّ منه². وهذا الكلامُ يُحيلُنَا إلى كلامِ النُّحاةِ إنَّفسهم في بابِ النَّدْبَةِ، إذ كانت كُتُبهم تعجُّ بهذه الملاحظاتِ، وها ابنُ يعيش يقولُ: "واعلَمَ أَنَّ النَّدْبَةَ لَمَّا كَانَتْ بُكَاءً وَنَوْحًا بتعدادِ مآثرِ المندوبِ وفضائله، وإظهارِ ذلك ضَعْفٌ وَخَوَرٌ، ولذلك كَانَتْ في الأكثرِ من كلامِ النِّسوانِ؛ لِضَعْفِهِنَّ عن الاحتمالِ، وقَلَّةِ صبرهنَّ"³.

ونرى قسمًا ثالثًا مِنَ المفسِّرين يدمجونَ بَيْنَ معنى التَّعَجُّبِ والنَّدْبَةِ، دونَ أَنْ يذكروا النَّدْبَةَ بصريحِ العبارة، فها هو ابنُ عطيةَ يقولُ: "ومعنى {يَا وَيَلْتَا} في هذا الموضوع: العبارةُ عَمَّا دَهَمَ النَّفْسَ من العَجَبِ في ولادةِ عَجُوزٍ، وأصلُ هذا الدَّعَاءِ بالويلِ ونحوه في التَّفَجُّعِ؛ لشدَّةِ أو مكروهِ بهمُ النَّفْسِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ بَعْدُ في عَجَبٍ يدهمُ النَّفْسَ. وقال قومٌ: إِنَّمَا قالت: "يا ويَلْتَا" لَمَّا مَرَّ بفكرِها من أَلَمِ الولادةِ وشدَّتها، ثُمَّ رجعتُ بفكرِها إلى التَّعَجُّبِ ونطقتُ بقولها: "أَلَيْدُ وَأَنَا عَجُوزٌ"⁴.

ونظنُّ أَنَّ الَّذي عَبَّرَ عن ابنِ عطيةَ في كلامه أَنفًا هي النَّدْبَةُ بعينِها، بدليلِ التَّفَجُّعِ، والدَّعَاءِ بالويلِ؛ مِنَ الشَّدَّةِ الَّتِي ستلحقُها، وتذكُّرِ الآلامِ المحتملةِ جرَّاءِ الولادةِ.

¹ الخطيب، معجم القراءات، 4: 102-103.

² القرطبي، الجامع، 5: 65؛ أبو حيان، البحر، 6: 183؛ الشَّوكاني، الفتح، 2: 633.

³ ابن يعيش، شرح المفصل، 1: 360-359.

⁴ ابن عطية، المحرر، 7: 349.

والمثير في الأمر-لعله رأي رابع- أن ابن عاشور يذهب في تفسيره إلى أن ألف "وئلتا" هي ألف الاستغاثة، بل وصّف هذا الرأي بأنّه الأظهر، مفسّراً ذلك بقوله: "والأظهر أنّها ألف الاستغاثة الواقعة خلقاً عن لام الاستغاثة. وأصله: يا لويلة. وأكثر ما تجيء هذه الألف في التعجّب بلفظ عجب، نحو: يا عجباً، وباسم شيء متعجّب منه، نحو: يا عُشْباً"¹.

وفي موضع آخر جاء قوله تعالى: {..وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُونُسَ مَا جِئْتَنَا بِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ} وفيه تظهِرُ سماتُ النَّدْبِ والأسفِ وأشدّ الحزنِ على ما فات³ على لسانِ النَّبِيِّ يعقوبَ، نادياً ابنه يوسفَ، لما بَلَغَ منه الحزنُ مبلغاً عظيماً؛ بسببِ فراقهِ ليوسفَ؛ فتضاعفتْ أحزانهُ، وهاجَ عليه الوجدُ القديمُ بما أثارته الأخبارُ⁴؛ فجعلَ يتفجّع ويتأسّف⁵، ويقول: "يا حُزْنِي"⁶.

ومناداهُ الأسفَ هنا- كما يقولُ أبو حيّانٍ وابنُ عاشورٍ وغيرُهما- تُحْمَلُ على سبيلِ المجازِ، حيثُ أنزلَ الأسفَ منزلةً مَنْ يعقلُ، قائلاً له: احضرْ أيّها الأسفُ وأقبلْ فهذا أوانُ حضورك⁷، وهذا زمانُك فاقترِبْ. ثُمَّ إنّه أضافَ الأسفَ إلى ضميرِ نفسه⁸، ونسبَهُ إليه؛ دلالةً على عمقِ الحزنِ، والنَّدْبِ.

¹ ابن عاشور، التحرير، 12: 120.

² القرآن الكريم، يوسف: 84.

³ الألوسي، روح المعاني، 7: 409؛ القرطبي، الجامع، 5: 223.

⁴ الشّوكاني، الفتح، 3: 59.

⁵ ابن عطية، المحرر، 8: 49؛ أبو حيّان، البحر، 6: 314؛ التّهر المادّة، 2: 144.

⁶ الرّجّاج، معاني القرآن، 3: 125.

⁷ القرطبي، الجامع، 5: 223؛ أبو السّعود، الإرشاد، 3: 133؛ أبو حيّان، التّهر، 2: 144؛ الشّوكاني، الفتح،

3: 59؛ القنوي، الحاشية، 10: 403.

⁸ أبو حيّان، البحر، 6: 314؛ ابن عاشور، التحرير، 13: 42؛ الرّمخشري، الكشّاف، 2: 489؛ أبو

السّعود، 3: 133.

وَمِنْ بَيْنِ الْوُجُوهِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي عَدَّدَهَا ابْنُ عَطِيَّةٍ كَانَتْ النَّدْبَةُ، فَقَالَ: "يا أسفا على جهةِ النَّدْبَةِ، وَحَدَفَ الْهَاءَ الَّتِي هِيَ فِي النَّدْبَةِ عَلَامَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي الْحَزَنِ تَجَلُّدًا مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ كَانَ قَدْ ارْتَبَطَ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ"¹.

ويرى أبو عبيدة أنَّ مدلول الآية: {يَا أَسْفَا عَلَى يُوسُفَ} خَرَجَ مَخْرَجَ النَّدْبَةِ، فَإِذَا وَقَفْتَ عَنْدَهَا قُلْتَ: "يا أسفاه"، أَمَا إِذَا اتَّصَلَتْ ذَهَبَتْ الْيَاءُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: "يا رَاكِبَا إِمَّا عَرْضَتْ فَبَلَّغْنِ". ثُمَّ يُؤَكِّدُ أَبُو عبيدة أَنَّ الْأَسْفَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى هُوَ أَشَدُّ دَرَجَاتِ الْحَزَنِ وَالتَّندُمِ²، وَهَذَا يَدْعُمُ مَعْنَى النَّدْبَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

وقد روى القرطبيُّ بعضَ الرِّوَايَاتِ، وَاسْتَشْهَدَ بِالشَّعْرِ أَيْضًا؛ كِي يَعْضَدَ الْأَخَذَ بِالنَّدْبَةِ عَلَى الرَّغَمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ النَّدْبَةَ بِصَرِيحِ اللَّفْظِ، فَقَالَ: "قال قتادة والحسن: والمعنى يا حُزْنَاهُ، وَقَالَ مجاهد والضَّحَّاكُ: يا جُزْءَاهُ، وَقَالَ كُثَيْرٌ:

فِيَا أَسْفَا لِلْقَلْبِ كَيْفَ انْصَرَفُهُ وَلِلنَّفْسِ لِمَا سُلِّيتَ فَتَسَلَّتِ"³.

وَتُرْجِعُنَا حِكَايَةَ أَلْفٍ "أسفا" إِلَى حِكَايَةِ أَلْفٍ "وَيْلَتَا"، إِذْ إِنَّ أَصْلَهَا- كَمَا يَقُولُ الرَّجَّاجُ- "يا أَسْفِي" إِلَّا أَنَّ يَاءَ الْإِضَافَةِ يَجُوزُ أَنْ تُبَدَلَ أَلْفًا؛ لِحَقَّةِ الْأَلْفِ وَالْفَتْحَةِ⁴.

وقد تحدَّثَ بعضُ المفسرينَ عَنْ وَجُودِ تَوَافُقٍ لِفْظِيٍّ بَيْنَ "أسفا" و"يوسف"، حِينَمَا عَرْضُوا لِأَصْلِ اسْمِ الْعَلَمِ "يوسف"، فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الْاسْمَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَسْفِ، فَأَصْلُهُ- بِدَايَةِ- يُوسِفُ بِالْهَمْزِ، ثُمَّ حُقِفَ الْهَمْزُ إِلَى الْوَاوِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ

¹ ابن عطية، المحرر، 8: 50.

² أبو عبيدة، مجاز القرآن، 1: 316.

³ القرطبي، الجامع، 5: 223؛ الشوكاني، الفتح، 3: 59.

⁴ الرَّجَّاجُ، معاني القرآن، 3: 125؛ النَّحَّاسُ، إعراب القرآن، 2: 34؛ الشوكاني، الفتح، 3: 59.

كَانَتْ تَنْطِقُهُ بِالْهَمْزِ عَلَى أَصْلِهِ¹. ثُمَّ بَيَّنَ هَؤُلَاءِ الْمَفْسُورُونَ أَنَّ هَذَا التَّجَانِسَ (أَوِ التَّجْنِيسَ) بَيَّنَ لِفُظِّي "أَسْفَا" و"يُوسُفَ" جَاءَ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ؛ مِمَّا يَزِيدُ الْكَلَامَ بَهْجَةً وَإِبْدَاعًا².

وَيَتَبَدَّى لَنَا أَنَّ الْمَوَاطِنَ الَّتِي تُحْمَلُ عَلَى النَّدْبَةِ فِي الْقُرْآنِ تَرَافَقَتْ مَعَ الْ"يَا" دُونَ الْ"وَا"، عَلِمًا أَنَّ الْ"وَا" هِيَ أَكْثَرُ شُهْرَةً وَاسْتِخْدَامًا فِي النَّثْرِ مِنَ الْ"يَا". مِنْ هُنَا فَقَدْ بَيَّنَّ أَوْجَسْتُ فَيْشِرُ أَنَّ النَّدْبَةَ تَكُونُ أَعَمَّ بَعْدَ الْ"يَا"، وَهَذَا مَا تَحَقَّقَ وَقُوعُهُ فِي الْقُرْآنِ، حَيْثُ جَاءَ: "يَا أَسْفَا" وَلَيْسَ "وَأَسْفَا"، وَجَاءَ: "يَا حَسْرَتَا"³ وَلَيْسَ "وَاحْسَرَتَا"، وَكَذَلِكَ: "يَا وَيْلَتَا" وَلَيْسَ "وَإِوَيْلَتَا"⁴.

وَمِنْ الْمَلَاظِ أَنَّ فَاضِلَ السَّامِرَائِيِّ يُصَنِّفُ الْمَوَاضِعَ الْقُرْآنِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ أَعْلَاهُ عَلَى أَتَمِّهَا صَوْرًا لِلتَّعَجُّبِ النَّدَائِيِّ، نَحْوُ: "يَا أَسْفَا" فَإِنَّ فِيهَا مَدًّا لِلصَّوْتِ بِالْأَلْفِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ الْأَسْفِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ نَفْسِ قَائِلِهِ، وَنَحْوُ: "يَا وَيْلَتَا" فَإِنَّهَا أُبْلَغُ مِنْ "يَا لِلْوَيْلِ"؛ لِمَا فِي مَدِّ الصَّوْتِ بِالْوَيْلِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى فُظَاةِ الْوَيْلِ. وَهَذَا -كَمَا يُوَكِّدُ السَّامِرَائِيُّ- أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالنَّدْبَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ مَدِّ لِلصَّوْتِ؛ إِظْهَارًا لِلْحَسْرَةِ وَالتَّوَجُّعِ نَحْوُ: "وَاعْمَرَاهُ"، وَ"وَاكْبِدَاهُ"، مُسْتَدِلًّا بِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ التَّعَجُّبُ بـ"وَا"⁵، نَحْوُ "وَاسْفَا" لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِقْتِرَابِ⁶.

¹ أبو عبيدة، 1: 316.

² الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، 2: 489-490؛ أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ، 6: 314؛ أَبُو السَّعُودِ، 3: 133؛ الْأَلُوسِيُّ، الرُّوحُ، 7: 410.

³ لِلْإِسْتِزَادَةِ انْظُرْ: الرَّجَاجُ، الْمَعَانِي، 4: 358-359؛ النَّحَّاسُ، الْإِعْرَابُ، 2: 529؛ ابْنُ عَطِيَّةٍ، الْمَحْزَرُ، 12: 554-555؛ الْعَبْرِيُّ، التَّبْيَانُ، 320؛ الْإِمْلَاءُ، 2: 215؛ أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ، 9: 213؛ الْهَرُ، 3: 854؛ شَيْخُ زَادَةَ، الْحَاشِيَّةُ، 7: 271-271؛ الْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ، 8: 230-231؛ الْأَلُوسِيُّ، الرُّوحُ، 12: 394-395؛ الشُّوْكَانِيُّ، الْفَتْحُ، 4: 583-584؛ الْقَوْنُوِي، الْحَاشِيَّةُ، 16: 557-558، ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ، 22: 45.

⁴ أَوْجَسْتُ فَيْشِرَ، الْمَعْجَمُ اللَّغَوِيُّ التَّارِيخِيُّ، 19.

⁵ رَجَعْتُ إِلَى ابْنِ هِشَامٍ فِي كِتَابِهِ "مَغْنِي اللَّيْلِبِ" فَوَجَدْتُ أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ اسْتِعْمَالِ لـ"وَا"، قَائِلًا: "وَإِلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ تَكُونَ حَرْفَ نَدَاءٍ مُخْتَصًّا بِبَابِ النَّدْبَةِ، نَحْوُ "وَإِزْدَاهُ"، وَأَجَازَ بَعْضُهُمْ اسْتِعْمَالَهُ فِي النَّدَاءِ الْحَقِيقِيِّ. وَالثَّانِي: أَنَّ تَكُونَ اسْمًا لِأَعْجَبَ (يَقْصِدُ اسْمَ فِعْلٍ بِمَعْنَى أَعْجَبَ)، كَقَوْلِهِ: وَ، بِأَيِّ أَنْتِ وَقُولِكَ الْأَشْئَبِ كَأَنَّمَا ذُرُّ عَلَيْهِ الرِّزْنُ". انْظُرْ: ابْنُ هِشَامٍ، الْمَغْنِي، 2: 425.

⁶ السَّامِرَائِيُّ، مَعَانِي النَّحْوِ، 4: 249.

ثُمَّ يُضَيِّفُ السَّامِرَائِي أَنَّهُ عَلَى مَا يَبْدُو بَأَنَّ التَّعَجُّبَ بزيادةِ الألفِ في آخرِ الكلمةِ أَكْثَرُ ما يَكُونُ فِيمَا كَانَ فِيهِ عاطِفَةٌ قَوِيَّةٌ عَمِيقَةٌ، فَيُمَدُّ الصَّوْتُ إِظهارًا لذلك، نحو: "يا حَسْرَتاه"، و"يا فرحتاه"، ونحو قوله تعالى: "أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ"¹، وهذا مقامُ حَسْرَةٍ لَا يَغْدِلُهَا حَسْرَةٌ.²

2.9. يَنْ حِفْظُ الْمُرْتَبَةِ وَتَأْخِيرُ الْمُنَادَى عَنْ جَوَابِهِ:

الأَصْلُ في تَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ النَّدَائِيَّةِ أَنْ يَتَصَدَّرَ حَرْفُ النَّدَاءِ الْجُمْلَةُ، ثُمَّ يَتَّبِعُهُ الْمُنَادَى، وَمِنْ ثَمَّ يَلِيهِمَا جَوَابُ النَّدَاءِ ظَاهِرًا، أَوْ مُقَدَّرًا، أَيْ إِنَّ مُرْتَبَةَ الْمُنَادَى تَتَقَدَّمُ عَلَى جَوَابِهِ. وَلَكِنْ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَقَعَ فِيهَا الْمُنَادَى مُتَأَخِّرًا عَنْ جَوَابِهِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {قَالَ أَرَأَيْتَ أَنتَ عَنْ آلِيَّيَا إِبْرَاهِيمُ}³.

إِنَّ الْمُنَادَى مَعَ حَرْفِ النَّدَاءِ "يَا إِبْرَاهِيمُ" وَقَعَا بَعْدَ اسْتِفْهَامٍ وَإِنْكَارٍ⁴ وَتَفْرِيعٍ⁵ مِنْ قِبَلِ الْوَالِدِ إِبْرَاهِيمَ (أَزْرَ): لِإِعْزَازِ إِبْرَاهِيمَ وَرَغْبَتِهِ عَنِ الْآلِهَةِ الَّتِي كَانَ يَعْْبُدُهَا قَوْمُهُ⁶، وَتَرْكِهِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ الَّتِي نَسَبَهَا أَبُوهُ إِلَى نَفْسِهِ⁷ عِنْدَمَا قَالَ: "عَنْ آلِيَّي"، وَهُوَ، فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، نَدَاءٌ يَدُلُّ عَلَى التَّعَجُّبِ⁸؛ لِأَنَّ الْأَبَ الْمُتَعَجِّبَ- كَمَا يَقُولُ ابْنُ عَاشُور- مِنْ فِعْلِ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ حُضُورِهِ يُقْصَدُ بِنَدَائِهِ تَنْبِيْهُهُ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ، كَأَنَّهُ فِي غَيْبَةٍ عَنْ إِدْرَاكِ فِعْلِهِ،

¹ القرآن الكريم، الزمر: 56.

² السَّامِرَائِي، المعاني، 4: 250.

³ القرآن الكريم، مريم: 46.

⁴ أَبُو حَيَّان الْأَنْدَلِسِيُّ، الْبَحْرُ، 7: 270؛

⁵ الشُّوكَانِيُّ، الْفَتْحُ، 3: 463.

⁶ النَّبْسَابُورِيُّ، تَفْسِيرُ الْغُرَائِبِ، 4: 491؛ الْجَاوِي، الْمَرَاثِمُ، 2: 11؛ الْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ، 6: 36.

⁷ الطَّبْرَانِيُّ، التَّفْسِيرُ، 4: 212.

⁸ الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، 3: 19؛ الرَّازِيُّ، الْمِفْتَاحُ، 21: 194-195؛ أَبُو السَّعُودِ، الْإِرْشَادُ، 4: 243.

فالمتمكّن يُزَلُّهُ مُزَلَّةُ الغائبِ فيُنَادِيهِ؛ لإرجاعِ رُشْدِهِ؛ لهذا ينبغي الوقفُ في القراءةِ على قوله:
"يا إبراهيم"¹.

وهو نداءٌ- عند كثيرٍ مِنَ المفسرينَ- يحملُ العُنفَ والجفاءَ والغِلظةَ والفظاظةَ²، فناده باسمِهِ "يا إبراهيم" لا بلفظِ الأبوةِ والشفقةِ والعطفِ؛ زيادةً في الإشارةِ إلى المقاطعةِ وتوابعها³، كما أَنَّهُ لَمْ يُقَالْ بما نادى به إبراهيمُ أباه "يا أبت" بـ"يا بُيَّ"⁴؛ بل أَخَرَهُ بعدَ الجملةِ التَّوبيخِيَّةِ؛ لإظهارِ الاستكراهِ⁵، ولِعَدَمِ الاعتناءِ به والالتفاتِ إِلَيْهِ بعدَمَا تَلَطَّفَ إبراهيمُ به غايةَ التَّلَطُّفِ⁶، فَدَلَّ ذلكَ على أَنَّهُ قاسي القلبِ، شديدُ التَّصَلُّبِ في الكفرِ⁷.

ولعلَّ ذلكَ يظهرُ جليًّا مِنْ خلالِ سياقِ الآيةِ بما سَبَقَها مِنْ آياتٍ، فقد خاطَبَ إبراهيمُ أباه بنداواتٍ متتاليةٍ يُسْتَشْفُ منها استعمالُ المجاملةِ، واللُّطْفِ، والرِّفْقِ، واللِّينِ، واستعطافِ الابنِ- النَّبِيِّ- على أبيه⁸ الَّذي لا يزالُ يَتَنَكَّرُ لَهُ، ويتوعَّدهُ بالهجرانِ، والتَّعْذِيبِ⁹، حيثُ قال تعالى: (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١١١﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١١٢﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١١٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١١٤﴾.

¹ ابن عاشور، التَّحْزِيرُ، 16: 119.

² الصَّاوِي، الحاشية، 3: 67-68.

³ البقاعي، نظم الدَّر، 12: 207.

⁴ الدَّرَّة، 8: 403، الخطيب الشَّربيني، السَّراج، 2: 474.

⁵ القنوي، الحاشية، 12: 242.

⁶ الشَّهاب، العناية، 6: 279.

⁷ ابن عاشور، 16: 118.

⁸ الرَّمْخُسَرِي، الكَشَاف، 3: 18-19؛ البقاعي، الدَّر، 12: 204.

⁹ الرازِي، المَفَاتِيح، 21: 195.

¹⁰ القرآن الكريم، مريم: 41-45.

إِذَنْ، فَإِنَّ تَكَرَّرَ النَّدَاءُ بِأَسْلُوبِ اللَّيْنِ، وَالْوُدِّ، "يَا أَبْتَ" الَّذِي يُشِيرُ إِلَى مُحَاوَلَةِ الاسْتِمَالَةِ الْقَلْبِيَّةِ¹ مِنْ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَاسْتِعْطَافِهِ² دُونَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ³؛ زِيَادَةً فِي الاحْتِرَامِ، حَتَّى لَوْ كَانَ كَافِرًا، وَأَيْضًا بِتَقْدِيمِ الْمُنَادَى عَلَى جَوَابِهِ؛ كَنُوعٍ مِنَ الْاهْتِمَامِ بِالْمُنَادَى، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذَا، يَأْتِي نَدَاءُ الْأَبِ لِابْنِهِ حِينَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ- كَمَا يَذْكُرُ الرَّمَخْشَرِيُّ- بِفُضَاظَةِ الْكُفْرِ، وَغِلْظَةِ الْعِنَادِ، فَنَادَاهُ بِاسْمِهِ⁴، وَأَخْرَجَهُ؛ تَقْلِيلًا مِنْ شَأْنِ الْمُنَادَى، وَعَدِمَ الْاِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ⁵.

مِنْ هُنَا، تَشِيرُ الْبَاحِثَةُ حَفِيزَةُ شَابَسُوعَ إِلَى أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ أُسْلُوبَانِ مُتَنَاقِضَانِ لِلنَّدَاءِ الَّتِي وَجَّهَتْ مِنْ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، وَمِنْ أَبِيهِ إِلَيْهِ، وَهُمَا: أُسْلُوبُ نَدَاءِ الْابْنِ لِأَبِيهِ، الَّذِي اتَّسَمَ (الْأُسْلُوبُ) بِالنُّصُوحِ وَالْإِشْرَادِ، وَالتَّنْبِيهِ لِتَرْكِ الْكُفْرِ، وَالتَّخْوِيفِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَأُسْلُوبُ نَدَاءِ الْأَبِ لِابْنِهِ، الَّذِي اتَّسَمَ (الْأُسْلُوبُ) بِالْغِلْظَةِ وَالتَّهْدِيدِ وَالطَّرْدِ⁶.

وَإِذَا تَتَبَعْنَا مَا جَاءَ فِي سُورَةِ "طه" نَلْحَظُ صُورَةً نَدَائِيَّةً مُمَيَّزَةً فِيهَا، وَهِيَ كَثْرَةُ تَأْخِيرِ حَرْفِ النَّدَاءِ وَالْمُنَادَى عَنْ جَوَابِ النَّدَاءِ، وَهُوَ بِحَدِّ ذَاتِهِ أَمْرٌ لَافِتٌ، لَيْسَ لَعَدَدِ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فَحَسْبِ، بَلِ لِمَا يَرْتَبِطُ بِالْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ لِهَذِهِ الْآيَاتِ، حَيْثُ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا تِلْكَ بِتَمِيمِنِكَ يَا مُوسَى}⁷، وَقَوْلُهُ: {قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى}⁸، وَقَوْلُهُ أَيْضًا فِي السُّورَةِ نَفْسِهَا: {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى}⁹، وَأَيْضًا: {...فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ

¹ النِّيسَابُورِيُّ، الْغُرَانِبِ، 4: 490.

² الْقُنُونِيُّ، 12: 242.

³ شَيْخُ زَادِهِ، الْحَاشِيَّةُ، 5: 555-556.

⁴ الرَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ، 3: 19؛ الرَّازِيُّ، الْمِفَاتِيحُ، 21: 194.

⁵ النِّيسَابُورِيُّ، الْغُرَانِبِ، 4: 491.

⁶ شَابَسُوعَ، 260؛ الْبَقَاعِيُّ، 12: 204-205؛ الشُّوْكَانِيُّ، الْفَتْحُ، 3: 462-463؛ الْجَرَجَانِيُّ، دَرَجُ الدَّرَرِ، 3:

1176.

⁷ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، طه: 17.

⁸ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، طه: 19.

⁹ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، طه: 36.

عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى¹، وكذلك: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى}²، وقوله: {قَالَ أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا يَا مُوسَى}³، وقوله أيضًا: {وَمَا أَغْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى}⁴، فنرى في هذه المواضع أنَّ حرفَ النداء والمنادى "يا موسى" جاء في هذه الآيات متأخِّرَيْنِ عَنْ جوابِ النداء، وهو مُخَالِفٌ لِلأَصْلِ كما أَشْرُتُ سَابِقًا.

في حين عَرَضَ بعضُ المفسِّرينَ لهذه الظَّاهِرةِ، حيثُ قالَ الخطيبُ الشَّربينيُّ وغيرُهُ في تفسيرِ الآيةِ: {وَمَا تِلْكَ بِمِيمِنِكَ يَا مُوسَى}⁵ إِنَّ تَأخِيرَ المنادى في هذا الموضعِ إنّما هو لزيادةِ الاستئناسِ والتَّطمِينِ والتَّنْبِيهِ⁶، أي كَيْ يَسْتَأْنِسَ موسى- عليه السَّلام- بما سيُشَاهِدُهُ مِنْ معجزةٍ عظيمةٍ، ولكي يُنَبِّهَهُ على أَنَّ الأمرَ ليسَ بمُسْتَحِيلٍ، وينبِّهَهُ، أيضًا- على عدمِ الخوفِ والخَيْرَةِ، بل- كما عَقَّبَ البِقَاعِيُّ- ليزدادَ موسى بهذا تَبَاتًا بِنَفْسِهِ، وَلِيُثَبِّتَ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْ يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ⁷.

وذكرَ أبو حَيَّانِ الأندلسيُّ أَنَّ النداءَ على هذا النُّحْوِ، في الآيةِ السَّابِقَةِ، هو تَقْرِيرٌ مُضْمَنُهُ التَّنْبِيهِ، وجمعَ النَّفْسِ لما يوردُ عليها، وقد عَلِمَ تعالى في الأزلِ ما هي وإِنَّمَا سَأَلَهُ لِإِبْرَاهِيمَ عِظَمَ ما يَخْتَرَعُهُ عَزَّوَجَلَّ في الخَشَبَةِ اليَابِسَةِ من قَلْبِهَا حَيَّةً نَضْناضَةً، وَيُنَبِّهَهُ على قُدْرَتِهِ البَاهِرَةِ⁸.

¹ القرآن الكريم، طه: 40.

² القرآن الكريم، طه: 49.

³ القرآن الكريم، طه: 57.

⁴ القرآن الكريم، طه: 83.

⁵ القرآن الكريم، طه: 17.

⁶ الشَّربيني، السَّراج، 2: 503؛ الشَّهاب، العناية، 6: 337؛ شيخ زاده، الحاشية، 5: 606؛ المظهري، التفسير، 6: 60؛ الشَّراوي، التفسير، 15: 9248.

⁷ البقاعي، نظم الدرر، 12: 280.

⁸ أبو حَيَّانِ الأندلسي، البحر، 7: 321.

ويقول الشوكاني (....1250هـ، ...1834م) في تأخير المنادى في السّورة نفسها: "لتشريفه بالخطاب مع رعاية الفواصل"¹.

ويؤكد الرازي أنّ النداء ها هنا كان إكرامًا لنبيّ الله موسى، فقلّب العصا حيّةً مزيدًا في الكرامة؛ ليكون توالي الخلع والكرامات سببًا لزوال الوحشة عن قلبه². ولعلّ الرازي قصّد من ذلك أنّ مقام تحويل العصا إلى أفعى أمام ناظري موسى- عليه السّلام- هو مقام رهبة وخوف، فجاء اسمه منادى به غير متصدّر به؛ لإزالة الرّوع الذي قد يُصيب موسى في بداية تلقيه وسماعه، ولكنّ المنادى "يا موسى" أُرِدَفَ به؛ للطّمأننة والتّنفيس والتّخفيف، وإزالة الوحشة³، وكأنّ الله يقول لنبيه موسى: لا تخفّ ما دُمْتُ مَعَكَ. ويتمثّل ذلك خلال المدّ الصوتيّ لحرف النداء "يا" والمدّ الصوتيّ للألف المقصورة في المنادى "موسى" إشعارًا من الله بأنّه لن يتخلّى عن نبيّه بدايةً وآخرًا، بدليل قوله: {..خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}،⁴ فالخوف طبع بشريّ، ولكنّ الله علّل له النّهي عن الخوف بـ{سَنُعِيدُهَا} لا سيّما أنّ الذي يُخاطبُك، "يا موسى" هو ربّك؛ فنزلت عليه السّكينة، وبلّغ من طمأنينته أنّ أدخل يده في فمها وأخذ بلحيتها، فإذا هي عصاه، ويده بين شعبتها⁵.

ويضيف ابن عاشور إلى أنّ القصّد من هذا التّركيب هو زيادة اطمئنان قلب موسى بأنّه في مقام الاصطفاء، وأنّ الكلام الذي سمّعه كلامٌ من قِبَلِ الله دون واسطة متكلّم معتاد، ولا في صورة المعتاد، كما دلّ عليه قوله تعالى بعد ذلك: {لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى}،⁶ إذن، فثمّة محاورّة ها هنا جيء بها؛ لتثبيت موسى، ودفع الشكّ عن أنّ يتطرّفه لو أمره بذلك

¹ الشوكاني، الفتح، 500.

² الرازي، مفاتيح الغيب، 11: 29.

³ الطبراني، التفسير الكبير، 4: 235.

⁴ القرآن الكريم، طه: 21.

⁵ البقاعي، نظم الدرر، 12: 282؛ شيخ زاده، الحاشية، 5: 608-609؛ الألوسي، روح المعاني، 12: 245-

246.

⁶ القرآن الكريم، طه: 23.

دونَ تجربةٍ؛ لأنَّ مشاهدَ الخوارق تُسارعُ بالنَّفْسِ بادئِ ذي بدءٍ إلى تأويلها وتُدخلُ عليها الشَّكَّ في إمكانِ استتارِ المعتادِ بساترٍ خفيٍّ، أو تخييلٍ؛ فلذلك ابْتُدِيَ بِسؤالِهِ عَمَّا بِيَدِهِ؛ لِيُوقِنَ أَنَّهُ مُمَسِّكٌ بعصاهُ حتَّى إذا انقلبَتْ حَيَّةٌ لم يَشْكُ في أَنَّ تلكَ الحَيَّةَ هي الَّتِي كَانَتْ عصاهُ، فالاستفهامُ "وما تلكَ بيمينك" مستعملٌ في تحقيقِ حقيقةِ المسؤولِ عنه¹.

ويعتقدُ حلبي مرزوق أنَّ هذا الموضعَ القرآنيَّ هو أحدُ ألوانِ خروجِ معنى النداءِ المصحوبِ بالاستفهامِ إلى معانٍ أخرى، فإنَّ قوله "وما تلكَ بيمينك يا موسى" هو استخبارٌ والمرادُ به الإفهامُ، فقد عَلِمَ اللهُ أَنَّ لهذه العصا أمرًا قد خَفِيَ عن موسى، فأعلَمَهُ من حالِها ما لم يعلمُ².

وفي موضعٍ آخَرَ يتحدَّثُ محيي الدِّين شيخُ زاده حَوْلَ مَلَمَحِ التَّنْبِيهِ في الآية {..فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} ³ فَيُبَيِّنُ أَنَّ هذا التَّكرارَ في المناداةِ "يا موسى" غايتهُ لَفَتْ الانتباهِ والتَّنْبِيهِ⁴؛ لِمَا يتضمَّنُهُ سياقُ الآية؛ ولإظهارِ قُدْرَةِ اللهِ وَقَدَرِهِ؛ فما حَصَلَ لموسى مِنَ الأحوالِ المتغيِّرةِ كان مُقَدَّرًا مِنَ اللهِ ⁵ تقديرًا مناسبًا متدرِّجًا، فتكونُ أعمالُهُ وأحوالُهُ قد قَدَّرَهَا اللهُ وَحَدَّدَهَا تحديدًا منظمًا لأجلِ اصطفايِهِ، والقَدَرُ هنا- كما يقولُ ابنُ عاشور- كنايةٌ عَنِ العِنايةِ الإلهيَّةِ بتدبيرِ إجراءِ أحوالِهِ على ما يُسْفَرُ عَنْ عاقِبَةِ الخَيْرِ⁶، فاختُتِمَتِ الآيةُ بالنداءِ "يا موسى"؛ تنبيهًا لِمَا فيها مِنْ معانٍ، وإشعارًا بالأُمْنِ والاطمئنانِ لِمَا هو آتٍ، وتشريعًا له بما وَقَعَ مَعَهُ⁷.

¹ ابن عاشور، التَّحْزِير، 16: 204-205؛ الشَّعْرَاوِي، التَّفْسِير، 15: 9256.

² حلبي مرزوق، في فلسفة البلاغة العربيَّة- علم المعاني (الإسكندريَّة- دار الوفاء، 2004)، 184.

³ القرآن الكريم، طه: 40.

⁴ شيخ زاده، الحاشية، 5: 619؛ الشَّهاب، العناية، 6: 349؛ الألوسي، روح المعاني، 12: 245.

⁵ الطَّبْرَانِي، التَّفْسِير الكبير، 4: 240.

⁶ ابن عاشور، التَّحْزِير، 16: 222؛ الشَّعْرَاوِي، التَّفْسِير، 15: 9274.

⁷ الألوسي، روح المعاني، 12: 265-266.

ونستطيع أن نخلص- عبّر اختتام الآيات بالنداء المسبوق بجوابه- إلى ما خلاص إليه فاضل السامرائي بأن القرآن يُقدِّم الألفاظ ويؤخِّرُها حسبما يقتضيه المقام وسيأق القول، وإنَّما التَّقديمُ يكونُ للعناية والاهتمام، فما كانت عنايته أكبرَ قدَّمته في الكلام. والعناية باللفظة لا تكونُ من حيثُ إنَّها لفظةٌ معيَّنة، بل قد تكونُ العناية بحسبِ مقتضى الحال؛ ولذا كان عليك أن تقدِّمَ كلمةً في موضعٍ، ثمَّ تؤخِّرَها في موضعٍ آخر؛ لأنَّ مراعاةً مقتضى الحال تقتضي ذلك وتستدعيه¹.

وهذا ما لمَّحَ إليه أيضاً رشيد بلحبيب حينما قال إنَّ النِّحاة جعلوا التَّقديم والتَّأخير عدولاً عن الأصل، وهو يدخل في باب "التَّرخُّص عند أَمْنِ اللَّبس"، مع الإشارة إلى أنَّ هذا التَّرخُّص يخضع لقيود في مقدِّمتها حصولُ الفائدة، أو أَمْنِ اللَّبس عند حصولِ العدول². وهذا يُفضي إلى أنَّ تأخير المنادي عن جوابِ النداء هو عدولٌ عن الأصل، ولكن ثمة فائدة وقعت في سياق الآيات السَّابقة؛ لمحتوى مضامينها ومقاصدها، فأصبح- كما أرى- العدول (الفرع) أصلاً؛ وذلك لأنَّ بواسطته تتحقَّقُ مراعاةُ الحال، ويتمحورُ بداخله مبدأُ العناية والاهتمام- كما قال الجرجاني.

ويلاحظُ محمَّد أبو موسى أنَّ القرآن حين يُراعي الفاصلة ويُبقي على تنعيمها إنَّما يحفظُ وسيلةً من أقوى وسائله في التأثير؛ لأنَّ رنينَ الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها هي بمثابة لغة تتغلغل في النَّفس فتغدو صوتاً تهْدجُ فيه ألحانُ الفواصل القرآنيَّة. إنَّها لغةُ ترنُّم، فإذا فرغت العربُ فإنَّهم يُلحِقون الألفَ والواوَ والياءَ ما ينوَن وما لا ينوَن لأنَّهم أرادوا مدَّ الصَّوت، ومدَّ الصَّوت وسيلةٌ من وسائل تهْدئة النَّفس حين تمتلئ إحساساً بالفكرة، أو تختلجُ بألوانٍ من الشَّعور، وكأنَّهم اتخذوا من كلمات هذه اللِّغة أوتاراً فكانت أشجى لحناً وأعذب نغمًا.

¹ فاضل السامرائي، التَّعبير القرآني (عمان: دار عمار، 2007)، 51-53.

² رشيد بلحبيب، ضوابط التَّقديم وحفظ المراتب في النَّحو العربي (وجدة: جامعة محمَّد الأوَّل- كَلْبَة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، 1998).

ثُمَّ إِنَّ التَّمَوُّجَ فِي الْعِبَارَةِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْإِمْتِلَاءِ النَّفْسِيِّ الدَّافِقِ، يَأْتِي هَذَا التَّمَوُّجُ فِي الْأَنْعَامِ حَادًّا صَاحِبًا إِذَا كَانَ الْحَسُّ الْبَاطِنِيُّ مِنْ هَذَا النَّوعِ، وَيَأْتِي هَادئًا حَالِمًا إِذَا كَانَ هَذَا الْحَسُّ كَذَلِكَ، بِمَعْنَى أَنَّ ثَمَّةَ رِبْطًا بَيْنَ حَالِ الْأُسْلُوبِ وَحَالِ النَّفْسِ؛ لِهَذَا نَجِدُ أُسْلُوبَ الْقُرْآنِ يُخَالِفُ النَّمَطَ الْمَعْتَادَ أحيانًا؛ لِيَحْفَظَ هَذَا النَّعْمَ، خَاصَّةً لَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ انْسِجَامًا مَعَ مَعْنَى الْآيَاتِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا¹.

وَيَجْمَعُ بَكْرِي شَيْخَ أَمِينَ بَيْنَ الْوُضُوفِ الْإِيقَاعِيَّةِ وَبَيْنَ الْوُضُوفِ الدَّلَالِيَّةِ لِلْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، إِذْ إِنَّ الْفَاصِلَةَ تَحْمِلُ شَحْنَتَيْنِ فِي آيٍ وَاحِدٍ، شَحْنَةً مِنَ الْوَقْعِ الْمَوْسِيقِيِّ، وَشَحْنَةً مِنَ الْمَعْنَى الْمَتَمِّمَةِ لِلآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، بِمَعْنَى أَنَّ شَحْنَةَ النَّعْمِ تَتَوَافَقُ وَشَحْنَةَ الْمَعْنَى، فَتَجَلَّى بَارِزَةً عَنْ إِنْعَامِ النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ وَمَا حَمَلَتْ مِنْ فِكْرٍ، وَالْخَاتَمَةُ دَائِمًا مَنْسَجَمَةٌ كُلَّ الْإِنْسِجَامِ مَعَ تِلْكَ الْمَعَانِي².

وَيُجَلِّي شَيْخُ أَمِينُ أَهَمِّيَّةَ الْفَاصِلَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ، فَيَقُولُ إِنَّ الْفَاصِلَةَ الْقُرْآنِيَّةَ كَالْفَاصِلَةِ الشَّعْرِيَّةِ، لِهَذَا فَإِنَّ الْعَرَبِيَّ الصَّمِيمَ، صَاحِبَ الذَّوْقِ اللَّغَوِيِّ الْمَرْهَفِ يُدْرِكُ مَكَانَةَ الْفَاصِلَةِ، وَمَوْقِعَهَا، وَمَا تَتَرَكَّبُ مِنْهُ، بَلْ وَمَا تَزِيدُهُ عَلَى نَظِيرَتِهَا بِشَحْنَةِ الْمَعْنَى، وَوَفْرَةِ النَّعْمِ، وَالسَّعَةِ فِي الْحَرَكَةِ الْحُرَّةِ³.

إِذَنْ، فَدَلَالَةُ الصَّوْتِ (صَوْتِ حَرْفِ النَّدَاءِ الْيَاءِ، وَمَوْسَى الْأَسْمِ الْمَقْصُورِ مَعَ الْمَدِّ الصَّوْتِيِّ) عَلَى الْمَعْنَى لَيْسَتْ مَجْرَدَةً مِنَ الدَّلَالَةِ النَّفْسِيَّةِ، إِذْ يَأْتِي الْمَعْنَى مَشْحُونًا بِدَلَالَاتٍ نَفْسِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، انْطِلَاقًا مِنَ التَّنَاعُمِ بَيْنَ الْبَنِيَّةِ الدَّلَالِيَّةِ وَبَيْنَ الْبَنِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ، وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ مَادَّةَ الصَّوْتِ هِيَ مَظْهَرُ الْإِنْفِعَالِ النَّفْسِيِّ، وَأَنَّ هَذَا الْإِنْفِعَالُ هُوَ سَبَبٌ فِي تَنْوِيعِ

¹ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ أَبُو مُوسَى، خُصَائِصُ التَّرْكِيبِ - دَرَسَةُ تَحْلِيلِيَّةٌ لِمَسَائِلِ عِلْمِ الْمَعَانِي (الْقَاهِرَةُ: مَكْتَبَةُ وَهْبَةِ، 2006)، 361-359.

² بَكْرِي شَيْخُ أَمِين، التَّعْبِيرُ الْفَنِّي فِي الْقُرْآنِ (الْقَاهِرَةُ: دَارُ الشَّرْقِ، 1973)، 201-202.

³ بَكْرِي شَيْخُ أَمِين، التَّعْبِيرُ الْفَنِّي فِي الْقُرْآنِ، 203؛ 206.

الصَّوْتِ بما يخرجُه فيه مدًّا، أو لِينًا، أو شِدَّةً، وبما يَبْهِي له من الحركاتِ المختلفةِ في اضطرابِه وتتابعِه على مقادير تُناسِبُ ما في النَّفْسِ من أصولِها¹.

كما يذكُرُ نعيم اليافي أنَّه ما دامَ الصَّوْتُ الإيقاعيُّ في القرآن الكريم يهدفُ إلى أَيْصالِ المعنى بوساطَةِ الإيقاعِ المؤثِّرِ فلا يُمْكِنُ أَنْ نَفْصَلَ بَيْنَ إيقاعِ الصَّوْتِ والنَّفْسِ البشريَّةِ؛ لأنَّ موسيقى القرآن تُعَبِّرُ عن حالاتِ النَّفْسِ وترتبطُ بحركةِ شعورها².

ويُشيرُ عمر عتيق إلى أنَّ بعضَ النَّحاةِ المحدثين يربطون بَيْنَ الدَّذِيباتِ الصَّوْتِيَّةِ والأثرِ النَّفْسِيِّ للصَّوْتِ، ويؤكدُ أنَّه قد ثُبِتَ علميًّا أنَّ للصَّوْتِ اهتزازاتٍ محسوسةً في موجاتِ الهواءِ تنطلقُ مِنْ جِهَةِ الصَّوْتِ فتتذبذبُ مِنْ مصانعِه المُصدِّرةِ له، وتسبحُ في الفضاءِ حتَّى يستقرَّ الجزءُ الأكبرُ منها في السَّمْعِ بحسبِ درجةِ تذبذبِها، فتوحى بدلائلِها فَرْحًا، أو حزنًا، أو مَهْنًا، أو أَمْرًا، أو خَبَرًا، أو إنْشاءً، أو صَدًى، أو موسيقى، ممَّا يفسِّرُهُ التَّشَابُكُ العصبِيُّ في الدِّماغِ، فيترجمُهُ الحسُّ المتوافرُ في أجهزَةِ المَخِّ بكلِّ دقائقها³.

2.10. جواب النِّداء:

يشتركُ المَنادى مَعَ غَيْرِهِ من الأساليبِ العربيَّةِ في لحاقِه بجوابٍ بعد استيفاءِ رُكني جملةِ النِّداءِ الأساسيين، وهما حرفُ النِّداءِ، والمَنادى؛ ولهذا ينطلقُ النُّحاةُ مِنْ حَقِيقَةِ مفاذِها أنَّ الأصلَ في جملةِ النِّداءِ أنَّها تنقسمُ إلى ثلاثةِ أركانٍ، وهي حرفُ النِّداءِ (الأداة)، والمَنادى، وجوابُ النِّداءِ، نحو: {يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...}⁴، ونحو: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...}⁵.

¹ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (المنصورة: مكتبة الإيمان، 1997)، 183-184.

² نعيم اليافي، "عودة إلى موسيقى القرآن"، مجلة التراث العربي، 25 (1986)، 26.

³ محمَّد عبد الهادي عتيق، ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم- التَّركيب والرَّسم والإيقاع (إربد: عالم الكتب الحديث، 2010)، 411.

⁴ القرآن الكريم، البقرة: 35.

⁵ القرآن الكريم، النساء: 1.

ويتعيّن بذلك أنّ هذا هو الأصل (أو الغالب) في تركيب النداء، بل إنّ بعض النحاة كان يُقدّر جواباً لجملة ندائية لم تحتوِ إلا على حرف نداء ومنادى، نحو: "يا محمد" فأشاروا إلى أنّ هناك جواباً مقدّراً بـ "أقيل"، أو "تعال"، أو "اقترّب"...

2.10.1. دلالة الطلب والأمر:

يُشير النحاة والمفسّرون إلى أنّه غلب أنّ يلي النداء أمرٌ، أو نهْيٌ¹، أو استفهامٌ، أو إخبارٌ بحكم شرعيّ²، وهم يقصدون بذلك جواب النداء. وعندما نتابع الآيات القرآنيّة الخاصّة بتركيب النداء نلاحظ أنّ جزءاً كبيراً منها كان جواب النداء فيها طلباً، أو أمراً. ولعلّ في ذلك توافقاً- فيما أرى- بين إحدى مفاهيم النداء من جهة ويُنّ دلالات الأمر أو الطلب من جهة أخرى، لا سيّما أنّ كلا الأسلوبين- النداء والأمر- هما أسلوبان إنشائيان طلبيان، وهذا ما يوطّر حلقة الوصل بينهما ويوطّدها.

وبما أنّ المجلد العامّ لجواب النداء يحوي طلباً أو أمراً فإنّني ألفتُ الانتباه إلى ما تحدّث به علماء الأصول حول دلالة الأمر في اللّغة العربيّة، وبما أحاطوه من عناية واضحة، فعلى سبيل المثال ذكر الزركشي ثلاثاً وثلاثين دلالةً لفعل الأمر، وإنّ دلّ ذلك على شيءٍ فإنّما يدلّ على اهتمام علماء الأصول باكتناز طرائق أسلوب الأمر والخطاب المختلفة؛ لأنّه ترتّب عليه أحكام هامّة، ومعانٍ متغيرة.

ومن أهمّ المعاني التي ذكرها علماء الأصول في استعمال صيغة الأمر:

¹ فتحي أحمد عامر، المعاني الثمانية في الأسلوب القرآنيّ (الإسكندريّة: منشأة المعارف بالإسكندريّة، 1976)، 386.

² بسيوني فيّود، علم المعاني، 114.

³ محمد بن عبد الله الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه (بيروت: دار الكتب العلميّة، 200)، 2: 92-98؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المنخول من تعليقات الأصول (دمشق: دار الفكر، 1998)، 201-205؛ فخر الدّين محمد بن عمر الرازي، المحصول في علم أصول الفقه (بيروت: المكتبة العصريّة، 1999)، 1: 264-267؛ شهاب الدّين أحمد بن إدريس القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول

1. الوجوب (أو الإيجاب) ، نحو قوله تعالى: {وأقيموا الصَّلَاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ} ¹.
2. النَّدْب، نحو قوله تعالى: {فَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} ²، وقول الرَّسُولِ- عليه السَّلَامُ: "كُلِّ مِمَّا يَلِيكَ" ³.
3. الدَّعَاء، نحو: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ⁴، ونحو: {رَبِّ اغْفِرْ لِي} ⁵.
4. الإِبَاحَة، نحو: {كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ} ⁶، وقوله: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا} ⁷.
5. الإِرشَاد، نحو: {وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ} ⁸.
6. التَّأْدِيب، نحو: {وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} ⁹.
7. التَّمْيِي، نحو قول امرئ القيس: "أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي".

(بيروت: المكتبة العصرية، 1999)، 3: 1234-1226؛ أبو زُرْعَة أحمد العراقي، الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2000)، 1: 255-250؛ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (القاهرة: دار السلام، 2006)، 1: 301-299؛ محمد بن محمد بن محمود البابرّي، شرح التلخيص (طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1983)، 363-362، يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (مصر: مطبعة المقتطف، 1914)، 3: 284-281؛ محمد كريم الكوازي، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم (بنغازي: مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1997)، 373-369.

¹ القرآن الكريم، البقرة: 43.

² القرآن الكريم، النور: 33.

³ رواه البخاري في "كتاب الأطعمة"، ومسلم في "كتاب الأشربة".

⁴ القرآن الكريم، الفاتحة: 6.

⁵ القرآن الكريم، الأعراف: 151.

⁶ القرآن الكريم، المؤمنون: 51.

⁷ القرآن الكريم، المائدة: 2.

⁸ القرآن الكريم، الطلاق: 2.

⁹ القرآن الكريم، البقرة: 237.

8. الوَعْدُ والبُشْرَى، نحو: {وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} ¹.
9. الوعيد والتهديد، نحو: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} ².
10. التّعجيز، نحو: {فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ} ³، ونحو: {كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا} ⁴.
11. الإهانة، نحو: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ} ⁵.
12. التَّسْوِية، نحو: {فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا} ⁶.
13. الإكرام، نحو: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ} ⁷.
14. الاحتقار، نحو: {أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ} ⁸.
15. التَّكْوِين، نحو: {كُنْ فَيَكُونُ} ⁹.
16. الامتنان، نحو: {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} ¹⁰.
17. الإنذار، نحو: {كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا} ¹¹.
18. التَّسْخِير، نحو: {كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} ¹².
19. الخبر، نحو: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} ¹³.

¹ القرآن الكريم، فُصِّلَتْ: 30.

² القرآن الكريم، فُصِّلَتْ: 40.

³ القرآن الكريم، البقرة: 23.

⁴ القرآن الكريم، الإسراء: 50.

⁵ القرآن الكريم، الدخان: 49.

⁶ القرآن الكريم، الطَّور: 16.

⁷ القرآن الكريم، الحجر: 46.

⁸ القرآن الكريم، الشعراء: 43.

⁹ القرآن الكريم، يس: 82.

¹⁰ القرآن الكريم، النحل: 114.

¹¹ القرآن الكريم، المرسلات: 46.

¹² القرآن الكريم، البقرة: 65.

¹³ القرآن الكريم، التَّوْبَة: 82.

20. التّكذيب، نحو: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ}¹.
21. التّعجب، نحو: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ}²، وكقول العرب: "أَكْرَمَ بَرِيدٌ".
22. التّفويض، نحو: {فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ}³.
23. المشورة، نحو: {فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى}⁴.
24. الاعتبار، نحو: {انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ}⁵.
25. التّلهيف، نحو: {قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ}⁶.
26. التّصبير، نحو: {فَذَرَهُمْ يَخْوضُوا وَيَلْعَبُوا}⁷.
27. التّنبية، نحو: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}⁸.
28. قُرب المُنزلة، نحو: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}⁹.

وَيُعَلِّقُ حَسِينُ جَمْعَةٍ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ كَمَا وُضِعَ لَهُ الْأَصْلُ اللُّغَوِيُّ يَبْقَى ثَابِتًا، وَلَكِنَّ أَسْلُوبَ الْأَمْرِ لَا يَتَقَيَّدُ بِمَعْيَارِيَةِ التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ فَقَطْ، بَلْ تَنْزَاحُ فِيهِ اللَّغَةُ فِي صَيْغِ الْأَمْرِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْمَجَازِيِّ، حَيْثُ يُسْتَخْرَجُ الْمَعْنَى مِنَ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ فِي السِّيَاقِ؛ وَلِهَذَا قَدْ يُعَبَّرُ فِيهِ عَنْ مَعْنَى حَاصِلٍ قَبْلَ الطَّلَبِ، وَهَذَا الْأَمْرُ يَقْرَأُ مِنَ الْإِنْشَاءِ غَيْرِ الطَّلَبِيِّ فِي الدَّلَالَةِ. فَهَسْتَنْتِجُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ الْحَقِيقِيُّ يُلْقَى عَلَى وَجْهِ الاسْتِعْلَاءِ فَإِنَّ الْأَمْرَ الْمَجَازِيَّ لَا تُشْتَرَطُ فِيهِ مَنْزِلَةُ الاسْتِعْلَاءِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ، أَوْ بَيْنَ

¹ القرآن الكريم، البقرة: 111.

² القرآن الكريم، مريم: 38.

³ القرآن الكريم، طه: 72.

⁴ القرآن الكريم، الصافات: 102.

⁵ القرآن الكريم، الأنعام: 99.

⁶ القرآن الكريم، آل عمران: 119.

⁷ القرآن الكريم، المعارج: 42.

⁸ القرآن الكريم، الأعراف: 185.

⁹ القرآن الكريم، الأعراف: 49.

الأمر والمأمور، فقد يكون الأمر أدنى منزلةً ويستعمل صيغة الأمر؛ لهذا قيل إنه ليس على الوجه الحقيقي للأمر، وبذلك اتسعت دائرة المعاني التي يدور عليها الأمر المجازي، وحوت الأمر والمأمور (المتكلم والمخاطب) ومضمون الأمر الذي لا يسأل المأمور على تنفيذه، بمعنى أن الدلالة قد انحرفت عن صورة التحديد والتعيين، أو عن مسارها الأصلي الموضوع لها أساساً؛ أي إنه حينما عظمتم دلالاته ثراءً فإن أساليبه كانت كثيرة التنوع في الإحياء مما يدل على جمالية طرائق الأمر بأشكال لافتة النظر، فالمرء لا يتعامل مع الصورة اللغوية بمعزل عن السياق واستحضار معانيه، وهو المجاز الذي عرّفه القدماء¹.

ولعل هذا الكلام يذكرنا بما قاله الفخر الرازي في معرض حديثه عن حقيقة أسلوب الأمر في اللغة، فبين ذلك بقوله: "اتفقوا على أن لفظة الأمر حقيقة في القول المخصوص، واختلفوا في كونه حقيقة في غيره، فزعم بعض الفقهاء أنه حقيقة في الفعل أيضاً. والجمهور على أنه مجاز فيه"².

وإذا أنعمنا النظر فيما ذكره الأصوليون في دلالة الأمر ومعانيه فإننا نستطيع أن نستخلص بأن ما ذهبوا إليه إنما مرّده إلى السياق، ذلك أن الأمر أو الطلب تتعين دلالاته خلال فهمنا لسياق الكلام، وخلال القرائن الدالة عليه. وهذا الأمر بذاته يُحيلنا -تماماً- إلى مسألة بارزة من مسائل النداء، وهي خروج النداء عن معناه الأصلي، حيث تترتب عليه معانٍ أخرى، ودلالات مغايرة للدلالة الأصلية التي وُضع لها النداء.

2.10.2. المحل الإعرابي لجواب النداء:

يبدو من خلال المصادر والمراجع التي بين أيدينا أن ثمة انقسامًا في وجهات النظر حول المحل الإعرابي لجملة جواب النداء. أما الفريق الأول فقد ذهب إلى عِدِّ جواب النداء جملة لا محل لها من الإعراب، حيث يقول محمد إبراهيم إن جملة جواب النداء هي من ضمن الجمل الاستئنافية، فعندما نعرب جملة "إِنَّا جَعَلْنَاكَ" في الآية القرآنية {يَا دَاوُدُ إِنَّا

¹ حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، 106.

² الرازي، المحصول، 1: 245. يُلاحظ أن الرازي يذهب إلى أن الأمر هو حقيقة في القول المخصوص فقط.

جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ¹ فنعرّبها: جملة لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها جوابُ النّداء، وهي من الجملِ المستأنفة، والأمرُ سيّان في الآية القرآنيّة: يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَأَرْتَابُ مُتَقَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ² فجملة "أَرْتَابُ مُتَقَرِّقُونَ خَيْرٌ" لا محلّ لها من الإعراب³. وقد وافقهُ في ذلك أحمد الخراط، ومحمود صافي وغيرُهما، حيثُ أشاروا-مثلاً- إلى أنّ جملة جوابِ النّداء في الآية القرآنيّة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}⁴، جملةٌ لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنّها جملة استئنافية⁵.

أمّا الفريقُ الثّاني فإنّه حقيقة لم يُعالج قضيةَ المحلِّ الإعرابيّ لجملة جوابِ النّداء، أو أنّه لم يذكرْ ما حُكِّمها الإعرابيّ، فمثلاً ها هو محي الدين درويش عند إعرابه الآية القرآنيّة: {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ}⁶ يقول: "قَالَ": فعل ماضٍ، وفاعله ضمير مستتر تقديره: هو، والجملة الابتدائيّة لا محلّ لها، "يَا آدَمُ" يا: حرف نداء للمتوسّط⁷، وآدَمُ منادى مفرد علم مبنيّ على الضّمّ "أَنْبِئْهُمْ" فعل أمر مبنيّ على السّكون، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محلّ نصب مَقُولِ الْقَوْلِ...⁸، فقد

¹ القرآن الكريم، ص: 26.

² القرآن الكريم، يوسف: 39.

³ محمّد الطيّب الإبراهيم، إعراب القرآن الكريم (بيروت: دار التّفائس، 2003)، 18.

⁴ القرآن الكريم، البقرة: 21.

⁵ أحمد بن محمّد الخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2005)، 1: 11؛ محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه (بيروت: مؤسسة الإيمان، 1988)، 1: 51.

⁶ القرآن الكريم، البقرة: 33.

⁷ لعلّ محي الدين درويش قد انفرد في إعراب حرف النّداء "يا" على أنّه حرف نداء للمتوسّط، ويقصد بذلك أنّه حرف يستعمل للمسافة المتوسطة بين المنادي والمنادى قياساً بالحروف القريبة كالهزمة و"أي"، وقياساً بالحروف البعيدة كـ "أيا" و"هيا". وهو بذلك يدمج الإعراب بالمعنى، أي يدمج المستوى النّحويّ بالمستوى الدّلاليّ.

⁸ محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، 1: 87.

أُعْرِبَ درويش الجملة الابتدائية، والجملة الفعلية، ولكنه لم يتطرق إلى جملة جواب النداء، ولا حتى إلى الجملة الندائية بكلِّ مكوناتها!

ثم نرى محيي الدين درويش في موضعٍ آخر يُشيرُ إلى إعراب جملة النداء، بدايةً من حرف النداء وانتهاءً بالجواب، على أنَّها جملةٌ مستأنفةٌ، أي هي جملةٌ استئنافيةٌ لا محلَّ لها من الإعراب، ولكنه في واقع الأمر لم يعرب جوابَ النداء على جِدَةٍ؛ ولم يفصلُ من حيث الأعرابُ بين حرفِ النداء والمنادى من جهةٍ، وبين جوابِ النداء من جهةٍ أخرى، وكأنَّه اكتفى بالقول إنَّ جملةَ النداء هي جملةٌ استئنافيةٌ لا محلَّ لها من الإعراب؛ لأنَّ حُكْمَ الجملةِ الاستئنافيةِ من بين إعرابِ الجملِ أنَّها ليس لها محلٌّ إعرابيٌّ، وكذا جملةُ النداء، قياساً بالجملةِ الاستئنافيةِ، فيقول في إعراب الآية القرآنية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} ¹: "وجملةُ النداء وما تلاها مستأنفةٌ مسوقةٌ لبيانِ مشروعَةِ الصِّيَامِ..." ².

وثمةَ فريقٌ آخرٌ يذهبُ إلى أنَّ جوابَ النداء جملةٌ لا محلَّ لها من الإعرابِ دونَ أنْ يشيرَ إلى أنَّها من ضمنِ الجملِ الاستئنافيةِ، بل اكتفوا بقولهم إنَّه لا محلَّ لها من الإعرابِ، وهذا الفريقُ كانَ قد فَصَّلَ في الواقعِ بينَ جملةِ النداء المكوَّنةِ من الحرفِ والمنادى وبينَ جوابِ النداء، فمثلاً جاء في "إعراب القرآن الكريم" لعبد الله علوان وآخرين في إعراب قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} ³: "(يا: أداة نداء. (أيُّ): منادى نكرة مقصودة مبنيٌّ على الضمِّ في محلِّ نصب. (ها): حرف تنبيه. (النَّاسُ): بدلٌ من (أيُّ) تبعه في الرفع لفظاً. وجملة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ): استئنافية. (اعْبُدُوا): فعل أمر مبنيٌّ على حذف النون، والواو فاعل. (رَبَّكُمُ): مفعول به منصوب. والكاف مضاف إليه. وجملة (اعْبُدُوا): جواب النداء" ⁴.

¹ القرآن الكريم، البقرة: 183.

² درويش، إعراب القرآن، 1: 235.

³ القرآن الكريم، البقرة: 21.

⁴ عبد الله علوان وآخرون، إعراب القرآن الكريم (طنطا: دار الصحابة للتراث بطنطا، 2006)، 1: 31.

ويأتي في موضع آخر في إعراب الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}¹: "(لا): ناهية وجازمة. (تَأْكُلُوا): فعل مضارع مجزوم بحذف النون. (والواو): فاعل... (لا تأكلوا...): جواب النداء لا محل لها"².

وينبثق من هذا تساؤل: هل يُعدُّ عدمُ الإشارة إلى إعرابِ جملةِ جوابِ النداءِ بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ نوعاً من عدمِ تحديدِ الموقفِ الإعرابيِّ حيالَ جوابِ النداءِ، وكأنَّ هؤلاء النحاة لا يريدون أن يخرجوا عن المألوف الذي ارتضاه أسلافهم من النحاة والمفسرين القدماء؟³، علماً بأنَّ هناك بعضَ المراجع تُصدِّرُ كتابَ الإعرابِ ببعضِ الإرشاداتِ النَّحْوِيَّةِ، التي من ضمنها الجملُ التي لا محلَّ لها من الإعرابِ⁴ ولكن دون أن تذكرَ هناك - فرضاً - جملةَ جوابِ النداءِ.

2.11. ترخيم المنادى في القرآن؟

يكادُ المفسِّرون والنحاة يجمعون على أنَّه لم يرد في القرآن ترخيمُ المنادى⁵، ولكن روي في بعضِ القراءاتِ القرآنيَّةِ بالترخيم، وذلك في قوله تعالى: {وَنَادُوا يَا مَالِكُ⁶ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ

¹ القرآن الكريم، النساء: 29.

² عبد الله علوان، إعراب القرآن الكريم، 1: 384.

³ الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب عند النحاة هي: الجملة الابتدائية، والاستئنافية، والمعتضة، والتفسيرية، وجملة جواب القسم، وجملة صلة الموصول، والجملة الواقعة لشرط غير جازم، والجملة التابعة لجملة لا محلَّ لها من الإعراب. انظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية (القاهرة: المكتبة التوفيقية، 2003)، 203-205؛ محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن (الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، 1996)، 1059-1069؛ عبده الراجعي، التطبيق النحوي (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1999)، 348-355.

⁴ انظر مثلاً: علوان، إعراب القرآن، 1: 17.

⁵ ابن فارس، الصحاحي، 383: الزجاج، معاني القرآن، 4: 420.

⁶ هذه قراءة الجمهور من القراء. انظر: السمين الحلبي، الدرر، 9: 607؛ أبو حيان الأندلسي، البحر، 9:

389؛ ابن عطية، المحرر، 13: 251؛ عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 8: 400.

قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ¹، بترخيم الكاف في "مالك"² أي "ونادُوا يا مالٍ"³ على لُغَةٍ مَن ينتظرُ الحَرْفَ، ولأنَّه- كما يقول محيي الدِّين شيخ زاده- في حُكْمِ الثَّابِتِ كما ذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ⁴، وهي قراءةُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعود، وعليٍّ بنِ أَبِي طالب، وابنِ يعمر، وابنِ وَثَّاب، والأعمش، وأبي الدَّرْدَاءِ⁵. وَرُوِيَ عن أَبِي السَّرَّارِ⁶ الْغَنَوِيُّ "يا مالٌ" مَبْنِيًّا على الضَّمِّ على لُغَةٍ مَن لا يَنْوِي الانتظارَ⁷، أو لَكُونِهِ مَنَادًى مَفْرَدًا مَعْرِفَةً فَعُومِلَ مَعَامَلَتُهُ، أي انتَقَلَتْ حَرَكَةُ الْبِنَاءِ (الضَّمِّ) من الكافِ المحذوفَةِ إلى اللَّامِ المتبقيَّةِ بعد التَّرخيمِ⁸.

وقد حاولَ المفسِّرون أن يجدوا تفسيرا لِعِلَّةِ التَّرخيمِ في هذه الآية، فقد ذَكَرَ أَبُو السَّعُود أنَّ التَّرخيمَ ها هنا رمزٌ وعلامةٌ على ضعفِ المتحدِّثين في هذا المقامِ وعجزِهِم عن تأدية اللَّفْظِ بتمامِهِ⁹؛ وكأَنَّهُم- كما يقول الرَّازِي- يقطعون بعضَ الاسمِ، فلا يذكرونَ مِنَ الكلمةِ

¹ القرآن الكريم، الرِّخْف: 77.

² مالك هو اسم الملك الموكل بجهنم، أو هو خازن النار، وقيل خازن جهنم. وقد خاطبه أهلُ النَّارِ ونادَوْهُ؛ ليرفعَ دَعْوَتَهُم إلى الله، كي يزيلَ عنهم الحياةَ فيموتوا دونَ عودَةٍ؛ ليستريحوا من العذاب. انظر: القرطبي، الجامع، 8: 106؛ الطَّبْرَانِي، التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ، 5: 481؛ ابن عاشور، التَّحْرِير، 25: 259، الشوكاني، فتح القدير، 4: 742؛ ابن عطية، المحرَّر، 13: 251؛ ابن خالويه، المختصر، 137؛ الصَّوَّاي، الحاشية، 4: 98.

³ الخليل بن أحمد، الجُمْل، 162.

⁴ شيخ زاده، الحاشية، 7: 486.

⁵ ابن جني، المحتسب، 2: 257؛ الطَّبْرَانِي، التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ، 5: 481؛ ابن عطية، المحرَّر، 13: 251؛ الخطيب، معجم القراءات، 8: 401-400.

⁶ ذكرت بعض المصادر: أَبُو السَّوَّار، أو أَبُو السَّرَاد.

⁷ السَّمين الحلبي، الدَّر، 9: 607، الزَّمَخْشَرِي، الكَشَّاف، 4: 257؛ الألوسي، روح المعاني، 12: 687؛ القونوي، الحاشية، 17: 353.

⁸ شيخ زاده، الحاشية، 7: 486؛ ابن خالويه، المختصر، 137؛ النَّحَّاس، إعراب القرآن، 3: 44-45؛ الرَّجَّاج، معاني القرآن، 4: 420.

⁹ أَبُو السَّعُود، التَّفْسِير، 6: 42؛ الخضري، الحاشية، 2: 81.

إِلَّا بَعْضُهَا¹؛ لِضَعْفِهِمْ أَوَّلًا، ثُمَّ لِعِظَمِ مَا هُمْ فِيهِ²؛ وَلَشِدَّةِ الْمَوْقِفِ، فَإِنَّ الْمَقَامَ لَا يُسَعُّهُمْ لِنَدَاءِ مَالِكٍ فَحَذَفُوا آخَرَ الْأَسْمِ تَرْخِيمًا، وَخِيزَ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ هُوَ مَا أَعْقَبَ النَّدَاءُ فِي قَوْلِهِ: "لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ"، الَّتِي تَحْمِلُ الْأَمْرَ وَالطَّلِبَ بِالْإِمَاتَةِ مَرَّةً دُونَ رَجْعَةٍ إِلَى الْحَيَاةِ؛ حَتَّى لَا يَتَكَرَّرَ الْعَذَابُ³. بَلْ بَيَّنَّ الرَّازِيُّ أَنَّ هُنَاكَ خِلَافًا إِذَا مَا كَانَ الطَّلِبُ (جَوَابُ النَّدَاءِ)،، مَحْمُولًا عَلَى التَّمَيِّ⁴، أَوْ مَحْمُولًا عَلَى الْإِسْتِغَاثَةِ، وَإِلَّا فَهُمُ عَالِمُونَ بِأَنَّهُ لَا خَلَاصَ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْعِقَابِ، لِهَذَا نَرَى الْفَخْرَ الرَّازِيَّ يَسْتَحْسِنُ التَّرْخِيمَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ رَدًّا عَلَى مَنْ يُنْكِرُونَ وَيُضَعِّفُونَ هَذَا الْوَجْهَ بِقَوْلِهِ: "وَأَجِيبُ عَنْهُ إِنَّمَا حَسُنَ هَذَا التَّرْخِيمُ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ بَلَّغُوا فِي الضَّعْفِ وَالتَّحَاظَةِ إِلَى حَيْثُ لَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَذْكُرُوا مِنَ الْكَلِمَةِ إِلَّا بَعْضَهَا"⁵.

وَأَشَارَ الْأَلُوسِيُّ وَغَيْرُهُ إِلَى رَوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَرَأَ "وَنَادَوْا يَا مَالٍ"، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَشْغَلَ أَهْلَ النَّارِ عَنِ التَّرْخِيمِ؟ وَكَأَنَّهُ يُنْكِرُ اسْتِخْدَامَ التَّرْخِيمِ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَهَمَّ فِي حَالِهِ تَشْغُلُهُمْ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى التَّرْخِيمِ وَتَرْكُ النَّدَاءِ عَلَى وَجْهِهِ الْأَكْثَرِ وَالْأَعْمَ فِي الِاسْتِعْمَالِ، فَيُجِيبُ الْأَلُوسِيُّ بِأَنَّ هَذَا التَّرْخِيمَ لَمْ يَصْدُرْ عَنْ أَهْلِ النَّارِ؛ لِقَصْدِ التَّصَرُّفِ فِي الْكَلَامِ، وَالتَّفَنُّنِ فِيهِ، بَلْ لِلْعَجْزِ، وَضِيقِ الْمَجَالِ عَنِ الْإِتْمَامِ كَمَا يُشَاهَدُ فِي بَعْضِ الْمَكْرُوبِينَ⁶.

إِضَافَةً إِلَى هَذَا، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ فِي أَمَالِيهِ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ أَنَّهُ قَالَ وَقَدْ سَمِعَ عَلِيًّا فَقَرَأُوا: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدَ أَهْلِ النَّارِ لَشُغْلًا عَنِ التَّرْخِيمِ. فَقَالَ لَهُ مَنْ سَمِعَهُ: وَيْحَكَ! إِنَّ فِي هَذَا الْاِخْتِصَارِ (التَّرْخِيمِ وَالْحَذْفِ) مَنْ

¹ الرّازي، التفسير، 27: 195.

² الرّمخسري، الكشاف، 4: 257، شهاب الدّين الخفاجي، الحاشية، 8: 408.

³ أبو حيان الأندلسي، البحر، 9: 389.

⁴ شيخ زاده، الحاشية، 7: 487؛ الخفاجي، الحاشية، 8: 409.

⁵ الرّازي، التفسير، 27: 195؛ الرّمخسري، الكشاف، 4: 257.

⁶ الألوسي، روح المعاني، 12: 687؛ ابن عاشور، التحرير، 25: 260؛ القونوي، الحاشية، 17: 353؛

درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، 7: 105-106.

أَهْلِ النَّارِ لَمَعَتْ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا ذُو فَطَانَةٍ¹، وذلك أَنَّهُمْ لَمَّا ذَلَّتْ نَفُوسُهُمْ، وَتَقَطَّعَتْ أَنْفُسُهُمْ، وَخَفِيَتْ أَصْوَاتُهُمْ، وَضَعُفَتْ قَوَاهِمُ، وَلَمْ تَنْفَعْ شَكْوَاهُمْ قَصُرَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنْ إِيْتَامِ الْأَسْمِ، وَعَجَزُوا عَمَّا يَسْتَعْمَلُهُ الْمَالِكُ لِقَوْلِهِ، وَالْقَادِرُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي مَنْطِقِهِ².

وَأَكَّدَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ فِي رِوَايَةٍ عَلَى لِسَانِ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ: مَا كُنَّا نَدْرِي مَعْنَى "يَا مَالِكُ" حَتَّى سَمِعْنَا فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ "وَنَادُوا يَا مَالِ"³.

إِذَنْ، فَمَدَارُ التَّرْخِيمِ فِي الْقُرْآنِ يَدُورُ حَوْلَ الْآيَةِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا أَعْلَاهُ، إِذْ يَتَبَدَّى لَنَا أَنَّ لِلتَّرْخِيمِ -فِي هَذَا الْمَوْضِعِ- قِرَاءَتَيْنِ وَهُمَا: "يَا مَالِ" و"يَا مَالِ"⁴، فَضِلَّا عَنْ قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ الْمُتَوَاتِرَةِ "يَا مَالِكُ"، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ ثَمَّةَ قِرَاءَةً رَابِعَةً جَدِيدَةً بِالتَّأَمُّلِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ الزُّوَيْ أَنَّهُ قَرَأَ: "يَا مَالِكُ"⁵ بِتَسْكِينِ الْكَافِ، وَعَقَّبَ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْخَطِيبُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "كَأَنَّهُ عَامِلُهُ فِي الْوَصْلِ كَالْوَقْفِ"، مُحَاوَلًا تَعْلِيلَ هَذَا الْوَجْهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ أَهْلَ النَّارِ وَقَفُوا بِالسَّكُونِ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ، ثُمَّ اسْتَأْنَفُوا الْحَدِيثَ⁶.

¹ ذَكَرَ الْقَوْنُوِيّ وَالطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ فِي تَفْسِيرِهِمَا فِيمَا ذَكَرَهُ الطَّيْبِيُّ أَنَّ ابْنَ جَنِّي قَالَ: "... وَلِلتَّرْخِيمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ سَرٌّ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لِعَظَمِ مَا هُمْ عَلَيْهِ ضِعِفَتْ وَذَلَّتْ أَنْفُسُهُمْ، وَصَغُرَ كَلَامُهُمْ، فَكَانَ هَذَا مَوْضِعَ الْإِخْتِصَارِ ضَرُورَةً". انْظُرْ: ابْنَ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ، 25: 260؛ الْأَلُوسِيّ، رُوحُ الْمَعَانِي، 12: 687؛ الْقَوْنُوِيّ، الْحَاشِيَّةُ، 17: 353.

² ابْنُ السَّجَرِيِّ، الْأُمَالِي، 2: 81؛ عَضِيمَةُ، دَرَاثَاتُ لِأَسْلُوبِ الْقُرْآنِ، 3: 297-298.

³ النَّحَّاسُ، إِعْرَابُ الْقُرْآنِ، 3: 44.

⁴ أَبُو السَّعُودِ، التَّفْسِيرُ، 6: 42؛ أَحْمَدُ عَمْرٍ، مَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ، 4: 366.

⁵ ابْنُ خَالَوَيْهِ، الْمُخْتَصَرُ، 137.

⁶ الْخَطِيبُ، مَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ، 8: 401.

ولعلنا نلاحظُها هنا أنَّ تعليقاتِ المفسرين وتخرجاتهم لقراءة التَّرخيم إنَّما كان مردُّها عائداً إلى سياقِ الآية؛ لتتناسبَ مَعَ مقتضى الحالِ، وهو ما عبَّرَ عنه بعضُ الباحثين بنظريةِ الاقتضاء¹.

بَقِيَ أَنْ أَذْكَرَ أَنَّ الْخَضِرِيَّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى ابْنِ عَقِيلٍ قَوَّى قِرَاءَةَ التَّرخيمِ فِي الْقُرْآنِ "وَنَادَوْا يَا مَالٍ"، رَادًّا بِذَلِكَ عَلَى مَنْ يَسْتَبْعِدُونَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ؛ لِادِّعَائِهِمْ بِأَنَّ التَّرخيمَ يَكُونُ فِي مَقَامِ الْانْبِسَاطِ وَالْفَرَحِ وَنَحْوِهِ، إِذْ هُوَ فِي الْأَصْلِ تَحْسِينٌ لِلْفُظِّ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي شَغْلٍ عَنْ ذَلِكَ بِعَقَائِهِمْ. وَلَكِنَّ التَّوَجُّهَ فِي هَذَا الْقِرَاءَةِ- كَمَا يَقُولُ الْخَضِرِيُّ- بِأَنَّهُ لَيْسَ تَحْسِينًا، بَلْ لَشِدَّةٍ ضَعْفِهِمْ يَعْجِزُونَ عَنْ إِتْمَامِ الْكَلِمَةِ؛ وَبِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ رَدٌّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وَرَوَدَ حَذْفُ بَعْضِ الْكَلِمَةِ الْمُسَمَّى بِالْاِقْتِطَاعِ فِي الْقُرْآنِ، وَخَيْرُ قَرِينَةٍ عَلَى هَذَا الْاِقْتِطَاعِ هِيَ فَوَاتِحُ السُّورِ أَنْ جُعِلَ كُلُّ حَرْفٍ مِنْ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى إِفَادَةً فِي الْإِتْقَانِ².

¹ النَّجَّار، 307-308.

² الْخَضِرِيُّ، الْحَاشِيَةُ، 2: 83.

الفصل الثالث

النَّداء في عيون النُّحاة المُحدِّثين
مأخذُ، ورؤَى، وإضافاتُ...

النِّداء في عيون النُّحاة المُحدَثين

مأخُذ، ورؤى، وإضافات...

3.1. مدخل:

لم تكن فكرة التَّجديد أو التَّيسير وليدة العصر الحديث، بل ظَهَرَتْ محاولاتٍ جَمَّةٌ؛ لتيسير النُّحو وتبسيطه على الدَّارسين، والتَّاشئة، وحتَّى على أصحاب الاختصاص. وقد تبدو الفكرة الَّتِي طَرَحَهَا ابنُ خلدون مُنبِئَةً عن ذلك حينَ أَظْهَرَ استياءَهُ مِنْ توجُّهِ النُّحاة، فقد انتَقَدَ هؤلاء النُّحاة الَّذِينَ صَرَّفُوا كُلَّ عنايةٍ للقواعد النُّحويَّة، وأرادوا- على حَدِّ قوله- زَجَّ اللُّغَةَ في أَسْرِ المنطقِ وإخضاعها لقوانينه الصَّارِمة¹.

3.2. ثورة ابن مضاء القرطبي:

ولعلَّ أَكْثَرَ هذه المحاولاتِ شُهْرَةً وصِدْقاً كانتِ دعوةُ ابنِ مضاءِ القرطبيِّ [520-592، 1126-1196م] الَّذِي ثارَ ثورةٌ عنيفةٌ على منهجيَّةِ تأليفِ النُّحو وتدريسِهِ، فدعا إلى إصلاحِ النُّحو مِنْ خلالِ الاستغناءِ عَمَّا يُسْتَغْنَى عَنْهُ في النُّحو، والتَّنَازُلِ عن مسائلٍ معقَّدةٍ تزيد الدَّرْسَ النُّحويَّ صعوبةً ووعورةً، وإلغاءِ القياسِ، والتَّمارينِ غَيْرِ العَمَلِيَّةِ، فألَّفَ كتاباً بعنوانِ "الرَّدَّ على النُّحاة"، نادى فيه إلى إلْغَاءِ نظريَّةِ العاملِ²، وإسقاطِ العِلَلِ التَّوَانِي والثَّوَالِثِ، لأنَّها- حسبَ رأيِهِ- ممَّا لا يُوَصِّلُ إلى معرفةِ كلامِ العربِ، بل يكفي الدَّارسَ أَنْ

¹ يرى عبد القادر المهيري أَنَّ ما ينتقده ابنُ خلدون هو تجاوز المقدار الأدنى من القواعد اللازمة لتعليم اللُّغة، واستعمالها الصَّحيح، وتوسيع تدريس النُّحو لِإثقالِ كاهل المتعلِّمين بمسائل جزئية، وتعليقاتٍ متنوِّعة، وأقوال متباينة، وجدل لا تبدو فائدته للمتعلِّم. ولا شكَّ في أَنَّ موقف ابن خلدون ناتجٌ عَمَّا لاحظَه في تدريس النُّحو كَأَنَّهُ فَنٌّ ليست غايته تعليم اللُّغة وتمكين المتعلِّمين من استعمالها الصَّحيح. انظر: عبد القادر المهيري، بحوث في اللُّغة (تونس: جامعة مَنُوبة، 2008)، 35.

² وليد الأنصاري، نظرية العامل في النُّحو العربي- عرضاً ونقدًا (إربد: دار الكتاب الثَّقافي، 2003)، 156-157؛ طه عبد الحميد طه، دراسات في النُّحو (القاهرة: مكتبة سعيد رَأْفَت- حرم جامعة عين شمس، 1971)، 31.

يعرف العِلَّة الأولى¹، وذلك مثل سؤال السائل عن "زيد" من قولنا: "قام زيد" لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع. فيقول: ولم رفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر²، وليس كما ذهب إليه النحاة بأن علة رفع "زيد" الفاعل تكمن في أن الضمة أشرف الحركات؛ لذلك خصوا بها الفاعل؛ لشرفه³. وقالوا إن الفاعل قليل، فلا يكون للفعل إلا فاعل واحد، والمفعولات كثيرة، فأعطى الأثقل الذي هو الرفع للفاعل، وأعطى الأخف الذي هو النصب للمفعول⁴؛ ليقل في كلامهم ما يستثقلون، ويكثر في كلامهم ما يستخفون.

وحدد ابن مضاء هدفه من هذا الكتاب بجلاء قائلاً: "قصدي من هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادعائهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي⁵.

3.3. محاولات الإصلاح النحوي في العصر الحديث:

على الرغم من أن دعوة ابن مضاء لم تلق رواجاً عند معاصريه، ومن تلاهم، إلا أن العصر الحديث كان على موعدٍ لاحتضان آراء ابن مضاء، وترسم خطاها، إذ يتبدى لنا أن عدداً من الباحثين حملوا لواء الدعوة إلى تجديد النحو وتيسيره على نهج "مضائي" - إن جاز لنا التعبير - وكان في ذلك بعثاً لفكرة ابن مضاء التي مر عليها ثمانية قرون.

ونستطيع القول إن جذور هذا الاتجاه تمتد إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتحديدًا في عام ألف وثمانمائة وثمانية وستين (1868) عندما وضع رفاعة الطهطاوي كتاباً

¹ المهيبي، بحوث في اللغة، 104.

² ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة (القاهرة: دار المعارف، 1982)، 130.

³ سعيد الأفغاني، في أصول النحو (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1964)، 112.

⁴ ابن أبي الربيع، الكافي في الإفصاح (الرياض: مكتبة الرشيد، 2001)، 2: 572.

⁵ ابن مضاء، الرد على النحاة، 76.

بعنوان "التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية". وفي العام نفسه وَضَعَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ المرصفي كتابًا بعنوان: "تقريب فن العربية لأبناء المدارس الابتدائية"، وبعد سنين قلائل يقوم الشَّيْخُ حُسَيْنُ المرصفي بتأليف كتاب آخر بعنوان: "الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية"، وقد وَصَفَهُ الباحثُ عبد الوارث مبروك بأنه أَوَّلُ كتابٍ في علوم العربية يُؤَلَّفُ على نحوٍ تجديدي.

فعندما نُنْعِمُ النَّظَرَ فيما طَرَحَهُ النُّحَاةُ المحدثونَ يتجلى لنا الأثرُ الواضحُ لدعوة ابن مضاء، فقد تنبَّهوا إلى دوره في تاريخ النُّحُو العربي، وراحوا يترجمون ما طَرَحَهُ بشكلٍ عمليٍّ، داعينَ إلى تجديد النُّحُو، وإبعاده عن مظاهر التعقيد، لا سيَّما في النُّحُو التعليميِّ.

فمثلاً، دعا مهدي المخزومي إلى الاستغناء عن نظرية العامل، بل استبدال عامل السياق بالعامل النحوي¹. وقد تَمَثَّلَتْ ملامحُ نظرية تَمَام حسان في كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية" باستبدال قرائن أخرى تتضافرُ على توضيح المعنى وتجليته². ويسير محمد حماسة عبد اللطيف على حُطَى أستاذه تَمَام حسان، إذ يُشير إلى أنَّ نظرية العامل النحوي شَغَلَت النُّحَاة عن دراسة الجملة دراسةً أسلوبيةً، كما أنَّها أدَّتْ إلى الخلط بين ما هو لغويٌّ وبين ما ليس له علاقةٌ باللغة، التي بدورها وَلَدَتْ حِيلَ التقدير والإضمار وتأويل النصوص³.

بل وَصَلَ ببعضهم الحدُّ أنْ رَأَوْا بالإعرابِ مُعْضِلةً يجبُ أنْ تُجَتَّتْ، نحو أنيس فريحة الذي أُنْكَرَ الإعرابَ وَعَدَّهُ ظاهرةً لا تتلاءمُ مَعَ الحضارة؛ لهذا- حسب رأيه- فإنْ تَرَكَ

¹ مهدي المخزومي، في النُّحُو- نقد وتوجيه (بيروت: دار الزائد العربي، 1986)، 208-209.

² تَمَام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1980)، 53.

³ محمد عبد اللطيف حماسة، العلامة الإعرابية بين القديم والحديث (الكويت: جامعة الكويت، 1984).

الإعراب ليس انحطاطاً باللغة، بل هو تطوّر مع الحياة، وأنّه لو كان الإعراب متمكّناً من لغة العرب لما حدّث اللّحن¹.

من هنا، نستطيع أن نُخصّي الدّوافع التي تآثّر بها النّحاة المُحدّثون في رؤيتهم التّجديديّة لقواعد النّحو العربيّ، خاصّة فيما يتعلّق بالنّحو التّعليقيّ، أهمّهما:

1. ظهور آراء ابن مضاء القرطبيّ.
2. الاطّلاع على الدّراسات اللّغويّة الحديثة في الغرب، وما فيها من نظريّات ومناهج لسانيّة، كالمنهج الوصفيّ، والمقارن، والتّحويليّ، والتّوليديّ.
3. استغلاّق في الدّرس النّحويّ، وتعميد مباحثه وأبوابه، ونفور الدّارسين والنّاشئة منه.
- 3.4. إبراهيم مصطفى و"إحياء النّحو":

كانت محاولات إبراهيم مصطفى من أهمّ المحاولات في العصر الحديث في كتابه "إحياء النّحو"، الذي صدّر في عام ألف وتسعمائة وسبعة وثلاثين (1937)² في مصر، وهو كتاب- كما يُشير بعض الباحثين- عبارة عن محاولة جريئة في الاستدراك على النّحاة القدماء، بل يُعدّ فتْحاً في هذا المجال، وهو جديرٌ بالعناية والتّأمّل؛ لأنّه كان فاتحةً لما بعده من النّحاة المُحدّثين، إذ دعا فيه إلى تجديد القواعد النّحويّة، واختزال أجزاء منها بهدف التيسير على الدّارسين، وانتقد الكثير المعقّد منها، فيقول: "هذا بحث من النّحو عكّفت عليه سبع سنين، وأقدّمه إليك في صفحات، أطمع أن أُغيّر منهج البحث النّحويّ للغة العربيّة، وأن أرفع عن المتعلّمين إصر هذا النّحو، وأبدلهم منه أصولاً سهلةً يسيرة، تُقرّهم من العربيّة، وتهدّهم إلى حظّ من الفقه بأساليبها، ولقد بذلت في تهوين النّحو جهوداً مجيدة، واصطنعت أصول التّعليم اصطناعاً بارعاً؛ ليكون قريباً واضحاً، على أنّه لم يتّجه أحد إلى القواعد نفسها، وإلى طريقة وضعها. ألا يمكن أن تكون تلك الصّعوبة من ناحية وضع النّحو وتدوين قواعده؟ وأن يكون الدّواء في تبديل منهج البحث النّحويّ للغة العربيّة؟".

¹ أنيس فريحة، نحو عربيّة ميسرة (بيروت: دار الثقافة، 1955)، 123-124.

² عبد الحميد طه، دراسات في النّحو، 72.

وقد نشرت مجلة "الهلال" المصرية في العام نفسه الذي صدر فيه كتاب "إحياء النحْو" عَرْضًا وتعليقًا على هذا الكتاب، جاء فيه: "هذا بحثٌ خطيرٌ (بالمعنى الإيجابي) في النحْو وقواعده، يُعزِّزُ المنهجَ القديمَ المألوفَ الذي ضاقَ به التلاميذُ والطلّابُ قديمًا وحديثًا، ويضعُ أصولًا جديدةً مبتكرةً يُرادُ بها تقريبُ المتعلِّمينَ إلى العربية؛ لِيَتَفَقَّهُوا- عن طريقِ النحْو- بأساليبها ومبانيها".

وقد علّقَ طه حُسينَ على هذا الكتابِ بأنّه كتابٌ يفتحُ للنحويّينَ طريقًا إنْ سَلَكوها فلنْ يُخَيُّوا النحْوَ وَحْدَهُ، ولكنهم سَيُخَيُّونَ مَعَهُ الأدبَ العربيَّ أيضًا.

ويشيرُ الباحثُ طه عبد الحميد طه إلى أنّه على الرّغم من أنّ كتاب "إحياء النحْو" الذي طُبِعَ عامَ 1937 كانَ قَدْ سَبَقَ الطَّبْعَةُ الأولى لتحقيقِ كتاب "الرّدّ على النُّحاة" لابنِ مضاءٍ على يدِ شوقي ضيف عام 1947 إلّا أنّ هناك معالمَ كثيرةً متشابهةً في الكتّابين، بل إنّ أهمَّ نظرتين في كتاب "الرّدّ على النُّحاة"، وهما: إلغاءُ العاملِ، والدَّعوةُ إلى إلغاءِ العِلَلِ التَّوَانِي والثَّوَالِثِ، موجودتان في "إحياء النحْو"، وعلِمَهما بنى إبراهيم مصطفى كتابَهُ، وكانتا محورَ بحثِهِ؛ لهذا لا يستبعدُ عبد الحميد طه أن يكونَ إبراهيم مصطفى قد اطلَّعَ على مخطوطةِ كتاب "الرّدّ على النُّحاة"، خاصّةً أنّها من مقتنياتِ دارِ الكتب¹، لكنّه لم يدوّنْ إحالاتِهِ إلى ابنِ مضاءٍ القرطبيّ.

وفيما يلي، أُجْمِلُ أَهَمَّ ما طَرَحَهُ الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابِهِ "إحياء النحْو" بنقاطٍ محدّدةٍ:

1. للإعرابِ حركتان فقط، هما الضمّةُ والكسرةُ.
2. الضمّةُ علَمُ الإسنادِ، وهي دليلٌ على أنّ الكلمةَ تكونُ مرفوعةً إذ يُرادُ أنْ يُسَنَدَ إِلَيْهَا، ويُتَحَدَّثَ عَنْهَا.
3. الكسرةُ علَمُ الإضافةِ، وهي- كذلك- إشارةٌ إلى ارتباطِ الكلمةِ بما قبلَها، سواءً كانَ هذا الارتباطُ بأداةٍ أم بغيرِ أداةٍ، نحو: كتابٌ لمحمّدٍ. وكتابٌ محمّدٍ.

¹ طه، دراسات، 72-75.

4. الفتحة لَيْسَتْ علامة إعرابٍ، وهي أيضًا لا تدُلُّ على معنى، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب، التي يُرادُّ أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك، فهي بِمَنْزِلَةِ السَّكُونِ في لغة العامَّة.

5. الإعرابُ ليس أثرًا للعاملِ الذي قال به النَّحاة القدماءُ، بل هو ممَّا يحدِّثُهُ المتكلِّمُ لمعنى في تأليفِ الجملةِ ونظمِ الكلام¹.

إذن، تتلخَّصُ مقاصدُ هذا الكتابِ في أن يُدرَسَ النَّحْوُ على أساسِ المعنى، توجَّهًا لدراسةِ أحكامِ نَظْمِ الكلامِ وما يتعلَّقُ بِهِ مِنْ ظواهرٍ كالْتَقْدِيمِ والتَّأخِيرِ والنَّفْيِ والإثباتِ والتَّوكِيدِ. فعلاماتُ الإعرابِ دوالُّ على معانٍ، وليستْ- كما زَعَمَ النَّحاةُ- أثرًا يَجْلِبُهُ الْعَامِلُ. ولكن، مَعَ ظهورِ هذه الدَّعَوَاتِ ظَهَرَتْ دَعَوَاتٌ رافضةٌ ومناهضةٌ للفكرِ التَّجديديِّ، وراحتْ تُنادي بالحفاظِ على اللُّغةِ مِنْ أيدي العابثينَ بها، بل رأتْ في دعواتِ التَّيسيرِ هذه أنَّها تحاولُ المساسَ بِبُنيانِ اللُّغةِ العربيَّةِ.

واندفعَ مُحَمَّدُ عرفة، مُتَصَدِّيًا لمحاولاتِ التَّيسيرِ، فأصدَرَ كتابًا بعنوان "النَّحو والنَّحاة بين الأزهر والجامعة" يردُّ فيه على مزاعمِ إبراهيم مصطفى، ومدافعًا عن حِجَى اللُّغةِ العربيَّةِ وقواعدها النَّحويَّةِ- على حَدِّ قولهِ- لا سِيَّما ما نَشَأَ عليه وما دَرَسَهُ وما دَرَسَهُ في الأزهر والجامعة المصريَّة، حتَّى إنَّه يُسمِّي هذا الدِّفاعَ نضالاً أمامَ هجمةِ إبراهيم مصطفى وأمثالِهِ، فيقولُ: "أنكرتُ ذلك كُلَّهُ، ورأيتُ حتمًا عليَّ أن أكتبَ كتابًا أُصحِّحُ به تاريخَ العربيَّةِ الَّذي أفسدَهُ هذا الكتابُ (يعني كتاب "إحياء النَّحو")، وأردُّ به الأمورَ إلى نصابِها..."².

وفي تقديمِ هذا الكتابِ أضافَ عرفة بقوله: "لقد كانتْ لي أمنيَّةٌ، وهي أن يكونَ الخليلُ أو سيبويه أو الفراءُ حيًّا بَيْنَنا، فيقرأُ كتابَ "إحياء النَّحو"، ويرى ما أُلصِقَ به وبالنَّحاةِ من تُهمٍّ، فيدفعَ عن نفسه؛ لأنَّه أعلمُ بمذهبيهِ، وأبصرُ بمواطنِ القوَّةِ فيه، فلمَّا قرأتُ كتابَ

¹ إبراهيم مصطفى، إحياء النَّحو (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1937)، 50؛ وليد الأنصاري، نظريَّة العامل، 160؛ الياسري، الفكر النَّحوي، 405؛ طه، دراسات، 25-26؛ 77.

² مُحَمَّدُ أحمد عرفة، النَّحو والنَّحاة بين الأزهر والجامعة (القاهرة: [د.م.]، 1997)، 6.

"النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة" لم أرتب فيأتي أسمع واحدًا من هؤلاء يُدافع عن نفسه وعن النحاة¹. ويكون محمد عرفة قد فتح بهذا الكتاب بابًا للاصطراع بين تيارين، تيار تجديد يمثله إبراهيم مصطفى ومن سار على دُرْبِهِ، وتيار محافظ يمثله أساتذة الأزهر ومن نَسَجَ على منوالهم.

ومن الذين وقَّفوا موقِفَ المعارض من آراء ابن مضاء- وبالتالي إبراهيم مصطفى- وهبوا ينافحون عن الأصول التي قام عليها النحو، كان محمد حسن عواد قائلًا إن ابن مضاء لم يكن مجتهدًا في النحو، ولا متفردًا فيما ساقه إلينا، بل إن كل ما في كتابه هو عبارة عن محاولات: لجَرِّ النحويين إلى الالتزام بقواعد المذهب الظاهري الداعية إلى إبطال القياس، والرأي، والتعليل، والاستحسان، وغيرها. فابن مضاء- كما يذهب عواد- داعية للفقه الظاهري من خلال النحو؛ لذلك عرَفَ النحاة القدماء كيف يزبونه في ميزانه الصحيح، وكيف يعطونه استحقاقه؛ لا لأنهم أعداء الجديد، أصدقاء المألوف، وإنما لأنهم وقَّفوا على الدوافع والبواعث الأصلية التي دفعت ابن مضاء إلى تأليف كتابه². ثم ينتقد عواد ما قال به الباحث محمد عيد بأن النحاة والباحثين في عصر القرطبي قد أغفلوه؛ لأن الناس أعداء الجديد؛ لاطمئنانهم إلى المألوف المتداول³.

ومن اللافت أن نُشِيرَ إلى أن طه حسين ذهب إلى أن دعوة ابن مضاء القرطبي إنما هي محاولة لم يفكر فيها ابن مضاء بالإصلاح بمقدار ما فكر في هدم النحو. وقد ردَّ عليه مازن مبارك مشيرًا إلى أن رأي طه حسين هو رأي مُجَجَّف في حق ابن مضاء، وهو كذلك رأي بعيد عن جادة العدل، ويتساءل: أولم يُنادِ ابن مضاء بما نادى به إبراهيم مصطفى في "إحياء النحو"، فكيف يكون ابن مضاء هدامًا أكثر منه مصلحًا في رأي من يرى في محاولة

¹ محمد عرفة، النحو والنحاة، 10.

² جمال الدين الأسنوي، الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية. تحقيق: محمد حسن عواد (عمان: دارعمار، 2005)، 83.

³ محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وعلى ضوء علم اللغة الحديث (القاهرة: عالم الكتب، 1973)، 48.

الأستاذ إبراهيم مصطفى إحياءً للنحو، ويَصِرُّ على أن تحملَ هذا الاسم¹، ويقصد بذلك طه حسين، الذي أثنى على إبراهيم مصطفى وكتابه، ولكنّه، في الوقت نفسه، شَنَّ هجوماً لاذعاً على ابنِ مَضَاءٍ. إذن، انقسمَ النُّحاةُ المُحدِّثون إلى فريقين، فريقٍ يتشبَّثُ بالقواعدِ النُّحويَّةِ المُتَّصِلَةِ بالعواملِ، والقياسِ، والأصلِ، والفِرْعِ، والعِلَلِ، والإجماعِ، واستصحابِ الحالِ، وغيرها مِنْ أدلَّةِ الأصوليين²، خوفاً منهم على انهيارِ صَرحِ العربيَّةِ المتمثِّلِ بأصولِ النُّحوِ وقواعدهِ، وفريقٍ آخرٍ يُنادي بإصلاحِ النُّحوِ، فثاروا على نظريَّاتٍ نُحويَّةٍ كثيرةٍ، ودَعَوْا إلى إلغاءِ العاملِ، والتَّقديرِ، والإعرابِ المحليِّ، والحركاتِ الفرعيَّةِ.

3.5. الظَّاهِرَةُ النَّدَائِيَّةُ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ - نقد وملاحظات:

كما رأينا- فيما مضى- فإنَّ النُّحاةَ المُحدِّثين لم يأخذوا بكلِّ ما دَرَجَ عليه القدماءُ، بل كانتْ لهم ملاحظاتٌ نقديةٌ، وآراءٌ لغويَّةٌ-نحويَّةٌ حيالَ ظاهرةِ النَّداءِ. وتتلخَّصُ هذا الآراءُ إمَّا بماخِذٌ، أو بإضافاتٍ، أو بِقَهْمٍ جديدٍ.

وقد رَتَّبْنَا هذه الآراءَ والملاحظاتِ وفقاً للتَّرتيبِ الألفبائيِّ لأسماءِ النُّحاةِ، أو الباحثين، وهي على النُّحوِ التَّالي:

3.5.1. إبراهيم السَّامرائي:

جاءتْ آراءُ السَّامرائي ثوريَّةً، رافضةً الطريقةَ الَّتِي انتهجَهَا النُّحاةُ القدماءُ في ضَبْطِ قواعدِ اللُّغةِ، إلى درجةٍ أنَّه كان يستشعرُ دهشةً عارمةً ممَّا صَنَعَهُ النُّحاةُ، مُبَيَّنًا كَأَنَّهُ وهو في النُّحوِ القديمِ في موادٍّ بعيدةٍ كلِّ البعدِ عن أن تكونَ هناك ضوابطٌ للعربيَّةِ تَغْصِمُ اللِّسانَ مِنَ الزَّلَلِ، وتدفعُ غائلةَ اللَّحْنِ، وتحفظُ للعربيَّةِ فصاحتها. وقد عَزَا ذلك إلى أنَّ النُّحُوَّ انْتَقَلَ مِنْ غَرَضِهِ الرَّئِيسِ- وهو ضَبْطُ اللِّسانِ وتقويمُه- إلى أن أصبحَ علماً كسائرِ العلومِ الأخرى يُدْرَسُ وَيُطَلَّبُ لِذَاتِهِ³.

¹ صلاح الدين الزَّعْبَلَاوِي، مَعَ النُّحَاةِ، 93.

² أمين الخولي، مناهج تجديد في النُّحو والبلاغة والتفسير والأدب (القاهرة: دار المعرفة، 1961)، 80.

³ إبراهيم السَّامرائي، النُّحو العربي- نقد وبناء (بيروت: دار الصَّادق، 1968)، 124.

ويرى السامرائي أنّ من أهم الإشكالات في طرائق النُّحاة احتجاجهم بشواهد وأمثلة بعيدة عن الشائع والمستعمل، فقد احتجوا بكلام الجاهليين، وغالَى نفرٌ منهم في هذا، فقَصَرَ الاحتجاج على الجاهليين، وأنكَرَ أن يُحتَجَّ بالإسلاميين والمولدين، بل إنّ أشدّ ما يمكن أن يُؤخَذَ على النُّحاة قلّة احتجاجهم بلغة القرآن، فإذا أجلنا النّظر في شواهدهم القرآنيّة وجدناهم يَفيدون من القراءات التي خالفت المشهور: لإثبات وجه نحويّ يخالف الكثير المألوف؛ ومن أجل ذلك استشهدوا بالقراءات المحمولة على الشذوذ أحياناً التي نهى أهل العلم عَنِ الأخذ بها¹.

والنداء بدوره كان له مساحة في التّقويم والنّقْد عند السامرائي، فقد عَرَضَ للنداء، والاستغاثة، والتّذبة، والترخيم. وجاء هذا العرض بين النّقْد غالباً، وبين دَعْم رأيٍ على آخر أحياناً. وأهمُّ هذه الآراء جاءت في النّقاط التّالية:

1. إنّ استشهاد النُّحاة في باب "تابع المنادى" بـ"يا زيدُ زيدُ اليعملات الذّيل"، و"يا تيمُ تيمُ عديّ لا أبا لكم" وبما فيه من تعدّد للأوجه الإعرابيّة بين التّوكيد، أو البدل، أو عطف البيان، وبالتّالي اختلاف الحركة بين الضّمّ والفتح²، لهُوَ نموذجٌ من ضمن نماذج العلم النّحويّ الكثيرة، وهو نموذجٌ لا يعطيهم قوّة، ولا يمكنُ لأرائهم، بل تبدو قِلَقَةً، ذلك أنّ الموضوع مسألة احتمالات واجتهادات وتوجيهات، وأنّ توجيهات النّصب أو الرّفْع تقوم على شيءٍ مثل الألاعيب. وعلى هذا، فإنّ الباحث الحديث في النّحو لا يستطيعُ إلّا أن يرفضَ هذه التّوجيهات، ويُجريّ الكلام على الوجه الواضح السّهّل، وليس من مهمّة النّحويّ أن يوجّه الأحوال، ويُعلّلَ هذه الوجوه، بل إنّ مهمّته تقتصرُ على الوصف.

2. إنّ حكاية العوّض والمُعوّض في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم³ هي حكاية كثيرة الوقوع

¹ إبراهيم السامرائي، النّحو العربيّ - نقد وبناء، 124-126.

² انظر: الفصل الأوّل - توابع المنادى.

³ يُقال في النّداء: "يا أبت" و"يا أمت" بفتح التّاء وكسرهما، ولا يجوز إثبات الياء، فلا نقول: "يا أبتى" و"يا أمتي": لأنّ التّاء عوض من الياء، فلا يُجمَعُ بين العوض والمُعوّض منه.

في التحوّ العربي، وقد لجأ إلى هذه المسألة النحاة الأقدمون وهم في ذلك يحلّون مشكلة لغويّة لا يعرفون منشأها، ثمّ يخلصون إلى أنّه لا يُجمَع بين العوض والمعوّض منه. وقضيّة عدم الجمع بين العوض والمعوّض قضيّة منطقيّة أفاد منها النحاة في مسائل لا يمكن أن تنطبق عليها. ثمّ كيف تكون "التاء" عوّضاً من ياء المتكلّم؟ ثمّ إنّ مسألة حذف ياء المتكلّم والاستغناء عنها بالكسرة معروفة شائعة، وهي أفصح الأوجه المعروفة في هذه الإضافة.

3. وبخصوص مسألة العوّض والمعوّض أيضاً، فإنّ عدم ذكر "يا" مع "اللهم" المختومة بالميم؛ لأنّ "الميم" عوض من "يا" عند البصريين، أمّا الكوفيّون فإنّهم يجيزون ذلك؛ لأنّ "الميم" المشدّدة عندهم هي بقيّة من جملة محذوفة تقديرها: "أنا خير"، وهذا بحذ ذاته قول غير معقول، وهذا كما وصفه السيوطي بأنّه رأيٌ سخيّف، لا يحسن أن يقولّه من عنده علّم.

4. ثمة إشكاليّة في تعليل النحاة لأسلوب الاستغاثّة في قولنا: "يا لزيدٍ لعمرو"؛ وذلك أنّ لامّ المستغاث -عندهم- مفتوحة؛ لأنّ المنادى واقع موقع المضمر، واللام تفتّح مع المضمر، نحو: "لك وله"، وهذا كلام غير مفهوم؛ إذ كيف يكون المنادى -وهو اسم ظاهر- واقعاً موقع المضمر؟ وكيف فسّر النحاة فتح اللام في المستغاث فجعلوها كاللام في المضمر نحو: "له ولك"؟ ثمّ يبيّن السامرائي أنّ الذي يعرفه أنّ اللام مع المضمر لا تكون دائماً مفتوحة، فهي مكسورة مع ياء المتكلّم، ومن هنا نستطيع تفسير فتح اللام في الضمائر غير الياء بأنّها مسألة ترجع لتوافق الحركات. ونستطيع أيضاً أن نحمل على هذا كون اللام مكسورة مع الأسماء الموصولة التي هي أشبه بالمضمر.

5. يرى السامرائي أنّ بعض الأمثلة والشواهد في باب النّديّة¹، التي -بالتالي- تُبنى عليها القواعد الخاصّة بالنّديّة، تطابق واقع اللّغة الحقيقي، فلا يُخيّل أن التحوّي قد

¹ من هذه الأمثلة: إذا كان آخر ما تلحقه ألف النّديّة فتحه لحقته ألف النّديّة من غير تغيير لها، فتقول: "واغلام أحمده"، وإن كان غير ذلك وجب فتحه، إلّا أن أوقع في "لبس" فمثل ما لا يوقع فتحه في لبس

استقرى العربية فوجد هذه التماذج، وأنه أيضًا لا يظن أن شيئًا من هذا جرى على السنة أهل اللغة، وكان الناطق بالعربية على هذا المنطق النحوي مفكرًا يتعلم اللغة تعلمًا، فهو ينتقل من تركيب لفظي إلى آخر خشية حدوث الالتباس.

6. إن الذي دلّ عليه الاستقراء أن الترخيم يكاد يكون مختصًا بالشعر، وعلى هذا فهو أمر اقتضته لغة الشعر وضرورته غير أن الحدود والشروط التي وضعها النحاة تُخرج هذا الموضوع عن كونه مسألة ثانوية اقتضتها لغة الشعر، ومن ذلك أن الحرف الأخير يُحذف ويتبع ذلك حرف اللين قبله إن كان زائدًا رابعًا فصاعدًا، نحو: عثمان ومنصور ومسكين، فنقول: "يا عثم"، و"يا منص"، و"يا مسك"، فإن كان زائدًا نحو "مختار، أو غير لين أو غير رابع، نحو: مجيد فإنه لم يَجُزْ حذفه، فتقول: "يا مختا"، و"يا مجي".

إن هذه الأمثلة وغيرها من الشواهد التي تُفرز الكثير من القواعد النحوية تجعل من موضوع ترخيم المنادى شيئًا كبيرًا، والذي نعرفه - كما يؤكد إبراهيم السامرائي - أن العربية خَلَتْ من "مجي" أي "مجيد"، و"منص" أي منصور، و"ثمي" أي "ثمود"، وقد رأينا أن ما جاء مرخمًا وردَ في الشعر، وهذا، بطبيعة الحال، يقوّي الرأي أن للشعر لغة خاصة بسبب الأوزان الشعرية، وبسبب القيود الأخرى المتعلقة بالشعر. ولعلّ أكبر دليل على أن لغة الشعر هي لغة خاصة لا يمكن أن يُقاس عليها الكثير من القواعد النحوية - هو مسألة الضرائر الشعرية¹.

قولك في "غلام زيد": "واغلام زيداه" وفي "زيد": "وازيداه" ومثال ما يوقع فتحه في لبس "واغلامهوه" "واغلامكيه" وأصله "واغلامك" بكسر الكاف "واغلامه" بضمّ الهاء، فيجِبُ قلبُ ألفِ النّديّة: بعد الكسرة ياءً، وبعد الضّمة واوًا؛ لأنك لو لم تفعل ذلك وحذفت الضّمة والكسرة وأُتيت بألفِ النّديّة فقلّت: "واغلامكاه، واغلامهاه" لالتبس المندوب إلى ضمير الغائب بالمندوب المضاف إلى ضمير الغيبة.

¹ السامرائي، النحو العربي، 112-116.

3.5.2. أحمد بدوي:

أشار أحمد بدوي إلى أنه لا يكاد يُستخدم في القرآن حرف النداء مع لفظة "الرب"، بل يُنادى "الرب" مجرداً من حرف النداء، باستثناء آية واحدة كان استخدام حرف النداء "يا" متناعماً وطبيعة السياق¹، ويؤكد أن حذف حرف النداء قبل المنادى "رب" يتضمن تعبيراً عن شعور الداعي بقربه من ربه²، وأن هذا الإحساس يتجلى مع طبيعة العلاقة المتقاربة بين العبد والمعبود، نحو قوله تعالى: {..رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ...}³.

ثمَّ يبيِّن أنه على كثرة ما نودي "الرب" في القرآن لم يُعثر عليه مسبقاً بحرف النداء إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: {وَقِيلِ يَا رَبُّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ} * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ⁴، وهذا الموضع- كما يرى بدوي وفيود- يُعبّر عن حالة نفسية الملت بالرسول، وقد أفرغ جهده في دعوة قومه وإنذارهم، فلم يزدْهم ذلك إلا تمادياً في كفرهم؛ فأطبّق الهمُّ على فؤاده، فأتى بحرف النداء "يا" كأنما يريد أن يرفع صوته؛ زيادة في الضراعة والدعاء إلى الله؛ واستجلاب رضاه⁵، بمعنى أن السياق الخاص لهذه الآية استدعى أن يسبق كلمة "الرب" بـ"يا"، وكأنه اشتراك صوتي- دلالي، فجاء امتداد الصوت بهذا الحرف "يا"؛ كي يُنبئ بحالة الرسول النفسية⁶؛ وكي يخدم دلالة المعنى وما تربطه من علائق وشائج على المستوى الأدائي، بمعنى أن هذا التركيب بداً موطئاً توظيفاً يتماشى مع سياق الآية، وبما يتوافق مع الملمح النفسي.

¹ أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن (القاهرة: دار نهضة مصر، 1978)، 168-169.

² أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، 168.

³ القرآن الكريم، البقرة: 286.

⁴ القرآن الكريم، الزخرف: 88-89.

⁵ بدوي، من بلاغة القرآن، 169.

⁶ بسيوني فيود، علم المعاني، 115.

وفي حديثه حول "اللهم" أوّماً أحمد بدوي إلى أنّ "اللهم" لها مِيزَةٌ مُنْفَرِدَةٌ تختلفُ عن نداءٍ لفظِ الجلالةِ "يا الله"، حيث يقول- في معرضِ كلامِهِ عن "اللهم"- إنّه يحسُّ أنّ في هذه الكلمة فخامةً وروعةً لا يحسُّ بهما في "يا الله".¹

ولعلّه أرادَ بهذا أنّ يشيّرَ إلى أنّ ثمةَ اختلافًا بينَ "اللهم" وبينَ "يا الله" من الناحية الدلاليّةِ على الرّغم من أنّ "اللهم"- في الحقيقة- هي عند النّحاةِ "يا الله" فحُذِفَتِ الياءُ وعُوِضَ عنها بالميم المشدّدة، بمعنى أنّ "اللهم" تحملُ دلالاتٍ أعمقَ، فتؤدّي- بذلك- معنى العظَمَةِ والجلالِ مَشُوبًا، في الوقتِ نفسِهِ، بمعنى الجمالِ، وحُسْنِ الأداءِ، لا سيّما أنّها لفظَةٌ يُنادى بها اللهُ مِنْ قِبَلِ عبدهِ الإنسانِ بشعورِ التّذلّلِ والافتقار والدّعاء.

3.5.3. أحمد عبد السّتار الجوّاري:

عَرَفَ الباحثُ أحمد الجوّاري باهتمامِهِ البالغِ بتيسيرِ النّحو؛ لإيمانِهِ بأنّنا أحوَجُ ما نكونُ إلى لغةٍ سَمَحَةٍ طَيِّعَةٍ وافيةٍ بحاجاتِ الجمهورِ الّتي تعينه على التّعلُّمِ، وتكونُ في يدهِ مفتاحًا إلى المعرفةِ على اختلافِ صنوفِها وفروعِها.²

ومَعَ هذا، فإنّه التّيسيرُ- عندهُ- لا يعني التّسهيلَ، والاختصارَ، وتذليلَ الصّعبِ مِنْ مباحثِ النّحوِ، وتمهيدَ الوعرِ مِنْ مسالكِهِ فحسبُ، إنّما ينبغي أيضًا أنْ تقترنَ بتلكِ الجهودِ جهودٌ أخرى تتّجهُ إلى إعدادِ الذين يقومون على تدريسِهِ وتعليمِهِ؛ حتّى لا يبقى النّحوُ مادّةً غريبةً على الأفكارِ لا تسيغُها ولا تهضمُها ولا يُنتَفَعُ بها.³

ثمَّ يوكِّدُ الجوّاري أنّ أدنى السُّبُلِ إلى الصّوابِ في معالجةِ هذا النّحوِ أنّ يُدرَسَ في صورتِهِ الأولى داسةً عميقةً لا تَغْفِلُ عَنِ الغايةِ ولا تتجاهلُ أسبابَ الانحرافِ عنها، ثمَّ يُعرَفَ ما اختلطَ بها مِنْ أمورٍ بعيدةٍ عن طبيعتها، وبعدَ ذلك أنْ نُدرِكَ ما ينبغي أنْ يبقى وما ينبغي أنْ يُحذفَ من أجزائها وأبوابِها؛ ذلك أنّ منها أجزاءٌ وُضِعَتْ لا لِتَسُدَّ حاجةً لُغويَةً، ولا

¹ أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن (القاهرة: دار نهضة مصر، 1978)، 169.

² أحمد عبد السّتار الجوّاري، نحو التيسير (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984)، 13.

³ أحمد الجوّاري، نحو التيسير، 15.

لِتَقْضِيَ حَاجَةً فِكْرِيَّةً، وَإِنَّمَا وُضِعَتْ؛ لاسْتِقْصَاءِ قَاعِدَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ، أَوْ سَدِّ ذَرْبَةٍ، أَوْ رَدِّ
اعْتِرَاضٍ مَتَصَوِّرٍ¹.

ولعلَّ أَهَمَّ الملاحظاتِ الَّتِي عَرَضَهَا لَهَا الجوّاري هي:

1. يَأْخُذُ أَحْمَدُ الجوّاري العَجَبُ مِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ النَّحَاةُ عَلَى كَوْنِ النَّدَاءِ خَبَرًا بِنَصْبِ
الْمُنَادَى لِفِظًا أَوْ مَحَلًّا، إِذْ يَرَى أَنَّ فِي هَذَا الِاسْتِدْلَالَ قَلْبًا لِمَنْطِقِ النَّحْوِ الَّذِي يَجْعَلُ
عَلَامَةَ الْإِعْرَابِ أَثَرًا مِنْ أَثَارِ الْمَعْنَى، وَدَلِيلًا عَلَيْهِ، لَا مُؤَثِّرًا فِي الْمَعْنَى وَمُؤَسِّسًا حُكْمًا
مَعْنَوِيًّا يَكُونُ الْإِعْرَابُ مَظْهَرًا لَهُ وَعَلَامَةً دَالَّةً عَلَيْهِ².

2. إِنَّ النَّصْبَ عِنْدَ النَّحَاةِ عَلَامَةُ الْمَفْعُولِيَّةِ، وَكُلٌّ مَنْصُوبٌ عِنْدَهُمْ مَفْعُولٌ أَوْ شَبِيهُ
بِالْمَفْعُولِ، أَوْ هُوَ فِي حُكْمِ الْمَفْعُولِ، وَالنَّدَاءُ عِنْدَهُمْ مُحْتَمَلٌ لِلتَّأْوِيلِ بِفِعْلِ نَابٍ عَنْهُ
حَرْفُ النَّدَاءِ يَقْدَرُونَهُ بِ"أَدْعُو" أَوْ "أُنَادِي" وَكُلٌّ هَذَا- كَمَا يَرَى الجوّاري- خُرُوجٌ عَلَى
طَبِيعَةِ النَّدَاءِ، وَتَعَسُّفٌ³ فِي التَّأْوِيلِ وَفِي التَّخْرِيجِ⁴.

3. يَقْتَرِحُ الجوّاري كَمَحَاوِلَةٍ تَقْرِيبِيَّةٍ بَأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَقْرَبُ إِلَى طَبِيعَةِ النَّدَاءِ أَنْ يُؤَوَّلَ بِفِعْلِ
طَلَبٍ، فَيَكُونُ قَوْلُ الْقَائِلِ "يَا زَيْدُ" وَ"يَا فَاعِلَ الْخَيْرِ": تَعَالِ، أَوْ أَقْبِلْ، أَوْ أَجْنِبْنِي، وَنَحْوِ
ذَلِكَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَانُوا- وَأَنْ اشْتَطُوا- أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِ وَظِيفَةِ النَّدَاءِ وَمَعْنَاهُ،

¹ الجوّاري، نحو التيسير، 11.

² أحمد الجوّاري، نحو المعاني (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006)، 146.

³ لم يكن هذا رأي الجوّاري من النَّحَاةِ المحدثين، بل هو رأي قديم ذهب إليه بعض النَّحَاةِ القدماءِ نحو
المجاشعي الَّذِي قَالَ بِصَرِيحِ الْعِبَارَةِ: "...فَإِنْ قِيلَ: مَا تَقْدِيرُ الْعَامِلِ فِيهِ؟ قِيلَ الْمَصْدَرُ أَصْلُ الْأَفْعَالِ يُؤْخَذُ
مِنْهُ فِعْلٌ عَلَى جِهَةِ الْخَبَرِ، وَفِعْلٌ لَيْسَ بِخَبَرٍ كَفِعْلِ الْأَمْرِ، وَكَذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ فِعْلٌ يَدُلُّ عَلَى
النَّدَاءِ، وَلَيْسَ بِخَبَرٍ، وَيَكُونُ عَلَى بَعْضِ أَبْنِيَةِ الْأَفْعَالِ كَأَنَّهُ فِي التَّمَثِيلِ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى الْمَعْنَى، يَأْزَادُ
عَبْدُ اللَّهِ فَيَكُونُ (أَرَادَ) يَدُلُّ عَلَى النَّدَاءِ كَمَا يَدُلُّ (أَرَدَ) عَلَى الْأَمْرِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمَلْ ذَلِكَ الْفِعْلُ عَلَى هَذَا
الْمَعْنَى، وَلَكِنَّهُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ، وَفِي هَذَا الْقَوْلِ تَعَسُّفٌ وَلَيْسَ تَحْتَهُ طَائِلٌ...". انظر: المجاشعي، شرح عيون
الأخبار، 262.

⁴ الجوّاري، نحو المعاني، 146.

وهو إنشاءٌ لا رُبَّ¹. وهذا يعني أنَّ الجوّاري يرفضُ تقديرَ النَّحاةِ للفعلِ المحذوفِ أدعو" أو "أنادي" الذي قامَ مقامه حرفُ النَّداء؛ لأنَّ هذا التَّقديرَ يحوي في داخله معنى الإخبار، فلا يتلاءمُ- بذلك- معَ طبيعةِ النَّداءِ، الخاضعِ تحتَ إطارِ الأساليبِ الإنشائيةِ. 4. يُحاولُ الجوّاري أنْ يحدَّ تعليلًا نَحويًا لنصبِ المنادى وبنائه، فيزَيُّ أنَّ المنادى المنصوبُ ما هو إلّا إثارةٌ للفتحةِ، تلكَ الحركةُ الخفيفةُ المستحبةُ الّتي يُلجأُ إليها ويؤثرُها اللّسانُ العربيُّ، حيثُ لا حاجةٌ إلى ضمّةِ الإسنادِ، ولا كسرةِ الإضافةِ والمفعوليّةِ غيرِ المباشرةِ². أمّا المنادى المبنيُّ فعلى ما يبدو أنّه استبعادُ صيغةٍ أخرى مِنْ صيغِ النَّداءِ، وهي النَّدْبَةُ الّتي يُمَدُّ فيها الصَّوْتُ بالفتحة فتصيرُ أَلْفًا، وقد يلحقُ الألفَ هاءٌ فيقال: "يا زيدا"، و"يا زيدا"، ونحو ذلك³.

3.5.4. أوجست فيشر (Fischer):

يُبيِّنُ إبراهيمُ مذكور- وكان حينها الأمين العامّ لمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة- أنَّ أوجست فيشر هو أحدُ كبار اللّغويين في القرن العشرين، عُني بالمعجم العربيّ عنايةً بارزةً منذُ أواخرِ القرن الماضي، وعاشَ معه نحوَ خمسينَ سنةً، حيثُ قضى زمنًا طويلًا يجمعُ النّصوصَ؛ لِيَسْتَخْلَصَ منها دلالاتِ الألفاظِ والتّراكيبِ، متتبعًا إيّاها في مختلفِ العصورِ والبيئاتِ، ومسجلًا ما يطرأ عليها من تغييرٍ وتبديلٍ.

ثمَّ يضيفُ مذكور أنّه لم يكنْ غريبًا على فيشر، اللّغويّ الكبيرِ، وصاحبِ المنزلةِ العلميّةِ الرّفيعةِ، أنْ يكونَ بَيْنَ مؤسّسي مَجْمَعِ اللّغةِ بالقاهرةِ، بدأً معه يومَ أنشئَ، واشتركَ معَ زملاءٍ لَهُ في وَضْعِ المعجمِ العربيّ الحديثِ. ثمَّ بدأَ بإنشاءِ معجمٍ تاريخيٍّ، ولكنّه لم يستطعْ إتمامه؛ لأنَّ المنيّةَ وافتته، فعكفَ المجمعُ بدورِهِ على جَمْعِ ما يمكنُ جمعه ممّا بَحَثَ فيه فيشر، وتَمَّتْ طباعَةُ المعجمِ، إذ حَوَى مقدّمةً، ثمَّ المعجمُ "الصّغيرُ" ذاته، بدايةً مِنَ الهمزةِ

¹ ن. م.، 146.

² أشار الباحثُ إلى ذلك بتوسّع في الكتاب نفسه في باب "معاني الإعراب". انظر: الجوّاري، 34-51.

³ الجوّاري، نحو المعاني، 145.

حتى المادة اللغوية "أبد". ولا ريب في أنه معجم غني، فيه آراء لغوية جديرة بالتأمل، وملاحظات منهجية تُفيد الباحثين والمعنيين بالمعجم العربي بوجه خاص¹.

حاول فيشر في معجمه "الصغير" أن يُدعم ويُثبت قدر المستطاع ما دونه بالموارد والمراجع حول الهمزة وما يحوطها من قضايا النداء، فجاءت إشارته مختصرة، تحيل القارئ إلى منابع المسألة المتحدّث عنها، مستقرًا ما جاء به في كتب النحاة، ومن شواهد شعرية ونثرية.

بيد أن ثمة ملاحظة أشار إليها فيشر نراها هامة للغاية، لا سيما أنها تُشكّل رأيًا متفردًا ومثيرًا، إذ يقول إنه يجب أن تُضاف إلى حروف النداء المعروفة حروف أخرى، وهي: أيها، أيئها، يا أيها، وإن كانت لها صفة أخرى، وعمل نحوي آخر².

3.5.5. جرجس الخوري المقدسي:

طالب جرجس المقدسي من خلال اقتراحات طرحها؛ لتسهيل قواعد اللغة العربية، بأن تصبح حركة المنادى واحدة لكل أنواع المنادى، بغض النظر عن كون المنادى معربًا، أو مبنياً، معللاً ذلك بأنه "إذا كان المنادى مفعولاً به في الأصل فما المانع من نصب المنادى

¹ أوجست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1967)، التصدير بقلم: إبراهيم مذكور.

² لعل هذا الرأي هورائي تفرد به فيشر. وهو رأي لافت ومثير في الوقت نفسه، ف"أيها"، و"أيئها" هي- بعدها تُستعمل للمفرد والمثنى والجمع بنوعها- عند النحاة المنادى عينه، وليست أدوات، أو حروفاً؛ ذلك لأن الاسم الذي يأتي بعدها يُعرب إمّا بدلاً، أو نعتاً، أو عطف بيان. وأظن أنه قصّد بذلك التيسير؛ لكون أن ما بعد هذه الأدوات هو المنادى حقيقةً، ولكن يؤتى بها- كأداة مساعدة- لأن المنادى في هذه الحالة يكون معرفاً ب"ال"، إذ ليس بالإمكان أن يُنادى المَعْرِفُ ب"ال" إلا بواسطة "أيها"، و"أيئها". والأمر الذي يقوّي ما نذهب إليه أنه- فيشر- أيضاً يلحق بهما "يا أيها"، و"يا أيئها" ككتلة واحدة، وما يأتي بعدهما هو المنادى. ولكن تبقى إشكالية، وهي: ما هو إعراب "يا أيها" في جملة: "يا أيها الرجل؟" أي، ما هو إعراب "يا"، أو "أيها" لكونهما- معاً- أداة النداء!

³ أوجست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، 16-17.

المعرب لفظاً، فنقول: "يا رجلاً" لمعيّن وغير معيّن، و"يا زيداً" و"يا فاضلاً" كما تقول: "يا ابن القاضي" و"يا طالعا جبلاً"؟ نعم إنّ الاختلاف في الحركات يرمز أحياناً إلى اختصارات، ولكن هذه الاختصارات لا تُوازي الأتعاب التي تُبدّل في درس رموزها، على أنّ زيادة العبارة لفظاً تؤدّي المعنى المطلوب خيرٌ من هذه الاختلافات بالحركات وإنهاك القوى بتلك المعميات¹.

وبذلك يستطيع الدّارس أو المتحدّث أن يتخلّص من هذه الصّعوبة، حيث لا يخفى على أحد أن استخدام الحركات في أماكنها يُعدّ عبئاً في درس العربيّة؛ لأنّ قواعدها تقضي بوضع علامات في آخر المُعْرَبَات بحسب العوامل، وهذا همٌّ يُلْزِمُ الكاتب والقارئ والخطيب مدى الحياة، بل لا يكتفي النّحاة بذلك إلّا أنّهم يطالبون الدّارس بتصور علامات إعراب للكلمة المبنية الأواخر، وفي هذا- كما يعتقد جرجس المقدسي- إجهاد قوى العقول؛ لكي يزيد تَمَلُّلُ الطّلبة ونفورهم من درس لغتهم².

3.5.6. جميل علّوش، ومحمد حسن عواد:

لعلّ جميل علّوش كان من أكثر الباحثين الذين شغلهم درس النّداء، إذ امتدّت مقالاته وكتبه على عشرات الصّفحات³، كلّها تتحدّث حول الإشكالات التي قَعَدَ لها النّحاة، ممّا حدا إلى خَلْقِ تناقضات بارزة تكتنف ظاهرة النّداء.

كانت رؤية علّوش تتمثّل بأنّ ثمة مفهوماً مغلوّطاً عند باحثي اللّغة والنّحاة، وهو أنّ النّحو عندهم من العلوم التي نَضَجَتْ واحتَرَقَتْ، فقد بَلَغَ النّحو- الغاية في الكمال والإتقان؛ فلم تُعدّ هناك حاجة إلى مزيدٍ من التّحليل والتّعليق، فلا فائدة من الكتابة في

¹ جرجس الخوري المقدسي، "العربيّة وتسهيل قواعدها"، المقتطف 29 (1904)، 343.

² جرجس المقدسي، "العربيّة وتسهيل قواعدها"، المقتطف، 342.

³ من الملاحظ أنّ جميل علّوش كان يُعيدُ نُشْرَ بعض المقالات في كتبٍ ودورياتٍ عدّة، نسخاً ولصقاً، ولكن بعناوين مختلفة. فمثلاً، مقال "مشكلات في معالجة النّحاة لموضوع النّداء" الذي نُشِرَ في المجلة الثّقافيّة عام 1990 أُعيدَ نُشْرُهُ تحت عنوان "المنادى المفرد بين اللفظ والمحل" في كتاب "الإعراب والبناء" الصّادر في عام 1997.

النَّحْوِ ولا جدوى مِنْ إنْفاقِ الوقتِ فِي تَتَبُّعِ قضاياءه، وإنعامِ النَّظَرِ فِي مسائله. ولكنَّ واقعَ الأمرِ يُخالفُ ذلك، فلا تزالُ فِي النَّحْوِ قضايا بحاجةٍ إلى دراسةٍ، ومشكلاتٌ بحاجةٍ إلى حلٍّ¹. والصَّحِيحُ أَنَّ النِّقَاطَ الَّتِي طَرَحَهَا جميل علّوش خلالِ كُتْبِهِ وأبحاثِهِ تحتاجُ إلى بحثٍ مستقلٍّ: كَيْ نَسْتَوْفِيهَا، ولكنْ نكتفي بعرضِ أهمِّ هذه النِّقَاطِ، وهي:

1. إِنَّ مِنَ السَّدَاجَةِ المتناهيةِ أَنْ نُسَلِّمَ بِالرَّأْيِ القائلِ بأنَّ المنادى منصوبٌ لفظاً أو محلاً بفعلِ النَّداءِ المحذوفِ، ذلكَ أَنَّ النَّداءَ إنشاءٌ، وتقديرُ الفعلِ خبرٌ، فَمِنْ غَيْرِ الجائزِ- مثلاً- أَنْ نُعْمَلَ معاني الحروفِ فَتَضَعَّ مكانَ "هل" الفعلِ أَسْتَفْهِمُ؛ تقديرًا، ومكانَ "ما" أنفي، ومكانَ "إلا" أَسْتَثْنِي... فكلُّ مَنْ عِنْدَهُ أدنى نظَرٍ يَعْلَمُ أَنَّ ثَمَّةَ فَرْقًا كبيرًا بَيْنَ قولنا: "يا محمَّدُ"، وقولنا: "أنادي محمَّدًا". فكَيْفَ لَنَا أَنْ نُجِيزَ لأنفسِنَا أَنْ نكتبَ جملةً ونُغَرِّبَ جملةً أُخرى قَدْ تحملُ معناها، ولكنَّها لا تحملُ دلالاتِها وأبعادَها².

والَّذي يدلُّ على فسادِ هذه النَّظَرِيَّةِ أَنَّهُ إِذَا جازَ لَنَا أَنْ نَسْتَعِيزَ عن أداةِ النَّداءِ بفعلِها المقدَّرِ جازَ لَنَا أَيْضًا أَنْ نَسْتَعِيزَ عن غيرها من أدواتِ التَّمْيِ والترجِّي والتَّوكِيدِ والشرطِ والاستفهامِ بالأفعالِ الَّتِي تعبَّرُ عن معانيها المفهومة. فلماذا نُطَبِّقُ القاعدةَ على موضعٍ ونهملُها في باقي المواضعِ؟ وإذا كانتِ النَّظَرِيَّةُ في عمومِها خطأً فكيفَ تكونُ في خصوصِها صحيحةً؟ بل كيفَ نُبَيِّحُ لأنفسِنَا أَنْ نعالِجَ مسألةً بما لم نعالِجْ به الأشياءَ والنِّظائِرَ³؟

والأمرُ المستهجنُ فِي هذا كُلِّهِ أَنَّهُ لا يكادُ يخلو مِنْ هذا القاعدةِ كتابٌ فِي النَّحْوِ، فهم يتناقلونها وكأنَّها وَحْيٌ مُنَزَّلٌ لا يأتيه الباطلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ. ثُمَّ إِنَّ خَطَرَ هذه القاعدةِ لا يتوقَّفُ على لفظةٍ، أو جملةٍ، أو بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ، بل هو يتجاوزُ ذلكَ إلى

¹ جميل علّوش، "مشكلات في معالجة النحاة لموضوع النداء"، المجلة الثقافية 21 (1990)، 83.

² جميل علّوش، الإعراب والبناء: دراسة في نظرية النحو العربي (بيروت: دار المعارف، 1997)، 111.

³ جميل علّوش، "نقد نظرية النحاة في النداء" المجلة الثقافية 7 (1985)، 34.

موضوعاتٍ وأبوابٍ واسعةٍ في النَّحْوِ، فهي تشملُ النَّداءَ بجميعِ حالاتِهِ، والاستغاثَةِ، والتَّعَجُّبِ النَّدائيِّ، والنَّدْبَةِ¹.

2. لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَكُونَ النَّصْبُ فِي الْمَنَادَى بِعَامِلٍ؛ فَظَاهِرَةُ النَّدَاءِ هِيَ ظَاهِرَةٌ انْفِعَالِيَّةٌ، لِهَذَا لَا لَا يُشْتَرَطُ فِي الْعِبَارَاتِ الْانْفِعَالِيَّةِ أَنْ تُعْرَبَ إِعْرَابَ الْجُمْلِ الْخَبَرِيَّةِ، فَمِنْ الْمَلَاخِظِ أَنَّ الْعِبَارَاتِ الْانْفِعَالِيَّةِ لَهَا نَمَطٌ خَاصٌّ بِهَا، وَمِنْ الْخَطَأِ أَنْ نَطَبِّقَ عَلَيْهَا مَقَايِيسَ الْإِعْرَابِ الَّتِي نَطَبِّقُهَا عَلَى الْجُمْلِ الْخَبَرِيَّةِ تَمَحُّلاً وَاعْتِبَاراً؛ إِذْ تَبَيَّنَ أَنَّ مُحَاوَلَةَ إِخْضَاعِ الْعِبَارَاتِ الْانْفِعَالِيَّةِ لِقَوَاعِدِ الْإِعْرَابِ هُوَ عَمَلٌ بَلَا جَدْوَى، فَالْعِبَارَاتُ الْانْفِعَالِيَّةُ لَهَا كِيَانُهَا الْمُسْتَقِلُّ الَّذِي يَأْبَى الْخُضُوعَ لِقَوَاعِدِ الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ².

3. إِنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْمَنَادَى الْعَلَمَ أَوْ التَّكْرَةَ الْمَقْصُودَةَ فِي نَحْوِ: "يَا زَيْدُ"، وَ"يَا رَجُلُ" هُوَ مَنَادَى مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ، وَلَا بَدَلُ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ بِفِعْلِ النَّدَاءِ الْمَحْذُوفِ "أَنَادِي"، هُوَ خَرَافَةٌ لَا يَقْبَلُهَا الْعَقْلُ، وَلَيْسَ لَهَا مَا يُؤَيِّدُهَا، حَيْثُ تَنَاقَلَهَا الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ دُونَ أَنْ يُظْهِرُوا اهْتِمَامًا بِرَأْيِ الْكُوفِيِّينَ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ ذَلِكَ³، وَدُونَ أَنْ يَعْلَمُوا أَيْضًا أَنَّ تَقْدِيرَ الْفِعْلِ "أَنَادِي"، أَوْ "أَدْعُو" يَجْعَلُنَا نُعْرِبُ عِبَارَةً أُخْرَى لَا تَمُتُ إِلَى الْأَوَّلَى بِصِلَةٍ؛ إِذْ إِنَّ عِبَارَةَ النَّدَاءِ إِنْشَائِيَّةٌ، وَالْعِبَارَةُ الَّتِي يَتَرَجَمُونَهَا بِهَا "أَنَادِي زَيْدًا" هِيَ عِبَارَةٌ خَبَرِيَّةٌ. وَهَذَا الْقَوْلُ مُرَدُّودٌ عَلَيْهِمْ؛ أَوَّلًا: لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَفْسِيرُ "يَا" بِأَنَادِي، وَ"هَلْ" بِأَسْتَفْهِم، وَ"إِلَّا" بِأَسْتَنْي. وَلَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لِأَلْعَيْنَا النَّحْوَ وَالْإِعْرَابَ. وَثَانِيًا: لِأَنَّ الْمَنَادَى فِي قَوْلِنَا "يَا زَيْدُ" جَاءَ مَبْنِيًّا عَلَى الضَّمِّ، وَحِينَ نَقُولُ "أَنَادِي زَيْدًا" يَجِيءُ مُعْرَبًا فَكَيْفَ تَتَسَاوَى الْحَالَتَانِ؟ وَثَالِثًا: لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْمَبْنِيِّ أَنْ يَخْضَعَ لِعَامِلٍ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ،

¹ علوش، "نقد نظرية النحاة في النداء" المجلة الثقافية، 29.

² علوش، الإعراب والبناء، 112.

³ جميل علوش، "بين ألقاب الإعراب وألقاب البناء"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 68 (1993).

كأسماء الأفعال وأسماء الأصوات. ومن المعروف أن يَبْنَ النداء المبني على الضمِّ وأسماء الأصوات صِلَةً؛ لأنَّ المنادي هو أولاً وأخيراً نوعٌ من الأصوات¹.

ثمَّ يؤكدُ علّوش أن كثرة ملاحظته للمنادي المبني على الضمِّ تجعله يُقرِّر عن يقين أنَّ المنادي هذا لا بدَّ أن يكون مرفوعاً. وكذلك يبدو من تتبُّع أقوال كثيرين من النُّحاة وعلى رأسهم سيبويه، فهو يتجاهل البناءِ على الضمِّ ولا يذكر إلاَّ الرفع، فيقول: "والمفردُ رُفْعٌ"، ويقول "فرفعوا المفرد كما رفعوا "قبل" و"بعد" وموضعهما واحد"².

4. من العَجَبِ العُجَابِ الَّذِي لا يكادُ يُصدِّقُ أنَّ النُّحاة القدماء لا يكتفون بقولهم إنَّ المنادي العَلَمُ المفردُ أو التَّكْرَةُ المقصودةُ بُنيان على ما يُرفعُ به، بل يتجاوزون ذلك إلى القول بأنَّ المنادي يُوصَفُ على لَفْظِهِ، بمعنى أنَّ الصِّفَةَ تُرْفَعُ على التَّبَعِيَّةِ، فيقولون: "يا زَيْدُ الكَرِيمُ" برفع "الكريم" على التَّبَعِيَّةِ واللَّفْظِيَّةِ. فَمِنْ المعروف أن الاسمَ المبنيَّ يُعَرَّبُ تابعه حَمَلًا على المحلِّ لا على اللَّفْظِ!

إنَّهم يزعمون أنَّ المنادي المبنيَّ على الضمِّ يكون في محلِّ نصبٍ بفعلِ النداء المحذوف. فإذا كان الأمرُ كذلك فيجبُ أن يكونَ التابعُ منصوبًا على المحلِّ. أمَّا أن يكونَ التابعُ مرفوعًا والمتبوعُ منصوبًا فهذا اضطرابٌ في التَّعْيِيدِ لَيْسَ له مثيلٌ. وعلى الرَّغْمِ من تسويغهم لهذا التَّخْرِيجِ، حينَ زعموا أنَّ كثرة ورود المنادي مبنياً على الضمِّ أباحَ لهم أنَّ يعدُّوه مرفوعًا، فإنَّ هذا التَّسْوِيعُ غيرُ مقبولٍ البتَّة؛ لأنَّ المبنيَّ يبقى مبنياً مهما كُتِرَ استعمالُهُ. ويبدو من ثَمَّ أن قول النُّحاة إنَّ كثرة ورود المنادي المبنيَّ على الضمِّ على

¹ جميل علّوش، الإعراب النَّمُوذَجِيّ- في النُّظَرِيَّةِ والتَّطْبِيقِ (عمان: دار أزمّة، 1998)، 37-38.

² علّوش، الإعراب والبناء، 108؛ "مشكلات في معالجة النُّحاة لموضوع النداء"، المجلَّة الثَّقَافِيَّة، 84؛

انظر: سيبويه، الكتاب، 2: 182.

هذه الصّورة أبحاثٌ للنّحاة عدَّ ضمّته حركة رفعٍ هو قولٌ لا يتّسقُ مع قواعد المنطقي السّديد، وإلاّ فمَنْ قال إنّ كثرة استعمال المبيّ تجعله مُعَرَّباً¹؟

5. يخلطُ النّحاة بين البناء الأصلي وبين البناء العارض في نداء العَلَم المبيّ، نحو: "سيبويه"، فتضيقُ السُّبُل بالمعرب، ولا يستطيعُ أن يخرج النّحاة من هذا الإشكال إلاّ بالتّقدير الضّعيف والتّخريج المخلخل. فنقول في إعراب "سيبويه" في قولنا: "يا سيبويه" إنّهُ منادى مبيّ على الضّمّ الذي منع من ظهوره حركة البناء الأصلي (كلمة سيبويه مبنية على الكسر²)، فإذا اتّبَعْنَا "سيبويه" بصفة جئنا بها مرفوعةً على ما رَسَم النّحاة؛ فنقول: "يا سيبويه الكريم" برفع "الكريم". وإذا كان البناء على الضّمّ لم يظهر على "سيبويه" فكيف نُبيح لأنفسنا أن نتبعه بصفة مرفوعة؟ ألَمْ يقل النّحاة إنّهم رفعوا الصّفة؛ لكثرة ورود المنادى مبنياً على الضّمّ حتّى عدَّ كأنّه مرفوعٌ؟ ولكن إذا لم يَجِ المنادى مبنياً على الضّمّ في مثل "سيبويه" فكيف تحيى صفتُه مرفوعةً؟ ألا يُفْهِم من هذا أنّ الأقرب إلى المنطقي أن نقول: إنّ المنادى مرفوعٌ وإنّ "سيبويه" علمٌ مبيّ على الكسر في محلّ رَفْعٍ؟ وإلاّ فمتى جاز أن يتعاور اسماً واحداً بناءً: بناءً ثابتاً، وبناءً عارضاً؟ ونستطيع أن نقول الكلام نفسه في مثل قولنا: "يا هذا الرّجل"، و"يا هذه

¹ علّوش، "مشكلات في معالجة النّحاة لموضوع النّداء"، المجلّة الثّقافيّة، 84-85: الإعراب والبناء، 107-108.

² ذَكَرَ بعضُ النّحاة أنّ "سيبويه" هو اسمٌ علَم فارسيّ بمعنى "التّفاح"، ويقولون إنّ انتهاء العَلَم بـ"ويه" هو تصغيرٌ لـ"سيب" بالفارسيّة التي تدلّ على التّحبيب، كما هو شأنُ التّصغير في اللّغة العربيّة في أحد معاني التّصغير؛ لهذا جاءت كلمة "سيبويه" مبنية على الكسر كنوع من مخالفتها عن الأصل في الاسم غير المُصَغَّر. ويُشارُ- أيضاً- إلى أنّ ثمة نحاة يقولون إنّ "سيبويه" مكوّنة من مقطعين، وهما: "سيب" بمعنى التّفاح، و"ويه" بمعنى الرّائحة، فيصبح معنى سيبويه "رائحة التّفاح". وتذكّر جماعةً أخرى من النّحاة وأصحاب التّراجم القدماء أنّ "سيبويه" الفارسيّة الأصل مكوّنة من مقطعين: "سي" ومعناه "ثلاثون"، و"ويه" ومعناه الرّائحة، أيّ "ذو الثلاثين رائحة". انظر: عبد السّلام هارون في مقدّمة الكتاب لسيبويه. سيبويه، الكتاب، 1: 6-3.

المرأة"، و"يا هؤلاء الرجال" فإن أسماء الإشارة هنا مبنية في محل رفع على النداء؛ لأنّ المنادى المفرد مرفوع. وأمّا الأسماء التالية لها فهي مرفوعة على البدلية. ولا مجال هنا للزعم بأن أسماء الإشارة قد اعتوّرها بناءان: بناء ثابت، وآخر عارض¹.

وبعد هذا العرض لأهم الآراء النقدية التي عرض لها جميل علّوش، لخصّ آراءه بخمس نتائج أسماها بـ"حقائق، وهي:

- لا بأس في عدّ المنادى المفرد مبنياً على الضمّ، شريطة أن يكون مقطوعاً عن الوصف كما هو حينما يكون مقطوعاً عن الإضافة.
- إذا أُتبع المنادى المفرد بالوصف، أو البدل، أو التوكيد، وكذلك إذا نُيّي، أو جُمع جمعاً مذكراً سالماً فلا مناص من عدّه مُعرّباً مرفوعاً.
- إن القول بأنّ المنادى منصوب دائماً بفعل محذوف تقديره "أنادي" هو خرافة ليس لها ما يؤيدها.
- أن المنادى المفرد ليس بحاجة لأن يوصف وما جاء خلاف ذلك فهو مرفوع على أنّه نعت مقطوع، أو منصوب بتقدير فعل "أمدح" أو "أعني".
- إن التزام رأي الكوفيين بعدّ المنادى المفرد مرفوعاً لا مبنياً على الضمّ يحلّ كلّ ما يعترض الطالب من تعقيدات عند دراسة هذا الموضوع².

وكان الباحث محمد حسن عوّاد قد ردّ على ادّعاءات جميل علّوش في مقال نشره في مجلة مجّمع اللغة العربية بدمشق، مُعبراً عن انتقاداتٍ حادةٍ لما عرض له علّوش في مقاله: "مشكلات في معالجة النّحاة لموضوع النداء"، فبدأ عوّاد مقاله مُفنداً رأي جميل علّوش الذي قال إنّ علماء اللغة والنّحاة يرون في علم النّحو علماً قد نضج واحترق، ولا جدوى من إنفاق الوقت في تتبع قضاياها، وإنعام النّظر في مسائله³. فيقول عوّاد- مجيباً- إنّ جميل

¹ علّوش، الإعراب والبناء، 111.

² علّوش، الإعراب والبناء، 114؛ "مشكلات في معالجة النّحاة لموضوع النداء"، المجلة الثقافية، 88.

³ انظر: علّوش، "مشكلات في معالجة النّحاة لموضوع النداء"، المجلة الثقافية، 83.

عَلَّوْشَ قَوْلِ النُّحَاةَ مَا لَمْ يَقُولُوا، وَحَمَلَهُمْ مَا لَمْ يَحْتَمِلُوهُ. فَقَوْلُهُ: "أَنْ لَا فَائِدَةٌ مِنَ الْكِتَابَةِ فِي النَّحْوِ..." هُوَ طَرَحٌ لِلْاجْتِهَادِ، وَإِغْلَاقٌ لِבَابِ النَّظَرِ فِي الْعُلُومِ، وَمَا أَحْسَبُ أَحَدًا مِنَ النُّحَاةِ قَالَ بِذَلِكَ، بَلْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، فَإِنَّ النُّحَاةَ يَعْضُدُونَ الْاجْتِهَادَ فِي النَّحْوِ، وَيَحْتُونُ عَلَيْهِ¹.

أَمَّا أَهْمُ النَّقَاطِ الَّتِي رَدَّ فِيهَا مُحَمَّدٌ عَوَّادٌ عَلَى جَمِيلِ عَلَّوْشَ، بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّدَاءِ، فَهِيَ:

1. إِنَّ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ النُّحَاةَ يَعْدُونَ النَّدَاءَ خَبْرًا لَا إِنْشَاءً، بِقَوْلِهِمْ "الْمُنَادَى مَنْصُوبٌ بِفَعْلِ مَحذُوفٍ" هُوَ إِحْيَاءٌ مُرَدُّدٌ؛ لِأَنَّ النُّحَاةَ الْقَدَمَاءَ نَصَّوْا بِصَرِيحِ اللَّفْظِ عَلَى أَنَّ النَّدَاءَ إِنْشَاءً. وَإِصْرَارُهُمْ عَلَى حَذْفِ فَعْلِ النَّدَاءِ وَجُوبًا دَالٌّ عَلَى أَنَّ النَّدَاءَ إِنْشَاءً. وَلِأَنَّ إظهارَ الْفَعْلِ يَنْقُلُهُ إِلَى الْخَبَرِ، وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ. كَمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِنَّ النَّدَاءَ خَبْرٌ، وَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ الْفَعْلِ مَرَاعَاةَ نَظَرِيَّةِ الْعَامِلِ. وَالَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى حَذْفِ الْفَعْلِ وَجُوبًا اعْتِقَادُهُمْ بِأَنَّ النَّدَاءَ إِنْشَاءً لَا يَصِحُّ أَنْ يَصِيرَ خَبْرًا.

2. إِنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْمُنَادَى مَنْصُوبٌ دَائِمًا بِفَعْلِ مَحذُوفٍ هُوَ خَرِافَةٌ لَيْسَ لَهَا مَا يُوَيِّدُهَا هُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ، بَلْ إِنَّ هُنَاكَ مَا يُوَيِّدُهَا عَلَى أَنَّهَا حَقِيقَةٌ وَاقِعَةٌ لَا خَرِافَةٌ وَهُوَ جَوَازُ رَفْعِ التَّابِعِ وَنَصْبِهِ فِي مِثْلِ: "يَا زَيْدُ الظَّرِيفِ"، وَ"يَا زَيْدُ الظَّرِيفِ"، وَنَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ} فَقَرِئَ بِنَصْبِ الطَّيْرِ وَرَفْعِهِ. قَدْ نَصَبَ "الظَّرِيفُ" حَمَلًا عَلَى الْمُحَلِّ، وَرَفَعَ "الظَّرِيفُ" حَمَلًا عَلَى الظَّاهِرِ، وَلَا يُقَالُ: إِنَّ النَّصْبَ فِي "الظَّرِيفِ" بِفَعْلِ مَحذُوفٍ، وَالرَّفْعَ عَلَى أَنَّهُ خَبْرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَقْلًا أَنْ تَكُونَ "الظَّرِيفُ" صِفَةً لَزِيدٍ. فَإِذَا لَمْ يَمْتَنِعْ صَارَتِ الصِّفَةُ وَجْهًا مِنْ وَجُوهِ ثَلَاثَةٍ فِي إِعْرَابِ الظَّرِيفِ، كَمَا سَلَفَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ، بَلْ صَارَتِ الصِّفَةُ أَقْوَى مِنَ الْوَجْهَيْنِ الْآخَرَيْنِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ التَّقْدِيرِ بِلا ضَرُورَةٍ مُلْجِئَةٍ².

¹ مُحَمَّدٌ حَسَنٌ عَوَّادٌ، "التَّعْرِيفُ وَالتَّقْدِيرُ - دَرَاةٌ فِي بَحْثٍ: مُشْكَلَاتٌ فِي مَعَالِجَةِ النَّدَاءِ لِمَوْضُوعِ النَّدَاءِ"، مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدَمَشَقٍ 72 (1997)، 339-340؛ أَمِينُ الْخَوْلِي، مَنَاهِجُ تَجْدِيدِ فِي النَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْأَدَبِ، 70.

² عَوَّادٌ، "التَّعْرِيفُ وَالتَّقْدِيرُ - دَرَاةٌ فِي بَحْثٍ: مُشْكَلَاتٌ فِي مَعَالِجَةِ النَّدَاءِ لِمَوْضُوعِ النَّدَاءِ"، مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدَمَشَقٍ، 354-355.

3. إنَّ رأيَ جميل علّوش بأنّه ليسَ من الضّروريّ أن يكونَ النَّصبُ في المنادى بعاملٍ، ذلكَ لأنّه ليسَ من شرطِ عباراتِ الانفعاليّةِ أن تُعرَبَ إعرابَ الجملةِ الخبريّةِ هو رأيٌ غيّرُ دقيقٍ، فالمسألةُ لَيْسَتْ مسألةَ عباراتِ انفعاليّةٍ أو غيرِ انفعاليّةٍ بقدرِ ما هي مسألةٌ راجعةٌ إلى أساسٍ مِنَ الأساسِ الّتي يقومُ الفكرُ النَّحويُّ عليها. وهذا الأساسُ هو العاملُ، فإنّما أن نظرحه جملةً في الجملِ الانفعاليّةِ وغيرها، وإمّا أن نقرّه. فإنّ كان الأوّلُ فلعلينا أن نشمّرَ عن ساعدِ الجدِّ في تفسيرِ الظّواهرِ اللّغويّةِ تفسيراً غيرَ منتفضٍ ولا مدفوعٍ. وإن كانَ الثّاني فلا ضرورةً إلى التّجديدِ الفطير¹.

4. ليس في رَفْعٍ تابعِ المنادى المفردِ المعرفةِ حَفْلاً على الظّاهرِ ما يُثيرُ العَجَبَ إذا أدركنا ما أوردَهُ النّحاةُ في تفسيرِ هذه الظّاهرة. إنهم يعتقدون أنّ المبيّنَ قسمان: منه ما هو متوغّلٌ في البناءِ وهو ما يُعرَفُ بالبناءِ الأصليّ، ومنه ما هو دونهُ، وهو ما يُعرَفُ بالبناءِ العارضِ. فأما الضّرْبُ الأوّلُ فلم يُجَوِّزُوا فيه الإِتباعَ على ظاهرِ اللَّفْظِ، بخلافِ الضّرْبِ الثّاني فقد جَوِّزُوا فيه ذلكَ. ومن هذا الضّرْبِ تابعِ المنادى المفردِ المعرفةِ، ونعتُ اسمَ لا النافيةِ للجنسِ في وجهٍ مِنْ وجوهِ إعرابه. وهذا ما عبّرَ عنه ابنُ هشامٍ بصريحِ العبارةِ: "وأما "لا رجلَ ظريفاً"؛ فإنّه عندَ سيبويهٍ مثلُ "يا زَيْدُ الفاضلُ بالرفْعِ بخلافِ حركةِ البناءِ فإنّه لا يجوزُ إِتباعُها لعدمِ الشّبهِ المذكورِ". وهذا ما استدلّ به أيضاً الشّيخُ عثمانُ النّجديّ مفسّراً ما عناه سيبويهُ بقوله: "ألستَ قد زعمتَ أنّ هذا المرفوعَ في موضعِ نصبٍ؟ فلمَ لا يكونُ كقولهِ "لقيتُهُ أمسَ الأحدَ"؟ قال: مِنْ قِبَلِ أنّ كلّ اسمٍ مفردٍ في النّداءِ مرفوعٌ أبداً. وليسَ كلّ اسمٍ في موضعِ "أَمَسَ" يكونُ مجروراً. فلمّا اطرَدَ الرّفْعُ في كلّ مفردٍ في النّداءِ صارَ عندهم بمَنزِلَةِ ما يرتفعُ بالابتداءِ أو بالفعلِ فجعلوا وصفَه إذا كانَ مفرداً بمَنزِلَتِهِ". وهذا يعني أن سيبويهٍ يحاولُ تفسيرَ ظاهرةِ بناءِ المنادى المفردِ المعرفةِ بإقامةِ ضَرْبٍ مِنَ الموازنةِ بينَ ما هو متوغّلٌ في البناءِ وبينَ ما هو عارضٌ².

¹ عواد، 356.

² ن. م.، 340-341.

3.5.7. زكريّا أوزون:

أُخْدِثَ هذا الكتابُ ضجّةً كبيرةً، وأثّارَ حفيظةٍ كثيرٍ من اللّغويّين والنّحاة؛ حتّى علماء الدّين، وذلك لاتهمّامِ سيّبويه بأنّه الجاني على اللّغة العربيّة وقواعدها؛ بل راحَ زكريّا أوزون يؤكّد أنّ النّحو الذي ارتسمه سيّبويه لم يكن سوى أوهامٍ لا يحاكي الواقع المعيش.

ويتساءلُ أوزون في كتابه، هل يتقنُ ناطقو اللّغة العربيّة قواعدَ لغتهم؟ ولماذا أخفق ويخفق الطّلاب- على اختلافِ مستوياتهم العلميّة- بفهمِ قواعدِ النّحو العربيّ وتطبيقه؟¹

ثمّ تبدّى ثورهُ أوزون على كثيرٍ من القضايا النّحويّة التي قعدها سيّبويه في كتابه، فهي- عنده- قواعدٌ لا تستندُ إلى المنطقي، أو العقلانيّة²، فتعكسُ الأبواب النّحويّة فيها صعوبةً في التّعلّم؛ لما في النّحو من تأويلٍ، وإعرابٍ محليّ، ومسائلٍ أخرى معقّدة. وبما أنّ سيّبويه هو المرجعُ الأوّل للنّحويّين من خلال "الكتاب" فقد سارَ على نهجه هؤلاء النّحويّون؛ لذا فهو سببُ الجناية في النّحو؛ لأنّه المسؤولُ الأوّل عن انتقالِ النّحو منذ أيامه إلى أيّامنا هذه.

ويبيّن زكريّا أوزون أنّ الغاية من كلّ ما قدّمه في هذا الكتاب تكمنُ في رفضِ قواعدِ النّحو في اللّغة العربيّة اعتماداً على الأسلوبِ النّقديّ، ثمّ في التأسيسِ لقواعدٍ جديدةٍ ترتكزُ على موقعِ الكلمة ودورها في النّظم لا اعتماداً على حركةٍ أواخرِ الكلمات (الشّكل)، وعلى إعمالِ العقلِ والمنطقي في التّفعيد، وقيامِ التّوافق بين الدّالِّ والمدلول، وأيضاً، ترتكزُ على تأثيرِ الزّمنِ وفاعليّةِ الأدوات (الحروف) في القواعد. وبالتالي، فإنّ النتيجة لكلِّ هذا الطّرح التّأسيسُ لنشوءِ جيلٍ عربيٍّ يتكلّمُ لغةً واحدةً دونَ ازدواجيّةٍ بين العاميّة والفصيحة³.

¹ زكريّا أوزون، جناية سيّبويه- الرّفض التّام لما في النّحو من أوهام (بيروت: رياض الرّيس للكتب والنّشر، 2002)، 14-15.

² زكريّا أوزون، جناية سيّبويه، 14؛ 16.

³ أوزون، 170-171.

والمنادى، بدوِّره، كانَ حاضرًا لانتقاداتٍ لاذعةٍ- وساخرةٍ في كثيرٍ من الأحيان- شَمَّها أوزون على النُّحاة القدماء. ومن أهمِّ هذه الملاحظات:

1. لا علاقةٌ للمنادى بالمفعول به، ولو تَوَهَّم بعضهم أنَّ الاسمَ بَعْدَهُ منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ تقديره "أدعو" أو "أنادي"¹.

2. يُلاحظُ اليومَ أنَّ كثيرًا من النَّاسِ استغنَوْا عن أدواتِ النَّداءِ، فقلَّما تجدُ مواطنًا عربيًّا يقول: "يا أبي"، و"يا أحمد"، بل يُنادي: "أبي"، "أحمد"².

3. يرفضُ النُّحاةُ أنْ نقول: "يا الله"، وهو- دونَ أدنى شكٍّ- يقبلُ ندائنا من غيرِ "يا" أو "أَيُّها"، فعَلَّمونا أنْ نقولَ "اللَّهِمَّ"، وإعرابها: منادى مفرد مبنٍ على الضَّمِّ في محلِّ نصبٍ بيا المحذوفة المعوَّض عنها بالميم. إنَّه إعرابٌ مليءٌ بالخيال، حُذِفَت الياءُ فعوَّض عنها بالميم فلا الياءُ موجودةٌ، ولا الميمُ بديلةٌ عنها، ولا المنادى في محلِّ نصبٍ³.

4. يتساءلُ هل نُعَرِّبُ الاسمَ بعد "أَيُّها" بدلاً، أم نعتًّا؟ إنَّه لأمرٌ مَدَوٍّ- على حدِّ قوله- أنْ نُعَرِّبَ: إذا كانَ الاسمُ بعدها مشتقًّا يُعَرِّبُ نعتًا، وإذا كانَ جامدًا يُعَرِّبُ بدلاً لـ"أَيُّ"؛ ثُمَّ إِنَّ النُّحاةَ يُعَرِّبونَ "أَيُّ" في قولنا: "يا أَيُّها الرَّجُلُ": منادى مبنٍ على الضَّمِّ في محلِّ نصبٍ على النَّداءِ، والـ"ها" للتنبيه، فيتساءلُ مُندهشًا مِنْ هذا الإعرابِ: "أَيُّ" في محلِّ نصبٍ ماذا؟ و"ها" تنبيهه لماذا؟⁴.

5. أوجَدَ النُّحاةُ تعليلًا لـ"لَيْتَ" التي تأتي بعدَ حرفِ النَّداءِ بأنَّ سَمَّوْهُ حرفَ تنبيهٍ كما في قوله تعالى:-{يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ}⁵، ويتساءلُ: "لَيْتَ" تنبيهٌ لماذا؟ ثُمَّ، لماذا لا تكونُ

¹ ن. م.، 70.

² يقصدُ من ذلك الاستغناء عن أدواتِ النَّداءِ التي حاولَ النُّحاةُ إقحامها إلينا، علمًا بأنَّ صيغةَ النَّداءِ تُفْهَمُ دونَ استخدامِ الأدواتِ.

³ ن. م.، 70-71.

⁴ ن. م.، 71.

⁵ القرآن الكريم، يس: 26.

زائدةً مثل "ما" بعد "إذا"؟ أو لماذا لا تكونُ للتمّي ونشترط أن يأتي بعدها "ليت" أو "لعل"؟ من هنا، يقترح أن نُلغي تأويل النحاة الملقّق¹.

6. عَلَّمَنَا النَّحَاةُ كَيْفَ نَنْدُبُ وَنَحْزُنُ بَعْدَ "يَا" عِنْدَ أَمْنِ اللَّبْسِ، أَوْ بِوَاسِطَةِ "وَا" وَإِضَافَةِ أَلِفٍ، وَهَاءِ السَّكْتِ، فَأَيْنَ نَحْنُ الْيَوْمَ مِمَّنْ يَقُولُ: "يَا شَحَارِي"، "وَيَا خَرَابَ بَيْتِي"، وَ"يَا سَبْعِي"² دُونَ اسْتِخْدَامِ "وَا" مَعَ هَاءِ السَّكْتِ إِلَّا مَا سَمِعْنَاهُ فِي قِصَّةِ "وَامْعَتَصِمَاهُ" - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِ - وَمَا زَلْنَا نَكْزُرُهَا فِي مَسَلْسَلَاتِنَا التَّلْفِيزِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ³.

7. لَيْسَ ثَمَّةَ مَنْطِقٍ فِي تَرْخِيمِ الْمَنَادَى عَلَى لُغَةٍ مَّنْ يَنْتَظِرُ الْحَرْفَ، وَلُغَةٍ مَّنْ لَا يَنْتَظِرُ الْحَرْفَ⁴.

8. إِلْغَاءُ هَمْزَةِ النَّدَاءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى نَدَاءِ الْقَرِيبِ؛ لِأَنَّهَا ثَقِيلَةٌ فِي اللَّفْظِ، نَحْوُ قَوْلِنَا: "أَسَامِرُ لَا تَفْعَلِ الشَّرَّ"، أَوْ "أَأَحْمَدُ"، فَهِيَ ثَقِيلَةٌ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ، بَلْ إِنَّنَا لَا نَجِدُ مَنَا الْيَوْمَ مَّنْ يُنَادِي الْآخَرِينَ مُسْتَعْمِلًا الْهَمْزَةَ فِي نَدَائِهِ لِلْقَرِيبِ⁵.

9. هُنَاكَ خِيَالٌ وَوَهْمٌ فِي إِعْرَابِ "بَنِي" مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

"بَنِي غَدَانَةٌ مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبَ وَلَا صَرِيفَ وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْخَرْفُ"

حَيْثُ يَعْرِبُونَهَا: مَنَادَى مَنْصُوبٌ بِأَدَاةِ النَّدَاءِ الْمَحْذُوفِ. فَلِمَاذَا تَمَّ حَذْفُهَا¹، وَكَيْفَ عَرَفْنَا أَنَّهَا مَحْذُوفَةٌ².

¹ أوزون، 71-72.

² نَظْنُ أَنْ زَكْرَتَا أَوْزُونِ يَخْلُطُ بَيْنَ اللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ وَالْعَامِيَّةِ، وَكَانَ الْأَجْدَرُ بِهِ أَنْ يَضْرِبَ أَمْثَلَهُ فِي اللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ اللِّسَانِ الْحَدِيثِ يُفَرِّقُ الْيَوْمَ بَيْنَ الْمُسْتَوَى الْفَصِيحِ لِلُّغَةِ وَبَيْنَ الْمُسْتَوَى الْمُحْكِي (الْعَامِي)، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَقْصُورًا عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَحَسْبَ، بَلْ هِيَ نَظَرِيَّةٌ شَامِلَةٌ لِللُّغَاتِ كُلِّهَا. صَحِيحٌ أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يُفَادَ مِنَ اللُّغَةِ الْمُحْكِيَّةِ لِمَصَالِحِ الْفَصِيحَةِ، وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ، وَلَكِنْ لِكَلِّ نَمَطُهُ الْخَاصُّ.

³ ن. م.، 72.

⁴ ن. م.

⁵ ن. م.، 92.

3.5.8. شوقي ضيف:

ما مِنْ شَيْءٍ فِي أَنْ شَوْقِي ضَيْفٌ هُوَ أَحَدُ أَعْلَامِ اللُّغَةِ المرموقين في العصر الحديث، فلقد تَبَوَّأَ مراكزَ عدَّة، حتَّى تَقَلَّدَ منصبَ رئاسةِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العربيَّةِ بالقاهرة، وإنْ دَلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على مكانتِهِ الرَّفِيعَةِ.

وقد أَشَادَ محمود ياقوت- اللُّغَوِيُّ المعروف- بِسَعَةِ عِلْمِ شَوْقِي ضَيْف، وبجُهودِهِ اللُّغَوِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ، لا سيَّما في كتابِهِ "المدارس النَّحْوِيَّة"، مشيِّهًا إيَّاهُ بسيبويه العصر الحديث، فقال: "إذا دُكِرَ النَّحْوُ العربيُّ ومصادِرُهُ الأولى، دُكِرَ سيبويه وكتابه. وإذا دُكِرَ النَّحْوُ العربيُّ وجُهودُ المحدثين، دُكِرَ شوقي ضيف وكتابه" المدارس النَّحْوِيَّة"³.

وينسبُ محمود فهي حجازي إلى شوقي ضيف أنَّه صاحبُ الباعِ الطَّوِيلِ في تفعيلِ حركةِ تيسيرِ النَّحْوِ وتجديده⁴ في العصر الحديث، ولعلَّ تقديمَ فِكْرِ ابنِ مَضَاءٍ القرطبيِّ في كتابِ

¹ لعلَّ ثَمَّةَ تناقضًا في عرض المؤلف، فهو من ناحيةٍ يستهجن حذفَ حرفِ التَّدَاءِ، ويتساءل لماذا تم حذفُهُ، وكيفَ عرفنا أنَّ هنالك حرفَ نداءٍ محذوفٍ، وفي المقابل يُطالبُ بالاستغناء عن أدواتِ التَّدَاءِ؛ لأنَّها ما عَادَتْ قائمةً في حديثنا اليوم، كما أشار هو بنفسِهِ.

² ن. م، 146.

³ محمود ياقوت، "منهج شوقي ضيف في كتاب المدارس النَّحْوِيَّة"، شوقي ضيف- سيرة وتحيَّة (القاهرة: دار المعارف، 1992)، 123.

⁴ كان لزامًا علينا أن نذكرها هنا أنَّ شوقي ضيف لم يتأثر بابن مضاء فحسب، بل نراه متأثرًا ومعجبًا بشكل واضحٍ ولافتٍ بأسلوبِ إبراهيم مصطفى، خاصَّةً في طرحه التَّجديدي، الَّذِي تُوجَّ في كتابهِ "إحياء النَّحْو". ولعلَّنا نوضِّحُ أنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي ترسَّمها ضيف عبرَ كتاب "الرَّد على النَّحاة" لابن مضاء، كانت على جُسر "إحياء" إبراهيم مصطفى؛ لأنَّه الأسبقُ، والأكثرُ صِدْقًا، وتأثيرًا. وأظنُّ أنَّه لولا "إحياء النَّحْو" وطرحه الجريُّ آنذاك لما مُدَّتِ الطَّرِيقُ أمامَ "تجديد النَّحْو" و"تيسيره" عند شوقي ضيف.

"الرّدّ على النُّحاة"، وما تَبِعَهُ مِنْ مُؤَلَّفَاتٍ¹ في تجديد النُّحو²، كانَ له دَوْرٌ فاعِلٌ، وتأثيرٌ معلومٌ في كثيرٍ من الباحثين.

ويتجلّى تأثّرُ شوقي ضيف بـابن مضاء خلالَ المُقدِّمة التي حَقَّقَ فيها كتاب "الرّدّ على النُّحاة" لابن مضاء القرطبي، وبالتالي الانتقال من المرحلة النَّظريّة إلى المرحلة التَّطبيقيّة في التَّجديد، فقد أَكَّدَ ضيف قائلاً: "وأكبرُ الظَّنِّ أَنَّنَا حينَ نطَبِّقُ على أبوابِ النُّحو ما دعا إليه ابنُ مضاء مِنْ مَنعِ التَّأويلِ والتَّقديرِ في الصِّيغِ والعباراتِ كما نطَبِّقُ على هذه الأبوابِ ما دَعَا إِلَيْهِ مِنْ إلْغَاءِ نظريّةِ العاملِ نستطيعُ أَنْ نُصَيِّفَ النُّحوَ تصنيفاً جديداً يُحَقِّقُ ما نَبْتَغِيهِ مِنْ تيسيرِ قواعدهِ تيسيراً مُحَقَّقاً، وهو تيسيرٌ لا يقومُ على ادِّعاءِ النَّظريّاتِ، وإنّما يقومُ على مواجهةِ الحقائقِ النَّحويّةِ وَبَحْثِها بطريقةٍ منظّمةٍ لا تحملُ ظلماً لأحدٍ، وإنّما تحملُ التَّيسيرَ مِنْ حيثُ هو حاجةٌ يريدها النَّاسُ إلى النُّحوِ في العصرِ الحديثِ".³

وهذا فعلاً ما يُشيرُ إليه شوقي ضيف في كتابه "تجديد النُّحو"⁴، فيقول: "كانَ نَشْرِي لكتابِ الرّدّ على النُّحاة لابن مضاء القرطبيّ سنة 1947 باعثاً لي- منذُ تحقيقه- على التَّفكيرِ

¹ اهتمَّ شوقي ضيف بعلوم اللّغة، خاصّةً النُّحو العربيّ، وله في ذلك مؤلّفات كثيرة يُن كُتب، ومقالات، إضافةً إلى عشرات المؤتمرات. أمّا بخصوص التَّجديد والتَّسهيل فإنَّ هناك محطّات هامّةً من حيثُ التَّأليف، أهمُّها: 1- تحقيق كتاب "الرّدّ على النُّحاة" لابن مضاء القرطبيّ في عام 1947. 2- المدارس النحويّة" 1968. 3- تجديد النُّحو 1982. 4- تيسير النُّحو التَّعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده 1986. 4- تيسرات لغويّة 1989.

² محمود فهدى حجازي، "جهود شوقي ضيف في الدِّراسات اللّغويّة"، شوقي ضيف- سيرة وتحيّة، 116-118.

³ ابن مضاء، الرّدّ على النُّحاة، 67.

⁴ بيّن شوقي ضيف في مُقدِّمة كتابه "تجديد النُّحو" أنّ رؤيته التَّجديديّة وخطواته العمليّة تقوم على ستّة أسس، وهي: 1. تنسيق أبواب النُّحو تنسيقاً يؤدّي إلى الاستغناء عن بعض أبوابه بردها إلى أبوابٍ أخرى؛ اعتماداً على مبدأ التَّجانس بين أبواب النُّحو. 2. إلْغاء الإعراب التَّقديريّ والإعراب المحليّ في الجمل والمفردات المقصورة والمنقوصة والمبنية. 3. إهمال الإعراب ما لم يفد شيئاً في تصحيح الكلام وسلامة النُّطق. 4. وضع تعريفاتٍ وضوابطٍ دقيقةٍ لبعض أبواب النُّحو. 5. حذف زوائد كثيرةٍ من أبواب النُّحو

في تجديد النحو بعرضه عرضاً حديثاً على أسسٍ قديمةٍ وتروّفه وتجعله داني القطوف للنّاشئة. وقد رأيتُ أنّ ابن مضاءٍ يهاجمُ نظريّةَ العاملِ في النّحوِ وكلَّ ما اتّصلَ بها من كثرة التقدير للعوامل المحذوفة وكثرة العلل والأقيسة، ممّا أحالهُ إلى ما يشبه شبّاكاً معقّدةً، وكلّما تخلّصَ دارِسُهُ من إحدى شبّاكِه تعثّرَ في أخرى، فضلاً عن شبّاك التّمارين الافتراضية، وربّما كانت حلقات نسيجها أكثرَ ضيقاً. وأكثرُ هذه الشّبّاك لا تدعو إليه حاجةٌ لسانيةٌ في تصحيح النّطقي بالكلام.¹

ومن أهمّ الاقتراحات والملاحظات التي دعا إلي شوقي ضيف، هي:

1. إلغاء باب التّرخيم؛ لأنّه عبارةٌ عن لهجةٍ من اللّهجات العربيّة القديمة، وهي لهجةٌ أشبهُ بأن تكونَ مهجورةً هجرًا تامًّا؛ فلا داعي للإبقاء على هذا الباب.²
2. إلغاء باب الاستغاثة على أن درسًا قائمًا بنفسه؛ بل يُضمُّ إلى درس النداء؛ لأنّه من الواضح أن التحليل النّحويّ-الإعرابي لا يفيدُ صيغ الاستغاثة شيئًا في نطقها، فنطقها بيّن.³
3. إلغاء باب النّدبة، وضمّه أيضًا إلى صيغ النداء؛ ذلك لأنّ التحليل النّحويّ للنّدبة هو الذي جعل النّحاة يعقدون النّدبة- مثل الاستغاثة- بابًا، وهو كذلك تحليل لا يفيد.⁴
4. قد يُحذفُ حرفُ النداء مع المنادى "الله" لفظ الجلالة، كما هو موجودٌ في اللّغة المحكيّة⁵، فنقول "الله" ونحن نقصدُ فيها النداء، علمًا أنّ جمهور النّحاة لا يقبلون بأن

تُعرض فيه دون حاجة إليها. 6.زيادة إضافات ضروريّة لبعض الأبواب؛ لتمثّل الصّيغة العربيّة وأوضاعها تمثلاً دقيقاً. انظر: ضيف، تجديد النّحو، 3-5.

¹ ضيف، تجديد النّحو، 3.

² شوقي ضيف، تيسير النّحو التّعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده (القاهرة: دار المعارف، 1986)، 134.

³ ن. م، 135.

⁴ ن. م.

⁵ ضيف، تجديد النّحو، 196.

تُخَذَفَ الـ"يا" مَعَ "الله"، ذلك أنه- حسب قواعدِ اللّغة الفصحى- يمكن أن تُنادي "الله" على وجهين، فتقول: "يا الله" بقطع الهمزة أو وصلها، وتقول: "اللّهُمَّ"؛ فتكون الميمُ المُشدّدة عوضًا عن الياء المحذوفة.

5. الاكتفاء بِذِكْرِ صيغِ الاستغاثةِ والنّدبةِ المُبسّطة¹ دون الخوضِ في إعرابها المعقّد الذي يذكُرُه النّحاة؛ لأنّه لا ضرورةَ له في صحّة النّطْق بها. أمّا صيغُ الاستغاثةِ فهي: "يا زَيْدُ للمظلوم"، و"يا مُحَمَّدٍ لِلْمَظْلُومِ"، و"يا مُحَمَّدًا لِلْمَظْلُومِ". وأمّا صيغُ النّدبةِ فهي: "وازَيْدُ"، و"وامْحَمّدُ"، و"مَحْمَداه"².

3.5.9. عفيف دمشقيّة:

ألّف عفيف دمشقيّة كتابًا بعنوان: "تجديد النّحو العربيّ" عرّض فيه لأصول النّحو العربيّ، وأسبابِ وُضْعِ النّحو ومراحلِهِ بدايةً بالإرهاصات الأولى، ومرورًا بأبي الأسود الدؤليّ وتلاميذِهِ، إلى اللّبناتِ الأولى في مدرسة النّحو البصريّة، ثُمَّ سيبويه وأساتذَتِهِ، نَحْو: يونس بن حبيب، والخليل بن أحمد. وكأني بهذا المؤلّف يريد أن يقول: إنّ تجديد النّحو العربيّ كان مُرافقًا للبدايات الأولى لِنشأة النّحو العربيّ.

كما انتقد د. عفيف دمشقيّة النّحاة القدماء بما أسماه بـ"متاهات القدماء" التي تتمثّل- حسب رأيه- في أنّهم حينَ تَهَدُّوا لتأريخ النّحو لم يُراعُوا جانبَهُ الوظيفيّ البَحْث، بِعَدِهِ عِلْمًا يهدفُ قبلَ كلّ شيءٍ إلى تنظيمِ الكلام، بل خَلَطُوا به كلّ ما له علاقةٌ باللّغة مِنْ صَرْفٍ، وفقهِ، وفوارقٍ لَهْجِيّةٍ، ومادّةٍ مُعْجَميّةٍ؛ حتّى غَدَا كلّ عاملٍ في حقلِ اللّغة المترامي الأطراف "نَحْوِيًّا".

وانتقد، بعدَ ذلك، النّحاة المُحدّثين، وأخذَ عليهم بِما أسماه أيضًا بِـ"متاهات" التي يتجلّى أكثرُها في البَحْثِ عَنْ "أصلِ" النّحو العربيّ، فَمِنْ قائلٍ بأنّه اقتباسٌ مِنَ الهنود،

¹ أشرنا سابقًا إلى أنّ شوقي ضيف يُنادي بِإلغاءِ بابي الاستغاثةِ والنّدبةِ على أن يكونا درسَيْن قائمَيْن بِحدّ ذاتهما، وإنّما يطلب إرفاقُهما إلى باب النّداء، مَعَ الاكتفاء بِذكر الصّيغ فقط دون الإعراب.

² ضيف، تجديد النّحو، 197.

وزاعمٍ بأنه نسيجٌ على منوالِ السُّريانيَّةِ، ومُدَّعٍ بأنه محاكاةٌ للإغريقي، القصْدُ منه رُفْعُ العربيَّةِ إلى مَصَافٍ لُغَةٍ أرقى منها¹.

وقد ألقى اللّومُ على نحاةِ العصرِ الحديثِ؛ لأنَّهم لم يتمكنوا مِنْ إبرازِ أهمِّ الآراءِ الَّتِي شاءها الأخفشُ والكوفيُّون؛ لتكوُنَ معالمٌ جديدةٌ على طريقِ النُّحوِ، وبيانِ مدى جدِّها ومبلغِ فاعليتها- أيجابًا وسلبًا- في تطويرِ الدِّرسِ النُّحويِّ، مذكرًا- دائمًا- بأنَّ الهدفَ الأخيرَ- كان وسيبقى- تسهيلُ النُّحوِ على طلابه².

وكان دمشقيةٌ قد أبدى تحفُّظاته على أسلوبِ النِّداءِ، مطالبًا بضرورةِ إعادةِ النَّظَرِ في مسائله³. ومن أهمِّ الاقتراحاتِ والملاحظاتِ الَّتِي دعا إليها عفيف دمشقية، هي:

1. المنادى الحقيقيُّ في قولنا: "يا أيُّها النَّاسُ" هو كلمةُ "النَّاسِ" بالذَّاتِ، ولكنَّ طبيعةَ اللُّغةِ شاءتْ بلوغه عن طريقِ "أيُّها"⁴.

2. ليس هناك داعٍ في أنْ نعدَّ "الهاءَ" في قولنا: "يا أيُّها النَّاسُ" للتنبيه؛ لأنَّ حرفَ النِّداءِ نفسه يتضمَّنُه، ولأنَّه لا يمكنُ أنْ يكونَ هناك نداءٌ بلا تنبيه⁵.

3. لا يُعقلُ أنْ يكونَ أصلُ "يا رجلُ" هو "يا أيُّها الرَّجُلُ". فلو كان هذا صحيحًا لَوَجَبَ أنْ تنقرضَ الصِّغَةُ الثَّانيةُ من الاستعمالِ، ما دامَ المتكلِّمُ العربيُّ قد ارتضى الصِّغَةَ الأولى بدلًا منها⁶.

4. إنَّ أخدنا برأيِ الكوفيِّين، والأخفشِ من البصريِّين، يمكنه أنْ يُنهيَ مشكلةَ البناءِ في المنادى، وعليه نقولُ: إنَّ المنادى إذا كانَ نكرةً مقصودةً رُفِعَ مِنْ غَيْرِ تنوين¹.

¹ عفيف دمشقية، تجديد النُّحو العربي (بيروت: معهد الإنماء العربي، 1981)، 5-6.

² عفيف دمشقية، خطى متعثرة على طريق تجديد النُّحو العربي (بيروت: دار العلم للملايين، 1982)، 6؛ الياسري، الفكر النُّحوي، 412-413.

³ دمشقية، خطى متعثرة على طريق تجديد النُّحو العربي، 23-24.

⁴ دمشقية، خطى متعثرة، 24.

⁵ ن. م.

⁶ ن. م.، 88: 90-91.

5. ليس في علمه أنَّ النكرة المقصودة بالنداء في مثل "يا رجل" تُنعت، أو تُؤكَّد، ولا أنَّه من الممكن أن نقول: "يا رجل كريماً"، أو "يا رجل نفسك"؛ والسبب أنَّ المنادي حينما يتوجَّه إلى المنادى يكون قد قصَّده، فلا حاجة إلى توكيده، وهو من ناحية ثانية إما يجهله؛ فلا يستطيع أن ينعته، وإما يعرفه فلا يريد تسميته باسمه لهدف انفعالي وقد توجَّه إليه في غاية معيَّنة نحو "أخيراً وجدْتُك يا رجل"، أو "بحثتُ عنك طويلاً يا رجل".. إلخ، أو لسؤاله عن أمر يدعو إلى الاستغراب من مثل: "لماذا لم تأتِ أمس يا رجل"، أو "هل ستظلُّ واقفاً يا رجل".. إلخ، أو لأمره بأمر فيه خيرٌ- أو نهيه عن إتيانه- نحو: "اذهب يا رجل فأنت حرٌّ"، أو "دعْ عنك الهمَّ يا رجل"، أو "لا تغضبْ لا رجل"، أو "لا تكثر من الطعام يا رجل".. إلخ. وليس المنادي في جميع هذه الأحوال بحاجة إلى نعت المنادى أو توكيده.²

- النكرة المقصودة في النداء هي بمثابة اسم العلم مع فارق واحد، وهو أننا لا نقول "يا رجل"؛ لأننا نجهل اسم ذلك الرجل، أو أننا لا نريد تسميته؛ لسبب انفعالي محض، كالتحبيب أو التعظيم أو غير ذلك.

6. إنَّ دراسة توكيد المنادى العلم الدال على جمع كما في "يا تميم كلُّكم" مبتسرة في الأساس؛ إذ لا يُعقل أن يضطر منادي "تميم" إلى توكيده أنه يناديهم جميعاً ولا يستثني منهم أحداً. فقولُه "يا تميم" يعني ضمناً أنه يتوجَّه إلى كلِّ "تميمي". لهذا يجب دراسة الصيغة الندائية الواردة في المثال دراسةً جديدةً على ضوء احتمالاتها الدلالية، فمثلاً: - إذا قال المتكلم: "هَبُوا يا تميم كلُّكم" برفع "كل" فحينئذ يكون التوكيد المعنوي عائداً إلى واو الجماعة في الفعل لا إلى المنادى "تميم".

¹ ن. م.، 93.

² ن. م.، 88-89.

- وإذا قال المتكلم: "يا تميم كلُّكم مدعوُّ أو مدعوون إلى النَّضالِ" كان رأي جمهور النِّحاة سليماً فيما يخصُّ رفع "كلَّ" بالابتداءِ دونَ أن يكون كذلك فيما يتعلَّق بتقدير الخبر الذي دفعهم إليه.
- وإذا صَحَّتْ صيغةُ "هَبُوا يا تميم كلُّكم" بنصبِ "كلَّ" كان النَّصبُ في تقديرنا على الحالية، أي "بِكُلِّيَّتِكُمْ" لا على أساس أنها توكيدٌ للمنادى الذي محلُّه النَّصبُ مفعولاً به لفعلِ النَّداءِ المحذوفِ أو المقدَّر. ولعلَّ الدَّافع إلى القولِ "إذا صَحَّتْ" هو أنَّ اللَّغةَ تستغني بـ "جميعاً" الحالية عن "كلَّ" المؤكِّدة¹.

3.5.10. غالب المطلبي - مقارباتٌ فيلولوجيةٌ:

لعلَّ غالب فاضل المطلبي كان من أكثر الباحثين الذين نَفَّبو عن آثارِ الظَّاهرةِ النَّدائيةِ من حيث كونها ظاهرةً لسانيةً لها خصائصها المميَّزة تتعلَّق بالظَّاهرةِ الإعرابيةِ في اللَّغةِ العربيَّة. فقد أَكَّدَ في مقدِّمةِ الكتابِ الذي أَعَدَّه - "ظاهرةُ الإعرابِ في العربيَّة - مدخل فيلولوجي" - أنَّ هذه الدِّراسةَ محاولةٌ في تلمُّسِ بعضِ المظاهرِ التَّاريخيةِ للظَّاهرةِ الإعرابيةِ في اللَّغةِ العربيَّة، مُبيِّنًا، في الوقتِ نفسه، أنَّه حاولَ جاهداً أن تتَّسِمَ الرُّوحُ الفيلولوجيةُ الَّتِي عالج فيها موضوعاتِ البحثِ بِسِمَةِ الباحثِ في الآثارِ أو الباحثِ في التَّاريخِ الطَّبيعي؛ لأنَّ الظَّاهرةَ الإعرابيةَ - برأيه - تحتاجُ منا إلى كثيرٍ من التَّأمُّلِ والفحصِ وإعادةِ النَّظَرِ والاكتشافِ².

ثمَّ يقولُ إنَّ هذا الكتابَ بدا في بعضِ تفصيلاته مشتتلاً على محاولةٍ في إعادةِ الاعتبارِ للتَّفكيرِ النَّحويِّ السَّيونيِّ، الَّذي - حَسَبَ رأيِ المطلبي - يُمَثِّلُ مدرسةً وَحْدَهُ، وأنَّ مَنْ جاءَ بعده من البصريِّين يُمَثِّلونَ مدرسةً مستقلةً عنه؛ أَفَادَتْ مِنْ عِلْمِهِ، لَكِنَّا تَخَلَّتْ عَنْ مَنْهَجِهِ

¹ ن. م.، 93-91.

² غالب فاضل المطلبي، ظاهرةُ الإعرابِ في العربيَّة - مدخل فيلولوجي (عمَّان - دار كنوز المعرفة، 2008).

اللَّغَوِيّ الصَّرْفِ تَحْتَ هَيْمَنَةِ رُوحِ الْفَلَسَفَةِ، وَوَضَعَتْ لِنَفْسِهَا مِنْهَجًا آخَرَ مَفَارِقًا لِلْأَصُولِ
الَّتِي وَضَعَهَا سِيَبُويَه بِنَفْسِهِ¹.

وَمِنْ أَهَمِّ الْمَسَائِلِ الَّتِي عَرَضَ لَهَا الْمَطْلَبِيُّ:

1. يرى المطلبي أَنَّ الْخَلِيلَ وَسِيَبُويَه قَدْ اصْطَنَعَا الْعَامِلَ الَّذِي يَنْصَبُ الْمَنَادَى لِفِعْلًا أَوْ مَحَلًّا،
بَلْ كَانَ هَذَا الْاصْطِنَاعُ فِي كُلِّ الْمَوْضُوعَاتِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي وَجَدَا فِيهَا مَخَالَفَةً لِنَمَاطِ الْجُمْلَةِ
"الْمَعْيَارِيَّةِ" كَتَلْكَ الَّتِي تَشْمَلُ عَلَى إِبْخَارٍ مِنْ نَحْوِ عِبَارَاتِ التَّخْصِيصِ وَالْإِغْرَاءِ وَالتَّحْذِيرِ
وَالنَّدَاءِ². فَهُوَ عَامِلٌ - إِذَنْ - يَعْمَلُ عِنْدَهُمْ فِي هَذَا النَّمَاطِ مِنَ الْعِبَارَاتِ، يُقَسِّرُ، مِنْ جِهَةٍ،
الْأَثَرِ الْإِعْرَابِيِّ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى آخِرِ الْأَسْمِ، وَيَقْتَرِضُ، مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، تَلْكَ الْعِبَارَاتِ
"هَيْكَلَةً" يَتَطَلَّبُهَا النَّظَرُ الْمَعْيَارِيُّ فِي النَّحْوِ، وَهَذَا مَا ظَهَرَ فِي اخْتِلَافِ النَّحَاةِ الْقَدَمَاءِ حَوْلَ
الْعَامِلِ الَّذِي يَنْصَبُ الْمَنَادَى (لِفِعْلًا، أَوْ مَحَلًّا)³.

2. يَنْتَلِقُ الْبَاحِثُ غَالِبُ الْمَطْلَبِيِّ مِنْ حَقِيقَةٍ مَفَادُهَا أَنَّ إِبْرَارَ الْعِلَاقَةِ الْقَدِيمَةِ بَيْنَ أَدَاةِ
التَّعْرِيفِ وَأَدَاةِ النَّدَاءِ لَهُ أَهْمِيَّةٌ أَكِيدَةٌ فِي تَفْسِيرِ بَعْضِ الظَّوَاهِرِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي تُرَافِقُ
أَسْلُوبَ النَّدَاءِ، فَقَدْ تَوَصَّلَ إِلَى أَنَّ التَّنْبُعَ الْفِيلُولُوجِيَّ لِأَدَاةِ النَّدَاءِ فِي الْعَرَبِيَّةِ يُظْهِرُ الصِّلَةَ
ذَاتَ الْوَشِيجَةِ الْقَوِيَّةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَدَاةِ التَّعْرِيفِ، وَيَبْدُو - كَمَا يَدَّعِي الْمَطْلَبِيُّ - أَنَّ إِحْدَاهُمَا
كَانَتْ أَصْلًا لِلْأُخْرَى، فَإِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي نَقُوشِ اللَّهْجَاتِ الْبَائِدَةِ مِنْ لِحْيَانِيَّةٍ وَثَمُودِيَّةٍ وَصَفُويَّةٍ
يَجِدُ أَنَّ النَّدَاءَ وَالتَّعْرِيفَ فِيهَا يَشْتَرِكَانِ فِي أَدَاةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ (ه) مَشْكُولَةٌ عَلَى نَحْوِ مَا يُرْجَحُ

¹ غَالِبُ الْمَطْلَبِيِّ، ظَاهِرَةُ الْإِعْرَابِ فِي الْعَرَبِيَّةِ - مَدْخُلُ فِيلُولُوجِي، 8.

² يَسْتَشْهَدُ الْمَطْلَبِيُّ بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ سِيَبُويَه، حَيْثُ يَقُولُ: "...لَكِنَّهُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِظْهَارُهُ، وَهَذَا شَبِيهِ بِقَوْلِهِ
إِنَّا بَنِي فَلَانٍ نَفْعُلُ كَذَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ يَخْبَرَ مَنْ لَا يَدْرِي أَنَّهُ مِنْ بَنِي فَلَانٍ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ افْتِخَارًا وَانْتِهَاءً
إِلَّا أَنَّ هَذَا يَجْرِي عَلَى حَرْفِ النَّدَاءِ وَاسْتَرَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَابِهِ فِي بَابِ النَّدَاءِ مَبْنِيًّا، وَتَرَكَ إِظْهَارَ
الْفِعْلِ حَيْثُ ضَارَعَ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ؛ لِأَنَّ إِنَّا بَنِي فَلَانٍ وَنَحْوُ بِمَثَلَةِ النَّدَاءِ وَقَدْ ضَارَعَهُ فِي هَذَا الْبَابِ...".
انْظُر: سِيَبُويَه، 2: 66.

³ الْمَطْلَبِيُّ، ظَاهِرَةُ الْإِعْرَابِ، 81-82.

بفتحة كانت تسبق الاسم الذي يُراد تعريفه، أو منادائه¹، وهو معطى يعضده ملمح من ملامح اللغة العبرية من استعمال أداة واحدة في التعريف والنداء أيضاً².

3. الملاحظ من التطور التاريخي للـ"ه" في هذه النقوش أنها كانت مستقرة إلى حد ما على صورة واحدة تسبق المندى، ولكن تغييراً طفيفاً قد وَقَعَ في جملة من النقوش الصفوية، إذ ظهر حرف الـ"ي" مشكولاً بالفتحة لاحقاً بالـ"ه"، ولكن شح انتشار هذه الصورة عبر النقوش لم يُسَعِفِ الباحثين في تفسير التطور الناجم لأداة النداء "يا" في اللغة العربية من جهة، وفي معرفة الافتراق الحاصل في هذه اللهجة بين أداة النداء وأداة التعريف، من جهة أخرى؛ كي تظهر صورة "يا" كما هي معروفة عليه اليوم. وعلى الرغم من ذلك إلا أن هذه اللغة- الصفوية- كانت قد حافظت على أغلب الصور القديمة لها ابتداءً من "هيا"، التي تبدو أقرب صورة لصورتها في هذه اللهجات، بل قد تكون الصورة المباشرة المنقولة من تلك التي ظهرت في النقوش الصفوية، وانتهاءً ببقية الصور من قبيل الهمزة. كما أن الـ"أيا"، و"أي"، و"هي"- على ما يبدو- هي أمثلة بأن الهمزة قد حلت محل الهاء، والفهم الذي يسوغ هذا الظن هي تلك الآثار الكثيرة في اللغة العربية، إذ إن الهمزة قد حلت فيها محل الهاء في مواضع شتى، ولعل أقربها منطقاً إلى الدّهن هو انقلاب الهاء في بناء "هفعل" السامي القديم إلى همزة، وكذلك انقلاب هاء التعريف التي عرفتها اللهجات البائدة إلى همزة في العربية بعد حين³.

وما يدعم هذا القول هي القاعدة النحوية التي ترى بعدم قبول المندى لأداة التعريف "ال"، وهي مسألة- كما يشير المطلي- حار فيها النحاة القدماء، ثم فسروها على أن المندى المرفوع المعرفة المقترن بـ "ال" التعريف يُمنع أن يدخل في النداء، أي أن

¹ جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، 180: 198-199؛ 208؛ 217؛ 249.

² غالب فاضل المطلي، ظاهرة الإعراب في العربية- مدخل فيلولوجي (عمّان- داركنوز المعرفة، 2008)، 78-77.

³ جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، 180: 7؛ 153.

يُسَبِّقُ بحرف نداء؛ وذلك أنه إذا قيل: "يا رجل" فمعناه "يا أيُّها الرجل"، فصارَ مَعْرِفَةً بسبب الإشارةِ إِلَيْهِ وقصدهِ وتعيينِهِ، واكْتَفَى بهذا عن "ال" التعريفِ، وصارَ كالأسماءِ التي هي للإشارةِ، وأصبحَ هذا بدلاً في النداءِ من "ال" واستغْنَى عنها¹، بيّدَ أنه من الممكن أن نَنزِعَ إلى أن الاستغناءَ بأداةِ النداءِ عن أداةِ التعريفِ "ال" كان سببُهُ الأصلُ المشتركُ الواحدَ، وبما أن المَعْرِفَ بالأداةِ لا يقبلُ أن تلحقَ به أداةٌ أخرى، كذلك الأمرُ في النداءِ، بمعنى أن البُنْيَةَ النَحْوِيَّةَ العربيَّةَ كانت قد عاملتْ أداةَ النداءِ ضمنَ الإحساسِ بالأصلِ المشتركِ القديمِ؛ فَمَنَعَتْ عنها التعريفَ بأداةِ التعريفِ، ثُمَّ استعاضَتْ عن ذلك بوسيلةٍ أخرى، إذا أرادتْ تعريفَ المنادَى تعريفًا نَحْوِيًّا، فكانتْ تلكَ الوسيلةُ الإضافَةُ، بل لعلَّ هذا الأمرَ جَعَلَ المنادَى ينقسمُ إلى نوعين: منادى قابلٍ للتعريفِ النَحْوِيِّ بواسطةِ الإضافَةِ وَخَدَهَا، ومنادى غيرَ قابلٍ للتعريفِ النَحْوِيِّ وهو عَلَمٌ أو اسمٌ جنسٍ أوقعَهُ النداءُ مَوْقِعَ العَلَمِ، فيكونُ التعريفُ الَّذِي فيه قائمًا بحدِّ ذاتِهِ، ثُمَّ صارَ كُلُّ منهما معيَّنًا بوظيفةِ ما في العربيَّةِ، في حقبةٍ زمنيةٍ ما مِنْ حقبها في أَقَلِّ تقديريٍّ².

4. يمكننا أن نخلصَ إِلَيْهِ فيلولوجيًا هو الاطمئنان إلى "جمود النداء" في صَيَغِ بَعْثِهَا، الأمر الذي يعني أن اللُّغَةَ العربيَّةَ قد ورثتْ صَيَغًا مَوْغَلَةً في القِدَمِ تنتهي إلى ما يُصطلحُ عليه بـ"الطبقات اللُّغَوِيَّةُ التَّحْتِيَّةُ"³ substrata، لهذا يحقُّ لنا أن ندَّعي بأن ما يظهرُ مِنْ تَوَرُّعِ أعرابيٍّ بين ضَمَّةٍ وفتحةٍ إنما هو مِنْ آثارِ تلكَ الطبقاتِ اللُّغَوِيَّةِ؛ لاشتغالِ هذا التَّوَزُّعِ الإعرابيِّ- الَّذِي يظهرُ في النداءِ- على غموضٍ غَيْرِ مَسْوُوعٍ، ويومئُ- أيضًا- إلى أنه إِرْتُ إعرابيٌّ مِنْ طبقةٍ لُغَوِيَّةٍ قديمةٍ سابقةٍ لِلُّغَةِ العربيَّةِ⁴، فدَفَعَ هذا الأمرُ إلى أن يكونَ معزولاً عنها

¹ سيبويه: 2: 197.

² غالب المطلي، ظاهرة الإعراب في العربيَّة- مدخل فيلولوجي، 78-79.

³ تعني الطبقات اللُّغَوِيَّةُ التَّحْتِيَّةُ الأصولُ اللُّغَوِيَّةُ واللَّهجاتُ واللُّغَاتُ الَّتِي كانت سائدةً في بيئةٍ ما قبل أن يكون اللُّغَةُ موضعَ الدِّراسةِ فيها، فهي تَخْلِفُ آثارًا صوتيَّةً وحجميَّةً نحويَّةً وصرفيَّةً في نسيجها، لا يكون لنا تفسيرُ ظهورها من غير تحليل فيلولوجيٍّ يُعنى بتلك الأصولِ التَّاريخيَّةِ. انظر: المطلي، 95.

⁴ انظر الفصل الثَّالث تحت عنوان: "النداء كما تراه المراجع الأجنبيَّة".

شَيْئًا مِنَ الْعَزْلِ. وَلَعَلَّ مَا لَمَحَ بِهِ السَّيرَافِيُّ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ حِينَما قَالَ إِنَّ بَابَ النَّدَاءِ مُخَالِفٌ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَكَأَنَّهُ يُصَرِّحُ بِأَنَّ ثَمَّةَ مُشْكَلَةٍ أَعْرَابِيَّةٍ تَخْصُ الْمَنَادَى تَكْمُنُ فِي أَنَّ تَرْكِيبَ النَّدَاءِ هُوَ مِنْ ضِمْنِ التَّرَاكِيِبِ الَّتِي لَا تَقَعُ فِي أَنْمَاطِ الْجَمَلِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى إِخْبَارٍ، وَلَآئِهَ يَمِثُلُ- فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ- صَبِغًا بَعِيْثًا أَنْتَهَى النَّحْوُ إِلَى مُعَالَجَتِهَا عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي اسْتَعْمَلْتُهُ الْعَرَبُ¹.

5. لقد بدا النَّقَاشُ الطَّوِيلُ بَيْنَ النُّحَاةِ الْقَدَمَاءِ- لَا سِيَّما عِنْدَ سَيَبَوِيهِ- مُحْتَدِمًا بِسَبَبِ الْمَغَايِرَةِ بَيْنَ الضَّمَّةِ وَالْفَتْحَةِ، مُحَاوِلِينَ، عَبْرَ جَهْدٍ كَبِيرٍ، الْوَصُولَ إِلَى مَسَوِّغَاتِ تِلْكَ الْمَفَارِقَةِ فِي اللَّاحِقَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ بَيْنَ ضَمَّةٍ وَفَتْحَةٍ، الْأَمْرُ الَّذِي قَادَهُمْ إِلَى تَحْدِيدِ الْعَامِلِ الْإِعْرَابِيِّ الَّذِي أَتَا حَاحَ لَهُمْ- فِي الْمَقَابِلِ- أَنْ يَفْتَرِضُوا "هَيْكَلَةً" لِعِبَارَةِ النَّدَاءِ الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ بِخَبَرٍ؛ كَيْ تَنْسَقَ مَعَ أَنْمَاطِ الْجَمَلِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَهُمْ. وَقَدْ ذَهَبُوا أَيْضًا إِلَى أَنَّ مَا يَظْهَرُ عَلَى الْمَنَادَى الْمَفْرَدِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ ضَمَّةٍ هُوَ بِمِثَابَةِ حَالَةِ بِنَاءٍ ظَاهِرِيٍّ، مُعَلِّينَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا فِي الْمَنَادَى صِفَةً إِسْنَادٍ؛ لِتَكُونَ تِلْكَ الْعَلَامَةُ عِلَامَةً إِعْرَابٍ لَهُ²، فَقَدَّمُوا عَلَى غِرَارِهِ تَفْسِيرَاتٍ شَتَّى؛ لظُهُورِ الضَّمَّةِ عَلَى آخِرِ الْمَنَادَى، قَائِلِينَ بِأَنَّهُ قَدْ صَارَ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَا يَرْتَفَعُ بِالْإِبْتِدَاءِ، أَوْ بِالْفِعْلِ³، وَهَذَا يَعْنِي- كَمَا يَشِيرُ الْمُطَلِبِي- أَنَّ هَذَا التَّعْلِيلَ كَانَ نَوْعًا مِنَ الْقِيَاسِ عَلَى الْجُمْلَةِ "ذَاتِ الْحَمَلِ" Predictive، وَلَعَلَّهُمْ قَصَدُوا أَنَّ كَثْرَةَ الْمَنَادَى الْمَفْرَدِ الْمَعْرِفَةِ فِي كَلَامِهِمْ جَعَلَتْهُمْ يَقْدِسُونَهُ عَلَى مَا يَرْتَفَعُ بِالْإِبْتِدَاءِ أَوْ الْفِعْلِ، فِي حِينِ أَنَّ التَّفْسِيرَ اللَّافِتَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْكَسَائِيُّ فِي أَنَّ الْمَنَادَى الْمَفْرَدَ الْمَعْرِفَةَ مَرْفُوعٌ؛ لِتَجَرُّدِهِ عَنِ الْعَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ، يَذَكِّرُنَا بِتَفْسِيرِ رَفْعِ الْمُبْتَدَأِ، وَكَأَنَّ فِي ذَلِكَ مِقْيَاسَةً⁴.

¹ المطلي، ظاهرة الإعراب، 80-81.

² ابن كمال باشا، 121.

³ سيبويه، 2: 182.

⁴ المطلي، 81-82.

3.5.11. محمد خير الحلواني:

يُبيِّن الباحث شوقي المعري أنَّ عددًا من النحاة المحدثين تَمَيَّزُوا في عَرْضِ المادَّةِ النَّحْوِيَّةِ عرضًا جديدًا مُؤَفَّقًا، فكانت مؤلفاتهم جديدةً بالقراءة، إلَّا أنَّ كتاب "النحو الميسر" - الذي ألفه محمد الحلواني - يُشكِّلُ أهمَّ ما كُتِبَ في العصر الحديث في تيسير النَّحو، بل يُعدُّ رائدًا في تجديد النَّحو العربيِّ مِنْ بَيْنِ كتبٍ كثيرة¹.

والسَّيِّئُ المُمَيَّزُ لهذا الكتاب - كما يقول المعري - أنَّ مؤلفه ضَمَّنَهُ آراءه واجتهاداته، وقَدَّمَهُ بأسلوبٍ واضحٍ، فتمثَّلَ التَّجديدُ عندهُ على عدَّةِ أشكالٍ، كطريقةِ عَرْضِ المادَّةِ وتبويبها، إضافةً إلى الشواهدِ التوضيحيَّةِ؛ وهي شواهدٌ يسيرةٌ المنالِ، دامجًا الحديثَ منها بالقديم. كما زادَ فيه الإعرابُ الَّذي يفتقرُ إليه الطالبُ، أو المتعلِّمُ؛ وبذلك استحقَّ هذا الكتابُ أنْ يؤخَذَ بالوقوفِ المتأملِ، والعنايةِ الفائقةِ، لا سيَّما أنَّه يقومُ على المنطقِ، والمحاكمةِ العقليةِ بأسلوبٍ علميٍّ، مُبَيَّنًا-الحلواني- رفضهُ لبعضِ التقسيماتِ النَّحْوِيَّةِ القديمةِ ومناقشًا لها، بل ترجيحَ رأيٍ على آخرٍ، وكلُّ ذلك بلغةٍ سهلةٍ، استطاعَ مِنْ خلالِ كتابه تقديمَ النَّحوِ على صورةٍ سليمةٍ معاصرةٍ يُجَدُّرُ بها أنْ تكونَ نموذجًا يُحتذى به لكلِّ مَنْ يصبو إلى التَّجديدِ².

وأما أهمُّ النقاطِ الَّتِي طَرَحَهَا محمد الحلواني، فهي:

1. جوابُ النداءِ هو ركنٌ أساسيٌّ يجبُ أنْ يُوضَّحَ ويُشارَ إليه، فتركيبُ النداءِ، ليسَ ركنينِ فَحَسْبُ، إنَّما هو أركانٌ ثلاثة³.

2. التَّعَجُّبُ النَّدائيُّ يكثرُ في الأسلوبِ الأدبيِّ عامَّةً.

3. تُعرَّبُ أداةُ النداءِ الَّتِي تسبقُ الفعلَ أو الحرفَ أداةً تنبيهٍ وليسَ حرفَ نداءٍ. وهذا خَيْرٌ مِنْ تقديرِ منادى محذوفٍ لا يقتضيه السَّياقُ؛ لأنَّ ذلك يَنقُزُ الطالبُ من كثرةِ الإحكامِ وتشعُّبها وصعوبتها⁴.

¹ شوقي المعري، قراءات معاصرة في تيسير النَّحو العربيِّ (دمشق: اتحاد الكتاب العرب ، 2006)، 7.

² المعري، قراءات معاصرة في تيسير النَّحو العربيِّ، 7؛ 17.

³ محمد خير الحلواني، النحو الميسر (دمشق: دار المأمون، 1982)، 2: 531.

⁴ محمد الحلواني، النحو الميسر، 2: 539-540.

4. ليس المنادى مفعولاً به لفعلٍ محذوفٍ كما ذَهَبَ إلى ذلك سيبويه، أو لفعلٍ مُضْمَرٍ كما ذَهَبَ ابنُ عَقيْلٍ، بل إنّ المنادى (النّداء) بابٌ مستقلٌّ لا صِلَةٌ له بالمفعولِ به، وإنْ كانَ يعني مِنْ جملَةٍ ما يعنيه استدعاءُ المخاطَبِ فلائِنَّ سياقَ الحالِ والمقامِ الاجتماعيّ هما اللّذانِ يُوجِيانِ بهذه الدّلالة¹.

5. يمكنُ أنْ يكونَ التّابعُ بعدَ "أَيُّها" عطفَ بيانٍ؛ لأنَّ وظيفتَه كوظيفةِ الصّفةِ في المشتقّاتِ، وأمّا البدلُ ففيه إشكالٌ؛ لأنَّ شرطَ البدلِ أنْ يَصِحَّ إسقاطُه، وهنا لا يَصِحُّ؛ لأنَّ "يا" حينئذٍ تباشرُ المعرّفَ بـ"ال".²

6. عدُّ المنادى الموصوفِ منادى شبيهاً بالمضافِ.³

7. أدواتُ النّداءِ "آ"، و"أَيُّ" نادرَتا الاستعمالِ في اللّغةِ العربيّةِ، ويبدو أنّهما منقرضتان منذُ زمنٍ بعيدٍ.⁴

3.5.12. مصطفى الغلاييني:

سارَ الشّيخُ مصطفى الغلاييني في كتابِه المشهورِ على دَرْبِ النُّحاةِ القدماءِ، فهو دونَ أدنى شكٍّ متأثرٌ بهم تأثراً بالغاً، بل نستطيعُ أنْ نستشفَّ أسلوبَ ابنِ هشامِ الأنصاريّ في كتابِه "شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى".

وعلى الرّغم من هذا إلّا أنّ الغلاييني كان قد أبدى بعضَ الملاحظاتِ والآراءِ المتعلّقةِ بالنّداءِ، وهي تدلُّ إمّا على الاختصارِ في المسألةِ الواحدة⁵؛ بهدف التيسيرِ على المتعلّمين، وإمّا على الأخذِ برأيٍ نحويّ دونَ آخرَ وفقاً لرؤيته وفهمه في هذه المسائلِ.

¹ الحلواني، النّحو الميسّر، 2: 541.

² الحلواني، 552: 572.

³ ن. م، 453.

⁴ ن. م، 433.

⁵ حوى درسُ النّداءِ أربعةَ عشرَ مبحثاً. انظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدّروس العربيّة (القاهرة: المكتبة التّوفيقيّة، 2003)، 3: 106-118.

وأهمُّ هذه الآراء، هي:

1. قد يكونُ حرفُ النداءِ "يا" هو العاملُ¹ الذي ينصبُّ المنادى؛ لِتَضَمُّنِهِ معنى "أدعو"؛

وعليه فإنَّ المنادى منصوبٌ بـ"يا" نفسها².

2. نداءُ الضميرِ هو نداءٌ شاذٌّ نادرٌ الوقوعِ في كلامِ العربِ، ويدلُّ على ذلك ما اختاره أبو

حيانٍ بأنَّه لا يُنادى البتَّة، وما رأى به ابنُ عصفورٍ بأنَّه مقتصرٌ على الشعر. كما أنَّ

الخلافَ الكائنَ بين النَّحاةِ مرْدُّه إلى ضميرِ الخطابِ. أمَّا نداءُ ضميري التكلُّمِ والغيبةِ فلا

يجوزُ؛ فلا يُقالُ: "يا أنا"، و"يا إِيَّاي"، و"يا هو"، و"يا إِيَّاه". ولكِنَّكَ إذا نادَيْتَ الضميرَ

المخاطَبَ فيجوزُ لك أن تختارَ، إن شِئْتَ أَتَيْتَ به ضميرَ رفعٍ، نحو: "يا أنت"، وإن شِئْتَ

أَتَيْتَ به ضميرَ نصبٍ، نحو: "يا إِيَّاكَ"، وفي كلتا الحالتين يكونُ الضميرُ مَبْنِيًّا على الضمِّ

المقدَّرِ في محلِّ نصبٍ³.

3. المنادى المتعجَّبُ منه هو كالمنادى المستغاثِ في أحكامِهِ، فتقولُ في التعجَّبِ مِنْ كَثْرَةِ

الماءِ: "يا للماءِ!"، و"يا ماءً!"، و"يا ماءً". وتقولُ: "يا للطَّربِ!"، و"يا طَرَبًا!"، و"يا طَرَبًا!"⁴.

4. إذا كَانَ المنادى مفردًا عَلَمًا موصوفًا بـ"ابن"، ولا فاصلَ بَيْنَهُما، والابنُ مضافٌ إلى عَلَمٍ،

جَازَ في المنادى وجهان: ضمُّهُ للبناءِ، ونصبُهُ، نحو: "يا خليلَ بنِ أحمدَ"، و"يا خليلَ بنِ

أحمدَ"، والفتحُ (النَّصْبُ) أوَّلُ⁵.

5. في كلامِ العربِ ما هو على طريقةِ النداءِ ويُقَصَّدُ به الاختصاصُ لا النداءُ، وذلك

كقولِهِم: "أما أنا فأفعلُ كذا أئِها الرَّجُلُ"، وقولِهِم: "نحن نفعلُ كذا أئِها القومُ"؛ فقد

¹ أشار الغلاييني في كتابه إلى أنَّ هناك عاملين؛ لنصب المنادى، وهما، إمَّا الفعل المحذوف وجوبًا "أدعو"،

وإمَّا حرف النداء "يا". ويُلاحظُ أنَّه لم يتطرَّق إلى الآراء النَّحويَّة الأخرى المرتبطة بعامل النَّصب- لفظًا أو

محلًّا- في المنادى.

² مصطفى الغلاييني، جامع الدَّروس العربيَّة، 3: 107.

³ الغلاييني، جامع الدَّروس العربيَّة، 3: 109-110.

⁴ ن. م.، 116.

⁵ ن. م.، 106.

جعلوا "أي" مع تابعها دليلاً على الاختصاص والتوضيح، ولم يريدوا بالرجل والقوم إلا أنفسهم، فكأنهم قالوا: "أما أنا فأفعل كذا متخصّصاً بذلك من بين الرجال"¹.

3.5.13. مهدي المخزومي:

كان مهدي المخزومي واحداً من بين أولئك النحاة المحدثين الذين رفضوا- بشدّة- المنطق الذي انتهجه النحاة القدماء في كتابة النحو؛ حتى أصبح النحو علماً يُدرّس لذاته، بعيداً عن التجديد والانبعاث؛ بسبب أثر القدماء أنفسهم، بل بدا النحو- حتى في القرون الوسطى- درساً ملقفاً غريباً، ليس فيه من سمات الدرس اللغوي إلا مظهره وشكله².

والمخزومي كان واعياً بأن هناك محاولات كثيرة؛ لتيسير النحو في كتب مدرسية، ولكنه كان يرى فيها أنها لم تقدّم شيئاً جديداً، ولم تفعل شيئاً يعيد إلى هذا الدرس قوّته وحيويّته؛ لأنها لم تصحّح وضعاً، ولم تجدد منهجاً، ولم تأت بجديد إلا إصلاحاً في المظهر، وأناقته في الإخراج، أما القواعد فهي هي، وأما الموضوعات فكما ورثناها، حتى الأمثلة، لم يُصنّفها من التجديد إلا نصيب ضئيل. وعليه، فإن المخزومي يرى أنّ التيسير ليس اختصاراً، ولا حذفاً للشروح والتعليقات، ولكنه عرض جديد لموضوعات النحو يُيسّر للنّاشئين أخذها، واستيعابها، وتمثّلها، ولئن يتم ذلك إلا بتحقيق خطوتين- كما يعتقد المخزومي- وهما: أن نخلص الدرس النحويّ ممّا علق به من شوائب جرّها عليه منهجٌ دخيلٌ، هو منهج الفلسفة الذي حمّل معه إلى هذا الدرس فكرة "العامل"، ومن ثمّ، أن نُحدّد موضوع الدرس اللغويّ، ونعيّن نقطة البدء به؛ ليكون الدارسون على هدًى من أمر ما يبحثون فيه³.

¹ ن. م.، 118.

² مهدي المخزومي، في النحو العربي: نقد وتوجيه (بيروت: المكتبة العصرية، 1964)، 13-14.

³ المخزومي، في النحو العربي: نقد وتوجيه، 15-16.

وَمِنْ الواضِحِ أَنَّ مِنْ أَكْثَرِ النُّحَاةِ تَأْثِيرًا¹ فِي فِكْرِ المَخْزُومِي كَانَ إِبْرَاهِيمَ مَصْطَفَى صَاحِبَ "إِحْيَاءِ النُّحُو"، بَلْ كَانَ لَهُ الْأَثَرُ الْأَكْبَرُ فِي رَسْمِ المَنْهَجِ العَامِّ لِلْبَحْثِ النُّحَوِيِّ عِنْدَ المَخْزُومِي، وَكَذَلِكَ وَفِي تَحْدِيدِ مَلامِحِ اتِّجَاهَاتِهِ التَّجْدِيدِيَّةِ².

وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ النَّدَاءَ كَانَ حَاضِرًا فِيمَا دَوَّنَهُ المَخْزُومِي، فَقَدْ أَفْرَدَ لَهُ بَابًا خَاصًّا، جَاءَتْ فِيهِ مَلاحِظَاتُهُ نَاقِدَةً، وَمَوْجِبَّةً لِبَعْضِ الأمْثَلِ العَمَلِيَّةِ. كَمَا سَرَدَ فِيهِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ النُّحَاةُ مِنْ تَفْسِيرَاتٍ غَرِيبَةٍ لَا تُجَانِبُ المَنْطِقَ أَحْيَانًا- حَسَبَ رَأْيِهِ.

وَلَعَلَّ أَهَمَّ هَذِهِ الْأَطَارِحِ:

1. أَسْلُوبُ النَّدَاءِ يُبْنَى عَلَى شَيْئَيْنِ، وَهُمَا الْأَدَاةُ وَالْمَنَادَى، وَمِنْهُمَا يَنْشَأُ مَرْكَبٌ لَفْظِيٌّ لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى فِعْلٍ مَقْدَرٍ، وَلَيْسَ فِيهِ إِسْنَادٌ، وَلَا يَصْحُحُ عَدَّهُ فِي الجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ كَمَا يُقَدَّرُ النُّحَاةُ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِخْرَاجَهُ عَنِ الْإِنْشَاءِ إِلَى الْخَبَرِ. مِنْ هُنَا، فَالنَّدَاءُ تَرْكِيبٌ لَا يَقُومُ عَلَى الْعِلَاقَاتِ الْإِسْنَادِيَّةِ، إِذْ مِنَ الْخَطَأِ أَنْ نَطْلُقَ عَلَيْهِ "جُمْلَةً فِعْلِيَّةً"، وَإِنَّمَا هُوَ مَرْكَبٌ لَفْظِيٌّ بِمَنْزِلَةِ أَسْمَاءِ الْأَصْوَاتِ، يُسْتَخْدَمُ؛ لِأَبْلَاغِ الْمَنَادَى حَاجَةً، أَوْ لِدَعْوَتِهِ إِلَى إِغَاثَةٍ أَوْ نُصْرَةٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَهَذَا التَّرْكِيبُ يَشْتَرِكُ مَعَ تَرَائِيصٍ مُخْتَلِفَةٍ أُخْرَى، كَالْقَسَمِ، وَالِدَّعَاءِ، وَالتَّعْجُّبِ³.

2. اسْتَبْعَادُ أَنْ تَكُونَ أَدَوَاتُ النَّدَاءِ مُتَعَدِّيَّةً؛ لِتَغْدُو هِيَ السَّبَبُ فِي نَصَبِ الْمَنَادَى، وَكَأَنَّهَا أَفْعَالٌ- لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا- بَلْ إِنَّ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ تُسْتَخْدَمُ فِي مَوَاضِعَ تَقْتَضِي رَفْعَ الصَّوْتِ وَمَدَّةً؛ لِتَنْبِيهِ الْمَخَاطَبِ، أَوْ الْمَنَادَى، وَلَيْسَ لَهَا- كَمَا يَبْدُو مِنْ اسْتِعْمَالِهَا- وَظِيفَةٌ أُخْرَى، وَلَكِنَّ النُّحَاةَ تَنَاولُوهَا بِالدَّرْسِ عَلَى أَنَّهَا تُؤَدِّي وَظِيفَةً أُخْرَى، لَعَلَّهَا عِنْدَهُمْ أَهَمُّ مِنْ أُيَّةٍ

¹ يَذْكُرُ الْبَاحِثُ صَاحِبَ أَبُو جَنَاحَ أَنَّ هُنَاكَ ثَلَاثَةَ نَحَاةٍ كَانَ لَهُمْ تَأْثِيرٌ بَالِغٌ فِي مَهْدِي الْمَخْزُومِي، وَهُؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ: الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَالْفَزَاءُ، وَإِبْرَاهِيمَ مَصْطَفَى. انْظُرْ: صَاحِبَ أَبُو جَنَاحَ، "الدراسات الأسلوبية عند المَخْزُومِي"، دَرَاَسَاتٌ فِي نَظَرِيَّةِ النُّحُو الْعَرَبِيِّ وَتَطْبِيقَاتِهَا (عَمَّان: دَارُ الْفِكْرِ، 1998)، 351-349.

² صَاحِبَ أَبُو جَنَاحَ، دَرَاَسَاتٌ فِي نَظَرِيَّةِ النُّحُو الْعَرَبِيِّ، 349: 352؛ الْبَاسَرِي، الْفِكْرُ النُّحَوِيُّ، 413.

³ الْمَخْزُومِي، فِي النُّحُو الْعَرَبِيِّ، 304: 311؛ أَبُو جَنَاحَ، دَرَاَسَاتٌ فِي نَظَرِيَّةِ النُّحُو، 364-365.

وظيفة أخرى، وهي قيامها مقام فعلٍ زعموا أنّها تضمّنت معناه، وحلّت هي محلّه، وقدّروه بـ"أدعو"، أو "أنادي". لهذا فإنّ أكبر الظنّ أنّ هذه الأدوات لا تتعدّى لكوّنها أدوات تنبيهٍ أصالةً لا نيابةً، مثل "ألا" التي للتنبيه، ومثل "ها" التي تدخل على أسماء الإشارة، إلّا أنّها أقوى تنبيهاً منها، وأدعى لالتفات المنادى وأسماعه الصوّت، وأيضاً، بدليل دخولها على الفعل، حيث لا يُذكرُ منادى، ولا يُقصّد تقديرُ منادى. ولكنّ النّحاة كانوا سادّرين في تطبيق فكرة "العمل" النّحويّ على كلّ ما يقع في أيديهم من مسائل، وكانوا مشغوفين بهذا شغفاً أبعدهم عن أن يحسُّوا بالدلالات المختلفة لهذا الأسلوب أو ذاك، وإلّا فكيف يتصوِّرون أنّ "يا" نابت مناب الفعل "أدعو"! ولتفترض أنّنا أبطلنا هذه النّياحة، وأعدنا المنوب عنه إلى الكلام، فقلنا بدلاً من "يا عبد الله": "أدعو عبد الله"، ألسنا نحسُّ بأنّ هذا الكلام عاد ولا أثر فيه لتنبيهه أو نداءٍ؟ أولمّ يعدّ الكلام خبراً بعد أن كان إنشاءً؟¹

3. الحركات التي تظهر في آخر المنادى ليست أثراً لعاملٍ من العوامل، ولكنّها حركات لا بُدّ منها؛ لوصول الكلام، أو تخفيفه.

4. يرى المخزومي أنّ النّحاة الذين جاءوا بعد الخليل عندما تحدّثوا عن نصب المضاف في المنادى خلطوا بذلك قواعد النّحو بالفلسفة من خلال شروحاتهم وحواشيمهم، فقال: "كان الخليل يقول إنّهم نصبوا المضاف، نحو: "يا عبد الله"، و"يا أخانا"، والنّكرة حين قالوا: "يا رجلاً صالحاً" حين طالّ الكلام، كما نصبوا هو قبلك، وهو بعدك، ورفعوا المفرد، كما رفعوا قبل وبعد، وموضعهما واحد. وكان (الخليل) يقول أيضاً: إذا أردت النّكرة، فوصفت أو لم تصف فهذه منصوبة؛ لأنّ التّنوين لجّحها فطالت، فجعلت بمنزلة المضاف، لما طالّ نصب.... لهذا فإنّ الخليل هنا- فيما يبدو- كان بعيداً عن التّمحل في تعليل النّصب والرفع، وكان يبدو مستوعباً لأساليب العرب في كلامهم، في شعرهم وخطبهم وأحاديثهم، مستقرّاً ما يجري للكلام في الاستعمال، واعياً للظواهر

¹ المخزومي، 302-303: 304-305.

اللُّغَوِيَّةِ والعَوَارِضِ النَّحْوِيَّةِ ولم يَكُنْ في كلامهم هنا وفي المواضع الأخرى ما نحسُّ فيه
بأثرٍ لمنطقيٍّ أو فلسفيٍّ، إشارة لعمل، أو ذكر لعامل¹.

5. الاستهجان للحشو الزائد في كُتُبِ النحاة بخصوصِ المنادى، الأمر الذي يزيده تعقيداً،
بل مِنَ الغريب أنهم حين يواجهون أمثالَ الشواهد التي تسبقُ فيها "يا" الفعل، لا
يكتفون بأن يقولوا بمنادى مقدّر، ولكنهم يُعربونه إعراباً مفصّلاً، ويُملئونَ بهذا الحشو
صفحاتٍ طوالاً...².

6. يؤكّد المخزومي رأيَ إبراهيم مصطفى المذكور في "إحياء النحْو"، حيثُ يطرح مصطفى
تعليلاً آخر لنصبِ المنادياتِ ورفعها، فالمنادى المعيّنُ أو المعرّفُ يمنعُ التّنوينَ لتعيينه،
فإذا بقي للاسم بعد حذفِ التّنوينِ كله، وهو النَّصْبُ اشتبهَ بالمضافِ إلى ياء المتكلم؛
لأنّها تُقْلَبُ في بابِ النداءِ ألفاً، تقول: "يا غلامي"، و"يا غلاماً"، وقد تُحذفُ وتبقى
الحركة القصيرة مشيرةً إلّهما، ودالّةً عليهما، فيُقال: "يا غلام" و"يا غلام"، ففَرُّوا مِنَ
النَّصْبِ والجَرِّ إلى الضَّمِّ حيثُ لا شُمَّةَ بياءِ المتكلم³.

ومن اللافت أن نذكرَ أنَّ المخزومي بعد سنتين من كتابه هذا أَلَفَ كتاباً آخر بعنوان:
"في النحو العربيّ- قواعد وتطبيق على المنهج العلميّ الحديث"، وفيه عَرَضَ لأبوابِ النحْوِ
العربيّ المختلفة، ولكننا نلاحظُ أنّه لم يترجمْ ما دعا إليه في الكتابِ السّابق، فمن المفروض
أنّ ينتقل من النّظريّة إلى التّطبيق، ولكنّه لم يفعل ذلك، بل عَرَضَ لقواعد المنادى عرضاً
مشابهاً لسابقه، اللهمّ إلّا أنّه اختَصَرَ مِنْ قواعدِ المنادى اختصاراً بادياً، وجاءتْ قواعدهُ
على نَسْقٍ القدماء⁴!

¹ المخزومي، 306-307.

² ن. م.، 305.

³ ن. م.، 308.

⁴ للمزيد انظر: المخزومي، 217-223.

3.5.14. هلال ناجي:

بعد أن عَرَضَ الباحثُ هلال ناجي لحركة تجديد النَّحْوِ منذُ ابنِ مَضَاءٍ القرطبيِّ في القرنِ السَّادسِ للهجرة/الثَّاني عشرَ للميلاد، ومرورًا بأعلامِ التَّجديدِ في العصرِ الحديث، نَحَوَ إبراهيم مصطفى، وأحمد الجواري، ومهدي المخزومي، وشوقي ضيف، أَبرَزَ أهميةَ تيسيرِ الدَّرسِ النَّحْوِيِّ؛ لِمَا في قواعدِ النَّحْوِ من صعوبةٍ على التَّشْنِءِ والدارسين، ولكنَّ هذا التَّغييرَ لا يعني-عِنْدَهُ- تنازلاً، أو شَطْباً للمنظومةِ النَّحْوِيَّةِ عن بَكْرَةِ أُمِّها تماشياً مَعَ تلكَ الدَّعَوَاتِ الَّتِي ذَرَّتْ القرنَ العشرين، وَالَّتِي وَصَفَهَا بِ"الدَّعَوَاتِ المشبوهةِ الَّتِي تَسْرُبَلَتْ رِداءَ تجديدِ النَّحْوِ، وَأَبْطَنَتْ عداءَ الفصحى، والدَّعوةَ إلى العاميَّةِ، وَحَتَّى استخدامَ الحرفِ اللَّاتينيِّ في الكتابةِ العربيَّةِ"¹- على حَدِّ مقولتِهِ.

وَمِنْ بَيْنِ الاقتراحاتِ التَّجديديَّةِ والتَّيسيريَّةِ² الَّتِي قَدَّمَهَا هلال ناجي لِمَجْمَعِ اللُّغَةِ العربيَّةِ بدمشقَ كان درسُ النَّداءِ، فجاءَتْ اقتراحاتُهُ على النَّحْوِ التَّالِي:

1. "لا مَبَرَّرَ للبحثِ عن عاملِ النَّصْبِ في المنادى هل هو "يا" نَفْسُهَا، أو لِنِيَابَتِهَا عن الفعلِ، أو بفعلٍ محذوفٍ تقديرُهُ "أنادي".
2. أرى ضرورةَ دراسةِ (النَّداءِ) بعد المفاعيل، أو دراسةِ أبواب: التَّدْبِة والاستغاثة بوصفِها من شعبِ النَّداءِ. وفصلِ التَّرخيمِ عن الدَّرسِ النَّحْوِيِّ؛ لِأَنَّهُ قَضِيَّةٌ صَوْتِيَّةٌ في المقامِ الأوَّلِ.
3. لا داعي للنَّصِّ عند الإعرابِ، على أَنَّ هذا الحرفَ للمنادى القريبِ الَّذِي لم يَنْزِلْ مِنْزِلَةَ البعيدِ، وَذَاكَ اللَّفْظَ للمنادى البعيدِ حُكْماً أو حقيقةً. لِأَنَّ الواقعَ اللَّغَوِيَّ لا يسعُفُ هذا التَّقْسِيمَ على طرافتِهِ، وَأَنَّهُ وَجْهٌ مِنْ وجوهِ الدَّقَّةِ والحساسيةِ في العربيَّةِ.

¹ هلال ناجي، "في تيسير تعليم مباحث النَّحو"، مجلة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق 82 (2007)، 66.

² استعان الباحث-إضافةً إلى اجتهاداتِهِ- بقرارات لجنة الأصول في مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة في دورته الخامسة والأربعين، وأيضاً بما دعا إِلَيْهِ شوقي ضيف.

4. قضية بناء المنادى المفرد على الضمّ تحتاج إلى تأملٍ. فما الذي يدعو إلى جعل (محمّد) في قولنا: "يا محمّد" مبنياً على الضمّ؟؟ والنّحاة عندما عدّدوا المبنيات لم يذكروا المنادى العلّم المفرد أو التّكررة المقصودة في نحو: "يا رجل"، و"يا رجلان"، و"يا مسلمون" من المبنيات.

5. لتابع المنادى أحكامٌ يحسُنُ تيسيرُها".

6. لا مانع من إدخال باب الاستغاثة والنّدة في باب النداء مع تعيين دلالة كلّ صيغة منها عند عرض أمثلتها.

7. حذف باب التّرخيم من كتب النّحو المدرسيّة¹.

3.5.15. يوسف الحمادي:

يكشفُ يوسف الحمادي عن استغرابه من المأل الذي آل إليه الدرسُ النّحويّ، خلافاً لبداياته الأولى، ولأهدافه النّبيلة التي رُسمت له، فقد انتهى إلى نهاية غريبة أليمة، وصار نَحْوًا مترهلاً متضخّماً، توسّع في غير متوسّع، وتعمّق في غير متعمّق، وامتدّ فجَمَعَ بين ما هو من مادّته، وما هو غريبٌ عنها، وغداً ثقيلًا في حجمه، سقيمًا في عَرْضِه، صلداً في أسلوبه².

ثمّ يقول إنّ بحثه هذا هو محاولةٌ للانتقال بالنّحو من واقعِهِ إلى النّحو كما يُرَى أن يكون، أو أنّه حجرٌ ألقِيَ في بحيرة النّحو الساكنة، فحرّك منها أبعادها وأعماقها، وأثار النّحاة بهذه الحركة إلى دراسةٍ نحويّةٍ راشدةٍ، لعلّها تنتهي به إلى وضعِهِ الطّبيعيّ الذي يربطُهُ بالّلغة رُتْطاً مُحْكَمًا، لا يخرجُ به عنها، ولا يبعُدُ به عن جَوْها وظلالها، علّماً- كما يؤكّد الحمادي- أنّ الكلمة الأخيرة في هذا العلم لم يَقلّها قائلٌ، وما أطلّ أحدًا يزعمُ أنّه قالها، فالنّحو لم يَزَلْ يتطلّع إلى الأيدي التي تستنقِذه ممّا هو فيه، وتعودُ به إلى حياته الطّبيعيّة

¹ هلال ناجي، "في تيسير تعليم مباحث النّحو"، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، 97-98.

² يوسف الحمادي، النّحو في إطاره الصّحيح (القاهرة: دار مصر للطباعة، 1990)، 5-6.

الصَّافِيَّةِ، فِي أُسَاسِهِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ، وَفِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ مَادَّةٍ، وَمَنْطِقٍ، وَمَنْهَجٍ، وَأُسْلُوبٍ عَرَضِيٍّ¹.

أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِأَهَمِّ النَّقَاطِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِدَرَسِ النَّدَاءِ الَّتِي طَرَحَهَا الْحَمَادِي، فَبَي:

1. يَعْتَرِضُ الْحَمَادِي عَلَى رَأْيِ النَّحَاةِ حَوْلَ نَصَبِ الْمَنَادَى وَبَنَائِهِ عَلَى الضَّمِّ فِي أَقْسَامِ الْمَنَادَى الْمُخْتَلِفَةِ، فَيُؤَكِّدُ أَنَّ ثَمَّةَ اضْطِرَابًا فِي آرَائِهِمْ حِينَمَا تَحَدَّثُوا عَنِ الْإِنْتِقَالَةِ مِنَ النَّصَبِ إِلَى الْبِنَاءِ عَلَى الضَّمِّ مُحَاوِلِينَ التَّعْلِيلَ لَهَا، فَذَكَرُوا أَنَّ الْاسْمَ يُبْنَى لِشِبْهِهِ بِالْحَرْفِ، وَأَنَّ الْمَنَادَى الْمَفْرَدَ شَبِيهٌ بِهِ، وَذَلِكَ لَوْقُوعِهِ مَوْقِعَ الْكَافِ الْإِسْمِيَّةِ.

وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْحَمَادِي أَنَّ الْحَسَّ الْعَرَبِيَّ رَأَى بَعْدَ الْمَنَادَى الْمُضَافِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْأَصْلِ، وَهُوَ النَّصَبُ، نَوْعَيْنِ آخَرَيْنِ مِنَ الْمَنَادَى: أَحَدُهُمَا غَيْرُ مُعَيَّنٍ بِذَاتِهِ وَلَا بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ، وَيَشْمَلُ النِّكَرَةَ غَيْرَ الْمَقْصُودَةِ، وَالشَّبِيهَ بِالْمُضَافِ، نَحْوُ: "يَا حَارِسًا"، وَ"يَا حَارِسًا لِلْبُسْتَانِ"، وَالثَّانِي مُعَيَّنٌ بِذَاتِهِ، أَوْ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ، نَحْوُ: "يَا خَالِدًا"، وَ"يَا جَنْدِيًّا"؛ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا بِتَنْوِينِ النَّوعِ الْأَوَّلِ: دَلَالَةً عَلَى تَنْكِيرِهِ، وَعَدَمِ تَنْوِينِ النَّوعِ الثَّانِي: دَلَالَةً عَلَى تَعْيِينِهِ².

2. مَعَ حَذْفِ التَّنْوِينِ فِي الْمَنَادَى تُرِكَ النَّصَبُ الَّذِي اقْتَرَنَ بِهِ، وَلَمْ يَتَّجِهْ نَحْوَ الْجَرِّ: لِعَدَمِ الْإِضَافَةِ، فَلَمْ يَبْقَ أَمَامَهُ إِلَّا الرُّفْعُ مَعَ عَدَمِ التَّنْوِينِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا التَّزَامُ الضَّمِّ، أَوْ الْبِنَاءُ عَلَيْهِ. مِنْ هُنَا نُعَرِّبُ كَلِمَةَ "حَارِس" فِي قَوْلِنَا: "يَا حَارِسُ تَنْبَهُ": "حَارِسٌ"³: تَكْمِلَةُ التَّزَمِ فِيهَا الضَّمُّ؛ مَنَعًا لِلتَّبَاسِ، تَنْبَهُ أَمْرٌ لِلْمُخَاطَبِ⁴.

3. يَعْتَقِدُ الْحَمَادِي أَنَّ لَامَ الْمُسْتَغَاثِ بِهِ الَّتِي يَرَى بِهَا جَمْهُورُ النَّحَاةِ حَرْفَ جَرٍّ، وَأَنَّهَا فُتِحَتْ؛ لِشِبْهِهَا بِحَرْفِ الْجَرِّ الدَّاخِلِ عَلَى ضَمِيرِ الْخُطَابِ، إِنَّمَا هِيَ -فِي الْحَقِيقَةِ- بَقِيَّةُ

¹ الحمادي، النحوي في إطاره الصحيح، 7.

² الحمادي، النحو، 128-129.

³ لا نَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْإِعْرَابَ أَسْهَلُ مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ.

⁴ الحمادي، 129-130.

لفظة عَرَضَ لها التَّطَوُّرُ اللُّغَوِيُّ، فلم يبقَ منها إلا اللَّامُ، نحو: "يا لَطه"، و"يا لَبَيْتٍ"، و"يا لِلْخَطابِ". وهذا الرَّأْيُ كان قد صَرَّحَ به بعضُ النُّحاةِ القدماءِ كالصَّبَّانِ في حاشِيَتِهِ؛ لهذا نُعَرِّبُ جملةً: "يا لِلَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ": يا: حرفُ نداءٍ واستغاثةٍ، واللَّامُ بَقِيَّةُ لفظةٍ مضاف، أصلُه (آل)، ولفظةُ الجلالةِ مضافٌ إِلَيْهِ، للمسلمين: جَارٌّ ومَجْرُورٌ مستغاثٌ له¹.

4. يقترح الحمادي أن نستعيضَ في الإعرابِ عن ذِكْرِ "المندوبِ"، فمثلاً عند إعراب: "واكبدا" نقول: وا: حرفُ نداءٍ وندبةٍ. كبدا: متوجَّعٌ منه منادى لحقَّتْهُ أَلْفُ تُسَاعِدُ على مَدِّ الصَّوْتِ².

5. النَّداءُ التَّعْجِيبِيُّ هو صورةٌ ندائِيَّةٌ، وهو مِنْ صِبْغِهِ القِياسِيَّةِ، ويأتي على أشكالٍ عدَّةٍ، منها: "يا للجمال!"، و"يا لجمالِ الرَّبيع!"، و"يا عجباً لجمالِ الرَّبيع!"، و"يا عجبُ لجمالِ الرَّبيع!"، و"يا جمالِ الرَّبيع!" وهذه الجُمْلُ- على ما يبدو- جملٌ ناقصةٌ، تطَوَّرَتْ في الاستعمالِ وبِالاستعمالِ، ولعلَّها كانت: "أُنادي متعجباً بالجمال، أو جمالِ الرَّبيع، أو العجبُ له، أو أُناديه هو متعجباً. وفي إعرابِ "يا للجمال" نقول: يا: حرفُ نداءٍ وتعجبٍ. واللَّامُ بَقِيَّةُ مضافٍ منادى، والجمال: مضافٌ إِلَيْهِ مجرور³.

3.5.16. يوسف الصِّيداوي:

بدا الباحثُ يوسف صيداوي مُتَدَمِّراً مِنْ حجمِ درسِ النَّداءِ، واصفاً إِيَّاهُ بأنَّه بحثٌ طويلٌ، فقد بَلَغَ عند سيبويه أربعاً وثمانينَ صفحةً، وعند عبَّاسِ حسن مائةً وسبعَ عشرةَ صفحةً، وهذا بحدِّ ذاته يُسَبِّبُ تَأَرُّجاً وَبَلْبَلَةً لدى الدَّارسين، ناهيكَ باختلافِ النُّحاةِ أنفسهم حولَ مسائلٍ عدَّةٍ في هذا الدِّرسِ، فمثلاً: "خالدٌ" في قولنا: "يا خالدٌ" هو عند

¹ ن. م.، 130-131.

² ن. م.، 131.

³ ن. م.، 131-132.

البصريين: منادى مبني على الضم في محل نصب، وعند الكوفيين منادى مرفوع (مُعْرَب)،
ثُمَّ يقول: "تأمل ما وراء هذين الرأيين من تفريع وتشعيب بُنِيَا عليهما"¹.

من هذا المنطلق، وبعد أن أَكَّدَ الصَّيدَوي أَنَّهُ عادَ إلى جميع ما يعرفُهُ في المكتبة
النَّحْوِيَّة، بوسعنا أن ندوِّن أهمَّ النَّقَاطِ الَّتِي اقترحَهَا على النَّحْوِ التَّالِي:

1. فصل النَّدْبَةِ، والتَّعَجُّبِ، والاستغاثَةِ عن المنادى؛ وذلك لأنَّ النَّدْبَةَ تَفْجُعٌ وتَوْجُعٌ، وما
أبعدَهَا عن النَّدَاءِ! وأَمَّا التَّعَجُّبُ فَلأنَّه استعْظَامٌ أَمْرٍ، وأينَ هذا من ذاك؟! وأَمَّا
الاستغاثَةُ فَلأنَّهَا- وإنْ كانت نداءً- تَظَلُّ في آخرِ المَطَافِ صَنَفًا من صَنُوفِ المَجْرُورَاتِ
بالحرفِ.

2. الابتعاد عن تَنْظِيرِ النُّحَاةِ وتضاربِ الآراءِ في مسائلِ النَّدَاءِ المِخْتَلِفَةِ، مَعَ الاسْتِمْسَاكِ
بِأَسَالِيهِمْ؛ لِلحِفَازِ عَلَى جَوْهَرِ اللُّغَةِ. ومن أمثلةِ اقْتِرَاحَاتِ التَّسْهِيلِ الَّتِي طَرَحَهَا
البَاحِثُ:

تنادي العربُ فتنصبُ المنادى، فتقولُ:

- يا أهلَ الدَّارِ سلامٌ عليكم: (لأنَّ المنادى مضاف).

- يا قارئاً كتبَ العِلْمَ قَبْدَ فَوَائِدِهَا: (لأنَّ المنادى مُشْتَقٌّ عامِلٌ فيما بَعْدَهُ).

- يا غافلاً انتبه: (لأنَّ النَّدَاءَ مَوْجَّهٌ إِلَى كُلِّ غَافِلٍ، لا غَافِلٍ مُحَدَّدٍ).

وتضمُّ العربُ المنادى، فتقولُ:

- يا خالِدُ احذر: (لأنَّه عَلَمٌ مَفْرُودٌ).

- يا رجلُ ما اسْمُكَ؟: (لأنَّه نداءٌ مَوْجَّهٌ إِلَى رَجُلٍ مُعَيَّنٍ، وإنْ كُنْتَ لا تَعْرِفُ اسْمَهُ).

وتنادي العربُ المثنى، فتقولُ:

- يا مسافران: (تجعل في آخرِهِ أَلْفًا وَنَوْنًا؛ للمثنى).

وتنادي العربُ الجمعَ، فتقولُ:

- يا مسافرون: (تجعل في آخرِهِ واوًا وَنَوْنًا؛ للجمع).

¹ يوسف الصَّيدَوي، "إعادة صوغ قواعد اللغة"، مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق 73 (1998)، 953.

3. إيجاد طريقة سهلة المنال؛ للتغلب على الصعوبات في درس "توابع المنادى" الذي استغرق عند عباس حسن- كما يُبين الصيداوي- أربعاً وعشرين صفحة، ولكن الباحث استطاع- حسب ادّعائه- أن يختصر هذا الدرس الطويل بخمس كلمات فقط، وهي: "قَدْ رَقِبَ التَّابِعِ (يا) محذوفة"، نحو:

- يا خالد.. بَنَ سَعِيدٍ - يا خالدُ يا ابنَ سَعِيدٍ: بعد يا المحذوفة مضاف، فالتنصب على المنهاج.

- يا سعد.. سَعَدَ العَشِيرَةُ - يا سعدُ يا سَعَدَ العَشِيرَةِ: بعد يا المحذوفة مضاف، فالتنصب على المنهاج.

- يا خالد.. الفاضلُ - يا خالدُ يا أَثَمُها الفاضلُ: بعد يا المحذوفة اسمٌ محلى بـ"ال" فيُضَمُّ وتسبقه أَثَمُها حُكْمًا.

- يا خالدُ و.. سَعِيدٌ - يا خالدُ و يا سَعِيدُ: بعد يا المحذوفة علم مفرد، فضمّه على المنهاج.

- يا أبا الحسن.. عليٌّ - يا أبا الحسن يا عليٌّ: بعد يا المحذوفة علم مفرد، فضمّه على المنهاج.

- يا عليٌّ.. أبا الحسن - يا عليٌّ يا أبا الحسن: بعد يا المحذوفة مضاف، فالتنصب على المنهاج.

- يا عليٌّ و .. أبا سَعِيدٍ - يا عليٌّ و يا أبا سَعِيدٍ: بعد يا المحذوفة مضاف، فالتنصب على المنهاج.

- يا خالدُ .. صاحبَ زَهِيرٍ - يا خالدُ يا صاحبَ زَهِيرٍ: بعد يا المحذوفة مضاف، فالتنصب على المنهاج.

- يا رجلٌ.. أبا خليلٍ - يا رجلُ يا أبا خليل: بعد يا المحذوفة مضاف، فالتنصب على المنهاج.

- يا خالد.. الحسنُ الخلق - يا خالدُ يا أيُّها الحسنُ الخلق: بعد يا المحذوفة اسمٌ محليّ
ب"ال" فيُضَمُّ وتسبّقه أيُّها حُكْمًا¹.

3.6. بنية النداء من السطح إلى العمق²:

يكشفُ محمّد عبد المطّلب عن تحوّل بنية التّركيبِ النّدائيّ بما يحوّلها من إجراءات
كلاميّة³، فيذهبُ إلى أنّ الإنتاجيّة الدّلاليّة للنداء هو "طلبُ الإقبالِ حسًّا أو معنًى" بحرفٍ
"مولّد" من الفعل "أدعو"، سواءً أكانَ الحرفُ ملفوظًا على مستوى السّطحِ نحو: "يا
محمّد"، أم مُضمّرًا على مستوى العمقِ نحو قوله تعالى: {يوسفُ أغْرِضْ عَنْ هَذَا} الذي
تأتي تحولاتُهُ في العمق على التّحوّل التّالي:

أ- أدعو يوسف أن يعرضَ عن هذا.

¹ يوسف الصّيداوي، "إعادة صوغ قواعد اللّغة"، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، 954-955.
² يبيحُ هذا العنوانُ التّحوّلات اللّغويّة في بنية التّراكيب المختلفة، والتّفريق بين المستوى السّطحي المنطوق
(ما بعد) وبين المستوى العميق للّغة (ما قبل)، وهو ما يُعرّفُ بمصطلح التّحويل Transformation، أو،
تحديدًا، بالنّظرية التّحويليّة- التّوليديّة عند تشومسكي، الّتي قدّمها عام 1957، ولاقت شيوعًا منقطع
النّظير عند علماء اللّغة، بل أصبحت من أكثر النّظريّات التّجديديّة آنذاك. انظر: محمّد الشكيري،
دروس في التّركيب- بين النّظرية التّوليديّة التّحويليّة والنّحو المعجمي الوظيفيّ (الرّباط: دار الأمان،
2005)، 9-19: حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة- دراسة تحليليّة في
قضايا التّلقّي وإشكالاته (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدّة، 2009)، 261-262: عبده الرّاجحيّ،
النّحو العربيّ والدّرس الحديث- بحث في المنهج (الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، 1988)، 109-126.
³ المقصود بالإجراءات الكلاميّة هي تلك العمليّة اللّسانيّة الّتي تحوّل الصّيّغة المنطوقة إلى ناتج دلاليّ،
وتفسّرُ الإنتاجيّة الكلاميّة اعتمادًا على قدرة المتكلّم الفعليّة، وإدراكه الكامل للإمكانات اللّغويّة، ولا
يمكن تفسير منظومة الإمكانات إلّا بتدخّل الحُدس أحيانًا على تقديم التّفير البلاغيّ استنادًا إلى مجموعة
الحقائق التّعبيريّة الّتي سبّقت النّحاة إلى تحديدها، والكشفِ عن وظائفها. من هنا فإنّ القواعد الإجرائيّة
تساعدُ في تحويل (الأصل) إلى بنية التّنفيذ، نتيجةً لما ينتاب أطرافَ التّراكيب ذاتها من تحولاتٍ داخلية،
أو ما ينتاب التّركيب كلّهُ من هذه التّحوّلات الّتي أخذت خطوطًا متعدّدة. انظر: محمّد عبد المطّلب،
البلاغة العربيّة- قراءة أخرى (بيروت: مكتبة لبنان- ناشرون، 1997)، 91-94.

ب- يا يوسف أَعْرِضْ عن هذا.

ج- {يوسف أَعْرِضْ عن هذا}.

هذا يعني أَنَّ بِنْيَةَ الإِسَاسِ تَقْدُمُ الفِعْلَ مُبَاشَرَةً "أَدْعُو"؛ لِيَتَوَلَّدَ عَنْهُ "يَا" فِي التَّحَوُّلِ التَّالِي، ثُمَّ تَغِيْبُ "يَا" فِي مَسْتَوَى السَّطْحِ، لَكِنْ تَظَلُّ فَاعِلِيَّةٌ مَا سَبَقَهَا مِنْ تَحَوُّلٍ حَاضِرَةٍ وَفَاعِلَةً فِي إِنْتَاجِ المَعْنَى¹.

وَيُوَكِّدُ عَبْدُ المَطْلَبِ أَنَّ ثَمَّةَ تَبَايُنًا بَيْنَ السَّطْحِ والْعَمَقِ فِي حُرُوفِ النَّدَاءِ نَفْسِهَا، فَحُرُوفِ النَّدَاءِ "يَا" و"هِيَ" سِيَاقُهَا الأَصْلِيُّ نَدَاءُ البَعِيدِ حَسًّا أَوْ مَعْنَى، أَمَّا "الْهَمْزَةُ" و"أَيُّ" فَسِيَاقُهَا الأَصْلِيُّ نَدَاءُ القَرِيبِ حَسًّا أَوْ مَعْنَى، بَيْنَمَا الـ"يَا" فَإِنَّهَا مَزْدُوجَةٌ السِّيَاقِ، بِمَعْنَى أَنَّهَا تَصِلُحُ لِنَدَاءِ القَرِيبِ والبَعِيدِ. وَلَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذِهِ الحَقِيقَةِ الأَصْلِيَّةِ لاسْتِخْدَامَاتِ حُرُوفِ النَّدَاءِ الدَّلَالِيَّةِ إِلَّا أَنَّ البَلَاغِيَّينَ وَالتَّحَاةَ يَلَاحِظُونَ أَنَّهَا تَتَبَادَلُ السِّيَاقَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمَا، عَلَى مَعْنَى أَنَّ القَرِيبَ قَدْ يُنْزَلُ مَنَزَلَةً البَعِيدِ، وَالبَعِيدَ قَدْ يُنْزَلُ مَنَزَلَةً القَرِيبِ؛ تَبَعًا لِلْهُوَامِشِ المَصْحَابَةِ- عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ- لِهَذَا فَإِنَّ أَدِيبَةَ النَّدَاءِ تَتَأَتَّى عِنْدَ تَخْلُصِهِ مِنْ "أَصْلِ المَعْنَى"؛ لِيُوَلَّدَ إِنْتَاجِيَّةً بَدِيلَةً، سِوَاءٍ كَانَ التَّوْلِيدُ عَلَى مَسْتَوَى السِّيَاقِ، أَوْ عَلَى مَسْتَوَى الصِّيْغَةِ ذَاتِهَا²؛ وَلِتَتَشَكَّلَ صُورَةٌ تَوْلِيدِيَّةٌ (دَلَالِيَّةٌ- بَلَاغِيَّةٌ- إِنْتَاجِيَّةٌ) تَتَحَقَّقُ بِخُرُوجِ حَرْفِ النَّدَاءِ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ³.

ثُمَّ يَضْرِبُ عَبْدُ المَطْلَبِ بَعْضَ الأَمْثَلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى السِّيَاقَاتِ المَتَوَلَّدَةِ، نَحْوَ "الإِغْرَاءِ"، وَهُوَ سِيَاقٌ يَتَوَجَّهُ إِلَى المِتْلَقِي لِحَثِّهِ عَلَى لَزُومِ شَيْءٍ بَعِيْنِهِ، لَكِنَّ الغَالِبَ أَنَّ يَسْتَحْضِرُ هَذَا السِّيَاقُ "المِتْكَلِّمَ" أَيْضًا، وَيَسْتَحْضِرُ مَعَهُ الْهُوَامِشَ المَصْحَابَةَ، وَذَلِكَ نَحْوَ حُضُورِ شَخْصٍ تَصَاحِبُهُ صِفَةً إِضَافِيَّةً هِيَ "كَوْنُهُ مَظْلُومًا" كَمَا يَصَاحِبُهُ سِيَاقٌ خَارِجِيٌّ هُوَ "عَرَضُ شُكْوَاهُ"؛ فَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ المِتْكَلِّمُ بِالنَّدَاءِ: "يَا مَظْلُوم"، فَيَأْتِي التَّحَوُّلُ هَا هُنَا عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

¹ مُحَمَّدٌ عَبْدُ المَطْلَبِ، البَلَاغَةُ العَرَبِيَّة- قِرَاءَةُ أُخْرَى، 299-300.

² عَبْدُ المَطْلَبِ، البَلَاغَةُ العَرَبِيَّة، 300.

³ أَسَامَةُ البَحِيرِي، تَحَوُّلَاتُ البَنِيَّةِ فِي البَلَاغَةِ العَرَبِيَّة (طَنْطَا: دَارُ الحَضَارَةِ، 2000)، 124.

أ-أغريك وأحْتُك على عَرَضِ مَظْلَمَتِكَ.

ب-يا مظلومُ أغريك لِعَرَضِ مَظْلَمَتِكَ.

ج-يا مظلومُ.

هذا يعني- كما يقول عبد المطلب- أن هناك تَمَدُّدًا في بنية الأساس، والبنية الوسطى، إذ يتحوَّل إلى انكماشٍ مكثَّفٍ في بنية السطح، ويتمُّ تعويضُ هذا الانكماشِ بالسياقِ الخارجي والداخلي¹.

وأيضًا يأتي "الاختصاص" كشاهدٍ من شواهدِ التحوُّلاتِ في بنية النداء، حيثُ يبدو أن هذا الناتج يرتدُّ إلى السياقِ الداخلي، أو إلى التشكيلِ الصِّيَاحِيِّ ذاتِه، فيحضرُ "ضميرٌ" يتبعُه اسمٌ ظاهرٌ مسندٌ إليه حُكْمٌ يُقصدُ به التخصيص، فتتحقِّقُ صورةُ النداءِ لكن- في الحقيقة- ليس هناك نداء، بمعنى أنه نداءٌ من حيثُ الشكل فقط. وهذا التخصيصُ يتحوَّلُ بدوْرِهِ إلى توليدِ معانٍ إضافية، كالفخرِ نحو: "عَلَيَّ أَيُّهَا الكريمُ يعتمدُ المحتاجُ" التي ترتدُّ في العمقِ إلى: "عَلَيَّ أنا المخصوص بالكرمِ يعتمدُ المحتاجُ"، وكالتواضع، نحو: "أنا أَيُّهَا المسكينُ أطلبُ المعروفَ" التي ترتدُّ في العمقِ إلى: "أنا المخصوص بالمسكينة أطلبُ المعروفَ"، وكالتأكيد، نحو: "أنا أَيُّهَا الرجلُ أتكلِّمُ" التي ترتدُّ في العمقِ إلى "أنا المخصوص بالرجولة أتكلِّمُ"، لذا فإنَّ كلَّ هذه التراكيبِ تدخلُ منطقةَ النداءِ وهي ليستُ بندا².

وتعتقدُ دزه بي- خلالَ دراسةٍ تحليليةٍ- أنَّ سيبويه كان قد وَقَفَ في كتابه عند الكيفياتِ الإجرائيةِ التي يردُّ عليها الدليلُ النظميُّ للمنادى، فقد ذكَّرَ سيبويه أنه يُمتنعُ نداءُ العنصرِ الموسومِ بِسِمَةِ (+تعيين)؛ لتوافقِ دلالةِ النداءِ مَعَ دلالةِ المعرِّفِ في تأطيرِ المنادى بإرادةِ المخاطبِ وقصدِهِ حيثُ يشملُ فعلُ الاستدعاءِ هذا المقصودَ دونَ غيره، فيصبحُ المنادى معرفةً؛ لأنَّك أشرتَ إليه، وقصدتَ قصده، واكتفيتَ بهذا عن الألف واللام (ال)، وصارَ كالأسماءِ التي هي للإشارة نحو "هذا" وما أشبه ذلك، وصارَ معرفةً بغيرِ "ال" التعريف؛ لأنَّك

¹ عبد المطلب، البلاغة العربية، 301-300.

² عبد المطلب، البلاغة العربية، 302-301.

إِنَّمَا قَصَدَتْ قَصْدَ شَيْءٍ بَعِيْنِهِ، وصَارَ هذا بدلاً في النداء من ال التعريف، واستُغْنِيَ به عنهما كما استغْنِيَتْ بقولك: "اضْرِبْ" عن "لِتَضْرِبْ"¹. من هنا يتجلى أَنَّ سيبويه يرتكز إلى التحليل الدلالي للعنصر المعلم بـ"ال": لإظهار السبب في امتناع العرب عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَ النَّدَاءِ وَسِمَةِ التَّعْرِيفِ المعلم بقوله: "وإنَّما يدخلون الألف واللام لِيُعْرِفُوكَ شَيْئًا بَعِيْنِهِ قد رَأَيْتَهُ، أو سمعتَ بِهِ، فإذا قصدوا قَصْدَ الشَّيْءِ بَعِيْنِهِ دُونَ غَيْرِهِ وَعَنَوُهُ، ولم يجعلوه واحدًا مِنْ أُمَّةٍ، فقد استغنَوْا عن الألف واللام، فَمِنْ ثَمَّ لم يُدخلوهما في هذا ولا في النداء"²، وإبعادًا لهذا التضارب الدلالي يُؤْتَى بعناصر تكميليَّة مساعِدة نحو: "أي"، أو "هذا"، أو "هذه" كمدخل وسِطةٍ للربط بَيْنَ مورفيمِ النداء والعناصر المعلمة بـ(تعيين) كما في: "يا أَيُّها الرَّجُلُ". وهذه العناصر المعرفَةُ تُزِيلُ الغموضَ والإبهامَ فيما قَبْلَهَا مِنَ العناصرِ الوَصْلِيَّةِ والإشارِيَّةِ؛ لِأَنَّكَ لا تستطيعُ أَنْ تقولَ: "يا أَيُّ"، أو "يا أَيُّها" وتَسْكُتَ؛ بسبب إبهامِهِ الَّذِي يلزمُهُ التفسيرُ والتوضيحُ، فصار هو "الرَّجُلُ" بِمَنْزِلَةِ اسمٍ واحدٍ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: "يا رجلُ"، كما أَنَّ الأسماءَ المبهمةَ الَّتِي توصَفُ بالأسماءِ المشتملةِ على "ال" التَّعْرِيفِ تُعاملُ معاملةَ "أي"، نحو: "هذا، وهؤلاء، وأولئك...إلخ. فيؤكد هذا الأمرُ قيمةَ العناصرِ التَّابِعةِ لـ"أي"، و"هذا" وغيرهما، في عمليةِ التَّجْلِيِ الدَّلَالِيِّ لهذه العناصرِ المُهمِّمةِ التَّكميليَّةِ في أثناءِ تفكيكِ بنيةِ "يا أَيُّها"، وإفادةِ "ها" التَّنْبِيهِ الَّتِي جُعِلَتْ تنبيهًا بِمَنْزِلَةِ "يا"، وَتَمَّ توكيدُ التَّنْبِيهِ بواسطةِ الهاءِ (ها)؛ لهذا لم يَجْزُ أَنْ يُسْكَتَ على "أي"، بل يجبُ أَنْ تُفَسَّرَ³.

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، يرى أسامة البحيري أَنَّ خروجَ حروفِ النداءِ عن أَصلِهَا الدَّلَالِيِّ هو أَحَدُ أنواعِ التَّحَوُّلِ في البنيةِ النَّدَائِيَّةِ، ومثْلُ ذلك أَنَّ نداءَ القريبِ بواسطةِ حرفِ لنداءِ البعيدِ يُنتِجُ دلالاتٍ بلاغيَّةً وجماليَّةً تتحرَّكُ في نطاقِ الوظيفةِ الإِفهامِيَّةِ، وتَنَجِّهُ بِوَرُثِهَا إلى المتلقِّي المباشرِ أو العامِّ؛ للدَّلالةِ على غُلُوِّ شَأْنِهِ وتعظيمِهِ، نحو قولِ أبي نواسٍ:

¹ سيبويه، 2: 198.

² ن. م.

³ دزه بي، البحث الدلالي، 279-281.

"يا رَبِّ إِنَّ عَظُمْتُ ذُنُوبِي كَثُرَتْ فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ"

ونحو قول المتنبي في عتاب سيف الدولة الحمداني:

"يا مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وجدائنا كلَّ شيءٍ بعدكم عَدَمٌ"

أو للدلالة عن انحطاطه وتدنيه، كما جاء في قول الشاعر:

"أيا هذا أَتَطْمَعُ في المعالي وما يَحْظَى بها إِلَّا الرِّجَالُ"

أو للدلالة على غفْلته، وسوء تقديره لعواقب الأمور، نحو قول أبي العتاهية:

"أيا مَنْ عاشَ في الدُّنيا غريباً وأَمْضَى العَمْرَ في قَيْلٍ وَقَالَ"

هَبِ الدُّنْيَا تُساقُ إِلَيْكَ عَفْواً أليسَ مصيرُ ذلك للزَّوالِ"¹

ويذهب المنصف عاشور إلى أنَّ الجملة الندائية تضيف على التركيب شحنة هامة، فتوجه إلى السامع والمتكلم معاً، وهي جملة نحوية قائمة على بنية سطحية إنشائية، وبنية مضمرة خبرية²، أي هي على مستوى السطح المنطوق جملة إنشائية تخضع لقوانين الإنشاء اللغوي، وعلى مستوى العمق جملة خبرية تخضع لقوانين الإخبار اللغوي؛ بسبب الفعل المقدّر "أنادي"، أو "أدعو" الذي نابت عنه حروف النداء.

3.7. خروج النداء عن معناه الأصلي³:

تحدث البلاغيون في مصنفاتهم حول الأغراض البلاغية المختلفة للتركيب الندائي، فانطلقوا من حقيقة مفادها أنَّ الغرض البلاغي للنداء إنما يتعيّن من خلال العلاقات السياقية بين أركان جملة النداء، فقد يُفهم السياق ضمن تعبير ندائي ما على أنّه تركيب

¹ أسامة البحيري، تحولات البنية في البلاغة العربية، 124-125.

² المنصف عاشور، بنية الجملة العربية، 182؛ حفيظة شابسوغ، الجملة الخبرية والجملة الطلبية، 284.

³ ألفت الانتباه إلى أنّه يمكن أن تُخصّص دراسة مستقلة حول هذا الموضوع؛ لما فيه من رؤى جديدة، وأفاق رحبة، وكذلك لما فيه من أطاريح تحتاج إلى نقاشٍ وبحثٍ، ولا سيّما عندما يرتبط "خروج النداء عن معناه الأصلي" بالسياق، وبالمستوى الدلالي للألفاظ من جهة، وللتراكيب من جهة أخرى.

صريحٌ مباشرٌ يحملُ مقاصدَ واضحةً وصريحةً وكأنَّ الغرضَ مِنَ النداءِ في هذه الحالِ أصليٌّ¹، نحو طلبِ إقبالِ المنادي (المخاطبِ)، أو تنبيهه، وقد يتضمَّنُ تركيبُ النداءِ معنىً خفيًّا مضافًا إلى المعنى الأصليِّ وفقًا لمقتضياتِ الكلامِ المرتبطةِ بالملاحِ النَّفْسِيَّةِ والوجدانيَّةِ، واستقراءً لدلالةِ القرائنِ وأبعادِ السِّياقِ الَّتِي في طبيعتها تمنحُ التَّركيبَ النَّدائيَّ طَوْرًا جديدًا ناتجًا ومنشأً عن الأصلِ الَّذِي وُضِعَ له النداءُ²، وكأنَّ النداءَ ينتقلُ من المعنى النَّدائيِّ المجرَّدِ إلى معنىٍّ آخَرَ يقتضيه غرضُ النداءِ، فيتمُّ إنتاجُ دلالاتٍ سياقيَّةٍ متعدِّدةٍ، يتحرَّكُ معظمُها في نطاقِ الوظيفةِ الانفعاليَّةِ، ويتحرَّكُ بعضها في نطاقِ الوظيفةِ الإفهاميَّةِ³.

وقد ذَهَبَ بعضُ الدَّارسينَ إلى أكثرَ من هذا في تحديدِ مفهومِ "خروجِ النداءِ عن معناه الأصليِّ"، فَاسْمُوهُ بـ"النداءِ البلاغيِّ"، وعرفوه بأنَّه انتقالٌ في دلالةِ النداءِ، فيه يخرجُ أسلوبُ النداءِ عن معنى الإقبالِ كُلِّيَّةً، وينسبُ القريبَ والبعيدَ جملةً⁴، فالنداءُ هنا- كما يقول عبده قلقيلة- صورةٌ مُفرَّغةٌ من معناه الحقيقيِّ، ومن مضمونه الأصليِّ.

وَمِنْ أَهمِّ هذه المعاني:

1. الإغراء⁵: نَحْوُ قولِ أبي الطَّيِّبِ المتنبي:

¹ ابن السَّراج، الأصول، 1: 329.

² عبد الواحد الشَّيخ، دراسات في علم المعاني والبديع، 100؛ محمَّد الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغيِّ للقرآن الكريم، 85؛ محمَّد عبد المطلب، تحولات البنية في البلاغة العربيَّة، 125-126.

³ محمَّد عبد المطلب، تحولات البنية، 126.

⁴ يقصدون بذلك مناداة البعيد بأداة القريب، ومناداة القريب بأداة البعيد، نحو قول أبي نواس: "يا ربَّ إنَّ عظمت ذنوبي كثرةٌ فلقد علمتُ بأنَّ عفوكَ أعظمُ": فيظهرُ ها هنا الشَّاعرُ مُناديًا ربَّه- وهو قريبٌ إليه- بأداة النداء البعيدة "يا": للدلالة على علوِّ شأنِ المُنادى وهو الله. وفي المقابل يقول الشَّاعر: "أُسْكَنَ نعمانَ الأراكِ تيقنوا بأنكم في ربعِ قلبي سُكَّانٌ" وفيه ينادي الشَّاعرُ السَّكَّانَ- وهم بعيدون- بأداة النداء القريبة "الهمزة": للدلالة على أنَّهم قريبون إلى قلبه". انظر: عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحيَّة (القاهرة: دار الفكر العربي، 1992)، 182-183؛ حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، 180-185.

⁵ الإغراء لغةٌ هو الحثُّ على التَّزامِ النَّبيِّ والزَّيادة فيه.

"يا أعدلَ النَّاسِ إلّا في معاملي فيك الخصامُ وأنتَ الخصمُ والحكمُ
أعيذها نظراتٍ منك صادقةً أنْ تحسبَ الشَّحْمَ فيمن شحمه
أو نحو قول الرَّجُلِ لِمَنْ يُقْبِلُ يتظلمُ: "يا مظلوم".²

2. التَّحَسُّرُ والتَّوَجُّعُ: نحو قوله تعالى: {يا حَسْرَةً على العبادِ...}³، وقوله: {يا لَيْتَنِي كُنْتُ
تُرَابًا}⁴، ونحو قول امرئ القيس: "أَيُّهَا الطَّلُّ البالي".⁵
وقول الشَّاعر:

"يا أبا القاسم الَّذي كنت أرجو لدهري، قطعتُ حبلَ الرَّجاءِ"⁶
ونحو قول الشَّاعر:

"يا دُرَّةً نُرِعْتَ من تاجٍ والديها فأصبحتُ جِلِيَّةً في تاجِ رضوانِ"⁷
3. الاختصاص: نحو قولهم: "أنا أفعلُ كذا أَيُّهَا الرَّجُلُ"، أي متخصِّصًا مِنْ بين الرِّجالِ⁸،
ونحو قول ابن الرُّومي:

¹ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، 128؛ شابسوغ، 250؛ محمّد زغلول سلام، محاضرات في البلاغة العربية (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993)، 55؛ محمّد عبد المطلب، تحولات البنية، 128-129؛ عبده قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، 184.

² التَّفَتَّازَانِي، المطوّل، 431؛ ابن عرّشاه، الأطول، 1: 56؛ الكرّمي، الوشاح، 1: 341.

³ القرآن الكريم، يس: 30. هناك بعض الباحثين أدرجوا هذه الآية كشاهدٍ على التَّعَجُّبِ وليس على التَّحَسُّرِ. انظر: باطاهر، البلاغة العربية، 91؛ عبد المطلب، تحولات البنية، 127.

⁴ القرآن الكريم، التَّيَّأ، 30.

⁵ محمّد عبد المطلب، البلاغة العربية- قراءة أخرى، 302؛ الكوّاز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، 376.

⁶ حلمي مرزوق، في فلسفة البلاغة العربية، 185؛ قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، 183.

⁷ بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، 91.

⁸ التَّفَتَّازَانِي، المطوّل، 431-432؛ ابن عرّشاه، الأطول، 1: 56؛ 605-606؛ عبد المطلب، البلاغة العربية- قراءة أخرى، 301-302.

"يا شبابي! وأين مَتِّي شبابي
لَهْفُ نفسي على نعيمي وَلَهْوِي
أذنتني حبالُهُ بانقضاب
تحت أفنائه اللدان الرطاب"¹.
ونحو قوله تعالى²: {وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}³.

يُشارُ إلى أَنَّ الاختصاصَ في النداءِ، عند بعضِ الباحثين، يدلُّ على المدح⁴، نحو قوله
تعالى: {رحمةُ الله وبركاته عليكم أهل البيت}⁵.

4. الزَّجْرُ والتهديد: كقولك: "يا فؤادي، أَلَمْ يردَّعَكَ الشَّيْبُ، وينبِّهَكَ داعي الجِمام"⁶.

ونحو قول الشَّاعر:

"يا أَيُّها الظَّالِمُ في فعلِهِ
الظُّلُمُ مردودٌ مَنْ ظَلَمَ".
وأيضاً قول الشَّاعر:

"يا قلبُ ويحك! ما سمعتَ لناصح
لَمَّا ارْتَمَيْتَ وَلَا اتَّقَيْتَ ملاماً"⁷.
ونحو قول المهلهل بن ربيعة:

"يا لَبَكْرٍ أنْشِروا لي كُلِّباً
يا لَبَكْرٍ أينَ أينَ الفِراقُ؟"⁸.
5. التَّعَجُّبُ: نحو قولك:
"يا لجمالِ الرَّبيع"⁹،

¹ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، 128.

² باطاهر، البلاغة العربية، 91.

³ القرآن الكريم، النور: 31.

⁴ الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي، 376؛ عبد المطَّلب، تحولات البنية، 126.

⁵ القرآن الكريم، هود: 73.

⁶ باطاهر، البلاغة العربية، 91.

⁷ جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، 199-200؛ قلقيلة، البلاغة، 184.

⁸ عبد المطَّلب، تحولات البنية، 128.

⁹ محمَّد زغلول سلام، محاضرات في البلاغة العربية، 55.

وقولك: "يا للحبيب"¹، ونحو: "يا للماء"²، وقول الشاعر:

"فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْوَمَهُ
بِكَلِّ مَغَارِ الْقَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ"³
6. الإرشاد: نحو قول أبي العتاهية:

"أَيَا مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا
وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ فِيمَا سَيَفَى
وَجَمَعَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ
أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ"
ونحو قول الشاعر:

"أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بِلَاغَةٍ
لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ"⁴
7. الدعاء والتضرُّع: نحو قوله تعالى: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاءِي}⁵، ونحو قوله تعالى: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي...}⁶
8. النُدْبَة: نحو قولك: "ما محمّده"⁸. وقول المتنبي:

"وَأَحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيحٌ
وَمَنْ بَجَسَمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ"⁹
ونحو قول المعري:

¹ المطلب، البلاغة العربية، 302؛ الكرمي، الوشاح، 1: 341.

² الكرمي، الوشاح، 1: 341؛ محمد الأنطاكي، المحيط، 319.

³ جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، 204.

⁴ باطاهر، 91؛ 93.

⁵ جمعة، 199-200.

⁶ القرآن الكريم، إبراهيم، 40.

⁷ القرآن الكريم، يوسف، 101.

⁸ عبد المطلب، البلاغة العربية- قراءة أخرى، 302.

⁹ عبد المطلب، تحولات البنية، 127.

"فواعجباً كم يدعي الفضل ناقصٌ
 9. الاستغاثه: نحو قولك: "يا الله"². وقولك: "يا أولي القوّة للضعفاء"³.
 ونحو قول الشاعر:

"يا لقومي ويا لأمثال قومي
 10. الحنين والتشوّق: نحو قول ابن زيدون:

"يا ساري البرق غاد القصر واسق به
 من كان صرف الهوى والود يسقيناً
 ويا نسيم الصبا بلّغ تحيتنا
 من لو على البعد حياً كان يحيينا"⁵.
 11. التّقرّب والتّحبّب: نحو قوله تعالى: {يا ابن آدم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي}⁶، ونحو قوله
 تعالى: {ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين}⁸.
 ونحو قول الشّنفرى:

"أقيموا، بني أمي، صدور مطيكم
 فإني إلى قوم سواكم لأميل"⁹.
 12. التّمني: نحو قوله تعالى: {يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم}¹¹.

¹ باطاهر، 91.

² الكرّم، الوشاح، 1: 341؛ عبد المطلب، البلاغة العربيّة، 302.

³ سلام، محاضرات في البلاغة العربيّة، 56.

⁴ جمعة، 205؛ قلقيلة، 184.

⁵ عبد المطلب، تحولات البنية، 126.

⁶ القرآن الكريم، طه: 94.

⁷ باطاهر، 90.

⁸ القرآن الكريم، هود: 42.

⁹ جمعة، 190-191.

¹⁰ باطاهر، 92.

¹¹ القرآن الكريم، القصص: 79.

ونحو قول امرئ القيس:

"أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ أَلَا أَنْجِلْ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ"¹.

13. اليأس وانقطاع الرجاء: نحو قول مالك بن الرئب:

"فَيَا صَاحِبِي رَحَلِي دَنَا الْمَوْتُ فَاَنْزِلَا بِرَابِيَةٍ إِنِّي مَقِيمٌ لِيَالِيَا"².

14. التَّهْكُمُ والسَّخَرِيَّةُ: نحو قول عامر بن الطفيل مُفْتَخِرًا بِنَفْسِهِ، وَمُتَهَكِّمًا، وَسَاخِرًا مِنْ مُرَّةِ بَنِ عَوْفٍ الدَّبْيَانِيِّ:

"يَا مُرَّ، قَدْ كَلَبَ الزَّمَانُ عَلَيْكُمْ وَنَكَاتُ قَرَحَتِكُمْ وَلَمَّا أُكْثِبَ"³.

15. الرثاء: نحو رثاء الشاعرِ مَعَنَ بَنِ زَائِدَةٍ:

"فَيَا قَبْرَ مَعَنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرْ وَالْبَحْرُ مُتْرَعًا"⁴.

16. التذكُّر: نحو قول امرئ القيس:

"يَا بُؤْسَ لِلْقَلْبِ بَعْدَ الْيَوْمِ مَا آبَهُ ذَكَرَى حَبِيبٍ بَبْعِضِ الْأَرْضِ قَدْ رَابَهُ".
وقوله أيضًا:

"أَيَا مَنْزِلِي سَلِّمْ وَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ هَلِ الْأَزْمَنُ اللَّاتِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ؟".

ونحو قول الشاعر:

"يَا لَيْلَةً لَسْتُ أَنْسَى طَيِّبَهَا أَبَدًا كَانَ كُلَّ سُرُورٍ حَاضِرُفِهَا"⁵.

¹ عبد المطلب، تحولات البنية، 127: جمعة، 194.

² باطاهر، 93.

³ جمعة، 197.

⁴ باطاهر، 93.

⁵ جمعة، 202.

17. التَّأْدِيبُ: نحو قول الرِّسُولِ الكريم: "يا غلامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، اخْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ"¹.

18. التَّنْبِيهِ: نحو قوله تعالى: {قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا}².

ونحو قول امرئ القيس:

"يَا رَبِّ يَوْمٍ قَدْ أَرَوْحُ مَرَجَلًا حَبِيئًا إِلَى الْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ أُمْلَسًا".
وَكَقَوْلِ طَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ:

"أَلَا يَا أَبَايَ؛ الرِّيمُ الَّذِي يَبْزُقُ شَنْقَاهُ"³.

19. الاستعلاء: نحو قوله تعالى: {يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ}⁴.

ونحو قول عنترَةَ:

"يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِيمِي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةَ وَاسْلَمِي"⁵.

إِذَنْ، يُمْكِنُ أَنْ نَخْلُصَ إِلَى الْقَوْلِ إِنَّ خُرُوجَ النَّدَاءِ عَنْ مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ هُوَ أَمْرٌ فِي جَوْهَرِهِ مَرهُونٌ بِالسِّيَاقِ وَالْقَرِينَةِ، إِذْ حُدِّدَتِ الْمَعَانِي الْمَذْكُورَةُ أَنْفًا مِنْ خِلَالِ الْعِلَاقَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ حُرُوفِ النَّدَاءِ وَالْمَنَادَى مِنْ جِهَةٍ وَبَيْنَ جَوَابِ النَّدَاءِ، أَوْ مَتَعَلِّقَاتِهِ. وَهَذَا الْكَلَامُ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ ثَمَّةَ مَعَانِي أُخْرَى يُمْكِنُ أَنْ تَنْضَافَ إِلَى مَا ذُكِرَ سَابِقًا، وَيَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى السِّيَاقَاتِ وَالْمَعَانِي الْمُرَافِقَةِ لِلنَّدَاءِ، خَاصَّةً أَنْنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ لُغَةٍ، وَكُلُّ لُغَةٍ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَوَيَّرَ وَرَاءَهَا أَفْكَارًا مَمْزُوجَةً بِالشَّعُورِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي قَدْ لَا تَحْتَوِيهِ الْكَلِمَاتُ، أَوْ- بِشَكْلِ أَدَقٍّ- قَدْ تَتَفَرَّغُ عَنْهَا عَشْرَاتُ بِل مِثَالُ الْجَمَلِ.

¹ باطاهر، 92.

² القرآن الكريم، مريم: 23. ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّحَاةِ وَالْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى التَّمَنَّى؛ وَذَلِكَ مِنْ

خِلَالِ أَدَاةِ التَّنْبِيهِ الـ"يَا" مَرْفُوعَةً مَعَ الْحَرْفِ الْمَشَبِّهَةِ بِالْفِعْلِ "لَيْتَ".

³ جمعة، 208.

⁴ القرآن الكريم، سبأ: 10.

⁵ جمعة، 196.

3.8. الجملة الندائية- فعلية أم اسمية؟

انطلاقاً في بحث جملة النداء يتكئ على حقيقة تُرشدُ إلى أن النُّحاة لم يولوا اهتماماً كبيراً في دراساتهم النحوية بمسألة دراسة الجملة العربية، حيثُ تأليفها، وتركيبها، والعلاقات داخلها وفيما بينها¹؛ إذ إنَّ علم النحو يبحثُ عن أصول تكوين الجملة العربية، وعن قواعد الإعراب، ولكنَّ النُّحاة اهتمُّوا بقواعد الإعراب، وأهملوا بشكلٍ واضحٍ البحث في الجملة العربية².

3.8.1. مفهوم الجملة:

يَسْتَنِدُ الأصوليون في استنباطاتهم إلى أنَّ الأصلَ في الكلام أن يدلَّ على معنى يريد المتكلِّم بواسطته أعلام السامع به؛ لهذا فإنَّ خُلُوَّ الكلام من هذا المقصد يُعدُّ إلغاءً له، ومخالفةً للأصل فيه. هذا يعني أنَّه إذا احتمل الكلام أن يكون ذا معنى مقصود، أو أن يكون لغوًا، كان حمله على ما هو الأصل فيه أولى، وبهذا تقرَّرت القاعدة المشهورة عند الأصوليين: "إعمال الكلام أولى من إهماله"³. وهذا التعريفُ من جانبه- يدلُّ على أنَّ الكلام عند الأصوليين ينقسمُ إلى نوعين: كلام مفيد ذي معنى، وكلام غير مفيد وهو ما سُمِّي باللُّغو⁴.

ثمَّ يُحدِّدُ الأصوليون الكلامَ المفيد، إذ هو عندهم- كما يقولُ الرازي- الجملة المفيدة، وهي إما اسمية، نحو: "زَيْدٌ قائمٌ"، وإما فعلية، نحو: قامَ زيدٌ، أو جملة مركَّبة من جملتين كالجملة الشرطية، نحو: "إنَّ كانت الشمسُ طالعةً فالنَّهارُ موجودٌ"⁵.

¹ حسين منصور الشَّيخ، الجملة العربية- دراسة في مفهومها وتقسيماتها النحوية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009)، 13.

² حسين الشَّيخ، الجملة العربية- دراسة في مفهومها وتقسيماتها النحوية، 7.

³ علي حسب الله، أصول التشريع الإسلامي (القاهرة: دار المعارف، 1985)، 290.

⁴ حفيظة شابسوغ، الجملة الخبرية والجملة الطلبية، 13.

⁵ الرازي، المحصول، 1: 86.

وإذا عُذْنَا إلى النُّحَاةِ يترأى لنا أنَّهم يشتركون بما ذَهَبَ إلى الأصوليون في فَهْمِهِمُ للجملةِ على الرَّغْمِ مِنْ تعدُّدِ آرائهم¹، فقد بَيَّنَّ سيبويه أنَّ الكلامَ المفيدَ هو الجملةُ، والجملةُ- في المقابل- هي الكلامُ الَّذِي يُشْتَرَطُ فِيهِ الإفَادَةُ²، وقد أشار ابنُ مالكٍ إلى أنَّ سيبويه صرَّحَ بذلك في مواضعٍ عديدةٍ بما يدلُّ على أنَّ الكلامَ لا يُطْلَقُ إِلَّا على الجملِ المفيدةِ³. فالجملةُ عندَ النُّحَاةِ- إذن- هي الكلامُ الَّذِي يتمُّ معناه⁴ مَعَ وجودِ علاقةٍ إسناديةٍ مِنْ مُسْنَدٍ وَمُسْنَدٍ إِلَيْهِ، أما الجملةُ الاسميَّةُ المكوَّنةُ مِنْ مبتدأٍ وخبرٍ تحكُّمُها علاقةٌ إسناديةٌ، نحو: "زَيْدٌ مجتهدٌ"، حيثُ إِنَّ "زَيْدٌ" هو المسندُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الاجتهادَ أُسْنِدَ إِلَيْهِ، و"مجتهدٌ"- بذلك- هو المسندُ. وأما الجملةُ الفعليةُ المكوَّنةُ مِنْ فعلٍ وفاعلٍ، فتحكُّمُها- أيضًا- علاقةٌ إسناديةٌ⁵، نحو: "قامَ زَيْدٌ"، ف"زَيْدٌ" هو المسندُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ القيامَ أُسْنِدَ إِلَيْهِ، والفاعلُ "قامَ" هو المسندُ⁶. إذن، لا يكونُ الكلامُ مفيدًا إذا كَانَ مُجْتَمِعًا بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ دُونَ تَرَابُطٍ، بل يدخلُ في صميمِ مفهومِ مصطلحِ الجملةِ أنَّ عناصرَها لا بدَّ لَهَا مِنْ أَنْ تكونَ مترابطةً تَرَابُطًا مُحْكَمًا⁷.

¹ هناك خلافٌ طويلٌ حول مفهوم الكلمة، واللفظ، والكلام، والجملة، وأركان الجمل... إلخ، بل لقد تعددت آراء النُّحَاةِ في هذه المسألة إلى درجة أنَّها تستحقُّ بحثًا مستقلًّا قائمًا بذاته.

² سيبويه، 1: 122.

³ ابن مالك، شرح التَّسْهِيلِ، 1: 5.

⁴ ذَكَرَ العِطَّارُ أَنَّهُ يُقْصَدُ بِإِتْمَامِ المعنى هو أنَّ يفيدَ الكلامُ فائدةً تامةً يُحَسِّنُ السَّكُوتُ عَلَيْهَا. انظر: العِطَّارُ،

الحاشية على شرح الأزهريَّة، 14.

⁵ ابن مالك، شرح التَّسْهِيلِ، 1: 5-10.

⁶ ثَمَّةُ حديثٍ مطوَّلٌ حَوْلَ مفهومِ الجملةِ الاسميَّةِ، والجملةِ الفعليةِ بما يتعلَّقُ بمكوَّناتِهما، وأقسامِهما، وتفرعاتِهما، والاختلافِ الدَّائِرِ بَيْنَ النُّحَاةِ حَوْلَ بَعْضِ القضايا الَّتِي تطرَحُ تساؤلاتٍ كثيرةً، كالجملةِ الفعليةِ الَّتِي تبدأُ بالاسم، نحو الاشتغال... إلخ. وهذه المسائل لا يَتَسَعُّ المَجَالُ لذكرها؛ بل تحتاج إلى بحثٍ مطوَّل. للاستزادة انظر: علي أبو المكارم، الجملة الفعلية (القاهرة: مؤسسة المختار، 2007)؛ فاضل السَّامِرَائِي، الجملة العربيَّة- تأليفها وأقسامها (عمَّان: دار الفكر، 2002)؛ علي أبو المكارم، الجملة الاسميَّة (القاهرة: مؤسسة المختار، 2007).

⁷ محمَّد عبد اللطيف، بناء الجملة العربيَّة، 74.

فَيَتَعَيَّنُ بهذا أَنَّ الإسنادَ هو المنظومةُ النَّحْوِيَّةُ الَّتِي تتألفُ منها أجزاءُ الكلام؛ والرابطةُ بَيْنَ المحكومِ له، والمحكومِ به¹؛ لِتَشَكِّلَ جملةً مفيدةً نستطيعُ مِنْ خلالها فَهْمَ المعنى المُرادِ إيصاله، وهذا يعني- كما تشيرُ الباحثةُ سناء البيّاتي- أَنَّ الإسنادَ، في حقيقته، عمليةٌ ذهنيّةٌ يُنْجِزُهَا ذهنُ المتكلِّمِ عندما يُدْرِكُ علاقةً معيّنةً بَيْنَ شيئينِ يريدُ التعبيرَ عنهما، فيتَمُّ في الذَّهْنِ الرِّبْطُ بومضّةِ "الإسنادِ" الَّتِي تتمُّ قبلَ أَنْ ينطقَ المتكلِّمُ بالمسندِ والمسندِ إليه، بل إِنَّ الإسنادَ، وفقاً لنظريةِ النَّظْمِ والمعنى النَّحْوِيِّ، يربطُ بَيْنَ كلمتين، فيُفْهَمُ أَنَّ ثَمّةَ علاقةٍ ما تجمعُهُما، وهما الرّكنانِ الرّئيسانِ (المسند، والمسند إليه)، وهما التّواؤُ الأساسيّةُ الَّتِي تقومُ عليها الجملةُ العربيّةُ²، بل عَدَّ كثيرٌ مِنَ النُّحاةِ القدماءِ والمحدثينِ الإسنادَ أهمَّ معنًى نحويٍّ في النَّظْمِ، إذ لَيْسَ بمقدورِ المتكلِّمِ مِنْ تأليفِ آيةٍ جملةٍ ما لم تُبْنَ على الإسنادِ، من هنا جاءتْ تسميةُ النُّحاةِ لركنيِ الإسنادِ، المسندِ والمسندِ إليه، بـ"العُمْدَةِ" أيّ إِيَّاهُما العمادُ الرّئيسُ في بناءِ الجملةِ³.

كما ذَهَبَ الجرجانيُّ إلى أَنَّ معانيَ الكلامِ كلّها معانٍ لا تُتَصَوَّرُ إِلَّا فيما بَيْنَ شيئينِ⁴، فمثلاً لا ينطقُ المتكلِّمُ بفعلٍ معيّنٍ إِلَّا وهو يريدُ إسنادَه إلى شيءٍ ظاهرٍ في النَّظْمِ، أو غيرِ ظاهرٍ لدلالةِ النَّظْمِ عليه، فعندما نقولُ: "حَضَرَ زَيْدٌ" نكونُ قد فَكَّرْنَا أَوَّلًا بأنَّ نُسِنِدَ الفعلَ "حَضَرَ" إلى "زَيْدٍ"، ولولم يَكُنْ في الذَّهْنِ تفكيرٌ بالإسنادِ يسبقُ النُّطقَ بالمسندِ والمسندِ إليه لَكَانَتْ هذه الكلماتُ مجردَ ألفاظٍ لَيْسَ لها سوى دلالتها المعجميّة. في حين لو سُئِلَ أحدُنا: "ما فعلَ زَيْدٌ؟" فأجابَ "حَرَجَ"، فهل صحيحٌ أَنْ يكونَ النُّطقُ بالفعلِ "حَرَجَ" بلا قَصْدٍ إلى

¹ الرّضوي، شرح الكافية، 1: 8؛ الرّمخشري، المفصل، 24؛ عبد اللّطيف، بناء الجملة العربيّة، 82.

² سناء حميد البيّاتي، قواعد النّحو العربيّ في ضوء نظريةِ النَّظْمِ (عمّان: دار وائل للنشر، 2003)، 31؛ مهدي المخزومي، في النّحو العربيّ، 31.

³ سناء البيّاتي، قواعد النّحو العربيّ في ضوء نظريةِ النَّظْمِ، 32.

⁴ الجرجاني، الدلائل، 541.

إسناده إلى ضمير (زبد) في الفعل؟ وإنما استُغني عن إظهاره في النظم؛ لدلالة السياق عليه¹.

3.8.2. موقع الجملة الندائية:

ترتكز هذه المسألة على تساؤل هامٍّ لم يلتفت إليه كثيرٌ من النحاة، وهو: ما هو- حقيقةً- موقع الجملة الندائية من بين المواقع النحوية التي تحتلها الجمل الأخرى، كجملة الخبر، أو الحال، أو النعت، وغيرها من الجمل التي أوسعها النحاة بحثًا ووقوفًا؟ وهل تقوم الجملة الندائية على علاقات إسنادية؛ إذ بوسعنا- نتيجةً لذلك- أن نرسم حدودها جملة فعلية، أو اسمية، أو غير ذلك؟

إذا أنعمنا النظر نلاحظ- بادئ ذي بدء- أن النحاة عدّوا النداء ركنًا من أركان الكلام، بل عدّوه سببونه أول الكلام قبل الاستفهام والخبر². ومن ثم، نلاحظ- أيضًا- أن كثيرًا من النحاة المحدثين يذهبون إلى أن جملة النداء هي جملة فعلية، وذلك وفقًا لفهمهم لتركيب النداء بما يشتمل عليه من حرف نابٍ عن الفعل "أدعو"، أو "أنادي"، فقد أكّد المنصف عاشور أن تركيب النداء يُبنى على إضمار نحوي يتكوّن من إسناد تامٍّ في أسلوب خبري "أنادي"، أو "أدعو"³، ويعضّده ما فصله محمد حماسة عبد اللطيف لدى حديثه حول "الحذف في بناء الجملة"، حيث أشار إلى أن النحاة يجعلون الاسم المنادي- سواء أكان منصوبًا أم مبنياً في محل نصب- مُنتميًا إلى الجملة الفعلية الذي حُذف فيها الفعل والفاعل، فقد وضّح أن أصل "يا زيد" عند النحاة (أولهم سيبويه) هو "أدعو زبدًا"، فحذف الفعل حذفًا لازماً؛ لكثرة الاستعمال، ولدلالة حرف النداء عليه، وإفادته فائدته، مع الاختلاف بين النحاة أنفسهم حول العامل الناصب للمنادي، ثم يُبين محمد عبد اللطيف أن هذا كله تفسيرٌ للتركيب المنطوق، وهو الأمر الذي يؤكّد تعامل النحاة مع البنية

¹ البيهقي، قواعد النحو العربي، 33؛ الجرجاني، الدلائل، 541-542.

² المنصف عاشور، ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، 391.

³ المنصف عاشور، بنية الجملة العربية، 227.

الأساسية¹. وعلى الرغم من الجدلية القائمة بين النحاة أنفسهم من جهة، وبين البلاغيين من جهة أخرى، حول الأسلوب الإنشائي للنداء الذي "يتحوّل" إلى أسلوب خبري في التقدير والإضمار فقط بتقدير الفعل "أدعو"، أو "أنادي"، فإن كلّ ذلك يُنْبئ عن وعي تامّ عندهم بالفرق بين التركيب المنطوق والأصل المتروك، فلا يمتنع إذن- من قبيل التفسير- أن يكون هذا التركيب منتمياً إلى تلك البنية الأساسية للجملة الفعلية المكوّنة من فعلٍ وفاعلٍ، بل إن انتماءه للجملة الفعلية يُفسّرُ نَصَبُ المنادى لفظاً، أو محلاً².

ويرى على أبو المكارم أن جملة النداء تَخْرُجُ مِنْ ضَمَنِ الجمل الفعلية أو الاسمية، ذلك؛ لأنّها- حسب رأيه- لا تصلح للتصنيف الذي حدّده النحاة لأنواع الجمل، فيقول: "يعرفُ النحويون الجملة الفعلية بأنّها الجملة المصدّرة بفعلٍ، أمّا الجملة الاسمية فإنّها التي يتصدّرها اسمٌ. وهذا التحديد- وإن كان يصلح لتصنيف كثيرٍ من الجمل الفعلية والاسمية- لا يمكنُ قَبُولُهُ في تصنيف جميع نماذجها، فَمِنْ ناحية، ثَمّة العديد من الجمل التي يعدّها النحاة فعلية ولم يتصدّرها فعلٌ، أو اسمية ولم يتصدّرها اسمٌ... وَمِنْ ناحية أخرى، ثَمّة كثيرٌ من الجمل التي يعدّها النحويون فعلية لا اسمية كما لو كان الاسم المتقدم حالاً نحو قوله تعالى: {خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ...}³، أو مفعولاً نحو قوله سبحانه: {فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا}... والنداء، نحو: يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ⁵، والنّدبة أو الاستغاثة، نحو: يَا أَسَفَا عَلَى يُونُسَ⁶... وقد حدّا هذا الموقف ببعض النحويين إلى إعادة النظر في تحديد الجملة الفعلية والاسمية، فذهبوا إلى العبارة في التصدير بكون الكلمة رُكْنًا مِنْ أركان الجملة بالفعل، أو أنّها كانت في الأصل رُكْنًا مِنْ أركانها، وهكذا تكون الجملة الاسمية هي

¹ عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، 219-220.

² ن. م.، 220.

³ القرآن الكريم، القمر: 87.

⁴ القرآن الكريم، البقرة: 87.

⁵ القرآن الكريم، البقرة: 54.

⁶ القرآن الكريم، يوسف: 84.

المكوّنة من مبتدأ وخبر، أو كان أصله المبتدأ والخبر، والفعليّة هي المكوّنة من فعلٍ وفاعلٍ، أو ممّا كان أصله الفعل والفاعل. وواضح أنّ هذا التفسير يمكن أن يحلّ جانباً من المشكلات التي أشرنا إليها منذ قليل؛ إذ يستبعد في ضوئه ما تقدّم من الحروف باعتبارها لَيْسَتْ أركاناً عند التحوّين، كما يهمل ما تقدّم من الأسماء، فلا يراعها في التصنيف ما دامت ليست ركنًا من أركان الجملة، بيد أن ثمة مشكلات أخرى لا يستطيع هذا التفسير أن يُقدّم لها حلاً...¹.

وأستطيع أن أخلص إلى أنّ الذي يذهب إليه أبو المكارم هو أنّ النداء عنده لَيْسَ جملةً فعليّة، أو اسميّة، بل هو تركيب خاصّ مخالفٌ لنوعيّ الجمل المعروف بالفعليّة والاسميّة، وهذا ما أكّده بنفسه عندما تحدّث حول الحالات التي يجب فيها حذف عامل النصب في المفعول به، فأشار إلى "التحذير والإغراء"، والاشتغال" دون المنادى، على الرّغم من أنّه ذكر بأنّ الرّمخشريّ أضاف إلى هذين البابين (يقصد "التحذير والإغراء"، والاشتغال) باباً ثالثاً وهو باب "النداء" وتوابعه كـ"الاختصاص"، و"الندبة"، و"الاستغاثة"، أخذاً برأي سيبويه الذي يقول بأنّ العامل في المنادى هو الفعل المحذوف، وأنّ تقديره: "أنادي"، أو "أدعو" ولكنّه يرفض هذا الرأي بصريح قوله: "...ولكنّا نُؤثّر رأي غيرهما من التحوّين القائلين بأنّ العامل هو حرف النداء نفسه، ومن ثمّ سنقتصر على دراسة حذف الفعل في البابين السابقين"².

وعلى صعيدٍ آخر، يذهب سعد الدّين المصطفى إلى أنّ تركيب النداء مع ما بعده يشكّل تركيباً مديداً، حيث تتألف التراكيب الاسميّة والفعليّة والمترابطة؛ فتتلاقى وتمتد³،

¹ علي أبو المكارم، الجملة الفعليّة، 29-31.

² أبو المكارم، الجملة الفعليّة، 154-155.

³ التّركيب المديد هو التّركيب المؤلّف من جمليّ عدّة مترابطة فيما بينها فتؤدّي الى معنى مكوّن من جمليّ، حيث تكوّن العلاقات الإسناديّة بين هذه الجمل تركيباً مديداً، على خلاف التّركيب البسيط، الذي هو عبارة عن جملة واحدة مبنية على المبتدأ. انظر: سعد الدّين المصطفى، "التّركيب البسيط والمديد في العربيّة"، مجلة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق 81 (2006)، 588-599.

مستشهداً بأمثلة كثيرة، نحو قول الرسول: "يا عبد الله بن عمرو، إنك تصوم الدهر، وتقوم الليل، وإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين، ونفّثت له النفس، لا صام من صام الأبدي، صوم الدهر ثلاثة أيام من الشهر صوم الدهر كله"، فيقول سعد الدين المصطفى حول هذه الحديث: "إننا نجد في حديث ابن عمرو التركيب الندائي "يا عبد الله بن عمرو"، ثم أعقبته جملة استثنائية "إنك تصوم"، وفي هذه الحالة إسناد، وجملة "تصوم" في محل رفع خبر، وفيها إسناد، ثم جاء المركب الإسنادي "تقوم الليل" معطوفاً على ما قبله ب واسطة الواو، وهو معطوف على تركيب فعلي. وفيه تركيب شرطي مترابط بدأ بـ "إذا" اسم الشرط غير الجازم الذي يفيد الظرفية، والجملة بعدها في محل جر مضاف إليه، وجاء جواب الشرط غير الجازم "هجمت العين" فيه إسناد، و"نفّثت له النفس" جملة معطوفة على تركيب فعلي ب واسطة الواو. وجاء امتداد جديد للتركيب بجملة متصدرة بالنفي "لا صام" وصلة الموصول الاسمي "من صام" والمركب الموصولي هنا هو المبدوء بما يُعرف بالموصول الاسمي، ويمثل مع صليته هيئة تركيبية لها سماتها الخاصة. والتلاحم والترايط بين جزأي هذا المركب متلازم، واختتم التركيب المديد في الحديث بتركيب بسيط مؤلف من مسند ومسند إليه "صوم الدهر" مسند إليه، والمسند "صوم الدهر" وهو مؤكّد بالتوكيد المعنوي "كله"¹.

وإذا عُذنا إلى وراء، وأنعمنا النظر فيما قاله النحاة القدماء يتبين لنا أن معظمهم كانوا يميلون إلى أن جملة النداء هي جملة فعلية، فقد فسّر الأشموني مسألة "مفعولية" المنادى من خلال العامل الذي ينصب المنادى لفظاً ومحلاً بأن جملة النداء "يا زيد" هي جملة فعلية، ولكن، في الوقت نفسه، المنادى ليس أحد جزئيهما، مشيراً إلى أن جزئيهما عند الخليل وسيبويه هما الفعل والفاعل المقدّران، وعند المبرد- على الرغم من اختلاف العوامل بينهما- هما أيضاً الفعل والفاعل حيث إنّ حرف النداء سدّ مسدّ هذين الجزأين، اللذين

¹ سعد الدين المصطفى، "التركيب البسيط والمديد في العربية"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

نستطيع أن نُسَمِّيهما المُسَنَدَ والمُسَنَدَ إليه، والمفعول (المنادى) ها هنا واجب الذكر لفظاً، أو تقديرًا، إذ لا نداء بدون المنادى¹، بمعنى- كما يذكرُ المطلبي- أنَّ المنادى عند النُّحَاةِ عُمْدَةٌ وإن لم يَكُنْ المُسَنَدَ إِلَيْهِ².

في المقابل نُلَحِظُ أنَّ ثَمَّةَ نَحَاةٍ قَدَمَاءَ يذهبون إلى أنَّ جملةَ النَّدَاءِ لا محلَّ لها من الإعرابِ، فقد ضَرَبَ اليمينيُّ شاهدًا يدلُّ على ذلك، وهو قولُ البحريِّ:

"ما أحسنَ الأيامَ إلَّا أنَّها يا صاحبي إذا مَضَتْ لَمْ تَرْجِعْ"

فجملةُ "يا صاحبي"- على حدِّ قولِ اليمينيِّ- لُغُوْلٌ فائِدةٌ تَحْتَهُ سَوَى تحسِينٍ لفظِ البيتِ وتجويدِهِ³، أي هي جملةٌ معترضةٌ جيءَ بها حَسْوَا في هذا البيتِ؛ كَي تَزِينَهُ، وتمنحهُ جمالاً دونَ أيِّ علاقةٍ إسناديةٍ مَعَ جارِياتِها.

3.9. دلالة الخطاب الندائي:

إنَّ الجملةَ النَّدَائِيَّةَ- كما يذهبُ كثيرٌ مِنَ النَّحَاةِ المحدثينَ- هي أداةٌ وهدفٌ مِنْ دونِ أن يكونَ هناك اتِّفَاقٌ مُسَبِّقٌ بَيْنَ المتكَلِّمِ والمخاطَبِ؛ مِنْ أَجْلِ ذلك تستدعي مكوّناتُ الخطابِ النَّدَائِيِّ مَنّا قِراءةً واعيةً لطبيعتهِ ووظيفتهِ، فالمتكَلِّمُ لَيْسَ مجردَ مُرْسِلٍ لأدواتِ النَّدَاءِ، بل هي تعبيرٌ مثيرٌ عن مشاعره وأفكاره، وهي مرتبطةٌ أيضًا بالمخاطَبِ (المُرْسَلِ إِلَيْهِ) قُرْبًا وَبُعْدًا في المكانِ، أو المُنْزَلَةِ الدَّائِيَّةِ الاجتماعيَّةِ ... أي إنَّ المتكَلِّمَ يدخلُ في إطارِ البنيةِ التَّركيبِيَّةِ لاستعمالِ هذه الأدواتِ أو تلكَ، وكذلك المخاطَبُ في مقاماتِهِ ومنازلِهِ المختلفة، وَمِنْ ثَمَّ يدخلانِ في البنيةِ البلاغيَّةِ الجماليَّةِ بطبيعتها الدَّائِيَّةِ الفرديَّةِ، ثُمَّ بالطَّابعِ الاجتماعيِّ والفكريِّ الَّذِي تُرْسِيهِ في مواضعِها؛ فيصبح أسلوبُ النَّدَاءِ بهذا ذا جماليَّةٍ إشارِيَّةٍ في

¹ الأشموني، شرح الأشموني، 2: 142؛ الصَّبَّان، حاشية الصَّبَّان، 3: 208-209؛ الخضري، حاشية الخضري، 2: 73.

² غالب المطلبي، ظاهرة الإعراب، 95.

³ اليميني، الطَّرَاز، 2: 91-92.

تعانقه مَعَ اللّغَةِ والمتكَلِّمِ والمخاطَبِ؛ لأنّه منطَقٌ وِغايَةٌ في تحوُّلاتِهِ وأنواعِهِ، فالنداء بالهمزة- مثلاً- موضوعٌ لدلالةٍ مغايرةٍ للدلالةِ الَّتِي وُضِعَ لها حرفُ النداءِ "يا"، أو "وا"....¹

تتوصَّلُ الباحثةُ دلخوش دزه بي إلى أنّ كَوْنَ الخطابِ الندائيِّ ضَرْبًا استدعائيًّا فإنّه يجسِّدُ بذلك المظاهرَ الانفعاليَّةَ الداخليَّةَ الَّتِي تصوِّرُ الحاجةَ الذاتِيَّةَ المِلْحَةَ إلى التَّنْفِيسِ والتَّعبيرِ الذاتِيِّ للتَّأثيرِ في الطَّرَفِ المُستدعى بالإعانةِ بطائفةٍ من المورفيمات التَّركيبِيَّةِ ذاتِ الإمكانِيَّةِ الصَّوتِيَّةِ الَّتِي بطبيعتها تقبلُ الامتدادَ والاستمرارَ النُّطْقِيَّ انسجامًا مَعَ نوعِيَّةِ الأصواتِ الدَّاخِلَةِ في هيكلِها البنائيِّ، وطاقتها السَّمْعِيَّةِ المتناغمةِ مَعَ طَبِيعَةِ الانفعالاتِ وتفاوتِ نسبِ قُوَّتها وحدَّتها؛ لذلك تمتدُّ جذورُ هذا النَّمطِ الخطابيِّ إلى اللّغَةِ الانفعاليَّةِ؛ لِكَوْنِ أدواتِ النداءِ بأنواعِها، والصَّيِّحاتِ، والأصواتِ التَّلَقائيَّةِ الناتجةِ مِنَ الانفعالاتِ الحادَّةِ أو العنيفةِ ترجعُ كُلُّها إلى اللّغَةِ في خطواتِها الأولى، فتتجمُّعُ عن هذه الحالةِ الانفعاليَّةِ تأديُّهُ الخطابِ الندائيِّ الوظيفَةَ الانفعاليَّةَ، أو الوجدانيَّةَ المحوِّلةَ إلى الوظيفةِ التَّأثيرِيَّةِ والانتباهِيَّةِ عند المخاطَبِ الَّذِي يكملُ التَّواصلَ اللَّسانيَّ مَعَ المخاطَبِ في العمليَّةِ الندائيَّةِ، وتوفِّقُ هذه الوظيفةُ الانفعاليَّةُ مِنَ القيمةِ الإبلاغيَّةِ والحدَّةِ التَّعبيريَّةِ في التَّراكيبِ ما لا طاقةَ لغيرِها بهِ.²

وإذا عُدْنَا إلى المصادرِ القديمةِ نرى أنّ سيبويه يتحدَّثُ حولَ الدَّافعِ الدَّلاليِّ مِنْ استعمالِ النداءِ في الفعلِ الكلاميِّ بغيةَ تنبيهِ المخاطَبِ وإقبالِهِ على المتكَلِّمِ، فقد أومأَ ضمنيًّا إلى الجانبِ الانفعاليِّ في الخطابِ الندائيِّ حينما فسَّرَ علَّةَ حذفِ مورفيمِ النداءِ بقوله "إنَّ أَوَّلَ الكلامِ أَبَدًا النداءُ، إلّا أنّ تدعاهُ استغناءً بإقبالِ المخاطَبِ عَلَيْكَ، فهو أَوَّلُ كلامٍ لَكَ، به تعطفُ (تُنَبِّهُ) المتكَلِّمَ عَلَيْكَ، فلمَّا كَثُرَ وكانَ الأَوَّلُ في كلِّ موضعٍ، حذفوا منه تخفيفًا؛ لأنَّهم ممَّا يغيِّرونَ الأكثرَ في كلامهم، حتَّى جعلوهُ بمَنزِلَةِ الأصواتِ وما أشبه

¹ حسين جمع، جمالية الخبر والإنشاء، 177-178.

² دلخوش جارا الله حسين دزه بي، البحث الدَّلاليّ في كتاب سيبويه (عمّان: دار دجلة، 2006)، 276-277.

الأصوات مِنْ غَيْرِ الأَسْمَاءِ الْمُتَمَكِّنَةِ¹. وهذا الأمرُ يَحَقِّقُ بِطَبِيعَتِهِ الوَظِيفَةَ الِانتِبَاهِيَّةَ، والمَلَمَحَ التَّأثيرِيَّ لِتَرْكِيبِ النَّدَاءِ فَقَدْ أَظْهَرَ سِيبُوهُ ذَلِكَ سَابِقًا بِقَوْلِهِ: "باب الحروف الَّتِي يُنْبَهُ بِهَا المدعو"².

كما نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْهَمَ أَيْضًا، أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سِيبُوهُ عَلَى أَنَّ النَّدَاءَ هُوَ "مَوْضِعُ تَصْوِيتٍ وَتَبْيِينٍ"³، إِنَّمَا يُفْضِي بِنَا إِلَى اسْتِشْفَافِ أَهْمِيَّةِ الْجَانِبِ التَّنْفِيسِيِّ وَالتَّعْبِيرِيِّ الدَّاخِلِيِّ فِي الْعَمَلِيَّةِ النَّدَائِيَّةِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ التَّرْكِيبَةَ النَّدَائِيَّةَ هِيَ وَسِيلَةٌ أَوَّلِيَّةٌ مُمَهِّدَةٌ لِلدَّخُولِ إِلَى مَنَعُطَاتِ الْخُطَابِ حَيْثُ تُلْقَى عَلَى مَسَامِعِ الْمُخَاطَبِ الْمُنَادَى⁴.

وَتُشِيرُ دِزِهِي إِلَى أَنَّ سِيبُوهُ بَيَّنَّ الْمَعْطِيَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةَ الْمُقْتَضِيَّةَ لِاخْتِيَارِ كُلِّ مُورْفِيمٍ مِنَ الْمُورْفِيمَاتِ النَّدَائِيَّةِ: لِتُنَاسِبَ مَوْشَرَاتِهَا الدَّلَالِيَّةَ وَدَلَالَتِهَا الْبَنِيَوِيَّةَ تَنَاسُبًا طَرْدِيًّا مَعَ الْهِيئَاتِ النَّفْسِيَّةِ، أَوِ الْكَيْفِيَّةِ، أَوِ النَّوْعِيَّةِ، أَوِ الْمَكَانِيَّةِ لِلْمُخَاطَبِ؛ حَيْثُ تَتَغَيَّرُ النَّسَبَةُ الدَّلَالِيَّةُ لِهَذَا الْمُورْفِيمَاتِ مَعَ تَغْيِيرِ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ وَاخْتِلَافِهَا تَصَاعُدِيًّا وَتَنَازُلِيًّا؛ لِأَنَّ اللَّغَةَ تُسْتَمَدُّ مِنَ مَعْطِيَّاتِ النَّظَامِ الدَّاخِلِيِّ لِلْبِنَاءِ اللَّغَوِيِّ كَمَا تُسْتَمَدُّ مِنَ مَعْطِيَّاتِ السِّيَاقِ الْاجْتِمَاعِيِّ الَّتِي تَكْتَنِفُ الِاسْتِعْمَالَ اللَّغَوِيَّ، وَهَذَا مَا ظَهَرَ فِي نَحْوِ مَا ضَرَبَهُ سِيبُوهُ⁵: "أَحَارِبَنَّ عَمْرُو"، مَبِينًا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ نَسْتَعْمَلَ "الـيا"، و"أيا"، و"هيا"، و"أي" فِي حَالِ أَرَادَ الْمُنَادِي أَنْ يَمُدَّ صَوْتَهُ لِلشَّيْءِ الْمَتَرَاخِي عَنْهُ، وَلِلْإِنْسَانِ الْمُعْرَضِ عَنْهُ الَّذِي يَرَى أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْاجْتِهَادِ، أَوِ النَّائِمِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَقَدْ يَسْتَعْمَلُ الْمُنَادِي هَذِهِ الْحُرُوفَ لِلْمَدِّ فِي مَوْضِعِ الْهَمْزَةِ، فِي حِينِ لَا يَسْتَعْمَلُ "الهمزة" فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَمُدُّ فِيهَا صَوْتَهُ، بَلْ قَدْ يَجُوزُ لِلْمُنَادِي أَنْ يَسْتَعْمَلَ

¹ سِيبُوهُ، 2: 208.

² سِيبُوهُ، 2: 229.

³ ن. م.

⁴ دَلْخُوشُ دِزِهِي، الْبَحْثُ الدَّلَالِي فِي كِتَابِ سِيبُوهُ، 277.

⁵ سِيبُوهُ، 2: 229-230.

هذه الحروف الخمسة ("الهمزة"، "يا"، "أيا"، "هيا" و"أي") دون "وا" إذا كان المندى قريباً منه، مُقْبِلاً عليه؛ مِنْ أَجْلِ توكيدِ النداءِ والخطابِ¹.

وتضربُ الباحثة دزة بي نموذجَ الاستغاثةِ والتَّعَجُّبِ النَّدَائِيِّ كَمَكُونَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى الخطابِ النَّدَائِيِّ، وبما فيها من شفراتٍ ندائيةٍ- على حَدِّ قَوْلِهَا- مشحونةٌ بدلالاتٍ مستحدثةٍ غيرَ منحصرةٍ في الوظيفةِ النَّدَائِيَّةِ المباشرةِ والمتعارفِ عليها، وذلك عند توجيهِ الأَنْظَارِ والتَّركيزِ على وضعيَّةِ الباثِ (المستغيث، أو المتعجَّب) وحالتهِ النَّفْسِيَّةِ، وموقفِ المخاطَبِ، ومُنزَلَتِهِ الاجتماعيَّةِ الَّتِي تَوَثِّرُ في تكييفِ النَّمَطِ النَّدَائِيِّ مَعَهَا واكتسائها انبعاثاً دلالياً يكمنُ في الاستغاثةِ أو التَّعَجُّبِ اللَّذَيْنِ يَتَخَذَانِ أَلْيَاتٍ قَوْلِيَّةً خاصَّةً حدَّدَها النَّحَاةُ القَدَمَاءُ بإدخالِ مورفيمِ الجَرِّ (اللَّامُ المفتوحة) على العنصرِ المندى المسبوقِ بـ"يا" النداء، نحو: "يا لله، ويا للنَّاسِ"، موضِّحين بذلك أحكامها التَّركيبيَّةَ التَّداوليَّةَ، فاستدلُّوا على إثرها بشواهدَ كثيرةٍ على كَيْفِيَّةِ خروجِ النَّداءِ من دلالةِ النَّداءِ الأَوَّلِيَّةِ إلى دلالةِ الاستغاثةِ الَّتِي هي بمثابةِ قيمةٍ تعبيريةٍ خاصَّةٍ وُظِّفَتْ من أَجْلِ خَلْقِ دلالةٍ مجازيَّةٍ أخرى أضفاها المُعْطَى الاجتماعيُّ على فضاءِ النَّصِّ، كما يظهر هذا جليّاً في تحليلهم لقول المُهلِّل:

يا لَبْكَرٍ أَنْشَرُوا لِي كَلِيبًا يا لَبْكَرٍ أَيْنَ الْفِرَارُ

أيُّ إِنَّهُ استغاثَ بهم؛ لينشروا له كليباً، وهذا وعيدٌ وتهديدٌ منه، في المقابل فإنَّ قولهُ: "يا لَبْكَرٍ أَيْنَ الْفِرَارُ" إنّما استغاثَ بهم لهم، أيُّ إِنَّهُ يقصدُ أَيْنَ تَفِرُّونَ؟ استطالَةً عليهم ووعيداً². ثُمَّ تَلَفَّتْ دزة بي الأَنْظَارَ إلى أَنَّهُ يُلَحَظُ مِنْ هَذَا التَّحْلِيلِ البنيويِّ بَأَنَّهُ قد انفتحَ على مساحةٍ واسعةٍ مِنَ المنظوراتِ التَّداوليَّةِ والمقاميَّةِ الَّتِي بَلَّوَرَتْ تيارَ "البلاغةِ التَّداوليَّةِ" المنصبَّةِ على التَّأْوِيلِ البلاغيِّ الَّذِي يبحثُ عن دلالاتٍ ما ورائيَّةٍ يوحي بها النَّصُّ اللُّغَوِيُّ حسبَ الموقفِ الَّذِي يُنتَجُ فيه ويجعلُهُ أداةً فاعلةً؛ لممارسةِ الفعلِ الكلاميِّ على المتلقِّي الَّذِي بدوره يشكِّلُ مركزَ الثَّقَلِ في العمليَّةِ الاتِّصاليَّةِ، وبهذا يتحوَّرُ تشكيلُ الشَّفراتِ

¹ دزة بي، البحث الدلالي، 278.

² سيبويه، 2: 215.

التركيبية إلى نظام يوظفه؛ كي يرمز في مستوى آخر إلى دلالة مغايرة لما كانت عليه في نظامه الأصلي¹.

3.10. النداء كما تراه المراجع الأجنبية²:

أشرنا سابقاً أنّ المنادى ظاهرة اجتماعية، يُهدف منه إيجاد وسيلة ما من خلال الصوت؛ للإقبال والانتباه؛ من أجل التواصل بكل أشكاله، وألوانه، ومستوياته؛ لهذا فهو أسلوب مستخدم ومعروف في لغات مختلفة في هذا العالم، نحو العبرية، واليونانية، واللاتينية، والإنجليزية، والفارسية، وغيرها الكثير، ولكنه - مقارنة مع اللغة العربية - أسلوب مختصر جداً³، إذ إنه ليس بهذا الاتساع الذي تحظى به اللغة العربية.

¹ دزه بي، البحث الدلالي، 278؛ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص (الجيزة: الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، 1996)، 242.

² تُقسم هذه المراجع من حيث النحاة إلى قسمين: نحاة أجنبية هم ليسوا من العرب، أي أنهم مستشرقون، ونحاة من العرب جاءت مؤلفاتهم بلغات أجنبية.

³ يُعرف ديفيد كريستال المنادى في اللغات بشكل عام بأنه عبارة عن مصطلح نحوي متعلق بمعاني التصريف. هذا المصطلح يعود إلى صيغة الحالة الاسمية - عادة في الاسم المفرد أو الضمير - عندما يُستخدم لوظيفة الخطاب مشتملاً على الحي والجماد. أما في الإنجليزية فلا يتم بناء المنادى خلال هذا التصريف المميز، إنما يُستعمل ضمن مركب اسمي اختياري في مواقع معينة ومحددة، وعادةً مصحوباً بتنغيم مميز أو خاص، نحو: John, are you coming? جون، هل أنت قادم؟ أو هو - المنادى - مقطع اسمي يعود إلى المخاطب، ولكنه غير مندرج نحويًا أو معجميًا، كالنقاش حول المُسند. وقد ورد في قاموس Macmillan أنّ النداء (vocative) هو في اللغة الإنجليزية هو صيغة الاسم التي تُستعمل؛ لإظهار أنّ شخصاً ما، أو شيئاً ما يُتوجّه إليه بالكلام. وإذا عُذنا إلى قاموس Oxford نلاحظ أيضاً أنه يتحدث عن الظاهرة الندائية بما يتعلق بتوجيه الخطاب إلى شخص معين، أو جهة ما. ثم يوضح هذا القاموس أنّ هذه الظاهرة تنضوي تحت موضوع قواعد النحو في لغات كثيرة من لغات العالم قديماً وحديثاً، وهو ما يُعرف اليوم بمصطلح vocative case. وتشير بعض المصادر أنّ النداء في اللغة الإنجليزية يدل على علاقة تبادلية وتفاعلية بين المخاطب (المنادي) وبين المخاطب (المنادى). نحو: Do me a favour, John, and ask Tom to bring my book, please! كما أنه لا فرق بين مناداة الأعلام أو الضمائر،

ولكن ينبغي أن نُميّز المندى بفاصلة؛ كي لا يلتبس الكلام على القارئ؛ وكذلك كي نُميّزَه مِنْ ضمنِ أساليب أخرى، فمثلاً نحن نحدِّدُ المندى من يَبينُ هذينِ المثالينِ من خلالِ الفاصلة: أ-I don't know, John. ب-I don't know John. فجملة (أ) هو John المندى؛ لوجودِ الفاصلة، بينما John في جملة (ب) ليس مندى، بل هو مفعول به (Object) للفعل (know). إضافةً إلى تركيبِ الجملة بوجودِ الفاصلة فإنَّ نبرةَ الكلامِ وتنغيّمَه- صوتاً ونطقاً- يمكنُه- أيضاً- أن يُسَهِّمَ في تحديدِ المندى. وثمة طريقةً أخرى- لعلّها أكثرُ قِدَمًا- لتحقيقِ أسلوبِ المندى في الإنجليزِيَّة، وهي أن يَسْبِقَ المندى [Oh!]. أو [O!].، نحو: Oh Danny, well done!، أو: O my best friend!. وهذا يعني كأنَّ هناك حرفي نداءٍ في الإنجليزِيَّة يمكن أن يسبقا المندى، وهما- في حقيقة الأمر- أداءٌ صوتيٌّ يذكِّرنا بالوظيفةِ التَّصويّتيَّةِ التَّنبيهِيَّةِ الَّتِي تَحْدُثُ حَوْلَهَا النُّحَاةُ العربُ القدماءُ والمحدثون، مَعَ الإشارةِ إلى أنَّ هناك طريقاً ثالثاً للنداء في الإنجليزِيَّة- كما ذكرْتُ سابقاً- وذلك مِنْ خلالِ مناداةِ العَلَمِ أو الضَّميرِ دون حرفِ نداءٍ يسبقه (كأنَّ حرفَ النداءِ محذوفٌ)، ولكنَّ يجب أن تعقبَ المندى فاصلةً؛ للدلالة على أنَّه مندى. ويَصْرِّحُ Geoffrey Leech بأنَّ النداءَ في الإنجليزِيَّة هو- غالباً- طريقةٌ غَيْرُ معتادةٍ؛ ذلك لأننا- حسبَ قوله- لا نحتاجُ إلى اللّجوءِ إلى النداءِ عندما نتحدَّثُ مَعَ الآخرين؛ لكوْنِه وسيلةً تعَبِّرُ عن منعى رسميٍّ مَعَ المخاطَبِ، وهو- بذلك- يرتقي إلى مستوى الخطابِ المَهْدَبِ، علماً، بأنَّه من جهةٍ أخرى، قد يحملُ النداءُ توجُّهاً غَيْرَ رسميٍّ (غَيْرُ مهْدَبِ)، نحو: Come here, you!. وعلى صعيدٍ آخَرَ، فقد كان المندى- تاريخيًّا- عنصراً معروفاً في تراكيب اللّغات الهندية-الأوروبيةِ Indo-European Languages، فكانت قائمةً في اللّغة اللاتينية، والسَّنسكريتِيَّة، واليونانية القديمة، وغيرها من اللّغات، إشارةً إلى أنَّ هذه الظّاهرة- النداء- اندثرت في كثيرٍ من هذه اللّغات، في المقابل فإنَّ جزءاً منها حافظَ على هذا الأسلوب حتى أيامنا هذه، كالْيونانية الحديثة، والألبانية، واللّتوانية، والبولندية، والكرواتية، والاسكتلندية، والرومانية... إلخ. وعندما ننعم النّظرَ في اللّغة اللاتينية نلاحظُ أنَّ هناك تشابهاً واضحاً في تعريفِ النداء، إذ يقول ليونارد بالمر Leonard Palmer إنَّ النداءَ عبارةٌ عن حالةٍ توجُّهٍ صوتيٍّ؛ من أجل لَفْتِ انتباهِ السّامعِ. وهذه الحالة تشابهُ في ذلك وظيفةَ فعلِ الأمرِ، فكلاهما- النداءُ والأمرُ- يحملانِ العنصرَ الشكليَّ والأدائيَّ ذاتهما، وكلاهما أيضاً مرَكَّبان يتولّدان من المنشأ نفسه، بمعنى أنَّ النداءَ والأمرَ لهما وظيفةٌ نحويةٌ متشابهةٌ، وهي التّوجُّهُ المباشرُ والطلُّبُ ولَفْتُ الانتباهِ. والمندى في اللّغة اللاتينية يتّصفُ بصيغةٍ واضحةٍ معروفةٍ، فتكون حالةُ الرّفعِ حاضرةً فيه لا سِما في الشّعر. ونحوياً فإنَّ اسمَ العَلَمِ المندى يُفَصَّلُ إمّا بفاصلةٍ، وإمّا بالوقف على الكلامِ سَكُناً خفيفاً؛ حتّى يُمَيَّزَ ويُحَدَّدَ، حيثُ يأخذُ- كما قلنا- حالةَ الرّفعِ، نحو: "Salve, primus omnium". ولعلَّ هذا الأمرَ يذكِّرنا بالمندى المبنيّ على الضّمِّ في اللّغة العربيَّة. كما أننا نجدُ في اللّاتينية

القديمة مثلاً مثيراً للنداء، وهو أن "macte" على ما يبدو عند يُنادى تصبح صورته "mactus". وهذا يعني أن العَلَم قد يتحوّل عن صورته الأصلية عند يكون منادى. إن صيغة المنادى في اللغة اللاتينية تُشابه حالة الرفع في الأسماء عدا المفرد والمثنى اللذين ينتهيان بـ "us"، أو "ius" في رفع الاسم. ولعلّ أشهر الأمثلة ما ذكره شكسبير Shakespeare بقوله: "Et tu, Brute"، وتعني: "وأنت يا بروتوس"، فـ "منادى جاء على هيئة الرفع؛ لأنه ليس مفعولاً به لفعلٍ معيّن. وعندما تُنادى الأسماء المنتهية بـ "ius" فإنّها تُقلّب إلى "i"؛ لهذا فإن اسم العَلَم "Julius" عندما يُنادى يصبح "Julī". من هنا فإن المنادى حينما يُترجم من اللاتينية إلى الإنجليزية يبقى- غالباً- على حالة الرفع، مع الإشارة إلى وجود نداء من خلال فاصلة تُوضّع قبل المنادى، نحو: "I'm ready, John"، أو بعد المنادى، نحو: "John, I'm ready". أو باستخدام [Oh!]. أو [O!] كما أشرنا آنفاً. للتوسّع انظر في المراجع المدونة أدناه). وأمّا النداء في اللغة اليونانية فإن له مكانة واضحة؛ إذ يُشكّل جزءاً رئيساً من الحالات الإعرابية. يقول ديفيد هولتون David Holton إن الحالات الإعرابية في اللغة اليونانية تُقسّم إلى أربع حالاتٍ رئيسية، وهي: أ- الرفع (الفاعلية) Nominative. ب- النصب (المفعولية) Accusative. ج- الجرّ (الإضافة) Genitive. د- النداء Vocative. إضافة إلى بعض الحالات الخاصة كالجنس، والعدد... إلخ. والمنادى- كما هو في العربية ولغاتٍ أخرى- يُظهِر أنّ هناك شخصاً، أو شيئاً... إلخ، يُخاطب مباشرةً، ويُقصّد به الكلام، ويوجّه إليه، نحو: "Ελα Πέτρο!" التي تُترجم في الإنجليزية: "Come on, Peter" (أي: "تعال يا بيتّر"). ويشير Holton إلى أنّ المنادى، في الاستعمال المألوف، يُسبقُ بكلماتٍ تنبيهية (هتافية)، نحو: "ρέμω"، أو "ρέ"، أو "βρέ"، وهذه الكلمات تذكرنا- مرةً أخرى- بالأداء التصويقي-التنبيهي لحروف النداء في العربية. ومن هنا نستطيع أن نلفت الانتباه إلى تلك الآراء التي ذهب إليها بعض النحاة القدماء، والمحدثين على وجه التحديد، إلى أنّ النحو العربي متأثرٌ بالنحو اليوناني، الأمر الذي ينعكس- تحديداً- على درس النداء لما له من أثرٍ بارز، وتشابهٍ يبيّن في مسائل كثيرة- على حدّ قولهم- كوظيفة حروف النداء، والمعاني التنبيهية، وبناء المنادى، وغيرها من الأمثلة. في حين يذكر بعض الباحثين أنّ النداء في اليونانية يُنبئ عن تفاعلٍ بين المخاطب (المنادي- المرسل) وبين المخاطب (المنادى- المرسل إليه)، وهذا التفاعل- إيجاباً أو سلباً- يحدّد طبيعة العلاقات المترابطة بين المنادي والمنادى. وتعقيباً على هذا، بوسعنا أن نُشير إلى أنّ هذا الكلام يُحيلنا إلى حديث النحاة العرب، القدماء والمحدثين، حول العلاقة التي تجمع المنادي (المخاطب) بالمنادى (المخاطب). وما ينشأ عن هذه العلائق من معاني مختلفة ومتغيرة لأسلوب النداء، وكذلك ما للسِّياق والقرينة من حضورٍ كثيفٍ في تحديد دلالات التركيب الندائي- كما عرّضنا على امتداد هذا البحث. انظر:

وحديثنا- في هذا المقام- لَيْسَ معالجة النداء كظاهرةٍ عالميّة؛ إذ يُمكنُ أن يُخصَّصَ لذلك دراسةً مستقلةً جديرةً بالاهتمام الكبير، ولكنَّ الحديثَ ها هنا هو ما جاءَتْ به المراجعُ غيرُ العربيّةِ حولَ النداءِ في العربيّةِ، لا سيّما أن ثَمَّةَ نحاءٍ مستشرقين اهتمّوا بصورةٍ بالغةٍ بالنَّحْوِ العربيّ.

فقد وَقَفَ العديدُ من هؤلاء النّحاةِ على موضوعِ المنادى في اللّغة العربيّة وقفاتٍ مُنعمَةً متفحّصةً، منهم مَنْ يصفُ الظّاهرةَ بتوسّع، ومنهم مَنْ يصفُها على عُجالة، ومنهم مَنْ يُوجِّهُ انتقادًا، ومنهم مَنْ يُشيرُ إلى أنَّ النّقاشَ حوْلَ إشكالاتِ المنادى وتعدّد الأوجه المختلفةِ

David Crystal, *A Dictionary of Linguistics and Phonetics* (Oxford: Basil Blackwell, 1991), 374; Elizabeth Axelson, "Vocative: A Double-Edged Strategy in intercultural Discourse Among Graduate Students", *Pragmatics* 17 (2007), 101; Otto Jespersen, *The philosophy of Grammar* (London: George Allen & Unwim LTD, 1924), 184-185; Jespersen, *A Modern English Grammar* (London: George Allen & Unwim LTD, 2: 380; Michael Rundell and Others, *Macmillan- English Dictionary for Advanced Learners* (London: Macmillan Publishers, 2010), 1666; Joanna Turnbull and Others, *Oxford Advanced Learner's Dictionary* (Oxford: University Press, 2010), 1722; Geoffrey Leech and Others, *An A-Z of English Grammar and Usage* (England-Edinburgh: Longman, 2001), 565; Leonard R. Palmer, *The Latin Language* (London: Bristol Classical Press, 1999), 286; Charlton T. Lewis and Charles Short, *Latin Dictionary* (Oxford: Clarendon Press, 1958), 2003; Charles E. Bennett, *Syntax of Early Latin* (Hildesheim: Georg Olms Verlagsbuchhandlung, 1966), 2: 263-278; Dirk Panhuis, "Traditional, Structuralist, and Textlinguistic Approaches to the (Latin) Vocative", *Studies in Language* (1985), 1-16; Hélène Vairel, "The Position of the Vocative in the Latin Case System", *The American Journal of Philology* (1981), 438-447; Shelomo Gurel, *Vocabula Latina-Hebraea* (Tel-Aviv: Reshafim, 1991), 473; David Holton, Peter Mackridge and Irene Philippaki-Warburton, *Greek: A Comprehensive Grammar of the Modern Language* (London: Routledge, 1997), 255;275.

المرافقة لهذا الأسلوب لا يزال مُحْتَدِمًا¹، بدأ ذلك منذ العصور الوسطى إلى الآن، وزاد الأمر احتدامًا في ظلّ تطوّر النظريّات الحديثة في الألسنيّة وفقه اللّغة، ليس في زاوية واحدة من زوايا البحث فحسب، إنّما في الكثير من القضايا، فعلى سبيل المثال يرى أصحاب النّحو التّوليديّ-التّحويليّ² أنّ تراكيب النّداء هي تراكيب منكورة غير منطقيّة³، حيث إنّ المنادى في النّحو الوظيفيّ هو أحد الفروع غير المعترف بها في الوظائف التّداوليّة (البراغماتيّة)⁴.

لقد تطرّقت المراجع الأجنبية إلى مسائل كثيرة بما يتعلّق بالمنادى، نحو: أنواع المنادى، والمنادى المرفوع أو المبنيّ على الضّمّ، والمنصوب، ومسألة اللّهمّ، والترخيم، والاستغاثة، والتّدبة، والمبنى التركيبيّ، وفلسفة المنادى، والعلاقات الإسناديّة،... إلخ.

ومن هذه الأمثلة:

- بخصوص حروف النّداء فقد ذكر "رايت" Wright أنّ المنادى- عادةً يُسبَق بحرف أو أكثر من هذه الحروف، وتسمّى هذا الحروف حروف النّداء أو حروف المناداة، وأساسها أ، آ، يا، أيا، هيا، أيّ، أيّ، أيّها للمذكّر وأيّها للمؤنّث، و "وا"⁵، حيث إنّ هذه الأدوات تتقدّم على

¹ Adrian Gully, *Grammar and Semantics in Medieval Arabic, A Study of Ibn-Hishām's "Mughnī l-Labīb"* (London: Curzon Press, 1995), 192.

² *Trasformational-Generative Grammar* هذه المدرسة النّحويّة تُعنى بنحو قوامه استخدام التّحويل في تحليل الجمل، وقد ظهر هذا النّحو أوّل ما ظهر في كتاب "التراكيب النّحويّة" Syntactic Structures الذي نشره نوعام تشومسكي عام 1957 وصولاً إلى نحو توليديّ ذي قدرة أكبر من النّحو المتناهي ونحو البينية الشبه جمليّة (انظر إلى:

Ramzi Baalbaki, *Dictionary of Linguistic Terms, English-Arabic* (Beirut: Dar il-ilm Lil-mamayin, 1990), 508-509; Noam Chomsky, *Syntactic Structures* (London: Mouton, 1965).

³ Ahmed Moutaouakil, *Pragmatic Function in a Functional Grammar of Arabic* (Dordrecht: Foris Publications, 1989), 139.

⁴ Ahmed Moutaouakil, *Pragmatic Function in a Functional Grammar of Arabic*, 139.

⁵ W. Wright, Carl Paul Caspari, *A Grammar of the Arabic Language* (Cambridge: University Press, 1955), 85; E. E. Elder, *Arabic Grammar, Inductive Method* (Cairo:

المنادى¹، وتختلف في الاستعمال وفقاً للمسافة ما بين المنادى والمنادى (مُرْسِل ومُرْسَل)، فهمزة "أ" الندائية يُنادى بها القريب، وحرف النّداء "آ" يُستعمل لنداء البعيد²، بيد أن ثمة نحاءً آخرين عَرَضُوا لحروف النّداء الأكثر انتشاراً وانحصروا حولها، وهي "يا" و"أيها"، ولم يذكرها حروف المنادى الأخرى، نجو: هيا وأيآ...، وإنّ دلّ ذلك على شيءٍ فإنّما يدلّ على أنّ حروف النّداء المتبقية تكادُ تندثر من الاستعمال، أو هي مُهمّلةٌ من بحوثهم لقلة تداولها في العربيّة، خاصّة في العصر الحديث، الأمر الذي جعلهم يذهبون إلى الحروف الأكثر تداولاً وانتشاراً³.

- وقد ميّز النّحاء الأجنبي بين المنادى وبين المفعول، فقالوا إنّ الاختلاف الأساسي بين المنادى وبين المنصوبات الأخرى هو أنّ المنادى عبارة عن مقدّمة كلاميّة لمخاطبة شخصٍ ما، أو هو عبارة عن تجسيدٍ مفعولٍ حاضرٍ أمامنا، لهذا يُعدّ المنادى محدّداً ومعيناً أو

American University, 1937), 272; G.W. Thatcher, *Arabic Grammar of the Written Language* (New York: Frederick Ungar Publishing CO., 1958), 328; J. A. Haywood and H. M. Nahmad, *A new Arabic Grammar of the Written Language* (Cambridge, Lund Humphries, 1976), 445.

¹ 'עקב גולדנטאל, *ספר מספיק לידיעת דקדוק לשון ערבי* (Wien : Kaiserlich-Konigliche Hof-) und Staatsdruckerei, 1857, סה.

² Mortimer Sloper Howell, *Grammar of the Classical Arabic Language* (New Delhi: Gian Publishing House, 1990), 3: 550.

³ David Cowan, *An Introduction to Modern Literary Arabic* (Cambridge: Cambridge University Press, 1964), 100-101; Ernst Harder, *Arabische Konversations-Grammatik, mit besonderer Berücksichtigung der Schriftsprache* (Heidelberg: J. Groose, 1910), 362-363; John Mace, *Arabic Today* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1996), 203; Arne A. Ambros, *Einführung in die Moderne arabische Schriftsprache* (München: Max Hueber Verlag, 1969), 159; Adrian Gully, *Grammar and Semantics in Medieval Arabic*, 192; Mahmoud Seiny, *The Syntax of Urban Hijazi Arabic (Sa'udi Arabia)*, (Beirut: Librairie du Liban, 1978), 60; דן בקר, *תשעים*; ותשעה פרקי דקדוק ערבי בליווי השוואות רבות לעברית (תל-אביב: דיונון, 1989), 182.

محسوسًا. أمّا المنصوبات (المفاعيل) فهي عبارة عن تعبيرٍ عن عاطفة إنسانية دون أيّ اتصالٍ¹. كما أنّ ما يميّز المنادى في العربيّة عن غيره أنّه لا يشتمل على نهاية خاصّة مميّزة له، لهذا عندما ندعو شخصًا ما فقد يأتي المنادى مرفوعًا أو منصوبًا، وتخضع هذه الحالة لقوانين متعدّدة ولظُروفٍ مختلفة²، أيّ إنّ المنادى تتعدّد حالاته الإعرابيّة وفقًا لعوامل عدّة. كما يشيرون إلى قضية حذف الفعل المقدّر في أسلوب النداء، ففي المنادى نحن نقدرّ الفعل "أريدُ" قبل المنادى الذي هو في الأساس منصوبٌ، من هنا نصل إلى "يا عبدَ الله" من خلال التقدير "يا أريدُ عبدَ الله"، فيكون المُسندُ في هذه الحالة- صريحًا، بينما يكون المُسندُ إليه ضمنيًّا وهو "أنا"³ (المنادي).

وتعليقًا على هذا، نرى أنّهم يتعمّقون كثيرًا في أسس التراكيب النحويّة، ويعكسون في هذا الموقف جدليّة المسند والمُسند إليه، إذ إنّ الكلام في العربيّة-عمومًا- لا بدّ له من مُسند ومُسند إليه، وفي تقديرنا هذا تعليلٌ وتحليلٌ عميق، يُشابه إلى ما نهجه النحاة القدماء، فهم يركزون إلى ما جاء عند القدماء، وينطلقون في التحليل والتعقيب، ويحاول قسمٌ منهم أن يُسقط هذه الأصول على النظريّات اللغويّة الغربيّة الحديثة.

وها هو ذا كارتر Carter يطرحُ قضية هامّة، جديرة بالالتفات، إذ يذكّر أنّ سبويه ميّز الاختلاف بين حقيقة الإضافة في المنادى "يا ذا" و "يا ذا الجمّة"، إذ إنّ "ذا" في العبارة الثّانية "يا ذا الجمّة" متصرّفة عن "ذو"، بالتّالي يعكس إشكاليّة الإضافة في قولنا: "يا ذا الحسنُ الوجه" من حيث إنّ "الحسنُ" مفردةٌ مستقلة. والسبب- كما يرى كارتر- هو أنّ

¹ Vicente Cantarino, *Syntax of Modern Arabic Prose, The Expanded Sentence* (Bloomington: Indiana : University Press, for the International Affairs Center, 1975), 216.

² Vicente Cantarino, *Syntax of Modern Arabic Prose, The Expanded Sentence*, 216; A. Beeston, *Written Arabic, An Approach to the Basic Structures* (Cambridge: University Press, 1968), 104.

³ R. Baalbaki, "Some Aspects of Harmony and Hierarchy in Sibawayhi's Grammatical Analysis", *Journal of Arabic Linguistics* (1978), 14.

العبارة الثَّانِيَّة الَّتِي أَسَمَاهَا "الصَّيْغَةُ الْمُشْكِلَةُ" هي صيغة مجرَّدة، تتصلَّ أحيانًا بالمعنى الأول (السَّبَب) وتُصِفُ العلاقة فيما بيْنهما، بالضَّبْط كما هو الحال في "درهمان" و"عشرون"، لهذا يمكن أن تكون مُهْمَلَةً، نحو: "يا هذا الحسن" الَّتِي هي مستحيلةٌ في حقيقة الإضافة¹.

-ومن الدِّراسات اللَّافِتة تلك المراجع الَّتِي تتحدَّث عن أسلوب المنادى في القرآن الكريم، إذ يذكر ألان جونز Alan Jones ضمن حديثه عن حذف حروف النداء أنَّ أسلوبَ المنادى- عادةً- يُستعرَضُ في القرآن خلال الحروف النَّدَائِيَّة البسيطة، بـ "يا" أو بـ "يا أيُّها"، ويؤكدُ أيضًا أنَّ الأكثرَ انتشارًا- في مسألة الحذف- هو حذف حرف النداء قَبْلُ المُنَادَى "رَبِّ" و "رَبَّنَا". ولكنَّه، مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، يذهبُ إلى القول بأنَّ حذف حروف النداء هو نادرٌ نسبيًّا². ومَعَ هذا فَإِنَّ ثَمَّةَ أمثلةٍ جيِّدةٍ في سورة يوسف تدلُّ على حذف حرف النداء، أولًا: في الآية 29 عندما جاء اسمُ العَلَمِ "يوسف" مرفوعًا: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}، والتَّقْدِيرُ: "يا يوسفُ أَعْرِضْ عن هذا"³. وثانيًا: في الآية 46 حيثُ تَبِعَتْ اسمُ العَلَمِ "يوسف" صفةٌ معطوفةٌ على "أيُّها": {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ}، والتَّقْدِيرُ: "يا يوسفُ أَيُّهَا الصِّدِّيق". وثالثًا: في الآية 101 حيثُ جاء المنادى صيغةً مركَّبةً⁴ ومنصوبًا⁵، وهي: {فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، والتَّقْدِيرُ: "يا فاطرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ".

ويُضَيِّفُ رايت Wright- استمرارًا لقضيَّة حذف حرف النداء- أنَّه عِنْدَ حذفِ حرف النداء فَإِنَّ القواعد النَّحْوِيَّة والإعرابيَّة تبقى كما هي، وتُطَبَّقُ كما لو أنَّ حرفَ النداء "المقدَّر" موجودٌ، نحو: "أحبابُ أنفُسِنَا" هو الإعرابُ ذاته في التَّقْدِير "يا أحبابُ أنفُسِنَا"،

¹ M. G. Carter, "'Twenty Dirhams' in the Kitāb of Sībawayhi", *Bulletin of School of Oriental and African Studies* xxxv (1972), 493.

² Alan Jones, *Arabic Through the Qur'ān* (Cambridge: Brooklands Avenue, 2006), 181-182; W. Wright, *A Grammar of the Arabic Language*, 87.

³ Adrian Gully, *Grammar and Semantics in Medieval Arabic*, 192.

⁴ إِنَّمَا قَصَدَ ألان جونز "تركيبَ الإضافة" Genitive Construction المكوَّن من مضاف "فاطر" ومُضاف إليه "السَّمَاوَاتِ"، وليس كما إشار بقوله صيغة مركَّبة Compound Phrase.

⁵ Alan Jones, *Arabic Through the Qur'ān*, 182.

ونحو ما جاء في الآية القرآنية: {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ} فالتقدير "ثم أنتم يا هَؤُلَاءِ"¹.

ومن هذه النقطة نستطيع أن ننطلق إلى قضية أخرى تلامس الآية القرآنية {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ}، إذ يتبادر إلى الذهن السؤال الملح: هل يمكن أن يكون المنادى اسم إشارة؟ وإذا أردنا أن نرفع من جذة السؤال، هل يُمكن- بالتالي- أن يعقب حرف النداء فعل، ويكون المنادى في هذه الحالة فعلاً؟ في الوقت الذي يُعرّف فيه جُلُّ النحاة أن المنادى هو أسلوب اسمي مكون من حرف نداء ظاهر أو محذوف ويتبعه اسم² محدد أو غير محدد³، نحو: "يا رجل"، و"يا رجلاً"، و"يا طالعا جبلاً".

¹ W. Wright, *A Grammar of the Arabic Language*, 86-87.

² J. A. Haywood and H. M. Nahmad, *A new Arabic Grammar*, 444; Eckehard Schulz, Günther Krahel, Wolfgang Reuschel, *Standard Arabic, An Elementary-Intermediate Course* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000), 399; Ron Buckley, *Modern Literary Arabic, A Reference Grammar* (Beirut: Librairie Du Liban, 2004), 909.

³ المقصود بالاسم المحدد وغير المحدد هو النكرة المقصودة والنكرة غير المقصودة، حيث يقول واتسون Scott Watson إن المنادى يحتوي على تركيبين، فإما أن يكون اسم علم بسيط (محدد) أو أسماء غير محددة والذي يفصل بينهما هو حقيقة التصور الذهني للمتكلم، فإن قصد رجلاً بعينه يناديه "يا رجل"، فرجل ها هنا محدد (نكرة مقصودة)، وإن لم يقصد رجلاً بعينه، إنما أراد جنس الرجل فينادي: "يا رجلاً"، وهنا هنا المنادى غير محدد، أي إنه نكرة غير مقصودة. انظر إلى:

W. Scott Watson, A.M., "Bab El-'Irāb: An Outline of Arabic Syntax", *The American Journal of Semitic Languages and Literatures* (1897-1998), 237-238; Raja T. Naser, *The Structure of Arabic, From Sound to Sentence* (Beirut: Librairie Du Liban, 1967), 173-174; Hermman Reckendorf, *Arabische Syntax* (Heidelberg: Carl Winter's universitätsbuchhandlung, 1921), 363; W.J. Beumont, *A Concise Grammar of the Arabic Language* (Cambridge: University Press, 1861), 100; Duncan Stewart, *Practical Arabic Grammar* (London: Darf Publishers, 1994), 216-217; **דן בקר, תשעים ותשעה פרקי דקדוק ערבי בליווי השוואות רבות לעברית**, 182.

لقد أظهرت بعضُ المراجع أنه في بعض الأحيان يمكن أن يأتي بعد حرف النداء "يا" فعلٌ أمرٌ، مشيرين إلى ما جاء في بعض الآيات القرآنية، وفي بعض الأشعار العربية القديمة، نحو قوله تعالى: {أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...}،¹ والتقديرها هنا: "ألا يا اسجدوا"، أي أن أداة النداء محذوفة، وقد تلاها فعل "اسجدوا". ونحو قول الأخطل: "ألا يا أسلمي يا هند"، فبعد حرف النداء الياء جاء فعل أمر "أسلمي".²

- كما تحدثت بعضُ المراجع في ظاهرة الضمة في آخر المنادى، فأشاروا إلى أن المنادى في حالة الرفع تكون حركته الإعرابية ضمة وليس تنوين ضم، نحو: "يا زيد"، وليس "يا زيد"،³ حيث إن حرف النداء "يا" يقوم بتحويل الاسم المنادى بعده من اسمٍ تلحقه تنوين ضم إلى اسمٍ يكتفي بضمة فقط، وذلك لتمييزه عن المنادى المنصوب في حالة الإضافة أو النكرة غير المقصودة. وهذا الأمر يُعبدنا إلى مسألة اختلاف النحاة العرب قديماً بين المدرسة البصرية والكوفية، وحديثاً بين دُعاة التجديد والاختزال وبين دُعاة التقليد والتمسك بالأصول النحوية التي لا نزول عنها.

ومما تجدر الإشارة به أن نقولياً يُشمانوف Yushmanov تربط بين الضمة في آخر المنادى "المرفوع" وبين اسم "لا"⁴ المنصوب بالعلامة الإعرابية الفتح وليس بتنوين الفتح، نحو: "لا شك" وليس "لا شكاً".¹

¹ القرآن الكريم، التمل: 26.

² W. Wright, *A Grammar of the Arabic Language*, 92.

³ Nikolia V. Yushmanov, *The Structure of the Arabic Language* (Washington: Center for Applied Linguistics of the Modern Language Association of America, 1961), 76; David Cowan, *An Introduction to Modern Literary Arabic*, 100; Karin C. Ryding, *A Reference Grammar of Modern Standard Arabic* (Cambridge: University Press, 2005), 170; Wright, 85.

⁴ هذه لا نافية للجنس، ومعناها الدلالة على نفي الحكم من جنس اسمها نصاً، أي بغير احتمال لأكثر من معنى، وبهذا فهي تستغرق نفي جميع أفراد الجنس. وهي حرفٌ ناسخٌ يعمل عمل "إن" وأخواتها

-ومن المسائل التي تطرقت إليها المراجع الأجنبية المتعلقة بالمنادى، أو التي هي جزء وفرع عنه²، مسألة النُدبة، فقد ذكر كارتر Carter مترجمًا وشارحًا للأجرومية أن النُدبة عبارة عن طرفين: حرف نُدبة، ومندوب (شيء، أو اسم)، نحو: "وازيدا"³، والتقدير: "أتفجّع على زيد"، أو: "أتفجّع من زيد"⁴.

ويُضيف رايت Wright قائلاً إن "وا" تُستخدم للتعبير عن ضيق أو ألم، ولهذا سُميت حرف النُدبة، وهي في الحقيقة تسير وفقًا للقواعد التحوّية ذاتها لحرف النداء الـ"يا"⁵، نحو: "وا محمد" كما هو الشأن من حيث الأحكام الإعرابية في "يا محمد"، فـ"وا" حرف نُدبة مبني على السكون، ومحمد منادى مندوب مبني على الضمّ عند البصريين أو مرفوع عند جمهور الكوفيين. وكذلك نحو: "وا عبد الله".

بشرطين: أن يكون اسمها وخبرها نكرتين. وألا يفصل بينها وبين اسمها بفواصل. ويمكن لخبرها أن يكون محذوفًا أو متعلّقًا بمحذوف، نحو: "لا كتاب في الحقيقة"، والتقدير "لا كتاب موجود في الحقيقة".

¹ Yushmanov, *The Structure of the Arabic Language*, 41; Carl Brockelmann, *Arabische Grammatik, Paradigmen, Literatur, Übungsstünd Glossar* (Berlin: Vealag von Reuyher & Reichard, 1929), 118-119; G.W. Thatcher, *Arabic Grammar of the Written*, 280-281; Ernst Harder, *Arabische Grammatik* (Heidelberg: Julius Groos, 1921), 312.

² يذكر أحمد المتوكل أن النحاة التقليديين القدماء ميّزوا، تحت باب المنادى، بين ثلاثة أنواع متعلّقة بالنداء، وهي المنادى، والمندوب، والمستغاث به. (انظر:)

(Moutaouakil, *Pragmatic Function in a Functional Grammar of Arabic*, 139.

³ M.G. Carter, E.F. Konrad Koerner, *Arab Linguistics, An Introductory Classical Text with Translation and Notes* (Amsterdam, John Benjamins B.V., 1981), 421.

⁴ عرّف النحاة القدماء النُدبة بأنها نداء المُتَفَجِّع عليه أو منه.

⁵ Wright, *A Grammar of the Arabic Language*, 93; Mortimer Howell, *Grammar of the Classical Arabic Language* 3: 551.

وعادةً ما ينتهي تركيبُ النَّدبة بالألف "ا"، أو بالألف وهاء السَّكْت "اه"، نحو: "وَ زَيْدًا" أو "وَ زَيْدَاهُ"¹. وإذا كان المندوبُ مضاعفًا فتَلَحُّقُ الألفُ والهاءُ آخرُهُ، نحو: "وَ عَبْدَ الْمُطَّلِبَاهُ"، "وَ مَعْدِي كَرِيًا"، "وَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنَاهُ". والأمر ذاته مَعَ "ابن"، نحو: "وَ عمرو بن الزَّيْبَرَاهُ". أمَّا بما يخصُّ المندوبَ الموصوفَ فثَمَّةُ اختلافٍ، حيثُ يُجَوِّزُ بعضُهُم ذلك، ويمنع آخرون، فمثلًا: "وَازِيدُ الكَرِيمَاهُ"، أو "وَازِيدُ الظَّرِيفَاهُ" فقد اختلف التَّحْوِيَّونَ في إلحاقِ أَلِفِ النَّدْبَةِ صفةً المندوب، فذهب جمهورُ النَّحَاةِ البصريِّينَ إلى أنَّه لا يجوزُ، في المقابل ذهب جمهورُ النَّحَاةِ الكوفيِّينَ إلى أنَّه يجوز. وقد احتجَّ كلُّ منهم بأدلَّته².

ويشير رايت Wright إلى أنَّ حرفَ النَّدبة "وا" يمكنُ أن يسبقَ اسمَ عَلَمٍ أو كلمةً معرَّفةً فقط، فلا نستطيعُ أن نقولَ: "وَ رَجُلَاهُ"، أو "وَ هَذَاهُ"، وكذلك لا يمكنُ أن يسبقَ "وا" الذي (اسم موصول) على الرَّغمِ مِنْ أنَّه يجوزُ أن يسبقَ "وا" "مَنْ"، نحو: "وَ أَمِنْ حَقَرَبَرٍ زُمَرَاهُ"³. وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ الـ"يا" يمكنُ أن تُسْتَعْمَلَ كحرفٍ نُدْبَةٍ، نحو: "أَلَا يَا عَمْرُه عَمْرَاهُ"⁴.

وأما إذا كان المندوبُ منتهيًا بألف مقصورة فالأصلُ أن تُحْدَفَ الألفُ المقصورة، نحو: "وَ أُمُوسَاهُ" المأخوذة من "موسى"، وَمَعَ ذلك فيمكنُ أن تُحوَّلَ الألفُ المقصورة ياءً، نحو: "وَ أُمُوسِيَاهُ"، وهذا أمرٌ مقبولٌ عند النَّحَاةِ⁵.

¹ Hermann Reckendorf, *Arabische Syntax*, 108; يعقوب غولدنتال, *ספר מספיק לידיעת דקדוק לשון ערבי*, 10

² هناك خلافٌ دائرٌ بين مدرستي البصرة والكوفة كما أشرنا إلى ذلك سابقًا. للمزيد انظر إلى: ابن الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف*، 1: 339-340؛ محمد بن عبد الله الخطيب، *كتاب المجالس* (عمان: دار عمّار، 2002)، 337-338.

³ Wright, 93-94.

⁴ Wolfdietrich Fischer, *Grammatik des klassischen Arabisch* (Wiesbaden, Otto Harrassowitz, 1972), 85; Theodor Nöldeke, *Zur Grammatik des Classischen Arabisch* (Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1963), 45.

⁵ ن. م. 94.

ولعلّي أنهي بما ذكره المتوكّل، عندما اقترح تعريفاً للمنادى ضمن إطار دراسته الوظائف التّداوليّة البراغمايّة لقواعد النّحو العربيّ مشيراً إلى أنّ المنادى هو عبارة عن وظيفة لغويّة ترتبط بمبنيّ يعود إلى الجهة المخاطبة (المُرسل) عبر السّياق الخطابيّ المُعطى. وبما أنّ المنادى يشابه في وظيفته التّداوليّة الوظائف التّداوليّة الأخرى، كالتبّير، والموضوع، والثّيمة، والدّيل (الفرع) فإنّه لا يُعدّ وظيفة دلاليّة سيميائيّة؛ بسبب العائد في مبنى المنادى الذي لا يُمثّل دوراً فاعلاً ومؤثراً في تخصيص الإسناد. كما أنّه- المنادى- لا يُعدّ وظيفة نظميّة نحويّة؛ لأنّه لا يرتبط مع الموقف الفاعل المعروض، لهذا فإنّ وظيفة المنادى التّداوليّة متأثرة بالسّياق الخطابيّ¹.

¹ Moutaouakil, *Pragmatic Function in a Functional Grammar of Arabic*, 140.

الخاتمة والاستنتاجات

إنَّ مِنْ طَبِيعَةِ اللُّغَاتِ أَنْ تَمُرَّ بِمَرَاكِلٍ مُتَبَايِنَةٍ، وَأَنْ تَخْضَعَ لِمُؤَثِّرَاتٍ تُؤَدِّي أحيانًا إِلَى تَغْيِيرٍ فِي اتِّجَاهِهَا مِنْ مَسَارٍ إِلَى آخَرَ إيجابًا كَانَ أَوْ سَلْبًا، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ سُنَّةً تَكَادُ لَا تَتَبَدَّلُ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ اللُّغَةَ - كظاهرة اجتماعية - مرهونةٌ بأفراد المجتمع، فهي كائنٌ حيٌّ تخضع كما يخضع غيرُها مِنْ ألوانِ النَّشاطِ الإنسانيِّ إلى عواملِ الزَّمانِ.

وَمِنْ الغريبِ أَنْ يَظُنَّ بعضُ الدَّارسِينَ أَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ عِلْمٌ قَدْ نَضَجَ واحترقَ، فلا طائلَ ولا جدوى مِنْ طَرَحِهِ مجَدِّدًا، ولا مجالَ للبحثِ أَوْ التَّنْقِيصِ فِيهِ. هَكَذَا يَصَوِّرُونَ الأَمْرَ، وَلَكِنَّ الحَقِيقَةَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، بَلْ إِنَّ فِي النَّحْوِ حُلُقَاتٍ مَفْتُوحَةً لَمْ تُغْلَقْ بَعْدُ، وَقَدْ تَبَدَّى ذَلِكَ كَمَا رَأَيْنَا عَلَى امْتِدَادِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ أَنَّ ثَمَّةَ مَسَائِلَ لَمْ يُحَسَمْ فِيهَا القَوْلُ الفَصْلُ، وَمَسَائِلَ أُخْرَى أَزَالَتِ اللَّثَامَ عَنْ تَسَاوُلَاتٍ تَتْلُوها تَسَاوُلَاتٌ، وَبَيْنَ هَذَا وَذَاكَ "تَنَصَّارُ" وَتَتَصَادَمُ أَفْكَارٌ وَنَظَرِيَّاتٌ مُخْتَلِفَةٌ، كُلُّهَا تَنْصَهَرُ فِي بَوْتَقَةِ الأَخْذِ وَالرَّدِّ، القَبُولِ وَالرَّفْضِ، التَّيْسِيرِ وَالتَّعْسِيرِ، التَّقْلِيدِ وَالتَّجْدِيدِ.

وَلَعَلَّ اسْتِخْلَاصَ النَتَائِجِ، وَاسْتِصْفَاءَ الْعَبَرِ يَتَطَلَّبُ مَدًّا مِنَ النِّقَاطِ الَّتِي بَوَسَعْنَا أَنْ نُجَمِّلَهَا هَا هُنَا، وَلَكِنَّا نَكْتَفِي بِالإِشَارَةِ إِلَى أَهَمِّهَا مِنْ خِلَالِ النِّقَاطِ التَّالِيَةِ، وَهِيَ نِقَاطٌ تَتَعَلَّقُ بِالنِّدَاءِ دَرَسًا، وَبِاللُّغَةِ طَابَعًا:

- لَقَدْ كَانَتِ اللُّغَةُ، وَلَا تَزَالُ، مِيدَانًا لِلْبَحْثِ، فَمِنْذُ أَنْ نَشَأَ عِلْمُ النَّحْوِ العَرَبِيِّ وَحَتَّى أَيَّامِنَا هَذِهِ تَفَاوَتَتِ الأَفْهَامُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ هَذَا الكَمِّ الهائلِ مِنَ القَوَاعِدِ وَالنَّظَرِيَّاتِ، حَيْثُ رَأَتْ ثُلَّةٌ مِنَ النُّحَاةِ أَنَّ الأَوَّلَى هُوَ الحِفَاظُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الخَلِيلُ وَسَيَبُورِيهِ وَعَدَمُ الحَيِّدِ عَنْهُمَا، وَأَنَّ أَيَّ تَقْصِيرٍ أَوْ ضَعْفٍ فِي فَهْمِ قَوَاعِدِ النَّحْوِ إِنَّمَا يَنْجُمُ عَنْ تَقْصِيرِ النَّاسِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَرَى ثُلَّةً أُخْرَى أَنَّ قَوَاعِدَ النَّحْوِ يَجِبُ أَنْ تُسَايِرَ حَرَكَةَ الحَيَاةِ وَتَتَمَاشَى مَعَهَا أَيْنَمَا يَمَّمَتْ وَجْهَهَا؛ لِأَنَّ اللُّغَةَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ تَقْبَعَ فِي زَنْزَانَةِ الجُمُودِ، فَجَنَحُوا إِلَى التَّغْيِيرِ، أَوْ قُلِ "التَّجْدِيدِ" إِيْمَانًا مِنْهُمْ أَنَّ هَذِهِ هِيَ السَّبِيلُ إِلَى الحِفَاظِ عَلَى النَّحْوِ العَرَبِيِّ مِنَ الضَّيَاعِ. إِذَنْ، كُلُّ يَرِيدٍ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى اللُّغَةِ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ!

- لا رُتّب في أنّ التّدخلَ الحاصلَ بيْنَ العلومِ العربيّةِ هو أحدُ سِماتِ الثّقافةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ، فالنّحوُ والبلاغةُ والمنطقُ... وغيرها مِنَ العلومِ تُمثّلُ لُحْمَةً عِدَدِ هائلٍ مِنَ العلومِ، يُظَاهِرُ بعضها بعضاً، ويَفِيدُ بعضها مِنَ الآخرِ، حيثُ لا يمكنُ الفصلُ بيْنَ هذه الفروعِ فصلاً يُنْثِي عن استقلالِ أيِّ واحدٍ منها، ومن هنا تأتي ضرورةُ اعتمادِ كلّ فِرْعٍ على الآخرِ وحتميّةُ الالتجاءِ إلى نتائجِه، وخلاصةِ بحوثِه؛ للاستنارةِ بها، وأنّه لا يمكنُ الفصلُ بينهما- النّحوُ والمعاني- إلّا مَعَ التّضحيةِ بالمعنى على مستوى العِلْمَيْنِ جميعاً.

- ظاهرةُ النّداءِ، بدورها، ظاهرةٌ إنسانيّةٌ-اجتماعيّةٌ تتناولُها الألسُنُ في كلّ يومٍ على صُعْدٍ متباينةٍ، نحو تلاوةِ القرآنِ، استماعاً وقراءةً، ونحو الشّفاةِ، كالدّعاءِ، والمناجاةِ، وغيرها، ونحو الكتابةِ كتأليفِ الفصيحِ بشعرِه، وأراجيزِه، ونثرِه، وأيضاً على الصّعيدِ المحكيّ-العاميّ، من خلالِ دَرْجِ الكلامِ، والأغنياتِ، ولغةِ التّخاطبِ، ووسائلِ الإعلامِ، وما إلى ذلك؛ بلجاتِها ولكناتِها. وكلُّ هذا يُفْضِي إلى الكَمِّ العظيمِ والحضورِ البالغِ الذي يحظى به تركيبُ النّداءِ.

- ولعلَّ الفقرةَ السّابقةَ تُحيلُنا إلى أنّ أسلوبَ النّداءِ في أيّامنا هذه اتّخذَ طريقاً مُغايراً إنْ كان ذلك على مستوى اللّغةِ الفصيحةِ (اللّغةِ الرّسميّةِ) لا سيّما على مستوى التّخاطبِ الفصيحِ، أو إنّ كان ذلك على مستوى اللّغةِ المحكيّةِ (العاميّةِ). أمّا بخصوصِ اللّغةِ الفصيحةِ فقد اسْتُغْنِيَ عن مسائلٍ عديدةٍ، كاختصارِ حروفِ النّداءِ بالـ"يا"، "أَيُّهَا" (المنادى)، وبـ"اللّهم" وغيرها من الأمثلةِ القليلةِ قياساً مَعَ حجمِ درسِ النّداءِ الواسعِ، وتكادُ ظواهرُ لغويّةٌ كثيرةٌ من مسائلِ النّداءِ تتلاشى، نحو: توابِعِ المنادى، والتّرخيمِ، والاستغاثَةِ، والنّدبةِ إلّا ما نَدَرَ. وأمّا بخصوصِ اللّغةِ المحكيّةِ فإنّ الأمرَ أشدُّ وطأةً مِنْ هذا، إذ ليس بوسِعِنا أنْ نَبَيّنَ ونستظهرَ ملامحَ ندائيّةِ ذاتِ حضورٍ ملموسٍ، باستثناءِ بعضِ التّراكيبِ، نحو: "يا+منادى (غالباً يكونُ المنادى اسْمَ عَلَمٍ)"، وفي كثيرٍ مِنَ الأحيانِ يختفي حرفُ النّداءِ من الكلامِ ويبقى المنادى الذي يُفْهَمُ من خلالِ تنغيمِ المنادى، نبرةِ الصّوتِ. ولكن، يجدرُ بنا أنْ نُشِيرَ- في هذا المقامِ- إلى أنّ أصحابَ الخطابِ الدّينيّ هم أكثرُ النَّاسِ "استخداماً" (نسبةً إلى العصرِ الحديثِ) لأساليبِ النّداءِ المختلفةِ؛ وذلك خلالَ مَساعيمِ ومحاولاتهم رَفْعَ سَفْهِ

الخطاب والتخاطب الفصيحين؛ لارتباطهم - أولاً - بالنصوص الدينية - أي بلغة القرآن الكريم، والحديث النبوي - التي حوت في داخلها تراكيب ندائية ذات مساحة واسعة، ومدى رحب، إذ يرون فيهما - لا سيما لغة القرآن - لغة مقدسة، عالية المستوى. وثانياً؛ إيماناً منهم بأن ذلك (رفع مستوى الخطاب) واجب ديني.

- نفهم - كما رأينا - أن الخلاف النحوي لم يكن محصوراً بين بصري وكوفي مثلاً، بل وجدنا أن أصحاب المذهب النحوي الواحد لا يتفقون فيما بينهم على إعراب موحّد، أو على تصوّر نحوي مشترك، فقد خالف الفراء شيخه الكسائي، وخالف المبرد سيبويه. والشواهد في درس النداء على ذلك كثيرة كنّا قد عرضناها في الفصل الأول تحديداً.

- نظن أن كثيراً من الآراء التجديدية التي دعا إليها نحاتة محدثون هي في حقيقتها ليست من بصمات العصر الحديث، بمفهوم أن الجديد ليس جديداً، فلو عدنا القهقري إلى النحاتة القدماء لوجدنا آراء تجديدية - بل ثورية - ولكن ما كان لها أن تأخذ دورها، أو أن تتصدّر سدة التقعيد النحوي؛ لثبُت النحاتة آنذاك برصيد الإجماع، وبحكم الجمهور الذي - على غرارهِ - لا ينبغي لأيّ نحوي أن يمتطي صهوة التجديد، وأن يحيد عن جادة الطريق التي ارتسمها النحاتة. ولعل خير شاهد على ذلك هي "ثورة" ابن مضاء التي لم يلتفت إليها، ولم تلق أذاناً صاغية إلا في العصر الحديث، وتحديداً في المنتصف الأول من القرن العشرين، وأغلب الظن على يد إبراهيم مصطفى. بل أكثر من هذا، فلو نظرنا إلى النحو الكوفي لرأينا أن فيه ملامح تجديدية مغايرة لسواد النحاتة الأعظم، تصلح هذه الآراء أن تكون رائدة في التجديد في عصرنا. فمثلاً، نلاحظ أن نحاتة محدثين أعلنوا استياءهم العارم حيال إعراب المنادى العلم المفرد، أو النكرة المقصودة على أنه منادى يُبني على ما يُرفع به في محل نصب، نحو: "يا زيد" فنقول في إعراب "زيد": منادى مبني على الضم في محل نصب. ويتساءلون لماذا لا يمكننا أن نُعرب "زيد": منادى مرفوع، وعلامة رفعه الضمة؟ هذا التساؤل كان واقعاً، بل رأياً معتمداً عند جمهور الكوفيين، ولكنه لم يُعمل به، إذ "تلاشى"

حينذاك- كما أسلفنا- في خِصَمِ التَّيَّارِ البَصْرِيِّ الجارِفِ الَّذِي مِنْ أَعْلَامِهِ الْخَلِيلُ وَسَيَبُوءُهُ.
وكفى بهما مَزْجَعًا. إِذَنْ، فَجَدِيدُ "المحدثين"- أحيانًا- لَيْسَ بِجَدِيدٍ!

- لَا نُعَالِي إِنْ قُلْنَا إِنْ اسْتَظْهَرَ الْجَوَانِبِ النَّحْوِيَّةُ لِلنَّدَاءِ فِي الْمَوَاضِعِ الْقِرَائِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ يُشَكِّلُ
دَرْسًا تَطْبِيقِيًّا وَعَمَلِيًّا لِقَوَاعِدِ النَّحْوِ الَّتِي قَدْ تُعْرَضُ أحيانًا فِي كُتُبِ النَّحْوِ بِشَكْلِ نَظَرِيٍّ دُونَ
الْأَخْذِ بِالتَّطْبِيقِ. وَهَذَا الْمَفْهُومُ بَوَسْعِنَا أَنْ نُوَكِّدَ أَنَّ الْمَعَالِجَاتِ النَّحْوِيَّةَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ لَا
تَقُلُّ أَهَمِّيَّةً عَنِ الْمَعَالِجَاتِ فِي كُتُبِ النَّحْوِ، بَلْ لَعَلَّنَا نَتَلَمَّسُ هَا هُنَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْقَاهِرِ
الْجَرَجَانِيُّ حَوْلَ نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ الَّتِي تَرَى أَنَّ النَّحْوَ هُوَ وَحْدَهُ لُغَوِيَّةٌ مُتَكَامِلَةٌ، تَتَدَاخَلُ فِيهِ
عِلَاقَتُ مُتَشَابِكَةٍ بَيْنَ الْإِعْرَابِ وَالبَلَاغَةِ وَالدَّلَالَةِ وَالصَّوْتِ وَالصَّرْفِ. وَهَذَا- حَقِيقَةٌ- مَا نَجِدُهُ
عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ، فَيَعْرَضُونَ- مَثَلًا- لِلآيَةِ الْقِرَائِيَّةِ مُوضِّحِينَ اتِّسَاقَهَا مَعَ الْآيَاتِ
السَّابِقَةِ أَوْ اللاحِقَةِ، ثُمَّ يَجْلُونَ الْمَعَانِي الْمُرَافِقَةَ نَحْوًا (نَظْمًا)، وَإِعْرَابًا، وَدَلَالَةً، وَكُلُّ هَذَا يُثْرِي
الْبَاحِثَ إِثْرًا كَبِيرًا، قَدْ لَا يَجِدُهُ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكُتُبِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي تُعَدُّ مِنَ الْمَصَادِرِ
الْأُولَى فِي هَذَا الْعِلْمِ.

- رَأَيْنَا أَنَّ نَظَرِيَّةَ السِّيَاقِ تُمَثِّلُ الدَّوْرَ الْأَكْبَرَ فِي فَهْمِ التَّرَاكِيِبِ النَّدَائِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، لَا سِيَّمَا فِي
كُتُبِ التَّفْسِيرِ، فَالْعِلَاقَةُ التَّفَاعُلِيَّةُ بَيْنَ الْمُنَادِيِ وَالْمُنَادَى يَحْدِثُهَا السِّيَاقُ وَالْقَرِينَةُ، نَحْوُ
حَذْفِ حَرْفِ النَّدَاءِ فِي الدَّعَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}، ففِي هَذِهِ الْآيَةِ
يَتَوَجَّهُ الْإِنْسَانُ- الْعَبْدُ- إِلَى اللَّهِ- الْمَعْبُودِ- بِالدَّعَاءِ مِنْ خِلَالِ مُنَاجَاتِهِ لَهُ دُونَ حَرْفِ النَّدَاءِ
كَ"يَا رَبَّنَا" بَلْ إِنْ سِيَاقُ الْآيَةِ، وَقَرِينَةُ الْحَالِ يَتَقَضِيَانِ حَذْفَ الْحَرْفِ الَّذِي فِيهِ مَدٌّ لِلصَّوْتِ،
وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ يَتَنَاقُ مَعَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْمُنَادِيِ "الْعَبْدِ" وَبَيْنَ الْمُنَادَى "اللَّهُ"؛ فَلَا بُعْدَ بَيْنَهُمَا، وَلَا
حَاجَزَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا؛ ذَلِكَ أَنَّ قَرِينَةَ حَذْفِ حَرْفِ النَّدَاءِ تَدُلُّ عَلَى الْقُرْبِ حَسًّا وَمَعْنَى. وَأَيْضًا
مِنْ أَمْثَلَةِ اقْتِضَاءِ السِّيَاقِ تَأْخِيرُ الْمُنَادَى عَنْ جَوَابِهِ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا
إِبْرَاهِيمُ}، فَقَدْ عَرَضْنَا لِهَذَا الْمَوْضِعِ سَابِقًا، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنْكَارِ الْأَبِّ لِابْنِهِ فَأَخَّرَ الْمُنَادَى
(اسْمَهُ) كَنُوعٍ مِنَ التَّهْمِيشِ وَالْغُلْظَةِ فِي التَّعَامُلِ. وَأَيْضًا شَاهِدٌ آخَرُ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى}؛ فَأَخَّرَ الْمُنَادَى، لِلْمُؤَانَسَةِ وَالتَّخْفِيفِ وَالْمُوَاسَاةِ.

- لَيْسَ النَّدَاءُ تَرْكِيبًا يُقْصَدُ بِهِ دَعْوَةُ الْمُخَاطَبِ لِلاتِّفَاتِ وَالْإِقْبَالِ وَالْإِجَابَةِ فَحَسْبُ، إِنَّمَا يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى مَقَاصِدَ أُخْرَى تَقَرَّرُهَا وَتَعَيَّنُّهَا الْقَرِينَةُ، وَالسِّيَاقُ، وَنِيَّةُ الْمُخَاطَبِ (الْمَنَادِي) تَجَاهَ الْمَنَادَى، وَخَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ مَا دُوِّنَ فِي بَابِ "خُرُوجِ النَّدَاءِ عَنْ مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ".

- جَذَبَتْ عِلَاقَةُ الصَّوْتِ بِالْمَعْنَى اهْتِمَامَ بَعْضِ النُّحَاةِ الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ، فَقَدْ عُرِفَ قَدِيمًا بِمِصْطَلَحِ "التَّوَافِقِ اللَّفْظِيِّ"، كَانَ ابْنُ جَنِّي أَوَائِلَ مَنْ طَرَقَ هَذَا الْبَابَ عَلَى مُصْرَاعِيهِ، لَا سِيَّمَا فِي كِتَابِهِ "الْخَصَائِصَ"، وَعُرِفَ حَدِيثًا بِالْمَنْهَجِ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَ الْمُسْتَوَى الصَّوْتِيِّ وَالْمُسْتَوَى الدَّلَالِيِّ، حَيْثُ اهْتَمَّ هَؤُلَاءِ النُّحَاةُ بِوَصْفِ الْحُرُوفِ، ثُمَّ عَرَضُوا لِأَدَائِهَا الدَّلَالِيِّ وَالتَّداوُلِيِّ وَالسِّيَمَانِيِّ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ. مِنْ هُنَا، يَتَفَقُّ النُّحَاةُ الْقَدَمَاءُ وَالْمُحَدِّثُونَ- عَلَى حَدِّ سِوَاءِ- بِأَنَّ ثَمَّةَ تَرَابُطٍ بَيْنَ نَوْعِ حُرُوفِ النَّدَاءِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الْمَنَادِي وَبَيْنَ طَبِيعَةِ الْمَسَافَةِ الَّتِي تَخْصُ الْمَنَادَى، أَيْ إِنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً تَجْمَعُ بَيْنَ الصَّوْتِ (حُرُوفِ النَّدَاءِ) وَالْمَعْنَى الدَّلَالِيِّ (غَايَةِ النَّدَاءِ)، وَذَلِكَ أَنَّ التَّمَوُّضَ الْحَسِيَّ، أَوِ الْمَعْنَوِيَّ- بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمَنَادَى هُوَ الَّذِي يُقَرَّرُ نَوْعَ الْحُرُوفِ الْمُنْشُودِ اسْتِخْدَامُهُ فِي الْأَدَاءِ التَّنْبِيهِيِّ- فَحُرُوفِ النَّدَاءِ "يَا" تَخْتَلِفُ مَدْلُولَاتُهَا عَنْ هَمْزَةِ النَّدَاءِ مَثَلًا. وَلِلتَّوْضِيحِ، نَجِدُ سَبِيحِيَّةً يَتَحَدَّثُ عَنْ حُرُوفِ النَّدْبَةِ "وَا" بِأَنَّ فِيهِ تَنَاسُبًا صَوْتِيًّا مَعَ عَرَضِهِ أَلَا وَهُوَ التَّفَجُّعُ وَالتَّأَلُّمُ وَالتَّرْتُّمُ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ نُدْبَةٌ دُونَ هَذِهِ الْأَدَاةِ التَّصْوِيتِيَّةِ الَّتِي إِنَّ ذَلَّتْ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى وَظِيفَةٍ نَحْوِيَّةٍ لَا تَقْلُ أَهْمِيَّةً- بِرَأْيِنَا- عَنْ الْعَلَامَاتِ الْإِعْرَابِيَّةِ، وَفِي الْمَقَابِلِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوْدِّي وَظِيفَةَ النَّدْبَةِ حَرْفٌ آخَرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ الْمِيزَاتِ الصَّوْتِيَّةَ الَّتِي يَحْمِلُهَا حَرْفُ النَّدْبَةِ "وَا"؛ بِاسْتِثْنَاءِ "يَا"، وَلَكِنْ بِشَرَطِ أَمْنِ اللَّبْسِ.

وهذا الأمر- بمفهومه اللَّسَانِيِّ- يُفْضِي إِلَى تَمَاوُجٍ بَيْنَ الْمُسْتَوَيْنِ الصَّوْتِيِّ (الْفُونُولُوجِيِّ) وَالدَّلَالِيِّ (السِّيَمَانْتِيكِيِّ). وَإِذَا عُدْنَا إِلَى الْمَعَاجِمِ اللَّغَوِيَّةِ الْقَدِيمَةِ- بِدَايَةِ مَنْ مَعْجَمِ "الْعَيْنِ" لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ- نُلَاحِظُ أَنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي تَعْلِيلِهِمْ لِمَعْنَى (نَدِي) عَنْ مَدِّ الصَّوْتِ وَإِصَالِهِ إِلَى أْبْعَدِ مَدًى، أَوْ مَسَافَةً. وَهَذَا- حَقِيقَةٌ- مَا سَعَيْتُ إِلَى تَوْضِيحِهِ مِنْ خِلَالِ التَّفْصِيلِ الْمَطُولِ لِمَفْهُومِ النَّدَاءِ لُغَةً- كَمَا جَاءَ فِي اسْتِهْلَالِ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ- مُحَاوَلًا تَأْكِيدَ الْعِلَاقَةِ

المترابطة بَيْنَ دلالاتِ الألفاظِ مِنْ جهةٍ، وما لهذه الدَّلالاتِ مِنْ معانٍ نحوِيَّةٍ الَّتِي بدورها تُوصِّلُ لدرسِ النداءِ مِنْ جهةٍ أُخرى.

وعلاقةُ الصَّوتِ بالمعنى هي- أيضًا- مسألةٌ شَغَلَتْ نُحاةَ الغربِ والمستشرقينَ، فقد أُولُوا لها أهميَّةً بالغَةً: من خلالِ رؤيتهم بأنَّ ثَمَّةَ تداخلٍ بَيْنَ المستوياتِ اللُّغويَّةِ المختلفةِ في الدُّرسِ اللِّسانيِّ الحديثِ، بل بوجودِ تداخلٍ بَيْنَ علومِ اللِّسانِ وعلومِ أُخرى، كعلمِ النَّفسِ، وعلمِ الاجتماعِ، وعلمِ تطوُّرِ الإنسانِ، وعلمِ التَّاريخِ...إلخ. وَمَنْبُعُ اهتمامهم بطبيعةِ هذه العلاقةِ- الصَّوتِ بالمعنى- يأتي على غِرارِ تساؤلهم: هل لذلك الصَّوتِ، الَّذِي هو عبارةٌ عن عمليَّةٍ فيزيائيَّةٍ، مدلولاتٌ تتوافقُ مَعَ صفاتِهِ المتغيرةِ، كالجَهْرِ، والصَّفيرِ، والاحتكاكِ، والمِدِّ... أم إنَّ الصَّوتَ هو مجردٌ "نتاجٌ" لعمليَّةٍ تُسمَّعُ عبرَ الهواءِ لا علاقةٌ له بالمعنى لا مِنْ قَرِيبٍ ولا مِنْ بَعِيدٍ. صحيحٌ أنَّ هناكَ خلافًا بَيْنَ المدارسِ اللِّسانيةِ الغربيَّةِ؛ بسببِ توجُّهاتهم البحثيَّةِ، ولكنَّ مَعَ هذا- تراءى أمامنا دراساتٌ بحثيَّةٌ تدعمُ الوجهةَ الَّتِي تذهبُ إلى أنَّ العلاقاتِ بَيْنَ الصَّوتِ والمعنى (الدَّلالةِ) قائمةٌ غَيْرُ مُنْفَكَّةٍ. ولعلَّ ما عَرَضْنَا له آنفًا حولَ هذه العلاقةِ ينسجمُ مَعَ الرُّؤيةِ اللِّسانيةِ الغربيَّةِ.

- لَاحِظْنَا أنَّ نُحاةَ مُخَدِّثِينَ كانوا قد أَكَّدُوا بأنَّ الهدفَ الرَّئيسَ مِنْ حروفِ النداءِ هو التَّنبيهُ والتَّصويُّتُ، إذ لَيْسَ لهذه الحروفِ ارتباطٌ لا مِنْ قَرِيبٍ ولا مِنْ بَعِيدٍ بِالْعَامِلِ النَّحْوِيِّ الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي الاسمِ الَّذِي يليه؛ فينصبُّه، وذلكَ عندما يُقَدِّرُ النُّحاةُ فعلاً محذوقاً هو "أدعو"، أو "أنادي" يسبقُ المنادى- تقديراً- ونايَبَتْ عنه حروفُ النداءِ.

- من خلالِ تَتَبُّعِنَا لِمَا حَوَّثَهُ بعضُ التَّفاسيرِ القرآنيَّةِ والكتبِ النَّحويَّةِ وَجَدْنَا أنَّ ثَمَّةَ مصطلحاً نحوياً قد تَغَافَلَ عنه نُحاةٌ كَثُرَ قديمًا وحديثًا، أو- أَكْثَرُ دَقَّةً- قد أُغْمِطَ حَقُّهُ وانْتُهِبَ مِنْ مَوْلَافَاتِ النَّحْوِ لا سِوَمَا الحديثِ منها، ألا وهو مصطلحُ المنادى الثَّاني، نحو قولِهِ تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ...}، ف"مالكٌ" منادى ثانٍ، بل هو مذهبُ الخليلِ وسيبويه- وهما من أَكْبَرِ النُّحاةِ-؛ تأويلًا منهما- كما أَشَرْنَا إلى ذلكَ في الفصلِ الأوَّلِ- بأنَّه لا يجوزُ في التَّابعِ الَّذِي يلي "اللَّهُمَّ" أَنْ يُعَرَّبَ نَعْتًا، بل هو نداءٌ مُسْتَأْنَفٌ. صحيحٌ أنَّ المَبْرَدَ والزَّجَاجَ- وهما

أيضًا من أكابر النُحاة- قد خالفوا مذهب الخليل وسيبويه على أن "اللَّهُمَّ" نعت، لكن هذا لا يعني أن نطمس- برأينا- مَعْلَمًا إعرابيًا ذا أهميةٍ جديرة بالالتفات. ثُمَّ إِنَّ الَّذِي نريدُ أَنْ نُبَيِّنَهُ في هذا المقام أَنَّ مصطلح "المنادى الثاني" يُحيلُنا إلى مصطلح "المفعول به الثاني"، وكأنَّ حرفَ النداءِ "المحذوف" الَّذِي عُوضَ عنه بالميمِ المشددةِ في "اللَّهُمَّ" نَصَبَ مناديين، بمعنى أَنَّ حرفَ النداءِ ها هنا عَمِلَ نحويًا في اسمين، فآثَرَ فيهما كما هو شأنُ الفعلِ المتعدي الَّذي يتعدى إلى مفعولين؛ فينصِبُهُما. وهذا التّوصيف- حقيقةً- جديرٌ بالتأمُّلِ.

- أَخَذَ عاملُ المنادى في دراساتِ النُّحاةِ القدماءِ حَيَازًا ضخمًا ومساحةً كبرى في تعليلِ النَّصْبِ، لفظًا أو محلاً، إلى درجة أنَّ العاملَ النَّحويَّ غدا هو المقياسُ المعياريُّ الَّذي يُحَدِّدُ هويَّةَ الحالةِ الإعرابيةِ؛ إِنَّ كان ذلك في المنادى المُعَرَّبِ أو المبنى، أو حتَّى توابعه الّتي استهلكت- هي الأخرى- مِنَ النُّحاةِ طاقةً باديةً للرأي؛ لِلجِوءِ إلى نظريةِ الحَمَلِ النَّحويَّةِ (الحَمَلُ على اللَّفْظِ أو المعنى)؛ وَلِكَأَنَّ النَّحْوِ كُلَّهُ- عند القدماءِ- يقومُ على فكرةِ العاملِ. بينما وجدنا أَنَّ الأمرَ مغايرًا عند النُّحاةِ المحدثين، فَلَمَّ يولوا العاملَ اهتمامًا بالغًا- تأثُّرًا بآراءِ ابنِ مضاءِ القرطبيِّ- فَنَصَبُ المنادى- عندهم- هورديفُ الفتحةِ، تلك الحركةُ الخفيفةُ والمحبيَّةُ عند العربِ الّتي تدلُّ على الانفعالِ، وليس الأمرُ عندهم مشحونًا بكيمٍ هائلٍ من قواعدِ الأصولِ. بل إِنَّ ثَمَّةَ نحاةٍ محدثين يرونَ في النداءِ تركيبًا خاصًا متفردًا ليسَ له ارتباطٌ بالمفاعيلِ، أو بتقديرٍ مُؤَثَّرٍ ومُؤَثِّرٍ، إنّما هي طبيعةُ اللّغةِ، وعليه؛ فلا حاجةً إلى تفسيرِ النَّصْبِ أو البناءِ، أو الكشفِ عن مَسَبِّباتِ الفتحةِ أو الضمّةِ، وما ينبوُبُ عنهما. وتهتدي من هذا الكلامِ إلى أَنَّ النُّحاةَ المحدثين انشغلوا بوصفِ الظَّاهِرةِ دونَ الولوجِ في التعليلِ؛ وَمِنْ هنا يدعون إلى الابتعادِ عن التكلُّفِ والعَنَتِ في استظهارِ الأحكامِ النَّحويَّةِ، الأمرُ الَّذي يزيدُ تدريسَ قواعدِ النَّحْوِ- ولا سيَّما النداءِ- صعوبةً أمامَ الدَّارسين، وكذلك يُنَقِّرُ الطَّلَّابُ ويبعدُهُم عن لغتهم، وبالتالي بوسعنا أَنْ نفهمَ القاعدةَ الّتي ينطلقون منها في دعوتهم واقتراحاتهم التَّحليّيةَ عن الأبوابِ الّتي لا تُفيدُ الطَّالِبَ، وعن الفروعِ النَّحويَّةِ الّتي قد تُعَقِّدُ

وَتَصَعَّبَ وَلَا تُسَهِّلْ وَتَيَسِّرْ؛ نحو باب التُّدْبَةِ، والاستِغَاثَةِ، والتَّعَجُّبِ النَّدَائِي، والاختصاص... إلخ.

- اهتمَّ النُّحَاةُ القدماءُ- خاصَّةً- بركنَيْنِ رئيسَيْنِ لتركيبِ النَّدَاءِ، وهما الأداةُ والمنادى، ويظهرُ لنا أنَّ جزءًا كبيرًا منهم قد أهملَ جوابَ النَّدَاءِ كمكوِّن رئيسٍ في هذا التَّركيبِ؛ لهذا رأينا أنَّ بعضَ النُّحَاةِ المحدثين منحوا جوابَ النَّدَاءِ في مؤلِّفاتهم مساحةً واضحةً نحو محمد خير الحلواني. وأيضًا ممَّا دعانا إلى إفرادِ بابٍ خاصٍّ لجوابِ النَّدَاءِ في هذا البحث.

- ومنَ الملاحظِ أنَّ عددًا من النُّحَاةِ المُحْدَثِينَ يُضِيفُ رُكْنًا رابعًا على الأركانِ الثلاثةِ الَّتِي اتَّفَقَ عليها النُّحَاةُ، وهذا الرُّكْنُ هو المستغيثُ. والمقصودُ به ذلك المنادي، أو المُخاطَبُ، أو المصوِّتُ بأسلوبِ الاستِغَاثَةِ الَّذِي يطلبُ العَوْثَ، والعَوْنُ، والمُساعدةَ، ولكنَّه- كما يقولون- ركنٌ غَيْرُ مذكورٍ في جملةِ الاستِغَاثَةِ، بل يُفْهَمُ من السِّياقِ، أو يُذَكَّرُ خارجَ نطاقِ تركيبِ الاستِغَاثَةِ، فمثلاً، عندما يُشْرِفُ الغريقُ على الموتِ، فيصرخُ: "يا لِلنَّاسِ لِلْغريقِ"، فإنَّ المُستغيثَ هنا هو الغريقُ باسمه، أو عَلَمِهِ، وهو مغايِرٌ عن المستغاثِ له- كما يقولون، وكانَ للغريقِ اسمًا، لنفترضَ أنَّه "زيد"، وكانَ هذه الجملةُ من حيثِ البنيةُ العميقةُ تأتي على النُّحوِ التَّالِي: يُنادي زَيْدٌ وهو يُشْرِفُ على الغريقِ ويستغيثُ بالنَّاسِ: يا لِلنَّاسِ لِلْغريقِ. ولكنَّا نتساءلُ: ماذا لو كان تركيبُ جملةِ الاستِغَاثَةِ، وفقًا لما تأوَّلوه، على النُّحوِ التَّالِي: يا لِلنَّاسِ لِلْغريقِ زَيْدٌ؟! أليس المستغاثُ مِنْ أَجله هو "لِلْغريقِ زَيْدٌ"، أمْ إِنَّ "لِلْغريقِ" مستغاثٌ مِنْ أَجله، و"زيدٌ" مستغيثٌ؟! وهل- فعلاً- يجبُ أَنْ نكتفي بما ذَهَبَ إليه النُّحَاةُ القدماءُ بما يتعلَّقُ بالأركانِ الثلاثةِ للاستِغَاثَةِ؟

- إنَّ محاولاتِ الإِصلاحِ النَّحْوِيِّ الَّتِي دعا إليها نَحَاةٌ محدثون لم تعطِ أجوبةً شافيةً لما تساءلوا حولَه بدايةً، ولما سَعَوْا إِلَيْهِ أصلاً، بل إنَّها- كما يقول الياصري- لم تَرَقْ إلى أَنْ تكونَ منهجًا واضحًا وسليماً وجامعاً؛ لأبوابِ النَّحْوِ كُلِّها، فقد كانَ أغلبُها يكتفي بالأمثلةِ البسيطةِ، أو بجانبٍ واحدٍ من الموضوع الَّذِي يدرسه من دونِ النَّظَرِ في أمثلتهِ المركَّبةِ والمعقَّدةِ الَّتِي جرى بها لسانُ العربِ. ولعلَّ الَّذِي قَلَّلَ مِنْ شأنِ هذه الدِّراساتِ- على الرَّغمِ

من الذوق اللغويّ السليم الذي اتّسم به قسمٌ منها- أنّها استعارت من النّحاة القدماء أساليبهم التي أخذتهم عليها، فكان فيها من التّعليل والتّأويل المتكّلف؛ لإقناع الدّارس بوجهة النّظر ما يفوق أحياناً ما ورّد لدى القدماء.

- وبأخذنا السّياق الأنف الذّكر إلى قضية هامّة، ألا وهي تدريس "النّداء" في المدارس، حيثُ يجد قطاعٌ كبيرٌ من الطّلبة صعوبةً في استيعاب درس النّداء وفهمه فهماً جيّداً، بل إنّ هذا الدّرس- الذي هو جزءٌ من مجموع القواعد النّحويّة والصّرفيّة- يُشكّل عيّناً ضخماً على كاهل الطّلاب. وهي مسألةٌ تحتاج- بدايةً- إلى بحثٍ ميدانيّ؛ كي نستعرض الطّرائق التي يُدرّس فيها النّداء، ونستكشف الموضوعات النّدائيّة المعطاة أمام الطّلاب، ثمّ نُقيّم النّتائج التّحصيليّة عند هؤلاء الطّلاب، ونستخلص العرّ عبر المردود الحسيّ والمعنويّ على حدّ سواء؛ ليكون هذا الإجراء العمليّ ذا جدوى وفاعليّة في التّقييم. وعلى الرّغم من هذا- وكما هو معروف- فإنّ هناك إشكاليّةً باديةً الملامح في تدريس النّداء خاصّةً، وفي تدريس قواعد النّحو عامّةً. وأظنّ أنّ هذه الإشكاليّة تصدر عن أسبابٍ مختلفة، منها تشعّب المسائل النّحويّة للنّداء، واتساع رقعة الدّرس خلال الفروع والقواعد الثّانويّة التي تزيد الطّين بلاءً، نحو توابيع المنادى، والتّرخيم، والتّدبئة، والاستغاثّة... إلخ. بل نجد أحياناً أنّ طلاباً كثيرين ليس بمقدورهم استيعاب مسائلٍ أساسيّةٍ في المنادى، كالنّكرة المقصودة، والنّكرة غير المقصودة. ومن هذه الأسباب- أيضاً- اتّباع المعلّمين منهجيّةً قد تبدو تقليديّةً، عفا عليها الزّمن في أعين الدّارسين من الطّلبة. ومنها- كذلك- أنّ المادّة النّحويّة أصبحت غريبةً عن عالم الجيل الجديد؛ لما في هذا العصر من تطوّراتٍ سريعةٍ انعكست على الجانب الثّقافي- الاجتماعيّ، والتّربويّ-النّفسيّ، ولما فيه من اتّجاه النّشء الجديد وميله إلى "صّيحات العصر"، وجرّاء تأثير متواصلٍ لعوالم الحاسوب، والشّبكة المحوسبة، هذه الملامح التي تأخذهم إلى عالم افتراضيّ Virtual World، فعدّت فيه ثقافة البريد الإلكترونيّ وشبكة التّواصل الاجتماعيّ، وغيرها من الوسائل هي لغتهم. لهذا، فعلى المدرّسين أيضاً مجاراة حركة الحياة ومسايرتها، وتذليل الصّعاب في نقل المادّة النّحويّة إلى الطّلاب. لا أقول التّخليّ

عن قواعد النَّحو، بل معرفة استغلال ما بين أيديهم من وسائل قد تُسهم بشكلٍ لافتٍ وكبيرٍ في نقلِ المادّةِ النَّحويّةِ نقلاً مشوقاً إلى الطّلبة، فضلاً عن تيسيرِ الدّرسِ النَّحويّ تيسيراً حكيمًا يجلبُ الطّالِبَ إليه، ويحبّهم فيه، بطرائقٍ سلسةٍ سهلةٍ وعميقةٍ في الوقتِ نفسه، من غيرِ إفراطٍ ولا تفريطٍ. وأعتقدُ أنّ ذلك لن يتمّ إلاّ بمعلّمين أكفّاء، أصحابِ رؤيةٍ تجديديةٍ.

- وأخيرًا، نحسبُ أنّه ينبغي علينا أن نُعيدَ النَّظَرَ، ونُرجِعَ الكَرَّةَ في مسائلٍ كثيرةٍ في النَّحو العربيّ، على غرارِ درسِ النّداء؛ لأنّ ثمةَ موضوعاتٍ جَمَّةٌ تحتاجُ إلى مزيدٍ من البحثِ العلميّ الجادِّ، وإلى إطالةِ النَّظَرِ، واستدامةِ المذاكرة. ونظنُّ- في المقابل- أيضًا أنّ ثمةَ حلقاتٍ في النّداء لم تُغلَقْ بعدُ، بل سيبقى البابُ مفتوحًا على مصراعيه، ونعتقدُ- كذلك- أنّ أحدًا لا يمكنه الادّعاءَ بإعطاءِ أجوبةٍ شافيةٍ؛ وذلك- ببساطةٍ متناهيةٍ- لأنّ ميدانَ اللّغةِ هو ميدانٌ متطوّرٌ ومتجدّدٌ لا يهدأُ على حالٍ، ولا يرسو على مرفأٍ واحدٍ، ففي كلّ يومٍ تُطالِعُنا آراءٌ جديدةٌ، ونظريّاتٌ حديثةٌ في بعضِ الأحايين قد تُلغى، أو تمحو ما سَبَقَها من نظريّاتٍ. وهذا بحدِّ ذاته يُعدُّ ظاهرةً صحيّةً تنساقُ وتتماشى معَ طبيعةِ اللّغةِ وحركةِ الحياة؛ فاللّغةُ أولاً وأخيرًا كائنٌ حيٌّ متطوّرٌ، لا يعرفُ- برأيِنا- مفرداتِ الرُّكون. وبالتالي ينشَقُّ عن هذا الواقعِ تساؤلٌ جدليٌّ: هل للفكرِ الإنسانيِّ حدودٌ يمكنُ أن يقفَ عندَ منتهاهَا؟ وهل للغة- التي هي وعاءُ الفكرِ- حدٌّ بوسّعِنا أنْ نحتويَ تخومَها؟ الإجابةُ- على الأقلِّ حسبَ تقديرِنا- لا. لذا سيبقى البابُ مفتوحًا، ويبدو أنّه لن يوصدَ أبدًا!

قائمة المصادر والمراجع

كتب بالعربية:

- القرآن الكريم.
- الأثاريّ، شعبان بن محمّد بن داوود. القلادة الجوهريّة في شرح الحلاوة السّكريّة في النّحو. تحقيق: محمّد عامر. القاهرة: دار الطّباعة المحمّديّة، 1993.
- الأمديّ، أبو الحسن عليّ بن أبي عليّ. الإحكام في أصول الأحكام. القاهرة: دار الكتب الخديويّة- مطبعة المعارف، 1914.
- ابن جرّوم، محمّد بن محمّد. كتاب الأجروميّة. ط7. بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيّين، 1899.
- الألوسيّ، شهاب الدّين محمود البغداديّ. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: محمّد زهري النّجار. القاهرة: دار القوميّة العربيّة للطّباعة، 1964.
- إبراهيم، حسن إبراهيم. أسرار النّداء في القرآن الكريم. القاهرة: مطبعة الفجّالة، 1978.
- الإبراهيميّ، محمّد الطّيّب. إعراب القرآن الكريم. بيروت: دار النّفائس، 2003.
- ابن الأثير، أبو السّعادات مبارك بن محمّد الجزريّ. البديع في علم العربيّة. تحقيق ودراسة: فتحي أحمد عليّ الدّين. مكّة المكرّمة: جامعة أمّ القُرى، 1999.
- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعيّ البلخيّ البصريّ. معاني القرآن. تحقيق: هدى محمود قراعة. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990.
- أدهم، سامي. فلسفة اللّغة: تفكيك العقليّ اللّغويّ- بحث ابستمولوجي أنطولوجي. بيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدراسات، 1993.

- الأردبيلي، جمال الدين محمد بن عبد الغني المشهور بـ"غنى زاده". شرح الأنموذج في النحو للعلامة الزمخشري. تحقيق وتعليق: حسني عبد الجليل يوسف. القاهرة: مكتبة الآداب، 1990.
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد. تهذيب اللغة. إشراف وتعليق وتقديم: محمد عوض مرعب وعمر سلامي وعبد الكريم حامد وفاطمة محمد أصلان. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001.
- الأزهرى، خالد بن عبد الله. شرح التصريح على التوضيح. تحقيق: محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية، 2000.
- _____. شرح الشيخ خالد على متن الأجزؤمية. القاهرة: دار الطباعة البهية، 1845.
- الإسفرائيني، تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد سيف الدين الشهير بالفاضل. شرح منظومة الألغاز النحوية للملا عصام الإسفرائيني. تحقيق: علي حسين البواب. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2000.
- _____. فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة. تحقيق: عفيف عبد الرحمن. إربد: جامعة اليرموك، 1981.
- _____. اللباب في علم الإعراب. تحقيق: شوقي المعري. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1996.
- الأسعد، عبد الكريم محمد. الحاشية العصرية على شرح شذور الذهب. ج1. الرياض: دار الشواف، 1995.
- _____. مغرُض الإبريز من الكلام الوجيز عن القرآن العزيز. الرياض: دار المعراج، 1997.
- إسماعيل، محمد بكر. قواعد النحو بأسلوب العصر. ط1. القاهرة: دار المنار، 2000.
- الأسمر، راجي. معجم الأدوات في القرآن الكريم. بيروت: دار الجيل، 2005.

- الإسنوي، جمال الدين. الكوكب الدرّي فيما يتخرّج على الأصول النحويّة من الفروع الفقهيّة. تحقيق: محمّد حسن عوّاد. عمّان: دار عمار، 2005.
- الأشقر، محمّد سليمان. معجم علوم اللّغة العربيّة. بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1995.
- الأشمونيّ. شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك ومعه شرح الشّواهد للعينيّ. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّ، [د. ت.].
- الأطه وي، مصطفى حمزة. نتائج الأفكار لشرح إظهار الأسرار في النّحو. دراسة وتحقيق: إبراهيم زبيدة. ط1. طرابلس الغرب: منشورات كلّيّة الدّعوة الإسلاميّة، 1992.
- الأعلّم الشّنتمريّ، يوسف بن سليمان بن عيسى. تحصيل عين الذّهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب. تحقيق وتعليق: زهير عبد المحسن سلطان. ط1. بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة، 1992.
- _____. النّكت في تفسير كتاب سيّويه وتبيين الخفيّ من لفظه وشرح أبياته وغريبه. دراسة وتحقيق: رشيد بلحبيب. الرّباط: وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، 1999.
- أمين، بكري شيخ. التّعبير الفنيّ في القرآن. ط1. القاهرة: دار الشّروق، 1973.
- الأنباريّ، أبو البركات عبد الرّحمن بن محمّد. أسرار العربيّة. دراسة وتحقيق: محمّد حسين شمس الدّين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1997.
- _____. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويّين البصريّين والكوفيّين. تقديم وإشراف: حسن حمد وإميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998.
- _____. مُع الأدلّة في أصول النّحو. تحقيق: عطية عامر. ستوكهولم: Almqvist & Wiksell، 1963.
- الأنصاريّ، أحمد مكّي. نظريّة النّحو القرآنيّ- نشأتها وتطوّرها ومقوماتها الأساسيّة. القاهرة: دار القبلّة الثقافيّة الإسلاميّة، 1984.

- الأنصاري، زكريّا بن محمّد بن أحمد السّنيكيّ المصريّ. إعراب القرآن. تحقيق: محمّد عثمان. ط1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدّينيّة، 2009.
- الأنصاري، وليد عاطف. نظريّة العامل في النّحو العربيّ: عرضاً ونقداً. إريد: دار الكتاب الثّقافيّ، 2003.
- الأنطاكي، محمّد. دراسات في فقه اللّغة العربيّة. ط4. بيروت: دار الشّرق العربيّ، [د. ت.].
- _____. المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها. بيروت: دار الشّرق، 1972.
- الأهدل، محمّد بن أحمد بن عبد الباري. الكواكب الدّريّة: شرح الشّيخ الأهدل على متممّة الأجروميّة للحطّاب. بيروت: مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، 2000.
- أوزون، زكريّا. جناية سيبويه - الرّفص التّامّ لما في النّحو من أوهام. بيروت: [د. ن.]. 2002.
- الأيوبيّ، إسماعيل بن الأفضل. كتاب الكُنّاش في فنيّ النّحو والصّرف. دراسة وتحقيق: رياض الخوّام. بيروت: المكتبة العصريّة، 2000.
- البابرّيّ، أكمل الدّين محمّد بن محمّد بن محمود بن أحمد. شرح التّلخيص. دراسة وتحقيق: محمّد مصطفى رمضان صوفيه. ط1. طرابلس: المنشأة العامّة للنّشر والتّوزيع والإعلان، 1983.
- باطاهر، بن عيسى. البلاغة العربيّة- مقدّمات وتطبيقات. بيروت: دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2008.
- الباقوليّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين الأصهبانيّ. كشف المشكلات وإيضاح المعضلات. تحقيق: محمّد أحمد الدّاليّ. ط1. دمشق: مطبعة الصّباح- مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق: 1995.
- البحيري، أسامة. تحولات البنية في البلاغة العربيّة. ط1. طنطا: دار الحضارة، 2000.

- البحيري، سعيد حسن. عناصر النّظرية النّحويّة في كتاب سيبويه : محاولة لإعادة التّشكيل في ضوء الاتّجاه المعجميّ الوظيفيّ. ط1. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة، 1989.
- برجستراسر. التّطوّر النّحويّ للغة العربيّة. أخرج وتصحيح وتعليق: رمضان عبد التّوّاب. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1982.
- البروسوي، إسماعيل حقيّ. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان. اختصار وتحقيق: محمّد عليّ الصّابونيّ. دمشق: دار القلم، 1988.
- بريّ، عبد الله. شرح شواهد الإيضاح لأبي عليّ الفارسيّ. تقديم وتحقيق: عيد درويش. مراجعة: محمّد علاّم. القاهرة: الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، 1985.
- البسيلى، أبو العباس التّونسيّ. نكت وتنبّهات في تفسير القرآن المجيد وبذيله تكملة النّكت لابن غازي العثماني المكناسي. تقديم وتحقيق: محمّد الطّبراني. ط1. الدّار البيضاء: منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة- مطبعة النّجاح الجديدة، 2008.
- بسيوني، سمير. معجم الأدوات النّحويّة، الهمزة. المنصورة: مكتبة الإيمان، 2003.
- بسيوني، كمال. المفردات النّحويّة. القاهرة: مكتبة النّهضة المصريّة، 1988.
- البُصرويّ، عليّ بن خليل بن سالم علاء الدّين. شرح قواعد البُصرويّة في النّحو. دراسة وتحقيق: غرّام عمر الشّجراوي. ط1. بيروت: دار البشير، 2000.
- البَطْلَيْوسيّ، عبد الله بن محمّد بن السيّد. كتاب الحُلّل في شرح أبيات الجُمَل. دراسة وتحقيق: مصطفى أمام. ط1. القاهرة: الدّار المصريّة، 1979.
- _____. كتاب شرح أبيات الجمل. دراسة وتحقيق: عبد الله النّاصير. دمشق: دار علاء الدّين، 2000.

- البغداديّ، عبدالقادر بن عمر. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب. قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه محمّد نبيل طريفي. إشراف: إميل بديع يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998.
- البغداديّ، أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب. كتاب نقد النثر. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1980.
- البغويّ، الحسين بن مسعود الشافعيّ. تفسير البغوي المسمّى معالم التّنزيل. إعداد وتحقيق: خالد العك، ومروان سوار. بيروت: دار المعرفة، [د. ت.].
- البقيناويّ، إبراهيم بن الحسين. الصّفوة الصّفيّة في شرح الدّرة الألفيّة. تحقيق: محسن بن سالم العميريّ. ج2. مكّة المكرّمة: جامعة أمّ القرى، 2000.
- بكر، السيّد يعقوب. نصوص في النّحو العربيّ من القرن الثّاني إلى الرّابع. بيروت: دار التّهضة العربيّة، 1970.
- بلحبيب، رشيد. ضوابط التّقديم وحفظ المراتب في النّحو العربيّ. ط1. وجدة-المغرب العربيّ: جامعة محمّد الأوّل-كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، 1998.
- البلعاوي، أحمد جاسر. المفاتيح الذهبيّة في النّحو والإعراب وأوزان الصّرف. عمّان، دار عالم الثّقافة، 2006.
- البياتيّ، سناء حميد. قواعد النّحو العربيّ في ضوء نظريّة النّظم. ط1. عمّان: دار وائل للنّشر، 2003.
- البيضاويّ، ناصر الدّين عمر بن محمّد الشّيرازيّ. تفسير البيضاويّ المسمّى أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل. بيروت: دار الفكر، 1996.
- التّبريزيّ، أبو زكريّا يحيى بن عليّ. الموضّح في شعر أبي الطّيب المتنبّي. دراسة وتحقيق: خلف رشيد نعمان. ط1. بغداد: دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، 2000.

- تشومسكي، ناعوم. آفاق جديدة في دراسة اللغة والدّهن. ترجمة: حمزة المزيبي. القاهرة: المشروع القومي للترجمة، 2005.
- التّفتازاني، سعد الدّين مسعود بن عمر. المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001.
- التّميمي، مهدي حسين. أساسيّات في اقتصاد اللّغة العربيّة. ط1. عمّان: دار المناهج، 2006.
- التّهانوي، محمّد عليّ بن محمّد الحنفيّ. كشاف اصطلاحات الفنون. وضح حواشيه: أحمد حسن بسج. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998.
- الثّعاليّ، أبو منصور محمّد بن إسماعيل النّيسابوريّ، يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر. تقديم وتحقيق: إبراهيم صقر. القاهرة: مكتبة مصر، [د. ت.].
- الثّعاليّ، الهّمّام أبو إسحاق أحمد. الكشف والبيان المعروف تفسير الثّعاليّ. دراسة وتحقيق: أبي محمّد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: نظير السّاعدي. بيروت: دار إحياء الثّراث العربيّ،
- الجامي، نور الدّين عبد الرّحمن، ملّاجامي (الفوائد الضّبائيّة) شرح كافية ابن الحاجب. دراسة وتحقيق: أسامة طه الرّفاعيّ. استانبول: دار الكتاب الإسلاميّ، 1990.
- الجاويّ، محمّد بن عمر نووي. مراح لبّيد لكشف معنى القرآن المجيد. ضبطه وصحّحه ووضع حواشيه: محمّد امين الضّّتاويّ. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1997.
- الجرجانيّ، عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد. الجمل في النّحو. شرح وتحقيق: يسري عبد الغني عبد الله. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1990.
- _____. دلائل الإعجاز. قراءة وتعليق: محمود محمّد شاكر. ط3. القاهرة: مطبعة المدنيّ، 1992.

- _____. درج الدرر في تفسير الآي والسور. دراسة وتحقيق: أحمد بن صالح الحسين. ط1. مانشستر: سلسلة إصدارات الحكمة، 2008.
- _____. المُقْتَصَد في شرح الإيضاح. تحقيق: كاظم بحر المرجان. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، 1982.
- الجرجاوي، خالد بن عبد الله الأزهرى. العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية. تحقيق: البدر اوي زهران. ط1. القاهرة: دار المعارف، 1983.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي. النَّشْر في القراءات العشر. إشراف وتصحيح ومراجعة: علي محمد الضَّبَّاع. بيروت: دار الكتب العلمية، [د. ت.].
- ابن جُزَي، محمد بن أحمد الغرناطي. كتاب التَّسْهِيل لعلوم التَّنْزِيل. تحقيق: محمد اليونسى، وإبراهيم عوض. القاهرة: أم القرى للطباعة والنشر، 1994.
- الجطلاوي، الهادي. قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج- التأويل- الإعجاز. صفاقس- الجمهورية التونسية: دار محمد علي الحامي، 1998.
- الجلال، الحسن بن أحمد. الإغراب في تيسير الإعراب. دراسة وتحقيق: أحمد القاضي. الإسكندرية: دار الإيمان، 2005.
- ابن جماعة، بدر الدين. شرح كافية ابن الحاجب. تحقيق وتعليق: محمد محمد داود. القاهرة: دار المنار، 2000.
- الجَمَل، سليمان بن عمر العجيلي. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. مصر: دار الكتب العربية الكبرى، 1782.
- _____. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. مصر: المطبعة العامة الشرقية، [1885-1884].
- أبو جناح، صاحب. دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها. ط1. عمان: دار الفكر، 1998.

- الجَنَدِيّ، تاج الدّين أحمد بن عمر. الإقليد: شرح المفصل. تحقيق ودراسة: محمود أحمد أبوكتة الدّراويش. م 1. الرّياض: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، 2002.
- الجندي، أحمد علم الدّين. في القرآن والعربيّة: مِنْ تراث لغويّ مفقود لأبي زكريّا الفراء. جامعة أمّ القرى: وزارة التّعليم العالي،
- ابن جيّ، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمّد النّجار. القاهرة: دار الكتب المصريّة، 1955.
- _____. سرّ صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق: حسن هنداي. دمشق: دار القلم، 1985.
- _____. المحتسب في تبين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها. تحقيق: علي النّجدي ناصف وآخرون. القاهرة: وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، 1994.
- الجوّاري، أحمد عبد السّتار. نحو المعاني. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات، 2006.
- الجوّزيّ، جمال الدّين عبد الرّحمن بن عليّ القرشيّ البغداديّ. زاد المسير في علم التّفسير. دمشق: المكتب الإسلاميّ للطباعة والنّشر، 1964.
- الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد. الصّحاح- تاج اللّغة وصحاح العربيّة. تحقيق: إميل بديع يعقوب ومحمّد نبيل طريفي. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1999.
- جيرو، بيير. علم الدّلالة. ترجمة: منذر عياشي. دمشق: مكتبة الأسد، 1992.
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. الأمالي النّحويّة "أمالي القرآن الكريم". تحقيق: هادي حسن حمّودي. ج 1. بيروت: مكتبة التّهضة العربيّة، 1985.
- _____. كتاب أمالي ابن الحاجب. دراسة وتحقيق: فخر قدارة. عمّان: دار عمّار، 1989.
- _____. الكافية في النّحو- شرح الشّيخ رضي الدّين الإستراباذي النّحويّ. تحقيق: عبدالعال سالم مكرم. ط 1. القاهرة: عالم الكتب، 2000.

- الحاطوم، أحمد. كتاب الإعراب: محاولة جديدة لاكتناهِ الظاهرة. بيروت: شركة المطبوعات، 1992.
- حامد، عبد السلام السّيد. الشّكل والدّلالة: دراسة نحويّة للّفظ والمعنى. القاهرة: دار غريب، 2002.
- الحدّاد، أبو بكر اليميني. تفسير الحدّاد: كشف التّنزيل في تحقيق المباحث والتّأويل. تحقيق: محمّد إبراهيم يحيى. بنغازي: دار الكتب الوطنيّة، 2003.
- الحديديّ، إيناس كمال. المصطلحات النّحويّة في التّراث النّحويّ في ضوء علم الاصطلاح الحديث. الإسكندريّة: دار الوفاء، 2006.
- الحريريّ، أبو محمّد القاسم بن عليّ البصريّ. ملحة الإعراب. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، 195.
- حسب الله، عليّ. أصول التّشريع الإسلاميّ. القاهرة: دار المعارف، 1985.
- حسان، تّمّام. الخلاصة النّحويّة. ط1. القاهرة: عالم الكتب، 2000.
- _____. مناهج البحث في اللّغة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة، 1990.
- الحسّون، خليل بنّيان. النّحويّون والقرآن. عمان: مكتبة الرّسالة، 2002.
- حسن، عبّاس. اللّغة والنّحويّون القديم والحديث. القاهرة: دار المعارف، 1966.
- _____. النّحو والوافي: مع ربطه بالأساليب الرّفيعة والحياة اللّغويّة المتجدّدة. مصر: دار المعارف، 1975.
- _____. اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة. القاهرة: عالم الكتب، 2000.
- حسن، محمّد بن السّيد. الرّاموز على الصّحاح- دراسة معجميّة. تحقيق: محمّد الرّديني. الجزائر: جامعة باتنه، 1984.

- حسنين، عبد النعيم محمد. قواعد اللغة الفارسيّة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة، 1973.
- حلمي، أحمد كمال الدّين. مقارنة بين النّحو العربيّ والنّحو الفارسيّ. الكويت: جامعة الكويت، 1993.
- الحلواني، محمد خير. المفصّل في تاريخ النّحو العربيّ. ط1. بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1979.
- _____. النّحو الميسّر. دمشق: دار المأمون، 1982.
- الحمادي، يوسف. النّحو في إطاره الصّحيح. القاهرة: دار مصر للطباعة، 1990.
- حمدان، محمود موسى. مسائل الخلاف بين التّحويين والبصريين في ضوء النظر البلاغيّ. القاهرة: مكتبة وهبة، 2001.
- أبو حمدة، محمد علي، في العبور الحضاريّ لكتاب شرح قطر النّدى وبل الصّدى لابن هشام الأنصاريّ. عمّان: دار عمّار، 1999.
- حمودة، طاهر سليمان. ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغويّ. الإسكندريّة: الدّار المصريّة، 2002.
- بن حمودة، رفيق. الوصفية- مفهومها ونظامها في النظريّات اللّسانية. صفاقس- تونس: دار محمد عليّ، 2004.
- الحموز، عبد الفتّاح أحمد. التّأويل النّحويّ في القرآن الكريم. ط1. الرّياض: مكتبة الرّشد، 1984.
- الحموز، محمد عوّاد. الرّشيد في النّحو العربيّ. عمّان: دار صفاء، 2002.
- حميدة، مصطفى. نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة. القاهرة: الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر-لونجمان، 1997.

- أبو حيّان، محمّد بن يوسف الأندلسيّ الغرناطيّ. ارتشاف الضّرْب من لسان العرب. تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمّد. مراجعة: رمضان عبدالتّوّاب. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998.

_____. البحر المحيط في التّفسير. بعناية: زهير جعيد. بيروت: دار الفكر، 1992.

_____. التّدريب في تمثيل التّقريب. دراسة وتحقيق: نهاد فليح حسن. بغداد: مطبعة الإرشاد، 1987.

_____. تقريب المقرّب. تحقيق: عفيف عبد الرّحمن. بيروت: دار المسيرة، 1982.

_____. النّهر المادّ من البحر المحيط. تحقيق عمر الأسعد. بيروت: دار الجيل، 1995.

- الخازن، عليّ بن محمّد بن إبراهيم البغداديّ. تفسير الخازن المسوّى لباب التّأويل في معاني التّنزيل. ضبطه وصحّحه: عبد السّلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1995.

- الخالدي، كريم حسين ناصح. الخطاب النّفسيّ في القرآن الكريم- دراسة دلاليّة أسلوبيّة. عمّان: دار صفاء للنّشر والتّوزيع، 2007.

_____. نظرات في الجملة العربيّة. عمّان: دار صفاء، 2005.

- ابن خالويّه، حسين بن أحمد. مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع. عُنِيَ به: جوتهلف برجشتراسر. القاهرة: مكتبة المتنبّي، 1980.

- ابن الخبّاز، أحمد بن الحسين. الغرّة المخفيّة في شرح الدّرة الألفيّة لابن معط. بغداد: دار الأنبار، 1991.

_____. توجيه اللّمع- شرح كتاب اللّمع لأبي الفتح ابن جيّ. دراسة وتحقيق: فايز دياب. القاهرة: دار السّلام، 2002.

- الخراط، أحمد بن محمّد. المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم. المدينة المنوّرة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، 2005.

- خضر، سهام. الإعجاز اللغوي في فواتح السور. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2008.
- الخضري، محمد. حاشية الخضري على ابن عقيل. القاهرة: دار الكتب العلمية، [د.ت].
- خضير، محمد أحمد. قضايا المفعول به عند النحاة العرب. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2003.
- الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي. الملخص في إعراب القرآن. تحقيق: يحي مراد. القاهرة: دار الحديث، 2004.
- الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. كتاب المجالس. دراسة وتحقيق: غانم قدوري الحمد. عمان: دار عمّار، 2002.
- الخطيب، عبد اللطيف. معجم القراءات. دمشق: دار سعد الدين، 2002.
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي. ضبط وتخرج: عبدالرزاق المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.
- خليفة، الجندي. نحو عربيّة أفضل: ثورة على اللغة القائمة وبناء لعربيّة جديدة. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1974.
- خليل، عاطف فضل محمد. بناء الجملة في جمهرة رسائل العرب في ضوء علم اللغة الحديث. إربد: عالم الكتب الحديثة، 2004.
- الخوارزمي، قاسم بن حسين. ترشيح العلل في شرح الجمل. إعداد: عادل محسن سالم العميري. مكة المكرمة: سلسلة الرسائل العلمية، 1998.
- _____. شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير. تحقيق: عبدالرحمن العيمين. مكة المكرمة: دار الغرب الإسلامي، 1990.
- الخولي، أمين. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب. ط1. القاهرة: دار المعرفة، 1961.

- الخوّام، رياض بن حسن. إعراب الشّواهد القرآنيّة والأحاديث النّبويّة الشّريفة وأقوال الصّحابة رضي الله عنهم في كتاب أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك لابن هشام الأنصاريّ. مكّة المكرّمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 2002.
- الخويسكي، زين كامل. ألفيّة ابن مالك في النّحو والصّرف (شرح مُيسّر). الإسكندريّة: دار الوفاء، 2003.
- دحلان، السيّد أحمد زينيّ. شرح مختصر جدًّا على متن الأجروميّة في قواعد العربيّة. القاهرة: المطبعة المحموديّة، [19..].
- الدّرة، محمّد علي طه. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه. دمشق: دار الحكمة، 1982.
- درويش، شوكت علي عبدالرحمن. الرّخصة النّحويّة. عمّان: [دن.].، 2004.
- الدّراويش، محمود أحمد أبو كتّة. دراسات في النّحو العربيّ: نحاة ومؤلفون. عمّان: المكتبة الوطنيّة، 1995.
- الدّرويش، محمود جاسم. شرح مقصورة ابن دريد وإعرابها. الرّياض: مكتبة الرشد، 1989.
- الدّرويش، محيي الدّين. إعراب القرآن الكريم. ط7. دمشق: دار اليمامة، 2002.
- دزه بي، دلخوش جار الله حسين. البحث الدّلاليّ في كتاب سيّويه. عمّان: دار دجلة، 2006.
- دككور، نديم حسين. القواعد النّطبيقيّة في اللّغة العربيّة. ط1. بيروت: مؤسّسة بحسون، 1991.
- الدّلايخ، محمّد فضل ثلجي. دليل القاعدة النّحويّة عند سيّويه. إربد: دار الكتاب النّقّافي، 2005.
- دمشقيّة، عفيف. تجديد النّحو العربيّ. بيروت: معهد الإنماء العربيّ، 1981.

_____. خطى متعثرة على طريق تجديد النّحو العربيّ: الأخفش - الكوفيّون. ط2. بيروت: دار العلم للملايين، 1982.

- الدّميّاطيّ، محمّد بن أحمد البُديريّ. المشكاة الفتحية على الشّمعة المضيئة للسيوطيّ. دراسة وتحقيق: هشام سعيد محمود. بغداد: مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدّينيّة، 1983.

- الدّنّاع، محمّد خليفة. التّطبيقات النّحويّة على شواهد ابن عقيل في ضوء شرحي الجرجاويّ والعدويّ. بيروت: دار النّهضة العربيّة، 1997.

- دهمان، أحمد عليّ. الصّورة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجانيّ- منهجًا وتطبيقاتًا. دمشق: منشورات وزارة الثّقافة، 2000.

- الدّينوريّ، أبو عبد الله الحسين بن موسى بن هبة الله. ثمار الصّناعة في علم العربيّ. تحقيق وتقديم: حتّا جميل حدّاد. ط1. عمّان: وزارة الثّقافة، 1994.

- الدّينوريّ، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيّبة. كتاب تلقين المتعلّم من النّحو. تحقيق وتعليق: جمال عبد العاطي مخيمر. ط1. [د.م.]: [د.ن.]، 1989.

- ديرة، المختار أحمد. دراسة في النّحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفرّاء. بيروت: دار قتيّبة، 1991.

- راين، تشيم [حاييم]. اللّهجات العربيّة القديمة في غرب الجزيرة العربيّة. ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الكريم مجاهد. ط1. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، 2002.

- الرّاجحي، عبده. التّطبيق النّحويّ. ط1. الرّياض: مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، 1999.

_____. دروس في كتب النّحو. بيروت: دار النّهضة العربيّة، 1975.

_____. دروس في المذاهب النّحويّة. بيروت: دار النّهضة العربيّة، 1980.

_____. النّحو العربيّ والدّرس الحديث- بحث في المنهج. الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، 1988.

- الرّازي، فخر الدّين محمّد بن عمر البكريّ الشّافعيّ. التّفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000.

_____. المحصول في علم الأصول. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوّض. ط2. بيروت: المكتبة العصريّة، 1999.

- الرّازي، محمّد بن أبي بكر. مختار الصّحاح. دراسة وتحقيق: عبدالفتاح البركاوي. : دار المنار، 1983.

- راشد، الصّادق خليفة. دور الحرف في أداء معنى الجملة. بنغازي: دار الكتب الوطنيّة، 1996.

- الرّاغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمّد بن المفضّل. معجم مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: إبراهيم شمس الدّين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1997.

- ابن رشد، أبو الوليد. الضّروريّ في صناعة النّحو. تحقيق ودراسة: منصور علي عبدالسميع. القاهرة: دار الفكر العربيّ، 2002.

- رضوان، محمّد مصطفى وعبد الله درويش ومحمّد التّونجيّ. التّمهيد في النّحو والصّرف. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1987.

- رضي الدّين، محمّد بن الحسن الإستراباذيّ. شرح شافية ابن الحاجب. ط1. تقديم: إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998.

- ركن الدّين، الحسن بن محمّد بن شرف الإستراباذيّ العلويّ. الوافية في شرح الكافية. تحقيق: عبد الحفيظ شلبيّ. عُمان: وزارة التّراث القوميّ والثّقافة، 1983.

- الرّازي، الطّاهر أحمد. مختار القاموس. طرابلس الغرب: الدّار العربيّة للكتاب، 1983.

- الزبيدي، عبد اللطيف بن أبي بكر الشَّرْجِي. ائتلاف النُّصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة. تحقيق: طارق الجنابي. الموصل: مكتبة النهضة العربيّة، 1987.
- الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: ضاحي عبد الباقي. مراجعة: عبد اللطيف محمّد الخطيب. الكويت: التّراث العربيّ، 2001.
- ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم الثَّقَفِيّ العاصميّ الغرناطيّ. ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من أي التّنزيل. تحقيق: سعيد الفلاح. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، 1983.
- الزّجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ. معاني القرآن وإعرابه. شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط1. القاهرة: دار الحدث، 1994.
- الزّجاجي، أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق. الإيضاح في علل النّحو. تحقيق مازن مبارك. ط1. بيروت: دار التّفائس، 1973.
- _____. الجمل. تحقيق وشرح: ابن أبي شنب. ط2. باريس: مطبعة كلنسكسيك، 1957.
- الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن بهادر بن عبد الله. البحر المحيط في أصول الفقه. ضبط وتخرّيج وتعليق: محمّد محمّد تامر. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000.
- الزّعبلاوي، صلاح الدّين. مع النّحاة وما غاصوا عليه من دقائق اللّغة وأسرارها. دمشق: منشورات اتّحاد الكتاب العربيّ، 1992.
- الزّعبي، أنور خالد قسيم. ظاهريّة ابن حزم الاندلسيّ. عمّان: وزارة الثّقافة، 1995.
- الزّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. تحقيق: محمّد باسل عيون السّود. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998.
- _____. الكشف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل. رتّب ضبطه وصحّحه: محمّد عبد السّلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1995.
- _____. المُفصّل في علم العربيّ. تحقيق: سعيد محود عقيل. بيروت: دار الجيل، 2003.

- زوين، علي. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث. ط1. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986.
- ابن زيد، أحمد. الفضّة المضئنة في شرح الشذرة الذهبية في علم العربية. دراسة وتحقيق: عبد المنعم مسعد. القدس: مطبعة المعارف، 1989.
- زيدان، عبد الجبار فتحي. دراسات في النحو العربي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2006.
- السامرائي، إبراهيم. من سعة العربية. بيروت: دار الجيل، 1994.
- _____. النحو العربي: نقد وبناء. بيروت: دار الصادق، 1968.
- السامرائي، فاضل صالح. الجملة العربية : تأليفها وأقسامها. ط1. عمان: دار الفكر، 2002.
- _____. التعبير القرآني. ط5. عمان: دار عمّار، 2007.
- _____. الجملة العربية والمعنى. ط1. بيروت: دار ابن حزم، 2000.
- _____. الدراسات النحوية واللغوية عند الرمخشري. بغداد: دار النديم للطباعة والنشر والتوزيع، 1970.
- _____. على طريق التفسير البياني. ط1. عمان: دار الفكر، 2011.
- _____. معاني النحو. ط1. عمان: دار الفكر، 2000.
- _____. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. عمان: دار عمّار، 1999.
- السامرائي، محمد فاضل صالح. الحجج النحوية حتى نهاية القرن الثالث الهجري. ط1. عمان: دار عمّار، 2004.
- السبتي، ابن أبي الربيع الأندلسي. الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح. تحقيق ودراسة: فيصل الحفيان. ط1. الرياض: مكتبة الرشد، 2001.

- سبط الخياط، عبد الله عليّ بن أحمد بن عبد الله. المبهج في القراءات السبع المتمة بابن محيصن والأعمش ويعقوب وخلف. تحقيق: سيّد كسروي حسن. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2006.
- السخاوي، علم الدّين عليّ بن محمّد. جمال القراء وكمال الإقراء. تحقيق: علي حسين البواب. مكّة المكرّمة: مكتبة التّراث، 1987.
- _____. المُفَصَّل في شرح المُفَصَّل (باب الحروف). تحقيق يوسف الحشكي. عمّان، وزارة الأوقاف، 2002.
- ابن السّراج، أبو بكر محمّد بن سهل التّحويّ البغداديّ. الأصول في النّحو. تحقيق: عبدالحسين الفتلي. ط1. بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1985.
- _____. الموجز في النّحو. تحقيق وتقديم: مصطفى الشّويحي وبني سالم دامرجي. بيروت: مؤسّسة بدران، 1965.
- أبو السّعود، محمّد بن محمّد العمادي. تفسير أبي السّعود المسمّى إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم. إشراف: محمّد عبد اللّطيف. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1999.
- السّكاكيّ، أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن عليّ. مِفْتَاح العلوم. تحقيق وتقديم وفهرسة: عبد الحميد هندراويّ. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000.
- ابن السّكّيت، يعقوب. إصلاح المنطق. شرح وتحقيق: أحمد شاكرو عبد السّلام هارون. القاهرة: دار المعارف، 1970.
- سلام، محمّد زغلول. محاضرات في البلاغة العربيّة. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعيّة، 1993.
- سلمان، عدنان محمّد. التّوابع في كتاب سيبويه. بغداد: وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ، 1991.

- سلمان، علي جاسم. موسوعة معاني الحروف العربيّة. عمّان: دار أسامة، 2003.
- سلمان، علي محمّد علي. المجاز وقوانين اللّغة. ط1. بيروت: دار الهادي، 2000.
- السّلسيليّ، أبو عبدالله محمّد بن عيسى. شفاء العليل في إيضاح التّسهيل. دراسة وتحقيق: الشّريف عبدالله الحسيّ البركاتيّ. مكّة المكرّمة: المكتبة الفيصلية، 1986.
- السّمّارانيّ، محمّد معصوم بن سالم السّفاطونيّ. تشويق الخلّان: حاشية على شرح الأجروميّة لابن السيّد زيني دحلان. [د.م.]: المكتبة العصريّة، [196].
- السّمّرقنديّ، أبو التّصرّ أحمد بن محمّد. الموضّح في التّفسير. تحقيق: صفوان داوودي. دمشق: دار القلم، 1988.
- السّمين الحلبيّ، أحمد بن يوسف. الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: أحمد محمّد الخراط. ط1. دمشق: دار القلم، 1993.
- _____. عمدة الحُفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ- معجم لغويّ لألفاظ القرآن الكريم. تحقيق: محمّد التّونجي. بيروت: عالم الكتب، 1993.
- السّنهوريّ، عليّ بن عبد الله. شرح الأجروميّة في علم العربيّة. دراسة وتحقيق: محمّد خليل شرف. القاهرة: دار السّلام، 2006.
- السّهيّليّ، أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله. نتائج الفكر في النّحو. القاهرة: دار الاعتصام، 1984.
- السّويسيّ، محمّد العاقب بن سيّد محمّد. مرشد الطّلاب في شرح وتحقيق مُلِحّة الإعراب. ضبط ومراجعة: سعيد محمّد اللّحّام. بيروت: عالم الكتب، 1998.
- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق وشرح: عبدالسّلام محمّد هارون. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي، 2006.
- ابن سيّدة، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل المرسيّ. المُحكّم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبدالحميد هنداوي. ج5. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000.

- السِّيرافي، أبو السَّعيد الحسن بن عبد الله بن المَرْزُبَان. أخبار النُّحويِّين البصريِّين ومراريتهم وأخذ بعضهم عن بعض. تحقيق: محمَّد إبراهيم البنا. ط1. القاهرة: دار الاعتصام، 1985.

____. شرح أبيات سيبويه. تحقيق: محمَّد الرِّيح هاشم. ط1. بيروت: دار الجيل، 1996.

____. شرح كتاب سيبويه. تحقيق: رمضان عبد التَّوَّاب ومصطفى سلامة وأشرف غنَّام.

مراجعة: حسين نصَّار. القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميَّة، 1998.

- السيوطي، جلال الدِّين عبد الرَّحمن. الإِتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار التَّراث، [د. ت].

____. الأشباه والنَّظائر في النُّحو. تحقيق: محمَّد عبد القادر الفاضليّ. ط1. بيروت: المكتبة العصريَّة، 1999.

____. البهجة المرضيَّة- شرح السيوطيِّ على ألفيَّة ابن مالك مع حاشيته التَّحقيقات الوفيَّة بما في البهجة المرضيَّة من النِّكات والرَّموز الخفيَّة للغرسيّ. ط1. القاهرة: دار السَّلام، 2000.

____. كتاب الإِقترح في علم أصول النُّحو. تقديم وتحقيق: أحمد سليم الحمصي، ومحمَّد أحمد قاسم. [د. م.]: جروس برس، 1988.

____. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون وعبد العال سالم مكرم. القاهرة: عالم الكتب، 2001.

- السَّيِّد، صبري إبراهيم. لغة القرآن الكريم في سورة النُّور: دراسة في التَّركيب النُّحويّ. الإسكندريَّة: دار المعرفة، 1994.

- السَّيِّد، عبد الرَّحمن. مدرسة البصرة النُّحويَّة: نشأتها وتطوُّرها. القاهرة: دار المعارف المصريَّة.

- السيّد، عبد الحميد ولطفة إبراهيم نجّار. في النّحو العربيّ: قواعد وتدريبات. ج 2. دبي: دار القلم، 1997.
- السيّد، عبد الحميد. دراسات في اللّسانيّات العربيّة، بنية الجملة العربيّة- التّراكيب النّحويّة والتّداوليّة، علم النّحو وعلم المعاني. عمّان: دار الحامد، 2004.
- شاهين، كمال. نظريّة النّحو العربيّ القديم : دراسة تحليليّة للتّراث اللّغويّ العربيّ من منظور علم النّفس الإدراكيّ. ط 1. القاهرة: دار الفكر العربيّ، 2002.
- الشّاوش، محمّد. أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة- تأسيس "نحو النّص". متّوبة- تونس: كليّة الآداب، 2001.
- شبر، السيّد عبدالله. تفسير القرآن العظيم. تصحيح وإشراف: حسين الأعليّ. بيروت: مؤسّسة الأعليّ، 1995.
- ابن الشّجريّ، هبة الله بن عليّ بن حمزة. الأماي الشّجريّة. تحقيق: محمود الطّناجي. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1992.
- شديد، صائل رشدي. عناصر تحقيق الدّلالة في العربيّة- دراسة لسانيّة. ط 1. عمان: الاهليّة للنّشر والتّوزيع، 2004.
- الشّريجيّ، عليّ. تفسير البشائر وتنوير البصائر. دمشق: دار البشائر، 1997.
- الشّريبيّ، محمّد بن أحمد الخطيب المصريّ. تفسير الخطيب الشّريبيّ. تخرّيج وتعليق: إبراهيم شمس الدّين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2004.
- الشّرتوني، رشيد الخوري. مبادئ العربيّة في الصرف والنّحو. بيروت: دار المشرق، 1987.
- شرف الدّين، محمود عبد السّلام. الإعراب والتّركيب بين الشّكل والنّسبة- دراسة تفسيريّة. ط 1. القاهرة: دار مرجان للطّباعة، 1984.

- الشريف، محمد حسن. معجم حروف المعاني في القرآن الكريم. ط1/ج1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996.
- الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. القاهرة: أخبار اليوم، 1999-2004.
- شعير، محمد رزق. الجمل المحتملة للاسمية والفعلية. المنصورة: مكتبة جزيرة الورد، [د. ت.].
- ابن شقير، أحمد بن الحسن النحوي البغدادي. المحلى : "جوه النصب". تحقيق:فائز فارس. ط1. إربد: دار الأمل، 1987.
- الشكيري، محمد. دروس في التركيب- بين النظرية التوليدية التحليلية والنحو المعجمي الوظيفي. ط1. الرباط: دار الأمان، 2005.
- الشلوبيني، عمر بن محمد الأزدي. التوطئة. دراسة وتحقيق: يوسف أحمد مطاوع. [د. م.]: [د. ن.]. 1981.
- _____. شرح المقدمة الجزولية الكبير. دراسة وتحقيق: تركي العتيبي. ط1/ج3. الرياض: مكتبة الرشد، 1993.
- شمس الدين، جلال. الأنماط الشكلية لكلام العرب، نظرية وتطبيقاً: دراسة بنيوية. الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، 1999.
- الشنقيطي، أحمد بن الأمين. الدرر اللوامع على همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع. تحقيق وشرح: عبدالعال سالم مكرم. ط1. الكويت: دار البحوث العلمية، 1983.
- الشوباشي، شريف. لتحيا اللغة العربية: ليسقط سيبويه. القاهرة: مذبولي الصغير، 2004.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. تحقيق وتعليق: شعبان محمد إسماعيل. ط2. القاهرة: دار السلام، 2006.

- ____. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. تحقيق: عبدالرحمن عميرة. المنصورة: دار الوفاء، 1997.
- الشَّيبَانِي، مُحَمَّد بن الحسن. نهج البيان عن كشف معاني القرآن. تحقيق: حسين دركاهي. قم: نشر الهادي، 1998.
- الشَّيخ، حسين منصور. الجملة العربيّة- دراسة في مفهومها وتقسيماتها النحويّة. ط1. بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، 2009.
- الشَّيخ، عبد الواحد حسن، دراسات علم المعاني والبديع. القاهرة: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيّة، [د.ت.].
- صافي، محمود. الجدول في إعراب القرآن وصرفه. مراجعة: لجنة الحمصي. ط2. بيروت: مؤسّسة الإيمان، 1988.
- صالح، بهجت عبدالواحد. الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل. ط1. عمّان: دار الفكر، 1993.
- صالح، محمّد سالم. أصول النّحو: دراسة في فكر الأنباري. القاهرة: دار السّلام، 2006.
- الصّاوي، أحمد المالكي. حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين. اعتنى به وراجعته: نجيب الماجدي وأحمد أبو الشّباب. بيروت-صيدا: المكتبة العصريّة، 2002.
- الصّبّان، محمّد بن عليّ. حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك. ضبط وتخرج: إبراهيم شمس الدّين. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1997.
- صبرة، محمّد حسنين. ثمرة الخلاف بين النّحويّين البصريّين والكوفيّين. القاهرة: دار غريب، 2001.
- الصّحّاريّ، سلّمه بن مسلم العوّتيّ. كتاب الإبانة في اللّغة العربيّة. تحقيق: عبدالكريم خليفة، نصرت عبدالرحمن، صلاح جرّار، محمّد حسن عوّاد، جاسر أبو صفية. عمان: [د.ن.]. 1999.

- الصَّعِيدِيّ، عبد المتعال. النَّحْوُ الجديد. القاهرة: دار الفكر العربيّ، 1894.
- الصَّغِير، محمود أحمد. الأدوات النَّحْوِيَّة في كتب التَّفْسِير. ط1. دمشق: دار الفكر، 2001.
- الصَّغِير، محمود أحمد. القراءات الشَّاذَّة وتوجيهها النَّحْوِيّ. ط1. دمشق: دار الفكر، 1999.
- الصبيداويّ، يوسف. الكفاف: كتاب يُعيد صوغ قواعد اللُّغة العربيَّة. ط1. ج1. دمشق: دار الفكر، 1999.
- _____. اللُّغة والنَّاس: حلقات في اللُّغة ونحوها وصرفها أذاعها التَّلَافُز العربيّ السوريّ. دمشق: دار الفكر، 1996.
- الصَّيْمَرِيّ، عبد الله بن عليّ بن إسحاق. التَّبَصُّرة والتَّذَكُّرة. تحقيق: فتحي أحمد مصطفى عليّ الدِّين. الرِّياض: جامعة أمّ القرى، 1982.
- الضَّيَّير، محمَّد بن مباشر الواسطيّ. شرح اللَّمع في النَّحْو. تحقيق: رجب عثمان محمَّد. القاهرة: مكتبة الخانجي، 2000.
- ضومط، جبر. كتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيان. بيروت: مطبعة الوفاء، 1930.
- ضيف، شوقي. تيسير النَّحو التَّعليميّ قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده. القاهرة: دار المعارف، 1986.
- الطَّبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيُّوب. التَّفْسِير الكبير- تفسير القرآن العظيم. تحقيق: هشام البدرانيّ. إربد: دار الكتاب النَّقَّاشيّ، 2008.
- الطَّبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. ط1. بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1992.

- ابن الطّراوة. رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح. بيروت: عالم الكتب، 1996.
- طربوش، ياسين. مسالك التّراث في النّحو والصّرف. دمشق، دار قتيبة: د.ت.
- طلب، عبد الحميد السيّد. تهذيب النّحو. القاهرة: مكتبة الشّباب، 1966.
- الطلحي، مراجع عبدالقادر بالقاسم. الجواز النّحويّ ودلالة الإعراب على المعنى. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1992.
- طنطاوي، محمّد سيّد. التّفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار المعارف، 1992.
- طه، عبد الحميد طه. دراسات في النّحو. القاهرة: مكتب سعيد رأفت- حرم جامعة عين شمس، 1971.
- ابن طولون، محمّد بن عليّ الدّمشقيّ الصّالحيّ. شرح ابن طولون على ألفيّة ابن مالك. تحقيق: عبد الحميد الكبيسي. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2002.
- الطّويل، السيّد رزق. في أصول النّحو وتاريخه - الخلاف بين النّحويّين: دراسة وتحليل وتقويم. مكّة المكرّمة: الفيصلية، 1984.
- ابن الطّيّب، أبو عبد الله محمّد الفاسيّ. فيض نشر الإنشراح من روض طيّ الاقتراح، وفي أعلاه: الاقتراح في أصول النّحو وجدله للسّيوطيّ. تحقيق وشرح: محمود يوسف فجلّال. دبي: دار البحوث للدراسات الإسلاميّة وإحياء التّراث، 2000.
- أبو الطّيّب اللّغويّ، عبد الواحد عليّ. مراتب النّحويّين. ط1. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصريّة، 2002.
- عاصي، ميشال وإميل بديع يعقوب. المعجم المفصّل في اللّغة والأدب. بيروت: دار العلم للملايين، 1987.
- عاشور، المنصف. بنية الجملة العربيّة بين التّحليل والنّظرية. تونس: منشورات كلّيّة الآداب بمتّوبة، 1991.

- _____. ظاهرة الاسم في التفكير النحوي. تونس: منشورات كلية الآداب بمتونة، 1999.
- عامر، فتحي أحمد. المعاني الثانية في الأسلوب القرآني. الإسكندرية: منشأة المعارف بالإسكندرية، 1976.
- العاملي، أحمد حبيب قصير. مثن الأجرومية ودروس في النحو. بيروت: دار البلاغة، 1993.
- ابن عباد، الصاحب. المحيط في اللغة. تحقيق: محمد حسن آل ياسين. بيروت: عالم الكتب، 1994.
- عبد التّوّاب، رمضان. لحن العامة والتّطوّر اللّغوي. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2000.
- عبد الجليل، عبد القادر. المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية. عمّان: دار صفاء، 2006.
- _____. المعجم الوصفي لمباحث علم الدلالة العام. عمّان: دار صفاء، 2006.
- عبد الحميد، محمد محيي الدين. التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية. القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد على صبيح، 1972.
- _____. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام الأنصاري. القاهرة: دار الطلائع، 2004.
- عبد الدّائم، محمد عبد العزيز. النظرية اللغوية في التراث العربي. القاهرة: دار السلام، 2006.
- عبد اللّطيف، محمد حماسة. بناء الجملة العربية. ط1. القاهرة: دار الشروق، 1996.
- _____. النحو والدلالة. ط1. القاهرة: دار الشروق، 2000.

- عبد المطلب، محمد. البلاغة العربية- قراءة أخرى. ط1. الجيزة- مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، 1997.
- _____. تحولات البنية في البلاغة العربية. ط1. طنطا: دار الحضارة للطباعة والنشر، 2000.
- عبد الله، أحمد جاسر. المفاتيح الذهبية في النحو والإعراب وأوزان الصرف. عمان، دار عالم الثقافة، 2005.
- عبدو، هيثم الشيخ. سيبويه النحوي- حياته، كتابه، مصادر ترجمته ومراجعها. دمشق: الاوائل، 2000.
- العبيدان، موسى بن مصطفى. دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين. ط1. دمشق: الأوئل، 2002.
- أبو عبيدة، مَعْمَر بن المثنى التيمي. مجاز القرآن. تعليق: محمد فؤاد سزكين. ط1. القاهرة: الخانجي، 1954.
- العجمي، فالح بن شبيب. أسس اللغة العربية الفصحى. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001.
- ابن عَجِيبة، أبو العبّاس أحمد بن محمد بن المهديّ الحسنيّ. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: عمر أحمد الراوي. ط2. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2005.
- عثمان، محمد حسن. الضّرورة والشّدوذ في شواهد أوضح المسالك لابن هشام. القاهرة: دار الطباعة المحمّديّة، 1994.
- العراقيّ، وليّ الدّين أبو زَرْعة أحمد. الغيث الهامع شرح جمع الجوامع. تحقيق: مكتبة قرطبة. ط1. القاهرة: الفاروق الحديث للطباعة والنشر، 2000.
- ابن عريشاه، عصام الدّين إبراهيم بن محمد الحنفيّ. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للقزوينيّ. تحقيق: عبد الحميد هنداي. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001.

- ابن عربي، أبو بكرٍ محمد بن عبد الله. أحكام القرآن. تحقيق: عماد زكي البارودي. القاهرة: المكتبة التوفيقية،
- عرفة، محمد أحمد. النّحو والنّحاة بين الأزهروالجامعة. [د.م.]: [د.ن.]، 1997.
- ابن عصفور، أبو الحسن بن مؤمن بن محمد الإشبيلي. شرح جمل الزّجائي. قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: فوّاز الشّعار. إشراف: أميل بديع يعقوب. ط1. ج2. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998.
- _____. المُقَرَّب. تحقيق: أحمد الجوّاري وعبد الله الجبوري. بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة ولجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، 1971.
- العطار، حسن. حاشية العطار على شرح الأزهريّة في علم النّحو للشّيخ خالد الأزهري. مصر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، 1834.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحقّ بن غالب الأندلسي. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاريّ والسّيّد عبد العال السّيّد إبراهيم. ط2. [د. م.]: [د. ن.]، [د. ت.].
- عفيفي، أحمد. ظاهرة التّخفيف في النّحو العربيّ. ط1. القاهرة: الدّار المصريّة اللّبنانيّة، 1996.
- ابن عقيل، بهاء الدّين عبد الله بن عبد الرّحمن الهمدانيّ المصريّ. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك. تحقيق: حنا الفاخوريّ. ط1/ج2. بيروت: دار الجيل، 1989.
- _____. المساعد على تسهيل الفوائد. تحقيق ودراسة: محمد كامل بركات. ط1. دمشق: دار الفكر، 1982.
- عكاشة، عمريوسف. النّحو الغائب. عمّان: دار الفارس، 2003.
- العكبري، ابن برهان الأسديّ. شرح اللّمع. تحقيق: فائز فارس. الكويت: [د.ن.]، 1984.

- العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين. إعراب القراءات الشاذة. دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزّوز. ط1: بيروت: عالم الكتب، 1996.
- _____. إملأ ما مَنَّ به الرّحمَنُ من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن. تصحيح وتحقيق: إبراهيم عطوة عوض. القاهرة، دار الحديث، 1992.
- _____. التّبيان في إعراب القرآن. وضع حواشيه: محمد حسين شمس الدّين. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998.
- _____. التّبيين عن مذاهب النّحويّين البصريّين والكوفيّين. تحقيق ودراسة: عبدالرحمن سليمان العثيمين. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986.
- _____. ديوان أبي الطّيب المتنبّي بشرح أبي البقاء العكبري المسمّى بالتّبيان في شرح الدّيوان. ضبط وتصحيح ووضع فهارس: مصطفى السّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي. ط2. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، 1956.
- _____. اللّباب في علل البناء والإعراب. تحقيق: غازي مختار طليمات. ج1. بيروت: دار الفكر المعاصر. دمشق: دار الفكر، 1995.
- _____. مسائل خلافيّة في النّحو. تحقيق وتقديم: محمد خير الحلواني. حلب: منشورات مكتبة الشّهباء، [196].
- علامة، طلال. تطوّر النّحو العربيّ في مدرستي البصرة والكوفة. بيروت: دار الفكر اللبناني، 1993.
- علوان، عبد الله. وآخرون. إعراب القرآن الكريم. تقديم: عبد الرّاجحي ومحمود سليمان ياقوت. مراجعة وتقديم: فتحي الدّابولي وإبراهيم البنّا، ومحمد محمد العبد. طنطا: دار الصّحابة للتراث بطنطا، 2006.
- علّوش، جميل. الإعراب والبناء: دراسة في نظريّة النّحو العربيّ. ط1. بيروت: المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، 1997.

- _____. الإعراب النّمودجيّ في النّظرية والتّطبيق. بيروت. ط1. عمّان: أزمنة، 1998.
- _____. التّعجّب: صيغته وأبنيته، دراسة لغويّة نحويّة مقارنة. عمّان: أزمنة، 2000.
- علوي، حافظ إسماعيلي. اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة- دراسة تحليليّة نقدية في قضايا التّلقي وإشكالاته. ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2009.
- العلوي، يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم اليميني. الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. مصر: مطبعة المقتطف، 1914.
- عليّ، جواد. تاريخ العرب قبل الإسلام. بغداد: مطبعة المجمع العلميّ العراقي، 1957.
- عليّ، عيسى شحاتة عيسى. العربيّة والنّصّ القرآنيّ: دراسة للقضايا اللّغويّة في كتب إعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن الثّالث الهجريّ. القاهرة: دار قباء، 2000.
- عمايرة، حليلة أحمد. الاتجاهات النّحويّة لدى القدماء- دراسة تحليليّة في ضوء المناهج المعاصرة. ط1. عمّان: دار وائل، 2006.
- عمر، أحمد مختار. البحث اللّغويّ عند العرب - مع دراسة لقضية التّأثير والتّأثر. القاهرة: دار المعارف، 1971.
- _____. ومكرم، عبد العال سالم. معجم القراءات القرآنيّة مع مقدّمة في القراءات وأشهر القراء. القاهرة: عالم الكتب، 1997.
- عون، حسن. دراسات في اللّغة والنّحو العربيّ. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربيّة، 1969.
- عيد، محمّد. أصول النّحو العربيّ في نظر النّحاة ورأي ابن مضاء وعلى ضوء علم اللّغة الحديث. القاهرة: عالم الكتب، 1973.
- الغزاليّ، أبو حامد محمّد بن محمّد. المنحول من تعليقات الأصول. تحقيق وتخرّيج وتعليق: محمّد حسن هيتو. ط3. دمشق: دار الفكر، 1998.

- الغزنويّ، محمود بن أبي الحسن النّيسابوريّ. باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن. دراسة وتحقيق: سعاد باقي. مكّة المكرّمة: معهد البحوث العلميّة وإحياء التّراث الإسلاميّ، 1997.

_____. وضع البرهان في مشكلات القرآن. تحقيق: صفوان داوودي. دمشق: دار القلم، 1996.

- الغلاييني، مصطفى. جامع الدّروس العربيّة. ضبط وتخرّيج: محمّد فريد. القاهرة: المكتبة التّوفيقيّة، 2003.

- فاخر، علي محمّد. التّوجيهات والآثار النّحويّة والصّرفيّة للقراءات الثلاثة بعد السّبعة. القاهرة: مكتبة وهبة، 1999.

_____. شرح المقرّب. [د. م.]: [د. ن.].، 1990.

- الفارسيّ، أبو عليّ الحسن بن أحمد. الإغفال (المسائل المصلّحة من كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزّجاج). تحقيق وتعليق: عبد الله بن عمر الحاجّ إبراهيم. أبو ظبيّ: المجمع الثّقافيّ، 2003.

_____. التّعليقة على كتاب سيبويه. تحقيق وتعليق: عوض بن حمد القوزي. ط1. [د. م.]: [د. ن.].، 1990.

_____. شرح الأبيات المشكّلة للإعراب. تحقيق: حسن هنداوي. دمشق: دار القلم، 1987.

_____. المسائل البصريّات. تحقيق: محمّد الشّاطر أحمد. القاهرة: مطبعة المدني، 1985.

- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريّا. الصّاحبي. تحقيق: أحمد صقر. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، 1977.

- الفاكهيّ، عبد الله بن أحمد. الفواكه الجنيّة وهو شرح على متمم الأجروميّة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، 1932.

- _____. كتاب كشف النقاب عن مخدّرات ملحمة الإعراب للحريّريّ. دراسة وتحقيق: عبد المقصود محمّد عبد المقصود. القاهرة: مكتبة الثقافة الدّينيّة، 2006.
- فدا، هيفاء عثمان عبّاس. زيادة الحروف بيّن التّأييد والمنع وأسرارها البلاغيّة في القرآن الكريم. القاهرة: مكتبة القاهرة للكتاب، 2000.
- الفراهيديّ، الخليل بن أحمد. العيّن. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائيّ. بيروت: مؤسّسة الأعليّ للمطبوعات، 1988.
- _____. كتاب الجمل في النّحو. تحقيق: فخر الدّين قباوة. بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1985.
- _____. المنظومة النّحويّة. دراسة وتحقيق: أحمد عفيفي. القاهرة: دار الكتب المصريّة، 1995.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد. معاني القرآن. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمّد علي النّجار وآخرون. القاهرة: دار السّرور، [د. ت.].
- فريحة، أنيس. نحو عربيّة ميسّرة. بيروت: دار الثّقافة، 1955.
- فضل، صلاح. بلاغة الخطّاب وعلم النّصّ. الجيزة: الشركة المصريّة العالميّة للنّشر- لونجمان، 1996.
- فضل، عاطف. تركيب الجملة الإنشائيّة في غريب الحديث. إربد: عالم الكتب الحديثة، 2004.
- ابن فلاح، تقي الدّين منصور اليمنيّ. المغني في النّحو. ط1. بغداد: دار الشؤون الثّقافيّة العامّة، 1999.
- الفوزان، عبد الله بن صالح. تعجيل النّدى بشرح قطر النّدى. الرّياض: مكتبة الرّشد، 1999.

- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. رتبته ووثقته: خليل مأمون شيخا. بيروت: دار المعرفة، 2007.
- فيشر، أوجست. المعجم اللغوي التاريخي. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1967.
- فيود، بسيوني عبد الفتاح. علم المعاني- دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني. القاهرة: مؤسسة المختار، 1998.
- فياض، سليمان. النحو العصري: دليل مبسط لقواعد اللغة العربية. القاهرة: مركز الأهرام، 1995.
- القاسمي، سلطان بن محمد. موجز دائرة المعارف الإسلامية. الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1995.
- قباوة، فخر الدين. مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء. دمشق: دار الفكر، 2003.
- قُرَاعَة، هدى محمود. الشواهد القرآنية في كتاب شرح ابن عقيل. ط1. القاهرة: مطبعة المدني، 1998.
- القرافي، شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري. نفائس الأصول في شرح المحصول. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط3. بيروت: المكتبة العصرية، 1999.
- القرطبي، ابن مضاء. كتاب الرد على النحاة. تحقيق: شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف، 1982.
- القرطبي، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لإحكام القرآن. مراجعة: صديقي جميل. تخرين وتعليق: عرفان العشأ. بيروت: دار الفكر، 1995.

- القرطبي، هارون بن جندل القيسي المجريطي. شرح عبون كتاب سيبويه. دراسة وتحقيق: عبد ربّه عبد اللّطيف عبد ربّه. القاهرة: مطبعة حسان، 1984.
- قزاعة، هدى محمود. الشّواهد القرآنيّة في كتاب شرح ابن عقيل. القاهرة: مطبعة المدني، 1998.
- القرعان، فايز. دراسات أسلوبية في النّصّ القرآنيّ. إربد: عالم الكتب الحديث، 2004.
- القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة (مختصر تلخيص المفتاح). تحقيق ومراجعة: الشّيخ بهيج غزّاوي. بيروت: دار إحياء العلوم، 1988.
- _____. تلخيص المفتاح. تحقيق: ياسين الأيوبي. بيروت: المكتبة العصريّة، 2002.
- قلقيلة، عبده عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحيّة. ط3. القاهرة: دار الفكر العربي، 1992.
- القنوجي، صدّيق بن حسن بن عليّ البخاريّ. فتح البيان في مقاصد القرآن. عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله الأنصاريّ. صيدا: المكتبة العصريّة، 1992.
- القوجويّ، محمّد بن مصّاح الدّين مصطفى الحنفيّ. حاشية محيي الدّين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاويّ. ضبط وتصحيح وتخرّيج: محمّد عبد القادر شاهين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1999.
- القونويّ، عصام الدّين إسماعيل محمّد بن محمّد الحنفيّ. حاشية القونويّ على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التّمجيد. ضبطه وصحّحه وخرّج آياته: عبد الله محمود محمّد عمر. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001.
- القيسي، أبو محمّد مكيّ بن أبي طالب. مشكل إعراب القرآن. تحقيق: حاتم صالح الضّامن. ط1. دمشق: دار البشائر، 2003.
- كاظم، إبراهيم كاظم. النّحو الكوفيّ، مباحث في معاني القرآن للفرّاء. بيروت: عالم الكتب، 1998.

- الكرمي، محمد. الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح. قم: المطبعة العلمية، 1955.
- كشّاش، محمد. معجم المتفق والمفترق في ألقاب أئمة اللغة والنحو وكناهم وأنسابهم. بيروت: عالم الكتب، 1998.
- كشك، أحمد. من وظائف الصوت اللغوي- محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي. القاهرة: [د. ن.]، 1983.
- الكفراوي، حسن. شرح حسن الكفراوي على متن الأجرومية. القاهرة: المطبعة الميمنية، 1888.
- الكفوي، أبو البقاء بن عبد القادر الحسني الحنفي. الكليات. القاهرة: بولاق- دار الطباعة العامة، 1864.
- ابن كمال باشا، أحمد بن سليمان. أسرار النحو. تحقيق: أحمد حسن حامد. عمان: دار الفكر، 1983.
- الكوفي، عمر بن إبراهيم. كتاب البيان في شرح اللمع لابن جني. دراسة وتحقيق: علاء الدين حمويّة. عمان: دار عمّار، 2002.
- الكوهني، عبد القادر بن أحمد. تجريد أبي العباس سيدي أحمد بن عجيبة لعبد القادر الكوهني على متن الأجرومية لعبد محمد بن داوود الصنهاجي. القاهرة: المطبعة المحموديّة، 1901.
- الكوّاز، محمد كريم. الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. ط1. بنغازي: مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، 1997.
- الكيشي، محمد بن أحمد القرشي. الإرشاد إلى علم الإعراب. تحقيق: يحيى مراد. القاهرة: دار الحديث، 2004.

- لاشين، عبدالفتاح. المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم. القاهرة: دار الفكر العربي، 2000.

- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله الجياني. شرح التسهيل لابن مالك. تحقيق: عبدالرحمن السيد، محمد بدوي المختون. القاهرة: هجر، 1990.

_____. شرح عمدة الحافظ وعدة اللفظ. تحقيق: عدنان عبدالرحمن الدوري. بغداد: وزارة الأوقاف، 1977.

_____. شرح الكافية الشافية. تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالجواد. بيروت: دار الكتب العلمية، 2000.

- المالكي، أحمد عبد الغفار. المنقح على الموشح في قواعد اللغة العربية لجلال الدين السيوطي. دراسة وتحقيق: صادق المنبري. الإسكندرية: دار الإيمان، 2003.

- مايو، عبدالقادر محمد. القانون في النحو العربي. مراجعة وتدقيق: أحمد عبدالله فرهود. حلب: دار القلم العربي، 1997.

- مبارك، مازن. النحو العربي- العلة النحوية: نشأتها وتطورها. القاهرة: المكتبة الحديثة، 1965.

_____. نحو وعي لغوي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1979.

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. الْمُقْتَضَب. تحقيق: حسن محمد. مراجعة: إميل يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية، 1999.

- المجاشعي، أبو الحسن علي بن فضال. شرح عيون الإعراب. تحقيق: حنا جميل حداد. الزرقاء: مكتبة المنار، 1985.

_____. النكت في القرآن الكريم- في معاني القرآن الكريم وإعرابه. دراسة وتحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2007.

- ابن محمود، محمّد بن عبد الله. الكفاية في النّحو. تحقيق ودراسة: إسحاق الجعبريّ. القدس: دار ابن حزم، 2005.
- محمود، محمود حسني. المدرسة البغدادية في تاريخ النّحو العربيّ. بيروت: دار عمّار، 1986.
- المخزومي، مهدي. في النّحو العربيّ: نقد وتوجيه. صيدا: المكتبة العصريّة، 1964.
- _____. في النّحو العربيّ: قواعد وتطبيق. القاهرة: مكتبة البابي الحلبيّ، 1966.
- _____. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنّحو. القاهرة: مصطفى البابي الحلبيّ، 1958.
- المراديّ، الحسن بن قاسم. الجنى الدّاني في حروف المعاني. تحقيق: فخر الدّين قباوة ومحمّد نديم فاضل. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1983.
- المراغي، أحمد مصطفى. علوم البلاغة. القاهرة: دار الآفاق العربيّة، 2000.
- ابن المُرْتَضَى، أحمد بن يحيى. تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب. دراسة وتحقيق: نوري ياسين الهيتي. صنعاء: إصدارات وزارة الثّقافة والسّياحة، 2004.
- مرزوق، حلي. في فلسفة البلاغة العربيّة- علم المعاني. ط1. الإسكندريّة: دار الوفاء، 2004.
- ابن أبي مريم، نصر بن عليّ بن محمّد. الكتاب الموضّح في وجوه القراءات وعملها. تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبيسي. ط1. جدّة: الجماعة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم، 1993.
- مسعد، عبد المنعم فائز. المنهل في النّحو. القدس: مطبعة المعارف، 1983.
- مصطفى، إبراهيم. إحياء النّحو. القاهرة: مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، 1937.

- المطرزي، ناصر الدين عبد السيد بن أبي المكارم. المصباح في علم النحو. تحقيق: ياسين الخطيب. مراجعة: مازن المبارك. بيروت: دار النفائس، 1997.

_____. الافتتاح في شرح المصباح. تحقيق أحمد حامد. نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 1990.

- المطلي، غالب فاضل. ظاهرة الإعراب في العربية- مدخل فيلولوجي. عمان: دار كنوز المعرفة، 2008.

- مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. بيروت: مكتبة لبنان، 1996.
- مطوع، يوسف أحمد. اللحن في اللغة العربية: تاريخه وأثره. الكويت: جامعة الكويت، 1992.

- ابن معطي، زين الدين أبو الحسين يحيى المغربي. الفصول الخمسون. تحقيق ودراسة: محمود محمد الطناحي. القاهرة: مكتبة الإيمان- دار عيسى البابي الحلبي، 1977.

- مغنية، محمد جواد. التفسير الكاشف. القاهرة: دار العلم للملايين، 1968.
- المفتي، الحسن بن عثمان بن الحسين. خلاصة المعاني. تحقيق ودراسة: عبدالقادر حسين. القاهرة: دار الاعتصام، 1989.

- المقدسي، عز الدين عبدالسلام بن أحمد. تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة. تحقيق: خالد زهري. بيروت: دار الكتب العلمية، 2006.

- مكرم، عبدالعال سالم. المدرسة النحوية في مصر والشام. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990.

_____. من الدراسات الإسلامية. القاهرة: عالم الكتب، 2001.

- المكناسي، محمد بن أحمد بن غازي العثماني. شرح ألفية ابن مالك في النحو والصرف المسمى إتحاف ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي إسحاق. دراسة وتحقيق: حسين عبدالمنعم بركات. الرياض: مكتبة الرشيد، 1999.

- المكودي، عبد الرحمن بن عليّ. شرح المكودي على الألفية في علمي الصّرف والنّحو. ضبط وتخرّيج: إبراهيم شمس الدّين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1996.
- المتناوي، محمّد عبد الرّؤوف. التّوقيف على مهمّات التّعريف. تحقيق: محمّد رضوان الدّاية. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1990.
- المنتجب، حسين بن أبي العزّ الهمذانيّ. الفريد في إعراب القرآن المجيد. تحقيق: محمّد حسن النّمر. ط1. الدّوحة: دار الثّقافة، 1991.
- مندور، محمّد. اللّغة بين العقل والمغامرة. الإسكندريّة: منشأة المعارف، 1979.
- المنصوريّ، مصطفى الحصن. المقتطف من عيون التّفاسير. حقّقه وخرّج أحاديثه: محمّد عليّ الصّابونيّ. ط1. دمشق: دار القلم، 1996.
- ابن منظور، لسان العرب. نسّقه وعلّق عليه ووضع فهرسه: علي شبري. بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، 1988.
- الموزعيّ، محمّد بن عليّ بن الخطيب المعروف بـ"ابن نور الدّين". مصابيح المغاني في حروف المعاني. دراسة وتحقيق: عائض العمري. ط1. القاهرة: دار المنار، 1993.
- الموسى، نهاد. الصّورة والصّيّورة: بصائر في أحوال الظّاهرة النّحويّة ونظريّة النّحو العربيّ. عمّان: دار الشّروق، 2003.
- موعد، محمّد عطا. محمّد بن القاسم الأنباريّ (271-328هـ) وجهوده في النّحو والصّرف واللّغة. دمشق: دار الفكر، 2000.
- ناصر، بتول قاسم. دلالة الإعراب لدى النّحاة القدماء. بغداد: دائرة الشّؤون الثّقافيّة العامّة، 1999.
- ناصر الدّين، أمين. دقائق العربيّة. ط2. بيروت: مكتبة لبنان، 1968.
- ابن النّاظم، بدر الدّين محمّد. شرح ألفيّة ابن مالك. تصحيح: محمّد اللّبابيديّ. طهران: انتشارات ناصر خسرو، 1894.

- نافع، غريب عبد المجيد. عوامل الإعراب وآثارها. القاهرة: دار الطباعة المحمّديّة، 1973.

- نجا، إبراهيم محمّد. المذهب النّحويّ البغداديّ. القاهرة: دار الحديث، 2008.

- أبو النّجا. حاشية أبي النّجا على شرح الأزهريّ على مثنّ الأجروميّة في علم العربيّة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، 1960.

- النّجار، محمّد عبد العزيز. التّوضيح والتّكميل لشرح ابن عقيل. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1979.

_____. ضياء السّالك إلى أوضح المسالك. القاهرة: مطبعة الفجالة الجديدة ، 1969.

- النّجار، نادية رمضان. اللّغة وأنظمتها بيّن القدماء والمحدثين. مراجعة وتقديم: عبده الرّاجحي. الإسكندريّة، دار الوفاء، 2004.

- النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل. إعراب القرآن. تحقيق: تخريج وتحقيق: محمّد محمّد تامر ومحمّد رضوان. القاهرة: دار الحديث، 2007.

_____. شرح أبيات سيبويه. تحقيق: أحمد خطّاب. حلب: المكتبة العربيّة، 1974.

_____. معاني القرآن الكريم. تحقيق: محمّد عليّ الصّابونيّ. مكّة المكرّمة، جامعة أمّ القرى، 1989.

- النّحاس، مصطفى. من قضايا اللّغة. الكويت: جامعة الكويت، 1995.

- ابن النّحاس. التّعليقة على المقرّب: شرح ابن النّحاس على مقرّب ابن عصفور في علم النّحو. عمّان: وزارة الثّقافة، 2004.

- نحلة، محمود أحمد. أصول النّحو العربيّ. بيروت: دار العلوم العربيّة، 1987.

- النّحويّ، أبو علي. المسائل العسكريّات في النّحو العربيّ. دراسة وتحقيق: علي جابر المنصوريّ. عمّان: الدّار العلميّة، 2002.

- النّحويّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار. كتاب التّكملة. تحقيق ودراسة: كاظم المرجان. بيروت: عالم الكتب، 1999.
- نزال، فوز سهيل كامل. لغة الحوار في القرآن الكريم، دراسة وظيفيّة أسلوبيّة. عمّان: دار الجوهرة، 2003.
- النّسفيّ، عبد الله بن أحمد. تفسير النّسفيّ: مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل. تحقيق: مروان الشّعار. بيروت: دار النّفائس، 1996.
- النّواجي، أشرف ماهر. مصطلحات علم أصول النّحو. القاهرة: دار غريب، 2001.
- نهر، هادي. التّراكيب اللّغويّة. عمّان: دار اليازوريّ العلميّة، 2004.
- النّيسابوريّ، أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحديّ. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، علي معوّض، أحمد صيرة، أحمد الجمل. تقديم وتقريظ: عبد الحيّ الفرماويّ. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1994.
- النّيسابوريّ، محمود بن أبي الحسن بن الحسين. إيجاز البيان عن معاني القرآن. دراسة وتحقيق: علي بن سليمان العبيد. ط1. الرّياض: مكتبة التّوبة، 1997.
- النّيسابوريّ، نظام الدّين الحسن بن محمّد القميّ. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1996.
- نيل، علي فودة. ابن هشام الأنصاريّ، آثاره ومذهبه النّحويّ. الرّياض: جامعة الملك سعود، 1985.
- ابن الهائم، أحمد بن محمّد بن عثمان. الضّوابط الحسان فيما يتقوّم به اللّسان. تحقيق وتعليق: أحمد المزيدي. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2003.
- الهاشميّ، السيّد أحمد بن إبراهيم. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيديع. ضبطه وعلّق عليه: محمّد رضوان مهنّا. المنصورة: مكتبة الإيمان، 1999.

_____. القواعد الأساسية للغة العربية. تحقيق: محمد أحمد قاسم. بيروت: المكتبة العصرية، 1998.

- هبّود، بركات يوسف. مصباح السالك إلى أوضح المسالك. بيروت: دار الفكر، 1994.
- ابن هشام، عبدالله بن يوسف الأنصاري. الإعراب عن قواعد الإعراب. تقديم وتحقيق: رشيد عبدالرحمن العبيدي. بيروت: دار الفكر، 1970.

_____. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (ومعه كتاب عدّة السلك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد). القاهرة: دار الطلائع، 2004.

_____. رسالتان في لغة القرآن: مسائل في إعراب القرآن. تقديم وتحقيق: صاحب جعفر أبو جناح. ط1. عمان: دار الفكر، 1999.

_____. شرح جمل الزجاجي. دراسة وتحقيق: علي محسن عيسى مال الله. ط2. بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، 1986.

_____. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. رتبّه وعلّق عليه وشرح شواهد: عبدالغني الدقر. ط2. دمشق: مؤسسة الرسالة، 1994.

_____. شرح قطر الندى وبلّ الصدى ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى لمحمد محيي الدين عبدالحميد. بيروت: المكتبة العصرية، 1995.

_____. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. بيروت: المكتبة العصرية، 1996.

- الهلالي، هادي عطية مطر. الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين. بيروت: عالم الكتب، 1986.

- الهمذاني، حسين بن أبي العزّ. الفريد في إعراب القرآن المجيد. تحقيق: فهد حسن النمر وفؤاد علي مخيمر. ج1. الدوحة: دار الثقافة، 1991.

- الهواري، مسعد. قاموس قواعد اللغة العربيّة وفنّ الإعراب- الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربيّ. المنصورة: مكتب الإيمان، 1994.
- هياجنة، محمود سليم محمّد. الصّورة النّفسية في القرآن الكريم- دراسة أدبيّة. إربد: عالم الكتب الحديث، 2008.
- الواحديّ، أبو الحسن عليّ بن أحمد. شرح الواحديّ لديوان المتنبيّ. تحقيق: ياسين الأيوبيّ وقصيّ الحسين. ط1. بيروت: دار الرائد العربيّ، 1999.
- ابن الورديّ، عمر بن مظفر بن عمر. شرح التّحفة الوردية. دراسة وتحقيق: عبد الله الشّالّ. الرّياض: مكتبة الرّشد، 1989.
- الوزّاق، أبو الحسن محمّد بن عبد الله. علل النّحو. تحقيق: محمود محمّد محمود نصّار. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2002.
- الوعر، مازن. قضايا أساسيّة في علم اللّسانيّات الحديث. دمشق: دار طلاس، 1988.
- الياسري، علي مزهر. الفكر النّحويّ عند العرب: أصوله ومناهجه. بيروت: الدّار العربيّة للموسوعات، 2003.
- آل ياسين، محمّد حسين. الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1980.
- ياقوت، أحمد سليمان. مقتطفات من مدارس النّحو وتطبيقاتها. القاهرة: دار المعرفة الجامعيّة، 1997.
- _____. أصول النّحو العربيّ. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعيّة، 2000.
- _____. إعراب القرآن الكريم. [دم.]: دار المعرفة الجامعيّة، 1993-1999.
- _____. الإعراب المفصّل. الإسكندرية: دار المعرفة، 1993.

- ياقوت، محمود سليمان. النّحو التّعليمي والتّطبيق في القرآن الكريم. الكويت: مطبعة المنار الإسلاميّة، 1996.
- يعقوب، إميل بديع. المعجم المفصل في اللّغويين العرب. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1997.
- ابن يعيش، سابق الدّين محمّد بن عليّ الصنعانيّ. التّهذيب الوسيط في النّحو. تحقيق: فخر صالح سليمان قدّارة. بيروت: دار الجيل، 1991.
- ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن يعيش الموصليّ. شرح المفصل للزمخشريّ. تحقيق وتقديم: إميل بديع يعقوب. ط1. ج1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2001.
- اليمينيّ، يحيى بن حمزة بن عليّ العلويّ. كتاب الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1995.
- يوسف، حسني عبد الجليل. تسهيل شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك. القاهرة: مؤسّسة المختار، 2003.
- يوسف، مجدي إبراهيم. الجهود اللّغويّة لابن السّراج، دراسة تحليليّة. إشراف: محمود فهمي حجازي. القاهرة: دار الكتاب المصريّ، _____.
- معجم القواعد النّحويّة. إشراف: محمود حجازي. القاهرة: دار الكتاب المصريّ، 1999.

مقالات بالعربيّة:

- الأوسميّ، قيس إسماعيل. "علل الإعراب والحركات الإعرابيّة في العربيّة". المورد 21 (1993)، 57-68.
- الجنابي، طارق. "أسلوب النّداء- دراسة لغويّة صوتيّة". أبحاث عربيّة في الكتاب التّكريميّ للمستشرق الألمانيّ فولفديترش فيشر. [دم.]: [دن.]. 1994.

- أبو جناح، صاحب. "الإعراب على الخلاف في الجملة العربيّة: محاولة على طريق التّيسير". المورد 13 (1984)، 73-88.
- _____. "القياس في منهج المبرّد". المورد 9 (1980)، 51-62.
- جواد، مصطفى. "وسائل التّهوض باللّغة العربيّة وتيسير قواعدها وكتابتها". مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق 32 (1957)، 129-160.
- حامد، أحمد حسن. "نحو تيسير قواعد اللّغة العربيّة". مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق 73 (1998)، 885-894.
- حيي، يوسف. "مسيرة التّحويين العرب الأوائل". بين النّهرين 14-15 (1976)، 111-124.
- الحديثي، خديجة. "رأي في مسائل تيسير النّحو". لغة الضّاد- دائرة علوم اللّغة العربيّة. بغداد: مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، 2002، 17-59.
- حسّان، تّمّام. "اللّغة العربيّة والحداثة". فصول 3 (1984)، 128-140.
- _____. "القرائن التّحويّة واطراح العامل والإعرابين التّقديريّ والمحليّ". مجلّة اللّسان العربيّ 11 (1974)،
- حومد، عبد الوهّاب. "دعوة إلى تيسير النّحو العربيّ". مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق 71 (1996)، 201-212.
- الرّعبلاوي، صلاح الدّين. "النّحو والنّحاة". مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق 54 (1979)، 839-896.
- سمساعة، أحمد الحسن. "الحذف المجازيّ في القرآن الكريم". الدّراسات الإسلاميّة 38 (2003)، 5-22.
- الصّيداوي، يوسف. "إعادة صوغ قواعد العربيّة". مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق 73 (1998)، 945-962.

- طالب، هایل محمّد. "ظاهرة التّغيم في التّراث العربيّ". مجلّة التّراث العربيّ 91 (2003)، 99-80.
- ابن عاشور، محمّد الفاضل. "اختلاف المبرّد مع سيبويه". مجلّة المجمع العلميّ العربيّ 40 (1965)، 45-30.
- عبّاس، حسن. "حدود التّيسير". العربيّ 373 (1989)، 115-114.
- عبد الدّائم، محمّد عبد العزيز. النّظرية اللّغويّة في التّراث العربيّ. القاهرة: دار السّلام، 2006.
- عبد الرّحيم، الحافظ. "علم النّحو بين الكوفيّين والبصريّين، دراسة أهمّ القضايا الخلافية بين المدرستين". الدّراسات الإسلاميّة 28 (1993)، 28-5.
- عبد الله، حسنة عبد الحكيم. "الجملة العربيّة وتوظيفها في العمليّة التّعليميّة". مجلّة كليّة الآداب – جامعة القاهرة 62 (2002)، 409-371.
- العبيدي، رشيد عبد الرّحمن. "عيوب اللّسان واللّهجات المذمومة". مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ 36 (1985)، 236-.
- العزّاوي، نعمة رحيم. "قضايا ومشكلات في النّحو المدرسيّ". لغة الضّاد- دائرة علوم اللّغة العربيّة. بغداد: مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، 2001، 211-199.
- علّوش، جميل. "بين ألقاب الإعراب وألقاب البناء". مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق 68 (1993)، 528-498.
- ____. "مشكلات في معالجة النّحاة لموضوع النّداء". المجلّة الثّقافيّة. 21 (1990)، 88-83.
- ____. "نقد نظريّة النّحاة في النّداء". المجلّة الثّقافيّة. 7 (1985)، 36-29.
- عنتر، عبد الحميد. "القياس النّحويّ". مجلّة الأزهر 18 (....)، 528-523.

- عوض، سامي. "تيسير مباحث النحو والصرف". مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 73 (1998)، 920-895.
- عوّاد، محمّد حسن. "التعريف والنقد- دراسة في بحث: مشكلات في معالجة النحاة لموضوع النداء". مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق 72 (1997)، 360-339.
- عويس، عبد الحليم. "المذهب الظاهريّ، نشأته ومناهجه الأصوليّة وأشهر رجاله". الدّراسات الإسلاميّة 23 (1988)، 28-5.
- فاخوريّ، ممدوح. "اللغة العربيّة بين الحاضر والمستقبل". مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق 77 (2002)، 766-739.
- الكردي، سعد. "العلل التّعليميّة وأهميّتها في النّحو العربيّ". مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق 73 (1998)، 1020-993.
- المصطفى، سعد الدّين. "التركيب البسيط والمديد في العربيّة". مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق 81 (2006)، 588-557.
- مطلوب، أحمد. "تيسير النّحو". لغة الضّاد- دائرة علوم اللغة العربيّة. بغداد: مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، 2002، 16-7.
- المقدسي، جرجس خوري. "العربيّة وتسهيل قواعدها". المقتطف 29 (1905).

كتب أجنبيّة :

- Ambros. Arne A. *Einführung in die Moderne Arabische Schriftsprache*. München: Max Hueber Verlag, 1969.
- Baalbaki, Ramzi. *Dictionary of Linguistic Terms, English-Arabic*. Beirut: Dar il-ilm Lilmamayin, 1990.
- Badawi, Elaid and Michael G. Carter And Gully Adrian. *Modern Written Arabic, A Comprehensive Grammar*. London-New York: Routlege, 2004.

- Al-Batal, Mahmoud Mohammad Adel. *The Cohesive Role of Connectives in A Modern Expository Arabic Text*. Ph. D. Dissertation. Michigan: The University of Michigan, 1985.
- Bateson, Mary Catherine. *Arabic Language Handbook*. Washington: The Center for Applied Linguistics, 1967.
- Beament, W.J. *A Concise Grammar of the Arabic Language*. Revised by: Sheikh Ali El-Barrany. Cambridge: University Press, 1861.
- Bennett, Charles E. *Syntax of Early Latin*. Hildesheim: Georg Olms Verlagsbuchhandlung, 1966.
- Beresford, H. B. *Arabic Syntax: Chiefly Selected from The Hidayut-Oon-Nuhvi, A Treatise on Syntax in the Original Arabic*. London: James Madden and C.
- Beeston, A. *Written Arabic, An Approach to the Basic Structures*. Cambridge: Cambridge University Press, 1968.
- Bohas, G. Guillaume and Kouloughli J. P. *The Arabic Linguistic Tradition*. London: Routledge, 1990.
- Bravmann, M. M. *Studies in Arabic and General Syntax*. Le Caire: Imprimerie de L'institut Français D'archeologie Orientale, 1953.
- Brockelmann, Carl. *Arabische Grammatik, Paradigmen, Literatur, Übungsstücke und Glossar*. Berlin: Verlag von Reuyher & Reichard, 1929.
- _____ *Arabische Grammatik, Paradigmen, Literatur, Übungsstücke und Glossar*. Berlin: Verlag von Reuyher & Reichard, 1941.
- Buckley, Ron. *Modern Literary Arabic, A Reference Grammar*. Beirut: Beirut: Librairie du Liban Publishers, 2004.

- Cantarino, Vicente. *Syntax of Modern Arabic Prose, The Expanded Sentence*. Bloomington: Indiana University Press, for the International Affairs Center, 1975.
- Carter. M.G. Koerner and Konrad E .F. *Arab Linguistics, An Introductory Classical Text with Translation and notes*. Amsterdam: John Benjamins B.V., 1981.
- Carter. M.G. *Sībawayhi*. Oxford: I. B. Tauris, 2004.
- Chejne, Anwar G. *The Arabic Language, It's Role in History*. Minneapolis: University of Minneapolis Press, 1969.
- Chomsky, Noam. *Syntactic Structures*. London: Mouton, 1965.
- Cowan, David. *An Introduction to Modern Literary Arabic*. Cambridge: Cambridge University Press, 1964.
- Crystal, David. *A dictionary of Linguistics and Phonetics*. Oxford: Basil Blackwell, 1991.
- Davis, N. and B. Davidson. *Arabic Reading Lessons: Consisting of Extracts from the Koran, and Other Sources, Grammatically Analysed and Translated; with Elements of Arabic Grammar*. London: Samuel Bagster and Sons,
- Elder, E. E. *Arabic Grammar, Inductive Method*. Cairo: American University, 1937.
- Ewald, Heinrich. *Syntax of the Hebrew Language of the Old Testament*. Piscataway N. J: Gorgias Press, 2005
- Fischer, Wolfdietrich. *Grammatik des klassischen Arabisch*. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2002.

- _____ *Grammatik des klassischen Arabisch*. Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1972.
- Gully, Adrian. *Grammar and Semantics in Medieval Arabic, A Study of Ibn-Hishām's "Mughnī l-Labīb"*. London: Curzon Press, 1995.
 - Gurel, Shelomo. *Vocabula Latina-Hebraea*. Tel-Aviv: Reshafim, 1991.
 - Harder, Ernst. *Arabische Grammatik*. Heidelberg: Julius Gross, 1921
 - _____ *Arabische Konversations-Grammatik, mit besonderer Berücksichtigung der Schriftsprache*. Heidelberg: J. Groose, 1910.
 - Hartmann, Regina. *Untersuchungen zur Syntax der arabischen Schriftsprache*. Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1974.
 - Haywood, J. A. and H. M. Nahmad. *A new Arabic Grammar of the Written Language*. Cambridge: Lund Humphries- Harvard University Press, 1976.
 - Holton, David. Peter Mackridge and Irene Philippaki-Warbuton. *Greek: A Comprehensive Grammar of the Modern Language*. London: Routledge, 1997.
 - Howell, Mortimer Sloper. *Grammar of the Classical Arabic Language*. With a New Preface by: Satkari Mukhopadhyaya. New Delhi: Gian Publishing House, 1990.
 - Jespersen, Otto. *A Modern English Grammar: on Historical Principles*. London: George Allen & Unwin LTD, [1961-56].
 - _____ *Analytic Syntax*. London: George Allen & Unwin LTD, [1937].
 - _____ *The philosophy of Grammar*. London: George Allen & Unwin LTD, 1924.
 - Jones, Alan. *Arabic Through the Qur'ān*. Cambridge: Brooklands Avenue, 2006.

- Kinberg, Naphtali. *Studies in the Linguistic Structure of Classical Arabic*. Leiden: Brill, 2001.
- Leech, Geoffrey. and Benita Cruickshank and Roz Ivanič, *An A-Z of English Grammar and Usage*. New Edition. England-Edinburgh: Longman, 2001.
- Levin, Saul. *Semitic and Indo-European, Comparative Morphology, Syntax and Phonetics*. General Editor: E. F. Konrad Koerner. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, 1995.
- Lewis, Charlton T. and Charles Short, *Latin Dictionary- Founded on Andrew's Edition of Freund's Latin Dictionary*. Oxford: Clarendon Press, 1958.
- Mace, John. *Arabic Grammar: A Reference Guide*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1998.
- _____ *Arabic Today, A Student, Business and Professional Course in Spoken and Written Arabic*. Edinburgh, Edinburgh University Press, 1996.
- Moutaouakil, Ahmed. *Pragmatic Functions in a Functional Grammar of Arabic*. Dordrecht: Foris Publications, 1989.
- Naser, Raja T. *The Structure of Arabic, From Sound to Sentence*. Beirut: Librairie du Liban, 1967.
- Nöldeke, Theodor. *Zur Grammatik des Classischen Arabisch*. Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1963.
- Ouhalla, Jamal Shlonsky. *Themes in Arabic and Hebrew syntax*. Dordrecht: Kluwer Academic Publishers, 2002.
- Owens, Jonathan. *Early Arabic Grammatical Theory: Heterogeneity and Standardization*. Amsterdam: John Benjamins Publishing, 1990.

- Palmer, Leonard R. *The Latin Language*. London: Bristol Classical Press, 1999.
- Piamenta, M. *Islam in Everyday Arabic Speech*. Leiden: E. J. Brill, 1979.
 _____ *The Muslim Conception of God and Human Welfare, As Reflected in Everyday Arabic Speech*. Leiden: E. J. Brill, 1983.
- Pope, Marvin H. *Probative Pontificating in Ugaritic and Biblical Literature*. Edited by: Mark S. Smith. Münster: Ugarit-Verlag, 1994.
- Reckendorf, Hermann. *Arabische Syntax*. Heidelberg: Carl Winter's universitätsbuchhandlung, 1921.
- Rundell, Michael. and Others. *Macmillan- English Dictionary for Advanced Learners*. New Edition. London: Macmillan Publishers, 2010.
- Ryding, Karin C. *A Reference Grammar of Modern Standard Arabic*. Cambridge: University Press, 2005.
- Sayed, Sabry Ibrahim. *York Dictionary of Linguistics*. Cairo: Longman, 2000.
- Schulz, Eckehard and Günther Krah. and Reuschel, Wolfgang. *Standard Arabic, An Elementary-Intermediate Course*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.
- Seiny, Esma'il Mahmoud. *The Syntax of Urban Hijazu Arabic (Sa'udi Arabia)*. Beirut: Librairie du Liban, 1978.
- Shall, Anton. *Elementa Arabica, Einführung in die klassische Arabische Sprache*. Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1988.
- Socin, A. *Arabic Grammar, Paradigms, Litterature, Chrestomathy, and Glossary*. Carlsruhe : H. Reuther, 1885.
- Stetkevych, Jaroslav. *The Modern Arabic Literary Language, Lexical and Stylistic Development*. Chicago: The University of Chicago Press, 1970

- Stewart, Duncan. *Practical Arabic Grammar*. London: Darf Publishers, 1994.
- Suleiman, Yasir. *Arabic Grammar and Linguistics*. Surrey: Curzon, 1999.
- _____ *The Arabic Grammatical Tradition : A Study in ta'īl*.
Edinburgh: Edinburgh University Press, 1999.
- Thatcher, Griffiths Wheeler. *Arabic Grammar of the Written Language*.
New York: Fredrick Ungar Publishing, 1958.
- Testen, David. *Parallels in Semitic Linguistics*. Leiden: Brill, 1998.
- Tritton, A. S. *Teach Yourself Arabic*. Edited by: Leonard Cutts. London:
The English University Press, 1881.
- Turnbull, Joanna. and Other., *Oxford Advanced Learner's Dictionary*. New
Edition. Oxford: University Press, 2010.
- Versteegh, Kees. *The Arabic Language*. Edingurgh: Edinburgh University
Press, 1997.
- _____ *Landmarks in Liguistic thought: The Arabic Linguistic
Tradition*. London: Routledge, 1997.
- Versteegh, C. H. M. *A grammar and Qur'anic Exegesis in Early Islam*.
Leiden: E.J. Brill, 1993.
- _____ *Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking*. Leiden: Brill,
1997.
- W. Wright. Carl Paul Caspari, *A Grammar of the Arabic Language*.
Cambridge: University Press, 1955.
- _____ *W. A Grammar of the Arabic Language*. Cambridge: Cambridge
University Press, 1997.

- Yushmanov, Nikolai V. *The Structure of the Arabic Language*. Translated From the Russian by: Moshe Perlman. Washington: Center for Applied Linguistics of the Modern Language Association of America, 1961.
- Ziadeh, Farhat and Winder R. *An Introduction to Modern Arabic*. London: Oxford University, 1957.

مقالات بالإنجليزية

- Axelson, Elizabeth. "Vocative: A Double-Edged Strategy in intercultural Discourse Among Graduate Students", *Pragmatics* 17 (2007), 95-122.
- Baalbaki, Ramzi. "Some Aspects of Harmony and Hierarchy in Sībawayhi's Grammatical Analysis". *Journal of Arabic Linguistics* (1978), 7-22.
- _____ "The Relation Between Nah'w and Balāg'a: A comparative Study of the Methods of Sībawayhi and Ġurġānī". *Journal of Arabic Linguistics* 11-83 (1982), 7-23.
- Beeston, A. F. L. "Some Notes on Classical Arabic Syntax". *Journal of Semitic Studies* XXVI (1981), 21-30.
- Bodner, Keith. "the 'Embarrassing Syntax' of PS.47:10:A (Pro) Vocative Option". *The Journal of Theological Studies* 54 (2003), 570-575.
- Carter, M. G. "'Twenty Dirhams' in the Kitāb of Sībawayhi". *Bulletin of School of Oriental and African Studies* xxxv (1972), 485-496.
- Clak, David. "Vocative Displacement in the Gospels: Lexico-Syntactic and Sociolinguistic Influences". *The Bible Translator* 47 (1996), 313-321.
- Dahood, Mitchell. "Vocative Lamedh in 1 Kings 19,10.14". *Biblica* 54 (1973), 407-409.
- _____ "'Vocative waw in Psalm 30,9". *Biblica* 58 (1977), 218.

- _____ "'Vocative Lamedh in Psalm 74,14". *Biblica* 59 (1978), 262-263.
- _____ "'Vocative Lamedh in Exodus 2,14 und Merismus in 34,21". *Biblica* 62 (1981), 413-415.
- Davies, Eirlys. "A contrastive Approach to the Analysis of Politeness Formulas". *Applied Linguistics* 8 (1987), 75-88.
 - Fehri, Abdelkader Fassi. "Arabic Modifying Adjectives and DP Structures". *Studia Linguistica* 53 (1999), 105-154.
 - Gwynne, Rosalind. "Qiyās al-Qiyās fī Kitāb Sībawayhi". *Al-'Arabyya* 22 (1989), 55-59.
 - Levin, Aryeh. "The Grammatical Terms Al-Musnad Al-Musnad 'ilayhi and Al-'isnād". *The Journal of the American Oriental Society* 101 (1981) 145-165.
 - Levin, Saul. "Studies in Comparative Grammar: The Definite Article, an Egyptian/Semitic/Indo-European Etymology". *General Linguistics* 32 (1992), 1-14.
- _____ "Studies in Comparative Grammar: The Prehistory of the Indo-European Declension, in View of the Semitic Cognates". *General Linguistics* 32 (1992), 111-144.
- Owens, Jonathan. "Arabic Sociolinguistics". *Arabica* 48 (2001), 419-468.
 - Panhuis, Dirk. "Traditional, Structuralist, and Textlinguistic Approaches to the (Latin) Vocative". *Studies in Language* 9 (1985), 1-19.
- _____ "The Vocative is Outside the Sentence". *Studies in Language* 10 (1986), 443-447.
- Peña, Salvador. "'i'rāb as Syntax". *Zeitschrift für Arabische Linguistik* 33 (1997), 100-104.

- Pope, Marvin. "Vestiges of Vocative Lamedh on the Bible". *Ugaritic-Forschungen: Internationales Jahrbuch für die Altertumskunde Syrien-Palästinas*. 20 (1988), 201-207.
- Rieschild, Veran. "Lebanese Arabic Reverse Role Vocatives". *Anthropological Linguistics* 40 (1998), 617-641.
- Salem, Hanaa. "Phonological Processes in Connected Speech in Colloquial Egyptian Arabic". *Perspective on Arabic Linguistics*. Ed.: Mohammad T. Alhawary and Elabbas Benmamoun. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, 2005, 69-84.
- Singer, A. D. "The Vocative in Ugaritic". *Journal of Cuneiform Studies* II (1948), 1-10.
- Vairel, Hélène. "The Position of the Vocative in the Latin Case System. *The American Journal of Philology* 102 (1981), 438-447.
- Versteegh Kees. "Current Bibliography on the History of Arabic Grammar". *Journal of Arabic Linguistics* 10-13 (1983-84), 86-89.
- _____ "The Explanation of Linguistic Causes: Az-Zağğāḡī's Theory of Grammar". *Al-'Arabyya* 29 (1996), 225-230.
- _____ "Linguistics Contracts Between Arabic And Other Languages". *Arabica, Journal of Arabic and Islamic Studies*. 48 (2001), 470-508.
- _____ "The Origin of the Term 'Qiyās' in Arabic Grammar". *Journal of Arabic Linguistics* (1980), 7-30.
- Watson, W. Scott. "Bab El-'Irāb: An Outline of Arabic Syntax", *The American Journal of Semitic Languages and Literatures* XVI (1897-1998), 227-240.
- Ziadeh, Farhat J. "Prosody and the Initial Formation of Classical Arabic". *The Journal of the American Oriental Society* 106 (1986) 133-138.

כתב بالعبرיَّة :

- אבניאון, איתן. **מילה במילה - אוצר המילים הנרדפות ניגודים ושדות סמנטיים**. תל-אביב: איתאב בית הוצאה לאור בע"מ, 2000.
- _____ **מלון ספיר - מלון עברי-עברי אנציקלופדי בשיטת ההווה**. אור יהודה: הד-ארצי הוצאה לאור, 1998.
- אבן-שושן, אברהם. **מלון אבן-שושן - מחדש ומעדכן לשנות האלפים: אוצר המילים המקיף של העברית לתקופותיה**. ח"מ: רפי מוזס, רם- הוצאה לאור בע"מ, 2003.
- בקר, דן. **תשעים ותשעה פרקי דקדוק ערבי בליווי השוואות רבות לעברית**. תל-אביב: דיונון, 1989.
- ברין, גרשון. **סוגיות במקרא ובמגילות**. [תל-אביב]: הקיבוץ המאוחד, תשנ"ד 1994.
- גולדנטאל, יעקב. **מספיק לידיעת דקדוק לשון ערבי**. ווינה: קסרליש, 1857.
- סיון, דניאל. **דקדוק, לשון, אוגרית**: ספריית האנציקלופדיה המקראית. ירושלים: מוסד ביאליק, 1993.
- רודריג-שורצולד, אורה ומיכאל סוקולוף. **מילון למונחי בלשנות ודקדוק**. אבן יהודה: רכס, 1992.

מقالات بالعبريَّة :

- זינגר, אברהם דוב. "הבעת הפנייה באוגריתית". **ידיעות**, החברה העברית לחקירת ארץ-ישראל ועתיקותיה. ג'ד' (תש"ט 1948), 98-108.
- מוצ'ניק, מלכה. "פניות של ריחוק ופניות של קרבה". **העברית ואחיותיה: כתב עת לחקר הלשון העברית וזיקתה ללשונות השמיות וללשונות היהודים**. החוג ללשון העברית, אוניברסיטת חיפה. ו-ז (תשס"ו-תשס"ז), 141-161.
- ממון, אהרון. "תאוריית ה"עמל" המחשבה הדקדוקית של אבו אלפרג' הרון". **מסורות**. ט-י-יא (תשנ"ז), 263-274.

مقالات بالألمانية:

- Tropper, Josef. "Die Vokativpartikel "yā" im Hebräischen". *Zeitschrift für Althebraistik* 15-16 (2002-3), 168-171.

ملحق بأسماء أشهر النُحاة الواردة أسماءهم في البحث

- الخليل بن أحمد: [100-170هـ، 718-786م].
- سيويته: [148-180هـ، 765-796م].
- الكسائي: [...-189هـ، ...-805م].
- الفراء: [140-207هـ، 757-822م].
- ابن سعدان: [...-231هـ، ...-846م].
- المبرد: [210-285هـ، 826-899م].
- ابن شقير البغدادي: [...-317هـ، ...-929م].
- السيرافي: [284-368هـ، 897-979م].
- الأزهرى: [282-370هـ، 895-981م].
- أبو علي الفارسي: [228-377هـ، 900-987م].
- أبو الحسن الوراق: [...-381هـ، ...-991م].
- الرُّماني: [296-384هـ، 909-995م].
- الصّاحب بن عبّاد: [326-385هـ، 938-995م].
- ابن جني: [330-392هـ، 941-1002م].
- الجوهري: [...-393هـ، ...-1003م].
- الثعالبي: [...-429هـ، ...-1038م].
- ابن سيده: [...-458هـ، ...-1066م].
- عبد القاهر الجرجاني: [400-471هـ، 1010-1078م].
- المجاشعي: [...-479هـ، ...-1086م].
- الراغب الأصفهاني: [...-503هـ، ...-1110م].
- الرّمخسري: [467-583هـ، 1075-1144م].

- الشَّريف الكوفي: [442-539هـ، 1051-1145م].
- ابن الأنباري [513-577هـ، 1119-1181م].
- السَّهيلي: [508-581هـ، 1115-1185م].
- ابن مضاء القرطبي: [520-592هـ، 1126-1196م].
- ابن الأثير: [544-606هـ، 1150-1210م].
- ابن الخبَّاز: [...-639هـ، ...-1242م].
- ابن يعيش: [553-643هـ، 1158-1245م].
- أبو عليّ الشَّلوبيّ: [562-645هـ، 1167-1247م].
- ابن الحاجب: [570-646هـ، 1175-1248م].
- ابن عُصْفُور الإشبيلي: [...-669هـ، ...-1271م].
- ابنُ مالك: [600-672هـ، 1203-1274م].
- الإسفراييني: [...-684هـ، ...-1278م].
- عبد السَّلام المقدسي: [...-678هـ، ...-1279م].
- رضيّ الدِّين الأستراباذي: [...-686هـ، ...-1287م].
- ابن النّقيب: [...-698هـ، ...-1299م].
- تاج الدِّين الجَندي: [...-700هـ، ...-1301م].
- المالقي: [630-702هـ، 1233-1303م].
- ابن منظور: [630-711هـ، 1233-1311م].
- ابن إسماعيل الهرمي: [...-702هـ، ...-3134م].
- المرادي: [...-749هـ، ...-1348م].
- أبو حيَّان الأندلسي: [654-754هـ، 1256-1353م].
- السَّمين الحلبي: [...-756هـ، ...-1355م].

- ابن هشام الأنصاري: [708-761 هـ، 1309-1360 م].
- الزبيدي: [...-802 هـ، ...-1399 م].
- الفيروزآبادي: [...-817 هـ، ...-1415 م].
- الموزعي: [...-825 هـ، ...-1422 م].
- ابن المرتضى: [...-840 هـ، ...-1437 م].
- ابن زيد: [789-870 هـ، 1384-1466 م].
- المكناسي: [...-909 هـ، ...-1503 م].
- جلال الدين السيوطي: [849-911 هـ، 1445-1505 م].
- ابن كمال باشا: [...-940 هـ، ...-1534 م].
- ابن طولون: [880-953 هـ، 1475-1546 م].
- البغدادلي: [1030-1093 هـ، 1621-1682 م].
- التهانوي: [...-1158 هـ، ...-1745 م].
- الصبّان: [...-1206 هـ، ...-1791 م].

ملحق بأسماء المنادى في بعض لغات العالم

- Arabic: منادى (Munādā)
- Bulgarian: звателен падеж (zvátelen padéž)
- Chinese: 呼格
- Croatian: vokativ
- Czech: vokativ, pátý pád
- Danish: Vokativ
- Dutch: aanspreekvorm
- Finnish: vokatiivi, puhuttelusija
- French: vocatif
- Galician: Vocativo
- German: Vokativ , Anredefall
- Greek: κλητική - Modern Greek: Κλητική
- Hebrew) פנייה יחסית : (yakhasat peniyah)
- Hungarian: megszólító eset
- Icelandic: ávarpsfall
- Italian: vocativo
- Japanese: 呼格
- Latin: casus vocativus
- Latvian: vokatīvs
- Lithuanian: šauksmininkas
- Norwegian: vokativ
- Polish: Wołacz
- Portuguese: vocativo
- Romanian: vocativ
- Russian: звательный падеж
- Serbian: вокатив (vokativ)
- Slovak: piaty pád , vokatív
- Spanish: vocativo
- Swedish: vokativ
- Turkish: vokatif
- Ukrainian: кличний відмінок (klyčnyj vidminok)
- Venetian: Vocativo

ABSTRACT

This study focuses on the vocative case (*'al-Munādā*) in the Arabic language. The vocative is one of the important cases in Arabic grammar, and its importance stems from several different aspects: first, the broad space that the vocative occupies in Arabic grammar books, starting with *Sībawayhi* in his major work *'al-Kitāb (The Book)* onwards; and Secondly, there have been many queries and long-time differences that arose with the initial phase of recording Arabic grammar, and this continued until the modern period, which is represented by modern grammarians.

In addition, the vocative is not only a grammatical aspect, but a social phenomenon that has been common in various ways among the Arabic-speaking communities, and in various contexts in the classical and modern periods. In fact, there are many *Qur'ān* testimonies, poetic lines, or prose illustrations that testify to the thorough presence of the vocative in Arab culture. Such texts, phrases and constructions are frequently used in our daily life. We usually address each other using the vocative particle *yā* [oh!] or other similar forms in our communication in the colloquial spoken dialect.

The complexity of this issue of the vocative appeared with the first attempt to compose a grammar book for teaching. Sometimes, the vocative sounded ambiguous, and therefore it was followed by long explanations mixed with different rules of grammar such as: *al-'āmil* (governing agent), *'al-'illah* (cause), *'al-qiyās* (syllogism), and *samā'* (hearing), under the influence of philosophy and logic. As a result, researchers have had some difficulty in absorbing the manifold issues of the vocative, which led to the emergence of serious disagreements among the classical grammarians. *'Ibn 'al-'Anbānī's* book *"'al-'Inṣaf"* provides strong evidence of these disagreements. The issue of the vocative fills numerous pages in *'Ibn 'al-'Anbānī's* book.

'Ibn 'al-Anbānī reviewed the long dispute that took place between the grammarians of *Baṣra* and the *Kūfah* concerning the vocative. This argument has continued up to modern period, carrying with it two negative consequences: the first is the estrangement from their mother tongue of the native speakers of Arabic, and the second is the increasing difficulty in teaching and understanding the subject of the vocative by learners of Arabic grammar Arabs and foreigners. As a result, the study of the vocative hides many questions and queries.

The study consists of three chapters:

Chapter One, "The Vocative and the Traditional Grammarians," concerns the main questions of the vocative that were introduced by the classical grammarians. I try in this chapter to clarify the main points relevant to the vocative such as: the concept of the vocative, linguistically and idiomatically; the vocative particles, the phenomenon of ellipsis in the vocative, its subjective nominal and objective accusative cases, and its kinds from the point of view of the case of the inflectional and non-inflectional forms, the nature of the informative-structure and compositional-structure, the indication of warning and awakening in the vocative structures, and the various particles that are used the vocative case. The chapter ends with other complementary aspects related to the vocative, which are: appeal and evocation (*istigāṭa*), exclamation (*ta'ajjub*), lamentation (*nudba*), and softening of the vocative (*tarkhīm*).

The methodology that I adopt in the discussion of the vocative consists of an initial description of the phenomenon through its linguistic definition, followed by an exposition of the grammatical aspects on which the classical grammarians disagreed, accompanied by a particular focus on the exciting and remarkable arguments among the grammarians. At the end of the discussion, I introduce the conclusions as a preparatory stage for the second chapter, which deals with the interpretations of the *Qur'ān*, and the third chapter, which deals with the innovative vision of the modern grammarians.

Chapter Two, "The Vocative in the Books of Interpretation," investigates certain features related to the vocative phenomenon in the *Qur'ān* such as: raising the tone of the voice and the effect of the changing stresses in oration, the degree of intonation in the vocative structure, the exclamatory vocative, the themes of lamentation and its indications, and the reply to the vocative and its inflectional function, and elision.

The purpose of this investigation is to raise the phenomenon of the vocative case through the books of interpretation, because the language of the *Qur'ān* is the first source that the classical grammarians relied on in their arguments. Thus, it is impossible to discuss such a significant topic as the vocative without referring to the books of interpretation, which constitute the significant applied grammatical works that include contexts and clues or evidence that accompany these linguistic phenomena.

Therefore, I intended that my research should be different from the methods that many researchers have followed so far. This is achieved through the treatment of new topics, the use of a distinguished approach, the investigatory reading of the main interpretive texts intensively and attentively, and integration of the classical texts such as *Ṭabaṇī's* book of interpretation, and modern texts such as the book of interpretation by *šā'rā wī*.

Chapter Three, "The Vocative According to Modern Grammarians: Flaws, Visions, and Additions," introduces the most important views that the modern grammarians have maintained and called for. This chapter initially introduces the causes of the emergence of the idea of grammatical development, based on the influence of *'Ibn Maḍā' 'al-Qurṭubī* (2nd century CE.) and modern grammarians. It also shows the most important proposals that the modern grammarians introduced in their attempts to lead to a grammatical reform, and the background and principles that they depend on based on the subject of this research. The names of the grammarians are arranged alphabetically, followed

by their flaws, their additions, their simplification proposals, and their arguments with the classical grammarians and among themselves.

In accordance with modern linguistic research methodology, I ended Chapter Three with a discussion of certain significant issues that express the characteristics of the vocative within the framework of linguistic concepts and terminology, which are likely to involve various levels of linguistic interference, such as: the phonological-semantic level, or the grammatical-phonological level. This is represented and reflected in the vocative structure between the surface structure and the deep structure; the diversion of the vocative from its original meaning; the position of the vocative sentence; the indication of the vocative discourse, and the vocative case as seen by Western studies and certain foreign sources.

It additionally should be pointed out that this study draws several conclusions connected with the topics of the three chapters. These conclusions are introduced either through the discussion and exposition throughout the thesis, such as in "the syntactic position of the reply to the vocative" and many other examples, or within the "summary and conclusions" that are given a separate title at the end of the study, such as: the relation of the sound of the vocative particle to the syntactic structure of the vocative sentence, and many other examples.

Finally, I would like to point out that there are many issues related to the vocative, that have not been considered within this study, because such treatment would require extending this study beyond its planned limits.

In fact, this research to adopts a selective method, and therefore I chose certain vocative issues in detail, and show their characteristics and indications, because I believe that grammar is a branch of semantics. I also intended to adopt new scientific visions that resort to ancient classical views, and simultaneously to connect the classical approaches with the modern ones in a new combined approach.

صدر عن مجمع القاسمي للغة العربية:

1. دراسات مختارة من حقول التراث العربي الإسلامي. للبروفيسور خليل عثمان، 2008.
2. نبض المحار: دراسات في الأدب العربي. للبروفيسور فاروق مواسي، 2009.
3. الحقيقة والمجاز. للدكتور فهد أبو خضرة، 2009.
4. القصة الفلسطينية المحلية – جيل الرواد. للدكتور محمد خليل، 2009.
5. العربية والعبرية في الماضي والحاضر: دراسة مقارنة في تطور اللغتين والتفاعل بينهما. للدكتور عبد الرحمن مرعي، 2010.
6. شعر ابن الذروي المصري. جمع وتحقيق ودراسة: البروفيسور مشهور الحبازي، 2010.
7. نظرية الاستقبال في الرواية العربية الحديثة: دراسة تطبيقية في ثلاثيّ نجيب محفوظ وأحلام مستغانمي. للدكتورة كلارا سروجي- شجراوي، 2011.
8. مطلق عبد الخالق شاعر فلسطيني أغفله التاريخ. للدكتور صلاح محاجنة، 2011.
9. المبتاقص في الرواية العربية: "مرايا السرد الترجسي". للدكتور محمد حمد، 2011.
10. ستة روائيين حداثيين. للدكتور ياسين كتاني، 2011.
11. قاموس المجمع. مجمع القاسمي للغة العربية، 2012.
12. نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان. تحقيق: الدكتور سليم أبو جابر، 2012.
13. شرح منظومة الألفاظ النحوية للملا عصام الإسفراييني. دراسة وتحقيق: البروفيسور حسين الدراويش، 2012.
14. التجريب وتحولات الإيقاع في شعر محمود درويش. للشاعر: محمود مرعي، 2012.
15. موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث: تحرير وإعداد: الدكتور ياسين كتاني. (الأدب المحلي): الكتاب الأول، 2011 الكتاب الثاني، 2012، (أدب الضفة الغربية والقطاع والشتات): الكتاب الثالث، 2013.
16. السخرية في الرواية اللبنانية (1975-2005). للدكتور فياض هبي، 2012.
17. المعجم الوافي في مصطلحات اللغة العربية وآدابها. تحرير: الدكتور ياسين كتاني، 2013.
18. الشعر الفاطمي بين المعاني الدنيوية والعقائدية. للدكتورة راوية جرجورة بربارة، 2013.
19. صدى الأسطورة والآخر في الشعر الجاهلي. للبروفيسور إحسان الديك، 2013.
20. من المخطوطات الفلسطينية النادرة: يوميات كاتب من الأرياف الفلسطينية. تحقيق: د. نادر مصاروة، 2013.
21. دراسات مضيئة في صفحات التراث. للدكتور غالب عنابسة، 2013.
22. في حضرة غيابه: تحولات "قصيدة الهوية" في شعر محمود درويش: دراسة جمالية: العنوان، البداية، النهاية والخاتمة. للدكتورة عايدة فحماوي، 2013.
23. الإدراك الخلفي (الأوكسيمورون) في الشعر العربي ومساهمته في بناء المعنى. للدكتورة ريم أبو جابر – برانسي، 2013.
24. البديل من العبرية: كلمات عربية مقترحة لألفاظ عبرية شائعة. للبروفيسور: فاروق مواسي، 2013.
25. بين التقليد والتجديد: وجهات نظر تجديدية حول المنادى في اللغة العربية الفصحى- تحليل نحوي. للأستاذ عبد الناصر جبارين، 2013.
26. مجلة "المجمع": أبحاث في اللغة العربية والأدب والفكر – الأعداد: 1 (2009)، 2 (2010)، 3-4 (2010-2011)، 5 (2011)، 6 (2012) و 7 (2013).

العنوان للمراسلات:

مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها

أكاديمية القاسمي (ج.م.)

بأقة الغربية 30100 ص.ب. 124

هاتف 04-6286722 فاكس 04-6286721

mjmaa@qsm.ac.il

حقوق الطبع محفوظة